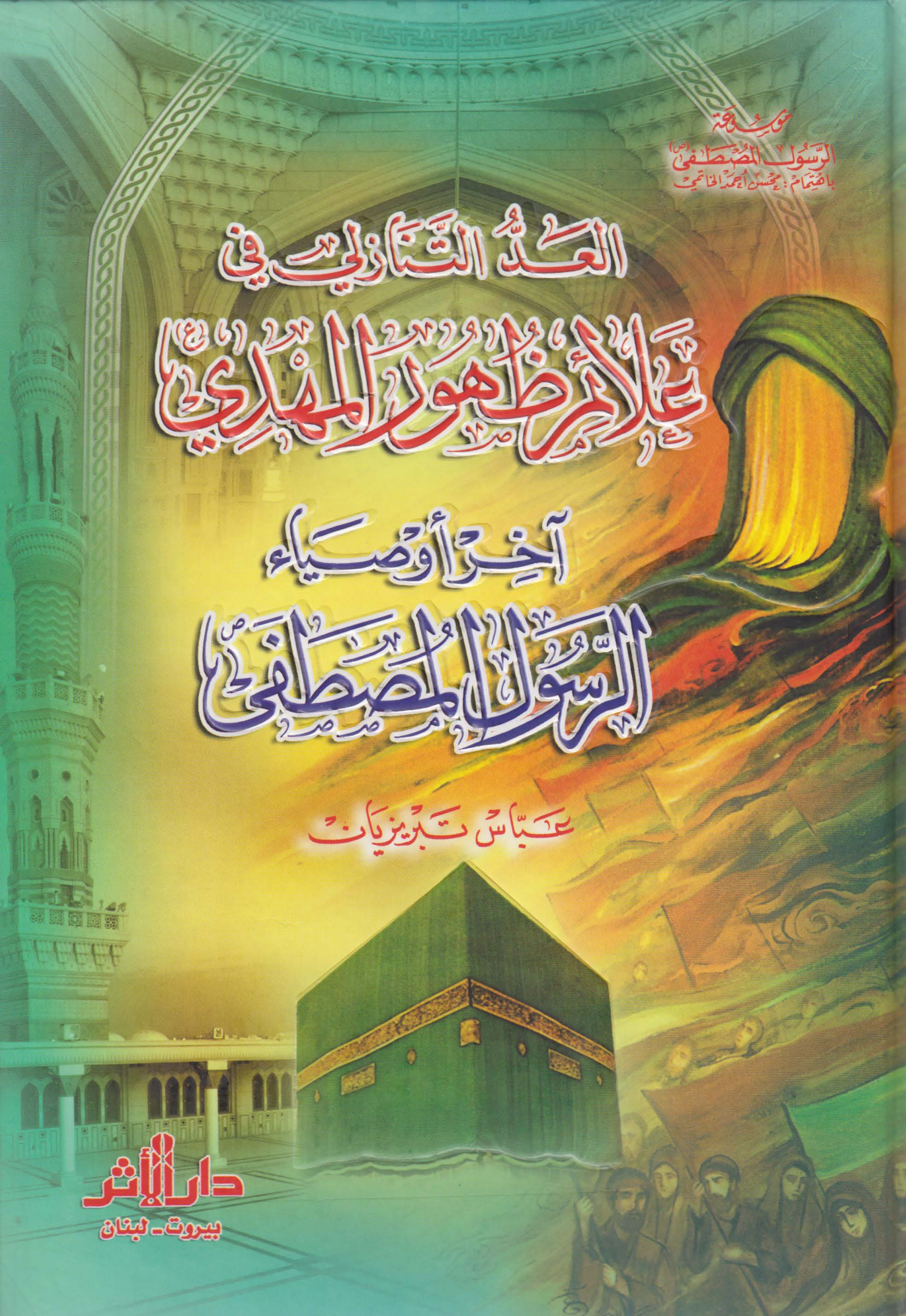
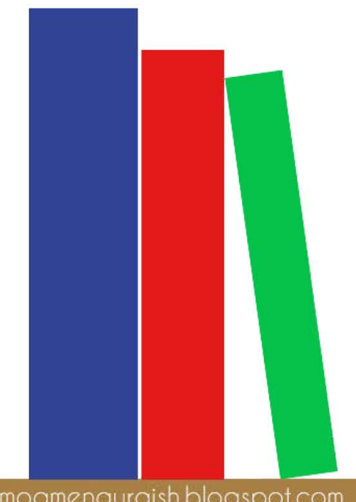


موسوعة
الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الخاتمي
العدُّ التنازلي في
علائم ظهور المهدي
آخر أوصياء
الرسول المصطفى
عباس تبريزيان
دار الأثر
بيروت - لبنان



العقد النازلي في

علائم ظهور المهدي

آخر أوصياء

الرسول المصطفى

موسوعة
الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الخاتمي

العدّ التنازلي في

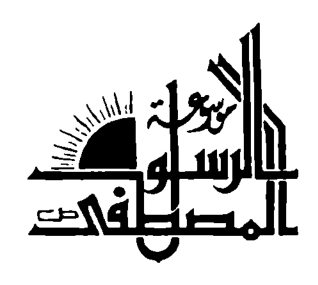
علائم ظهور المهدي (ع)

آخر أوصياء

الرسول المصطفى (ص)

عباس تبريزيان

دار الأثر
بيروت - لبنان



(٢٠)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت - الغبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في إيران:
مشهد - ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس:٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ - ٠٠٩٨)

البريد الإلكتروني: e.mail
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

مركز التوزيع والنشر في لبنان: دار الأثر
مركز التوزيع والنشر في إيران: إنتشارات ژرف
تهران - خيابان انقلاب - خيابان فخر رازى - شماره ١١١.
هاتف: ٦٤٠١٧٢٧ (٢١ - ٠٠٩٨) ص.ب: ٥٣٣ - ١٣٤٤٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤

توزيع ونشر دار الأثر
بيروت - بئر العبد - شارع دكاش - بناية شحرور
هاتف:٠١/٢٧٣٩١٣ ـ ٠٣/٣٤٩٢٣٧
E-mail:alathar@yahoo.com
E-mail: alathar2002@hotmail.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝

صدق الله العلي العظيم

الأحزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

لكل حدث في هذا العالم إرهاصات تقع قبل حصول الحدث تمهِّد له أرضية صالحة لتكوّنه المناسب يراعى فيها وجود مجموعة من المصالح ودفع مجموعة من مختلف الموانع، ليصبح الحدث ناضجاً يلائم ما حوله من أحداث.

هذا ما نفهمه من الإرهاصات لكل حدث في هذا العالم وهكذا أراد الله للكون ولأحداثه أن تكون، فحتى الشجيرات الصغيرة لا تبزغ إلا بعد عشرات الارهاصات التي تسبق ذلك البزوغ.. هكذا شاءت إرادة الله ومشيئته لكل قضايا الكون، فعالم الإمكان بأسره محكوم بقانون الأسباب والمسببات.

هذا عندما ننظر إلى العالم في قضاياه التكوينية وعندما نقرأ أحداث العالم الإجتماعية وما يرتبط بها، نراها أيضاً لا تشذُّ عن هذا القانون العام للكون، فظهور الأنبياء وبعثة الرسل والتحولات الإجتماعية وبروز الحضارات أو سقوطها وانهيارها، تسبقها إرهاصات مهمة لهذه التحولات ولتلك الانهيارات.

والباحث في علم الاجتماع يستطيع من خلال مطالعة تلك التحولات في التاريخ أن يصل إلى قوانين تحكم المجتمعات وتقلباتها ليضع بذلك أسساً يمكن الاعتماد الجزئي عليها في هذا الحقل من المعرفة من حقول العلوم الانسانية، وعندما نقول الاعتماد الجزئي فإنما نعني بهذه الكلمة أن هذه القوانين المستقاة من بحوث علم الاجتماع لم تصل إلى حد النظريات

الثابتة الحاكمة.

وقضية ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تمثّل في واقعها: التحول النوعي العام في مسيرة البشرية من حيث بسط العدل على كل أرجاء العالم وإقامة دين الله ودحر الظالمين والمتسلّطين على رقاب البشر.. هذا التحول الكوني الذي يرافقه تطور في حقول العلم والمعرفة وتكامل عقول الناس من جهة، وسخاء الكنوز الطبيعية من السماء والأرض والبحر بما عندها من مدّخرات من جهة أخرى، وإحكام الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من جهة ثالثة، إضافة على نبذ كل أنواع التخلّف والفقر والتمييز وكبت الحريات.. كل هذا يعني أن الإسلام بكل ما يحمل من مقومات الإنقاذ سيطبّق في كل أرجاء المعمورة ولأول مرة في تاريخ العالم.

أقول: إن هذا الحدث الذي لا يضاهيه أيّ حدث من حيث الأهمية والعظمة في طول مسيرة التاريخ البشري لابد أنه سيتحقق بعد حدوث إرهاصات عالمية تمهّد لهذه الواقعة العالمية الكبرى.

السؤال الذي يجيب عليه هذا الكتاب هو ما هي هذه الإرهاصات التي نسمّيها في اصطلاح كتب الحديث بالعلائم؟

لقد كتب الكثيرون في هذا الصدد إلا أن ميزة هذا الكتاب أن أخي الفاضل عباس تبريزيان قد استعرض هذه الإرهاصات والعلائم بشكل استيعابي أولاً ثم جردها وجدولها في قوائم منفصلة ثانياً وقد قام ولأول مرة في تاريخ طرح هذا البحث بمناقشة أسناد هذه الروايات والأحاديث وتقييمها من حيث السند والدلالة ثم الجمع بين مختلفاتها والخروج بنتائج علمية تواكب مسيرة التقييم والاستدلال في الكتب الفقهية، وهذا العمل وإن كان شاقا لأنه لم يسبقه إليه أحد من العلماء من قبله إلا أنه مفيد ومتجدّد حيث يحفّز روّاد مثل هذه الحقول من العلوم إلى بلورتها وتطويرها كما عملوا على ذلك في حقول الفقه والأصول وما أشبه ذلك.

ولا يفوتني هنا أن أذكّر بأهمية التمهيد الذي تصدَّر هذا الكتاب ففيه فوائد جمّة لا يستغني عنها المتطلعون لمعرفة علائم الظهور.

ويجدر بي هنا أن أشير إلى أن مناقشة أسانيد هذه الروايات التي تتحدّث عن علائم ظهور المهدي عليه السلام وإن كانت علمية بحتة وربما أخذت بنا إلى مرحلة التردد في مصداقية البعض منها إلا أن المحصّلة النهاية من كل هذا الزخم المتضافر من الروايات تجرّنا إلى أن مجمل هذه الأحداث المهمة والخطيرة لا شك أنها ستقع كإرهاصات لهذا الظهور المبارك.

وفي الختام أود أن أشير إلى أن بعض هذه العلائم هي بمثابة إعلانات لحالات الطوارئ كما نسمّيها اليوم حيث يتدخل السماء ليعلن أنّ عهداً جديداً سيطلُّ على هذا الكون، وذلك مثل علامة الخسف في البيداء وطلوع الشمس من مغربها والوجه الذي يتكلّم مما يشابه سقوط أيوان كسرى وغور بحيرة ساوة قبل بعثة الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله والبعض الآخر من تلك العلائم والإرهاصات هي بمثابة تحوّلات إجتماعية وسياسية تطال المجتمع البشري وخاصةً في الشرق الأوسط وبالذات في منطقة ما بين النهرين عاصمة حكومة الإمام المهدي عليه السلام كخروج السفياني والحسني واليماني وما أشبه، والبعض الآخر من هذه العلائم هي قوانين سوسيولوجية تسبق هذا الحدث العالمي الكبير كامتلاء العالم بالظلم والجور ليعقبها القسط والعدل العالميّان.

ومن الطبيعي إن كل واحدٍ من هذه الأنواع الثلاثة لها تأثيرها النفسي والاجتماعي والسياسي على المجتمع البشري قبل ظهور الإمام المنقذ عليه السلام وتجعل بصماتها التمهيديّة لهذا الظهور المبارك، ولا شك أن الجدوى من هذه البحوث إضافة على جانبها التراثي والغيبي والعلمي فإنها تنطوي على مفردات عقائدية وتربوية تحتاج كل واحدة منها إلى بحث ونقاش نستطردها في هذه الكلمات اليتيمة إيكالاً منا إلى مجال أوسع لطرحها بشكل تفصيلي:

الانتظار ـ الاستعداد ـ التهيّؤ ـ الشوق ـ الحبّ ـ الثبات ـ السّداد ـ

إتمام الحجّة ـ اللطف ـ الدلالة ـ القيادة ـ الانشداد ـ التلهف ـ الاعداد ـ الترقب ـ التشخيص ـ البشارة ـ الإباء ـ المعرفة ـ السعي ـ البصيرة ـ التحمل ـ التصميم ـ الإرادة ـ الانقاذ ـ التشوف ـ الجَلَد ـ الصلابة ـ الصمود ـ التوطئة ـ التغيير ـ العبرة ـ الموعظة ـ الإصلاح ـ التكامل ـ البركة ـ التوسل ـ التوجه ـ الاستشفاع ـ الحسم ـ الانتصار ـ المدد ـ الذخيرة ـ الرغبة ـ الاستقبال ـ النصرة ـ التعبئة ـ التجلي ـ الترابط ـ التمييز ـ التمحيص ـ الغربلة ـ الامتحان ـ الصقل ـ التمهيد ـ التفنيد ـ التصدّي ـ المقاومة ـ الصبر ـ التحدّي ـ الحضور ـ الغرام ـ الهيام ـ الإيمان ـ اليقين، وأمثالها من مفردات أساليب التزكية والتربية والتعليم الديني السماوي.

أسأل الله لنا وللمؤلف القدير ولجميع المؤمنين المشتاقين لظهوره عليه السلام، التوفيق للتحلّي بهذه الصفات النبيلة للإستفادة القصوى من عملية الانتظار الصعبة في دنيانا وآخرتنا بفضل الله ومنّه أنه سميع مجيب.

محسن أحمد الخاتمي

١ / محرم الحرام / ١٤٢٥ هـ

٢٢ / فبراير / ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نعيش هذه الأيام والساعات ونحن نتشوّف إلى المستقبل أكثر من الحاضر، متطلّعين إلى قادمٍ في الأُفق ننتظر قدومه وحلول أيامه أكثر مما مضى، ليستمر هذا الشوق ويتزايد بتقادم الأيام حتى يبلغ الحال التي تشبه حال الكهان والرهبان الذين عاشوا الفترة التي سبقت ظهور النبي العربي عندما تحققت بعض علاماته ودلائله كبرقة لَمَعت وشهب سطعَت فامتلأت السماء بالحرس، تخابر بذلك الكهان فصاروا في حالة اضطراب وهيجان شديدين[١] يتطلعون إلى كل حركة ويتفحصون عن كل مضمر وهم يتوسمون الوجوه ويتعرفون الآثار[٢]؛ خصوصاً

---

(١) كتب سطيح الكاهن إلى زرقاء اليمامة كتاباً جاء فيه: وقد رأيت برقة لمعت وكوكباً سطعت وإني أظن أن ذلك من علاماته ولا شك أنه قرب أوانه... فلما جاءها الرسول قالت: يظهر من عبد مناف محمد النبي بلا خلاف ثم كتبت إليه: أما نزول الكواكب فكأنك بآيات الهاشمي قد قربت فإذا قرأت كتابي بادر إلى المسير لنلتقي بمكة، فإني راحلة إليها لأعرف هذا الأمر. انظر البحار ١٥: ٣٠٤.

(٢) لما خرج رسول الله ﷺ مع عمه للتجارة إلى الشام: يقول أبوطالب: فلما قربنا من بصرى إذا نحن بصومعة فيها راهب وكانت السحابة لا تفارق رسول الله ﷺ ساعة واحدة وكان الراهب لا يكلم الناس ولا يدري ما الركب وما فيه من التجار، فلما نظر إلى النبي ﷺ عرفه، فسمعته يقول: إذا كان أحد فأنت أنت. أنظر الخرائج والجرائح ٣: ١٠٨٤ ح١٧، ومناقب آل أبي طالب ١: ٣٦.

وجـوه القـادمين مـن الحجـاز لمعـرفة ذلك النبي المنتظر بالعلامات التي وصلت إلـيهم مـن الأنبياء السابقين ومن التابعين الذين يسترقون السمع من السماء لـيُطلعوا عليه أصحابهم من الإنس، وما بلغ علمه المنجمون بالحساب، كلٌ بحسب ما يهدف إليه ويتوخاه من إلحاحه على معرفة ذلك الحدث وحدود إبانه.

غـير أن هناك تفاوتاً بين الحالين من حيث اختصاص ذلك بالرهبان والكهان ومـن اتصل بهم، وما سيكون عند اقتراب زمان المنتظر أكثر شمولاً وسعة؛ لأنه يشـغل قـاعدة عريضة تشمل جُل الشيعة الإمامية، بل كثيراً من المسلمين، بل مقـداراً يُعتـنى بـه مـن سـكان الأرض وأصـحاب الديانات الأخرى، وإن كان المنـتظر أو اسمـه قـد يختلف ويتفاوت من دين إلى آخر، ومن مذهب إلى مذهب آخر.

ساعة القائم:

نقـف عـلى أعـتاب السـاعة الثانية ننتظر دقاتها، بعدما كان الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله على أعتاب الساعة الأولى، التي تحققت عندما جاء الرسول صلى الله عليه وآله وقال: «**أنا الساعة الموعد**»[1].

تلـك الساعة التي وُعد بها العرب وأُنذر بها اليهود وبُشّر بها الرهبان، فأخذهـا كل نسل عن سابقه حتى يبلغ الأنبياء عيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام.

والساعة هي عبارة عن توقيت لحدث مصيري هام، أو منعطف في حياة البشرية، وحصول تغيير ملحوظ.

فكانـت بعـثة الرسول صلى الله عليه وآله كذلك، لأنها كانت التوقيت لنهاية الشرك

---

(١) مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٧، كنز العمال ١٦: ١٨ ح ٤٣٧٥٠. بحثنا عنه في كتاب أسماء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله في حرف السين.

الوثني وهدم كيانه بل استئصاله وانتهائه فلم يبق منه شيء يذكر.

وهي التوقيت لنهاية الجهل المطبق على العالم والجاهلية القابعة على ربوع الجزيرة العربية، فكانت ساعة العرب أولاً؛ لأن فيها نهايتهم بما هم مشركون، وهي مصيرهم كعبدة أوثان، وحتف جاهليتهم العمياء، هذه هي الساعة الأولى.

وهناك ساعتان أخريان، إحداهما موعود بها جميع البشر وجميع الأنظمة والحكومات في العالم، والأخرى موعود بها الأرض وما عليها بل الكواكب والنجوم.

وتظل الساعة الثانية التي وعد بها البشر قائمة إلى ظهور المهدي المنتظر عليه السلام الذي يجيء لينهي جميع الديانات وجميع الحكومات ويمحو أثر الظلم والظالمين، ليكون الدين واحداً والنظام واحداً يعني العولمة بمعناها الأقصى، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ سئل عنها أبو جعفر عليه السلام فقال: «هي ساعة القائم تأتيهم بغتة»[1]، ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وإِمَّا السَّاعَةَ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو خروج القائم عليه السلام، وهو الساعة، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ يعني عند القائم ﴿وأَضْعَفُ جُندًا﴾»[2]، والروايات بهذا المعنى كثيرة تأتي الإشارة إلى بعضها.

وسيعقب ساعة القائم عليه السلام ساعة ثالثة هي ساعة الأرض وفنائها، بل ساعة المنظومة الشمسية بأسرها، يكون حلولها إذا الشمس كورت وإذا النجوم

---

(١) تأويل الآيات ٢: ٥٧١. والآية ٦٦ من سورة الزخرف.

(٢) الكافي ١: ٤٣١ ح ٩٠. والآية ٧٥ من سورة مريم.

انكدرت وإذا الجبال سيرت ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[١].

الساعة والعلائم:

ما الساعة إلا اصطلاح خاص يعني حدوث أمر لا يَعلم وقته إلا الله سبحانه وتعالى من الأُمور التي اقتضت الحكمة الإلهية بقاءها في طي الكتمان بحيث لا يمكن التحدس والتخرص فيها، وكل من أخبر فهو مفترٍ، وكل من وقّت فهو كاذب، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله القائل: « **كذب الوقاتون** ».

وعندما جاء أبو بصير يسأل أبا عبد الله عليه السلام وقال: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمد إنا أهل بيت لا نوقّت وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: **كذب الوقاتون**، يا أبا محمد إن قدّام هذا الأمر خمس علامات»[٢].

ويؤكد هذا المعنى ويدعمه رواية المفضل يقول: سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمأمور المنتظر المهدي من وقت موقّت يعلمه الناس؟ فقال: «حاش لله أن يوقّت بوقت يعلمه شيعتنا» قلت: يا سيدي ولم ذاك؟ قال: «لأنه هو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية وقال: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ولم يقل إنها عند أحد، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ »[٣]، ولعل حصر الجهل بشيعتهم عليهم السلام يوحي إلى علمهم بها.

---

(١) القمر: ٤٦.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٨٩ ح ٦.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ١٧٩، بحار الأنوار ٥٣: ١، والآيات بالترتيب: آية ١٨٦ من سورة الأعراف، وآية ٣٤ من سورة لقمان، وآية ١٨ من سورة محمد.

وفي مقابل التأكيد على مجهولية الساعة هنك تأكيدات أشد على علامات الظهور وتفاصيلها للتعويض عن الجهل بالساعة، ولوجود فوائد جمة تكمن في معرفة العلائم البعيدة التي يؤدي حصولها التدريجي إلى شد الناس بقضية الإمام المهدي عليه السلام على مرّ الزمان، والتي تكون منها متاخمة لظهوره عليه السلام، ينفع العلم بها في حصول التهيؤ النفسي لاستقبال حركة الإمام المهدي عليه السلام إذا تحققت بإخبارات صدقت وتحققت، على أن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

وقد كان أرباب الساعة الأولى من الكهان والرهبان عارفين بعلاماتها حافظين لصفاته صلى الله عليه وآله بحيث صاروا يعرفون إبّانه عندما لاحظوا العلامات وتحققوا مجريات الأحداث فكانت معرفة ذلك أكبر امتياز لهم أكسبهم جاذبة تجذب كل من سمع بالساعة وأحاط بها خُبراً، أو حتى من سمع من نفس الكهان فصار يطلب المزيد ويتعرّف التفاصيل فالتفّ الناس حولهم يصغون إلى ما يقولون، ويلتقطون كل كلمة صدرت من أفواههم، فأكرموهم غاية الإكرام.

ثم كانت الاستفادة العظمى لعامة الناس الذين تهيأت أنفسهم بذلك التنبؤ لاستقبال الدعوة ومناصرتها.

وبذلك السبب صارت المدن الأكثر احتكاكاً بالرهبان والأحبار والكهان أكثر استقبالاً للرسول صلى الله عليه وآله كالمدينة المنورة.

فالتدبير الحكيم الممهد لبعثة النبي صلى الله عليه وآله له زوايا مختلفة وجوانب متفاوتة لعل أهمها هو التبشير به والتنبؤ ببعثته قبل ولادته وقبل بعثته، حتى إذا تحققت تلك البعثة وجاء الرسول صلى الله عليه وآله، مع سبق التنبؤ بمجيئه لا يبقى أدنى شك في صدق تلك الدعوة، ويذعن الناس بأنها سماوية مدبّر لها من السابق، وموعود بها البشر.

بينما تأتي النتائج معاكسة إذا حدثت مفاجئة من دون تمهيد وأيّ إخبار سابق فإنها والحال هذه تواجه أبرد الردود وأعنف الاستهزاءات وما

وجدت تلك الدعوة أنصارها ولا شقّت طريقها الهادر.

وعندها نعلم الوجه في التأكيد على انتظار الساعة الثانية وهي ساعة ظهور الإمام المهدي عليه السلام وإذاعة ذلك الحدث من يوم بعثة الرسول صلى الله عليه وآله والتنبؤ بما يسبقه من العلائم وما يجري بعد تحققه كل ذلك من أجل نفي الريب والشك عند تحققه وكذا تهيئة النفوس لاستقباله ونصرته بالإضافة إلى جوانب أُخرى نعرض لها بالتدريج ويتحقق جانب منه بإلقاء نظرة على علامات الظهور وما يحدث في عصر الظهور.

الحاجة إلى التدقيق في العلائم

تعود هذه الحاجة إلى نفس أخبار العلائم ورواياتها التي وصلت إلينا وكيفية وصولها وصدورها، وأسباب تكاثرها وتزايدها.

فأول سمة للروايات الواردة في علامات الظهور هي كثرتها ووفرتها في كتب الفرق الإسلامية المختلفة، الأمر الذي حدا بي للبحث حولها والكتابة في هذا الموضوع، وذلك للقاعدة التي أعتقد بها واعتمد عليها وهي لزوم الاهتمام بما أعطاه النبي والأئمة عليهم السلام القسم الأكبر من الأهمية وجاءت به الأخبار الكثيرة كموضوع الطب وعلائم الظهور.

والسمة الثانية هي تشعّب مطالبها واختلاف مصادرها وتخالف نصوصها وصدورها في أوقات مختلفة وطوارئ تطرأ على الساحة الإسلامية تُلفت أنظار الناس إلى طلب المنقذ وتحرّي المَخلص وحتى مجرد التشوّف إلى نهاية حالة محزنة أو ظروف عصيبة دون أصل القضية المهدوية، فيلحظ من الأخبار ذاك الجانب فقط كنهاية حكومة بعض الجبارين أو وضع نهاية للحالة المأساوية فيقع التركيز عليه.

والأدهى من ذلك هو التسرّع في تطبيق الروايات على الأحداث الطارئة، الأمر الذي طال حتى العلماء ونقَلَة الحديث من دون الالتفات إلى مقارناتها ولوازمها وحقيقة صفاتها مما يؤثر على نقل تلك الأحاديث واضطرابها، فما أن قام حسني إلا وقالوا هو الحسني المذكور في الأخبار، وما أن حصل اضطراب في الشام حتى قالوا هذه هي حركة السفياني، وما أن ملك اليمن أحد إلا وحصل التخرص بأنه اليماني المنعوت في الأخبار، من دون الإلتفات إلى أن اليماني أو السفياني له صفات كثيرة وعلائم ومقارنات هي الأُخرى محتومة، وعندها يكون من الموهمات جداً الكلام عن الحسني أو السفياني مع إهمال سائر صفاته ومقارناته، وما التركيز على كلمة اليماني دون سائر الكلمات والعلائم المزامنة إلا وهو

سوق القضية نحو الإجمال وتضييع الحقائق وتحريف الواقع من دون قصد.

ولست بصدد ترتيب أثر شرعي على تلك النظرة غير الشاملة للعلائم ولا تنقيصه لاحتمال دخولها في التفاؤل الحسن أو انتظار الفرج الذي هو أفضل العبادة ولكن أريد القول بأن ذلك وأمثاله يعقد الطريق على من يريد الوصول إلى الحقيقة ويتعب الباحث والمحقق.

فلا ينفع حينئذ في هذا الحال سوى الأخبار التي ينقلها نقلة الحديث الذين لا يكترثون بمعانيه ولا يعنيهم سوى الدقة في النقل من دون التفات إلى تضمن الخبر لما يحبون تحققه ويتفاءلون بوقوعه أو ما يكرهون تحققه في حال من الأحوال ولا يرتضون نتائجه على الإطلاق، ممن نسميهم الثقات وليس كل ثقة بل الثقة الثبت، وكذا تنفعنا رواية الراوي العالم بعدم دركه لتلك العلائم التي ينقلها ولا يصل زمانه إليها، فلا يجد معه الداعي للتركيز على جانب منها دون جانب آخر ولا يدعوه الشوق إلى إهمال القرائن والشواهد الذي يؤدي إلى الإخلال في النقل والفهم تفألاً بدرك ظهوره عليه السلام.

ومن أجل ذلك وأمثاله نجد أن الإمام يقول للراوي بعد ذكر العلائم: «ما أراك تدرك ذلك» أو يخبرهم بطول المدة وتمادي الأيام وكثرة الأحداث السابقة على الظهور أكثر من التأميل والتقريب كما سيأتي، فليس معنى هذا الكلام عندي سوى قول الإمام له: انقل كما أقول ولا تركز على جانب دون جانب ولا تغفل عن الخصائص والقرائن لأنه لا ينفعك جانب منها وحده لتركز عليه وتترك الباقي فيحصل الاختلال في نقل الأخبار، مما يحكي عن رغبة الإمام في وصول الحقائق كما هي عليه، وأن المهم عنده هو تعرّف أهل زمان الظهور على حقيقة العلائم بل الحقيقي منها.

ومع ذلك الوصف فقد جاء في أخبار الإمام المهدي عليه السلام والروايات المنقولة والمدونة في هذا المجال ما يوحي إلى قرب وقوع الحوادث، حتى أن

كل مطلع عليها يخال أنه في عصر الظهور وعند اقتراب الساعة بل مشارفتها حتى صار يقول من عاش في زمان الإمام الرضا عليه السلام مثلاً بعد ما يذكر بعض مصائب أهل البيت عليهم السلام:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد لأذهب نفسي إثرهم حسراتي
ظهور إمام لا محالة دونه يسير على اسم الله والبركات

وهو يحمل من المعاني الكثيرة الحاكية عن مدى إحساس الشيعة وتعاطفهم مع هذه القضية وحتى أنحاء تفكرهم فيها وعلل ذلك وأسبابه، حيث استطاع الشاعر بما يملكه من إحساس مرهف، التعبير عنها بكل وضوح عندما يحكي شدة تألمه على كل ما وقع من الظلم والضيم الذي أصاب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بحيث لا يحتمل معه العيش، ويفقد الصلابة والصمود أمام تلك العواصف حتى ييأس معها من الحياة، ويسلّم للأمر اليقين لولا ما يرجوه من ظهور القائم المنقذ الذي يقيم العدل ويسير على اسم الله سبحانه وتعالى مباركاً منصوراً.

فهو يحكي فائدة عظمى لحقيقة انتظار المنقذ المأمول، تلك الحقيقة التي تعمل في هذه الأحوال وكأنها ماء الحياة والإكسير الأعظم الذي ينجي من الموت المحتم، ويكون على الدوام بارقة أمل ترنو إليها أبصار القلوب، فتظل ساعية دائبة في مسيرها الأفضل، وتشق دروبها في معترك الحياة بحرارة وأمل.

وتظل هذه القضية حامية ذات حرارة ولهب منشؤه الأول الرغبة الفردية والجماعية في تحقق حكومة العدل المتمثلة بحاكم سماوي قوي الساعد، والتخلص من الظلم المعمول من يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بتوالي الحكام الظالمين من بني أُمية والعباس وغيرهم.

على أن لا يخلو استمداد تلك الحالة وبقاء تلك الحرارة من التدبير الإلهي المتمثل بالإخبار عما ستتحلى به حكومة العدل من الصفات التي يرغب

بها كل إنسان من رفع الظلم وحلول البركة واتساع أحوال الناس وغناهم المادي والمعنوي فيجعلهم يتفألون بظهوره عند حدوث كل حادث وطروء كل تغيير.

بالإضافة إلى صدور أخبار العلائم كلية بحيث يفهم الناظر فيها لأول وهلة ـ وبناءاً على رغبته ـ قرب وقوع تلك الحوادث التي تتضمنها وإمكان حدوثها في كل حين.

فانظر إلى هذه المحاورة التي رواها الحميري بسند معتبر عن ابن عيسى عن ابن أسباط قال قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك إن ثعلبة بن ميمون حدثني عن علي بن المغيرة عن زيد العمي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: يقوم قائمنا لموافاة الناس سنة، قال: «يقوم القائم بلا سفياني؟! إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم بلا سفياني».

فهذا المقطع من المحاورة يدل على مدى رغبة الناس في تعجيل الفرج حتى أنهم تأولوا كلام الإمام علي بن الحسين عليه السلام بما معناه أن القائم سيظهر بعد سنة، فأجابهم الإمام عليه السلام أنتم تعلمون من أخبار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أن القائم لا يقوم إلا بعد قيام السفياني فكيف أغفلكم حب تعجيل الفرج عن هذا الأمر الواضح.

ويؤيد هذا المعنى إلحاح السائل بعد ذلك وتعجّله فيقول: قلت: جعلت فداك، فيكون في هذه السنة؟ قال: «ما شاء الله» قلت: يكون في التي يليها؟ قال: «يفعل الله ما يشاء»[1]

تجد أن السائل بعدما اطلع على عدم ظهور القائم قبل خروج السفياني يسأل عن ظهور القائم في هذه السنة أو التي يليها قاطعاً النظر عن السفياني بتاتاً مع علمه به وبمدة حكمه، وقد يكون عالماً بجميع العلائم، فليس هذا

---

(١) قرب الإسناد: ٣٧٤ ح ١٣٢٩، بحار الأنوار ٥٢: ١٨٢ ح٥.

إلا للرغبة الشديدة والتعجّل الأشد.

بيد أنّا نسأل وقد مضى على هذه المحاورة أكثر من ألف ومائتي عام ولما يظهر القائم كيف يقول الإمام «ما شاء الله» عندما يسأله الراوي عن ظهور القائم في تلك السنة، ولم يقل له سيظهر بعد أكثر من ألف ومائتي عام فيدعه يترقّب ظهوره في تلك السنة أو السنة التي تليها؟

ولو صح هذا الخبر فهو يعني أن الحكمة تكمن في نفس بقاء هذا الترقّب واستمرار حرارته في القلوب لكي لا يبرد ولا ينسى فيحصل اليأس.

فماذا ترى لو قال له: إن الإمام المهدي سيظهر بعد ألفي عام، ما الذي سيحدث؟ لا شك أنه سينقطع ذكر المهدي عليه السلام وتضمحل كل الآثار والمنافع المتوخاة من ترقب ظهوره والاستعدادات التي تأتي الأشارة إليها.

بينما يظل حاله حال الأجل الذي لا يعلمه الإنسان يجعله يحترس في كل حين من أن يعمل ما يخزيه في الآخرة اعتماداً على ما بقي من حياته ولا يدعه يفكر أنه سيتوب في آخر الأمر بعدما يتنعم ويظلم ويقسو على الآخرين.

ففي الساحة العملية لم يحقق الجهل بالأجل وساعة الموت الهدف المنشود من وراء ذلك الكتمان أعني سوق الإنسان نحو الطاعة والتمسك بالدين ومكارم الأخلاق واجتناب الظلم والتعدي وجامع المحرمات من دون أن ينضمّ إليها الجهل بساعة أخرى يكون فيها العقاب على العصيان والمؤاخذة على الظلم في هذه الدنيا ولا أقل من الحرمان من عظيم منافعها وهي ساعة القائم عليه السلام التي لا ينفع نفس إيمانها عند حلولها لم تكن آمنت من قبل، الأمر الذي جعل المنتظرين لهذه الساعة والمترقبين لحلولها من أطايب الشيعة الإمامية أكثر قدسية من سائر البشر.

فالمسلم يرتقب ساعة واحدة هي ساعة القيامة، بينما المؤمن يرتقب

ساعتين: ساعة القيامة وساعة القائم عليه السلام فهو في حذر أشد.

عندها يتضح بجلاء الهدف من قول الرسول صلى الله عليه وآله في أمر المهدي عليه السلام «كذب الوقاتون» مما يدل على الرغبة الملحة في بقاء أجله في طي الكتمان كي يبقى المؤمنون في حالة ترقّب وجذوة أمل طول فترة غيابه يبقى معه الدين حياً طرياً في قلوب المؤمنين.

ولعل هذا هو السر الذي أدى إلى بقاء المسيحية واليهودية ولو في شكلها المبتور المحرف؛ لما يعتقدونه من نزول عيسى عليه السلام وكذا غيرها من الديانات كالبوذية، هم الآخرون يترقبون ظهور المنقذ.

ينضم إلى جميع تلك الأهداف العظيمة ما نعتقده من أمر البداء الذي يعكسه المروي عن أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام: لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1] فبقاء الخيار لله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان الأمر الذي لا يمكن نفيه عنه في حال من الأحوال قد حالَ دون إمكان البت فيما سيحدث في المستقبل من الحوادث ولا توقيت شيء منها ومن جملته زمان ظهور القائم عليه السلام خصوصاً بعد الوقوف على امتحان بني إسرائيل وإضافة المدة التي واعد الله سبحانه فيها موسى عليه السلام لميقاته.

ثم أن هذا الترقب والتعجّل صار يتجاوز حدوده المطلوبة المرسومة له إلى حد الإفراط، بحيث صار الشغل الدائم لأذهان بعض المتحمسين حتى أقعده عن إنجاز مهامه الراهنة، بحيث اضطر الإمام إلى تخفيف الوطأة ونزع حدة ذلك الطلب بأن يقول لمن يجده بهذه الصفة: وما تفعل بالمهدي عليه السلام أنت اليوم في خير لا تُكلّف سوى بأذكار وصلاة وصوم، إذا قام القائم

---

(١) قرب الإسناد: ٣٥٤ ح١٢٦٦. والآية: ٣٩ في سورة الرعد.

يجب عليك الجهاد، وإذا قام القائم فليس إلا العلق والعرق وأكل الجشب ولبس الخشن والنوم على السروج كما سيأتي.

وإن كان احتمال استكشاف مدى إخلاصه لصاحب الأمر حياً، غير أن التفسير الأول هو الأقرب.

هل يمكن السيطرة على العالم؟

من الأسئلة التي تطرح نفسها وهي في الحقيقة معضلة غير قابلة للحل في أذهان الكثيرين ولا تتسع لها طاولة البحث غالباً بعد ملاحظة الوضع الراهن في العالم ككل مما يتمثل بسيطرة الدول الاستعمارية والقوى العظمى الممتلكة للأسلحة الستراتيجية التي تغطي أكثر نقاط العالم مهما بعُدت وتناءت ولها قابلية الدمار الشامل بحيث يمكنها أن تمحو المدن الكبيرة والصغيرة برمتها، وما تزال في طريق التطور والتعقيد أكثر فأكثر.

بالإضافة إلى القدرة الدفاعية العظيمة التي اكتسبتها إبان الحرب الباردة وستكتسبها بمرور الأيام من أجهزة التنبؤ المبكر والرادارات الكاشفة لأقل حركة ونقل وانتقال عسكري وغير عسكري مما تتصف بالتعقيد والدقة.

وقد تسلح بتلك الأسلحة الستراتيجية وغير الستراتيجية جيوش عسكرية وحشود بشرية مثقفة ونابهة لها تحصيل دراسي يعطيها تقنية وفكراً أرقى، تخضع لتصميم قادتها، ليست من بلد واحد، بل من جميع بلدان العالم التي تخضع لسيطرة الاستعمار.

وهي مدعومة بأجهزة ماهرة وأنظمة معقدة وكوادر عظيمة تدرس كل موقف وتعزز كل فجوة وهي مشغولة دائبة في كسب الرقي والسبيل الأفضل والأقصر على الدوام.

بالإضافة إلى امتلاكها لقدرة عظيمة في مجال الحرب النفسية التي تطيح بكل قوة مهما تعاظمت واستفحلت، وذلك بامتلاكها الوسائل الإعلامية الطاغية على جميع الأرض وجميع ربوع العالم المهيمنة على كل بلد والمسيطرة على عامة أذهان البشر، وهي تتعاظم وتتطور وتتعقد في مجال الهيمنة على أذهان البشرية، وإلقاء المخاوف واليأس في قلوبهم، فهي تميتهم في المساء

وتحييهم في الصباح، أو بالعكس.

وأعظم من ذلك امتلاكها لكل ما تميل إليه النفوس، وتلتذ به الأعين من الثروات الطائلة والمدنية المشرقة وأنواع العمران والبناء والجمال الساحر مما يمحق إيمان أكثر المؤمنين، على أنهم لا يتركون الاستفادة من كل كبير وصغير منها حتى الأجساد العارية لنسائهم يُطلعون عليها سكان العالم وخصوصاً شبابه ليصرفوهم عن كل تصميم ويميتون روح النخوة والإباء التي في أنفسهم حتى يعود واحدهم كالميت، هذا كله جانب.

والجانب الآخر استخباراتها وأنظمتها الجاسوسية المعقدة للغاية والمتنفذة في جميع ربوع العالم هي الأخرى تمتلك أجهزة عظيمة ومتنوعة كالأقمار الصناعية وما سيتم اكتشافه من الأجهزة والوسائل الكاشفة حتى ما في ضمائر الناس، وهي تدرس كل حدث وكل تحرك وكل فكر بل كل فكرة واعتقاد، بل تتنبأ دائماً بما سيحدث بعد حين، وتدرس كل ما يمكن حصوله، أو يقال إنه سيحدث كظهور منقذ من البلد الفلاني، أو نزول رجل من السماء، كل ذلك وأمثاله تحسب له حساباته وتتصدى لمقاومته ونسف قواعده ومؤهلاته بأعقد ما يمكن من الطرق.

وقد بلغ التعقيد السياسي الغاية القصوى حتى أن الدول المتصارعة والمتناحرة في الظاهر هي متفقة في الباطن، والأنظمة التي يطيح بعضها ببعض باستخدام أنواع الشعارات والتمهيدات تشرب من مشرب واحد وهي أيدي نظام واحد.

وحتى الثورات الشعبية التي تطيح ببعض الطواغيت هي والطاغوت من منشأ واحد ومشرب واحد، ويتلوها تعقيد الأحداث حيث كان النظام يضرب عدوه ليكسب مكسباً سياسياً، واليوم يطعن نفسه وشعبه ليكسب ذلك المكسب.

خصوصاً مع تولّد التشكلات السياسية العملاقة والأحزاب الدولية

بـل الأنظمـة السياسية الجبارة التي لا يتسنى لأحد تخيل مدى قدراتها السياسية ونفوذها في دول العالم المختلفة، وهي مدعومة بأحدث النظريات والمحللين والمصممين الدارسـين الذيـن بذلوا قصارى جهودهم لحل رموز السياسة ومعالجة كـل موقـف والتخطـيط للمستقبل بحيث صاروا يتنبئون بما سيحدث بعد مائة عام كما يعلمون بما يحدث اليوم.

ومهمـا كانـت القوى والأنظمة الحاكمة للعالم مختلفة فهي متفقة في المنع مـن ظهـور قـوة جديدة والحيلولة دون صعودها إلى الساحة السياسية، فإن ذلك الحس يجعلها سرعان ما تتحد عليها وتكون يداً واحدة تلطمها لطمة قاضية وتميتها في نطفتها، فلا يتسنى لأي قدرة أن تظهر وتتعاظم، خصوصاً بعد احتلام بعض أقطاب العالم بحلم العولمة وما يشابهه.

وبعـد كل ذلك التمهيد فإن القوى العظمى بما تمتلكه من القدرات التي تعرضنا لها وما لم نتعرض لها والفنون والمهارات التي تتحلى بها واقفة بحسـب القرائن والشواهد القريبة من اليقين على نبأ المهدي المنتظر عليه السلام والمنقذ العالمي الذي ينتظره أكثر البشر، وقد تحسست بعض قواه وقدراته وعلمت بمحل ظهوره وحدود إبانه.

فكـل مـا يحدث في منطقة الشرق الأوسط اليوم لا يخلو من كونه تدبيراً للحـيلولة دون تحقق ذلك، بل تجاوز الأمر إلى التفكير في مواجهة القوى السماوية والأمور الغيبية، والمعاجز الربانية.

فمـع كـل ذلك يأتي السؤال الذي نريد أن نطرحه، وهو أنه كيف يظهر الإمـام المهـدي (عج) ويقيم دولة عالمية تحكم العالم بالعدل والإنصاف بعد كل ذلك التدبير والتمهيد والتعقيد والحنكة.

ولعـل بسـط العدل في جميع أقطار الأرض وربوع المعمورة لا يكون

أكثر من حلم يحلم به بعض الراغبين، بل لا يبلغ مرتبة الحلم هذه الأيام ولا يراه أحد حتى في منامه، بينما دلت على ذلك الأخبار وهو مستفاد من طوائف كثيرة منها بحد لا يمكن إنكاره، بل كيف ينكر وقد شهد به الكتاب وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، ومن ثم الأخبار الكثيرة، فقد جاء في رواية حذيفة التي يرويها عن النبي ﷺ قال فيها: **«يبايع له الناس بين الركن والمقام، يرد الله به الدين ويفتح له فتوح، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله»**[(١)].

وفي رواية ثانية يرويها ابن شاذان بسند معتبر عن الصادق عليه السلام «فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عز وجل»[(٢)].

وفي رواية يرويها الصدوق بسند معتبر عن صاحب الأمر عليه السلام: «فلا يبقى على وجه الأرض جبّار قاسط، ولا جاحد غامض، ولا شانئ مبغض، ولا معاند كاشح»[(٣)]، كيف يتحقق ذلك في جميع أرجاء الأرض مع كل ما وصفناه؟

خصوصاً بعد نزوع أكثر البشر إلى الشر وأكل بعضهم البعض وشيوع السلب والنهب والقتل والفتك والفساد في الأرض بحد لا يمكن وصفه، فإذا أمكن مقاومة القوى العظمى فلا يمكن مواجهة نزوع الناس إلى الشر ولا حملهم على الاستقامة وهم كثير وكثير.

فلا يمكن تأتّي ذلك بالحسابات العادية أبداً بل لا يمكن تخيله وتصوره في يوم من الأيام، ويبقى هذا السؤال حياً باقياً في الضمائر يريد الإجابة الشافية على الدوام.

---

(١) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦.

(٢) إثبات الهداة ٣: ٧٥٠ ح٦٨٦ عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان. والرواية معتبرة من الفضل إلى الإمام الصادق عليه السلام ويتم سندها إذا تم السند إلى الكتاب.

(٣) كمال الدين ٣: ٤٤٥ ح ١٩.

جواب السؤال:

أما جواب هذا السؤال فهو يكمن في كلمة واحدة وهي كلمة «ونريد» في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1] فهذا هو الجواب الإجمالي لهذا السؤال وسيأتي التفصيل نوعاً ما، ولعل الحديث عن علائم الظهور هو جواب عن ذلك السؤال.

ويمكن نفي ذلك الاستبعاد والاستغراب بالالتفات إلى أن هذا الأمر ليس بذلك الجديد وله نظائر في التاريخ التي منها تدبير فرعون لقتل النبي الذي أخبر بظهوره فصار يعمل كل ما بوسعه للحيلولة دون تحققه بعد أن ادعى الربوبية فعبده الناس وقتل الأطفال واستحيى النساء وأمر ببناء القلاع والحصون وتقوية الاستحكامات والاستعانة بالسحرة، كما قام بتغبية الناس واستعبادهم فأراد الله سبحانه وتعالى أن يغلبه أضعف رعيته فغلبوه.

ولكن هناك معادلة أخرى يصعب حلها ويعسر صرف النظر عنها ولها طرفان،طرفها الأول هو توقف ظهور القائم عليه السلام على رجوع الناس إلى الدين والاعتقاد وحصول الملل من توالي الظالمين وعدم وفاء المنتخبين عبر صناديق الاقتراع بمواعيدهم فيستحقر سكان العالم هذه الدنيا الدنية وينكشف زيفها وزخرفها مما يكون نتيجته الطبيعية هي رجوع كل قوم إلى دينهم ومعتقدهم وتمسكهم به أكثر فأكثر؛ لما يحملونه من الخلفيات ورواسب المعتقدات السابقة فترسخ في أذهانهم أشد الرسوخ.

فالمسيحي عندما يريد أن يفكر بما وراء الطبيعة ويحلق إلى الفضاء المعنوي فإنه سيرجع إلى مسيحيته ويتمسك بها ويذهب إلى الكنيسة ويتعبد بها، والبوذي كذلك يرجع إلى بوذيته.

---

(١) القصص: ٥.

ولـو قطعنا النظر عن الرجوع فإن نفس المعتقدات الحالية لها جذور عميقة وأُسس مستحكمة في نفوس البشر يصعب زحزحتها وحتى إزالة شيء منها، مع تنوع الديانات وتكثرها إلى ما يعسر حصره بالإضافة إلى انتشار كل دين في ربوع الأرض بما يعسر جمعه والإحاطة بأطرافه، مع تعنت المعتقدين، فإن أحدهم لو كلّمته على مرّ السنين لا يرجع عن معتقد واحد من معتقداته ولا يرضى بأقل تغيير فيه، وليس هو بذلك السهل ولا في متناول اليد.

والطرف الآخر في هذه المعادلة هي أن المهدوية تعني العولمة واعتقاد الناس بدين واحد مع هجر الديانات الأخرى.

فلو جمع هذا الأخير مع ذلك الأول لا يمكن تحقيق أي نتيجة ولا يؤدي إلى حصول تغيير واسع في فترة قليلة.

ولا يمكن تصور حدوث ذلك بالجبر والقهر والغلبة لأن الدين لا يكون بالإكراه والجبر والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1].

يضاف إلى تلك المعتقدات والديانات، الحضارات التي لها مقوماتها وجذورها هي الأخرى يعدّ انصهارها في بوتقة الإسلام من المستحيلات، بل يبدو أصعب من الجمع بين النقيضين واتحاد الضدين.

فهذا السؤال الحقيقي الذي يحتاج إلى جواب تفصيلي مقنع وحلٍ عملي نتجاوز به الأزمة الفكرية الناشئة عن تصور محاولة الجمع بين تلك الاتجاهات المتخالفة بل المتضادة.

مع الالتفات إلى عدم إمكان مقايسة الظروف الراهنة بالظروف التي عاشها النبي ﷺ في مجال مجابهة العدو القرشي وغيره، إذ غاية ما يعدّ مرعباً ومخوفاً مهولاً هو وقوف النبي ﷺ مع ما ينيف على ثلاثمائة من

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

أصحابه بما يمتلكونه من الأسلحة البسيطة أمام الجيش القرشي المغرور الذي يناهض الألف مقاتل شجاع وباسل في معركة بدر، فإن غايته هو قتال تلك العدة التي تفوقهم بثلاثة أضعاف، وغايته هو أن يقاتل الراجل الفارس، وتتقابل العصا مع السيف، فجميع ذلك وأمثاله وإن كان تحقيق النصر فيه أمراً عسيراً، ولكنه قد يتحقق ويمكن تصوّره باعتبار ملاحظة الاعتقاد والعزم ونجاح الخطة العسكرية، فجميع ذلك مما يبدو معقولاً وله نظائر في التاريخ كثيرة ومنقولة، يدعمه تصريح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1] مما يدل على وقوع ذلك وتحققه كثيراً.

ولكن الأمر في قصة الإمام المهدي عليه السلام ليس بذلك الوصف ولا بتلك النسبة بعد امتلاك العدو لأسلحة الدمار الشامل والأسلحة الستراتيجية التي تدمر المدن العظيمة خلال فترة وجيزة.

وليس التفاوت في العدد بين أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وبين أعدائه هو الضعف والضعفان مهما كان عدد أصحابه عليه السلام حتى لو تابعه الملايين من المسلمين فهم لا يصمدون أمام مليارات البشر وجيوش العالم التي سرعان ما ستتحد لمواجهة عدو مشترك، وهم يمتلكون أعقد الأجهزة والأنظمة الجاسوسية والتشكلات السياسية العملاقة والاستخبارات الدولية المتنفذة، المدعومة بالخلفيات الحضارية والاعتقادات الراسخة المخالفة وغير ذلك مما تقدم وصفه وبيانه.

فليس هذا هو تقابل العصا والسيف، ولا الراجل والفارس، ولا الفئة القليلة والفئة الكثيرة، بل هذا هو تقابل الشيء واللاشيء، خصوصاً مع الالتفات إلى أن أول ما يواجهه المهدي عليه السلام هو نفس المسلمين كالسفياني وجيشه على ما سيأتي بيانه.

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

فلابد أن نتحرى لهذه المعضلة وهذا السؤال الذي يفرض نفسه حلولاً وأجوبة مقنعة وشافية على شكل احتمالات مدعومة بالاستدلال والنقد على أن ندع في حساباتنا دائماً مشيئة الله سبحانه وإرادته ولكن الله سبحانه جعل لكل شيء أسباباً معروفة وعللاً موصوفة، نعرض لها كالآتي:

الاحتمال الأول:

هو انفضاض النظم المسيطرة على العالم اليوم إما بحصول الصراع بين القوى العظمى وانشغالها بأنفسها وضعفها وتلاشيها بدوام ذلك النزاع السياسي والعسكري مما يؤدي إلى غفلتها عما يحدث في أطراف العالم حتى تفاجأ بالمصلح وعساكره وهو ماثل بين شتاتهم.

أو يحصل التلاشي لتلك القوى العظمى من الداخل بعد احتدام الصراع الداخلي أو غيره من العلل التي تجر إلى الفشل وانهيار الوحدة القومية كما حدث في الاتحاد السوفياتي.

عندها يفقد التفوّق التقني والسياسي مصداقيته، وتنكسر شوكته، ويخمد توهجه.

وهذا الاحتمال وإن كان ممكناً بحسب حساب الاحتمالات ولكنه يبدو شبه المستحيل في الساحة العملية التي أثبتت تداول الأيام وحلول عدة قوى جديدة ناشطة عند انهيار أي قوة، وظهور أقطاب متعددة عند سقوط قطب واحد.

وأكبر دليل على ذلك هو الظروف التي أعقبت الحرب العالمية الأولى والثانية التي انهارت فيها الامبراطورية الألمانية ولكن سرعان ما حل محلها امبراطوريتان عظميان هما أمريكا وروسيا بالإضافة إلى دول أوربا المستعمرة.

إلا أن نفرض أن الذي يشغل ذلك الفراغ هو دولة المهدي عليه السلام القوية وتصل النوبة للمسلمين مرة أخرى في دورة السلطة التاريخية.

ولكن أين ستذهب تلك الأسلحة والأنظمة التي وصفناها حتى في فرض حصول انقسام داخل القوى العظمى أو تلاشيها وتبدلها إلى دويلات صغيرة متحاربة غير أنها أو بعضها ستظل مالكة لتلك المعدات كما شاهدناه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

فيبقى احتمال سقوط تلك المعدات بنحو وآخر بيد المسلمين كما تدل عليه بعض الأخبار ولكنه بعيد جداً يصعب تصوره وتعقله.

الاحتمال الثاني:

نفاد ثروات منطقة الشرق الأوسط خصوصاً النفط وفقدان المنطقة للقيمة الاقتصادية والموقعية الستراتيجية السياسية، مما يؤدي إلى إعراض المتسلطين على العالم عنها وتركها وشأنها، فتتصارع القوى الموجودة أو التي تتولد بعد رفع الأعنة والخروج من تحت السيطرة الخارجية للرواية التي تعد من العلائم خلع العرب أعنتها[1].

الاحتمال الثالث

فناء أكثر العالم وهلاك أكثر سكان الأرض بأن يضرب الأرض جرم سماوي عظيم أو تقع حرب عالمية ثالثة أو رابعة بالأسلحة الستراتيجية المدمرة التي يكون فيها فناء أكثر أهل الأرض بما يبلغ الثلثين فلا يبقى سوى المسلمين ومقدار قليل من غير المسلمين.

والمقصود من هلاك أهل الأرض هو الهلاك الجماعي الدفعي دون

---

(١) انظر الكافي ٨: ٢٢٤ ح٢٨٥، الغيبة للنعماني: ٢٧٠ ح٤٢، ٤٣.

التدريجي الانتقائي وذلك بأن يهلك شرق الأرض وغربها، يعني أكثر المسيحيين، والبوذيين والملاحدة.

فيحصل أثر ذلك انفلات سياسي في منطقة الشرق الأوسط يؤدي إلى ظهور قوى في المنطقة تبادر إلى الإمساك بزمام الأمور كالقوة التي تتشكل في الشام بقيادة السفياني، والتي تتشكل في إيران بقيادة الخراساني، وفي اليمن بقيادة اليماني يسارع كل واحد منهم للإمساك بزمام المنطقة كلها، حتى جاء التعبير في الروايات أن السفياني والخراساني يستبقان كفرسي رهان وفي رواية أخرى اليماني والخراساني كفرسي رهان، عندها تتجلى مصداقية الرواية المعتبرة القائلة أن خروج الثلاثة السفياني والخراساني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، والرواية آتية إن شاء الله.

ويبقى إثبات ذلك الحدث الهائل من الروايات والأخبار الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فقد روى النعماني والشيخ الطوسي بسنديهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض، وجراد في حينه وجراد في غير حينه أحمر كالدم، فأما الموت الأحمر فبالسيف، وأما الموت الأبيض فالطاعون»[١] فهي تدل على موت وقتل ولابد أن يكون قتلاً معتداً به وكثيراً جداً وإلا فالموت والقتل الاعتيادي موجود في كل زمان وليس بين يدي القائم فقط.

وروى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قدام القائم عليه السلام موتان: موت أحمر وموت أبيض، حتى يذهب من كل سبعة خمسة، فالموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون»[٢] ولابد أن يكون السيف هذا

---

(١) كتابة الغيبة للنعماني: ٢٧٧ ح ٦١، كتاب الغيبة للطوسي: ٤٣٨.

(٢) كمال الدين: ٦٥٥ح ٢٧، البحار ٥٢: ٢٠٧.

هو الأسلحة الاستراتيجية وإلا فالأسلحة التقليدية لا يمكن أن يبلغ فيها هذا العدد من القتلى.

والمهم في هذا الحقل رواية الثلثين:

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي بصير ومحمد بن مسلم قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس» فقيل له: إذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى؟ فقال عليه السلام: «أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي؟!»[1]، وليس في سند هذا الحديث ما يتوقف في شأنه سوى علي بن الحسين السعد آبادي وهو من مشايخ الإجازة يذهب البعض إلى وثاقته وصحة الحديث الذي يقع فيه، فالرواية تتشبث بالاعتبار على ما يبدو.

ورواها الشيخ الطوسي بسند فيه سهل بن زياد والأمر فيه سهل عن محمد بن مسلم وأبي بصير قالا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس» فقلنا: إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال: «أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي؟!»[2].

والفرق بين الروايتين هو زيادة كلمة «في» في الرواية الثانية التي تدل على بقاء ثلث أهل الأرض والمسلمون من جملة هؤلاء الثلث، فيكون الباقي من المسلمين وغير المسلمين، بينما الرواية الأولى والنقل الأول يدل على بقاء المسلمين فقط لأنه قال: «أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي» يعني أنتم المسلمون كل الثلث الباقي وليس هناك غيركم، ولكن النقل الثاني ـ أعني نقل الشيخ ـ أقرب إلى الصواب وله قرائن وشواهد كثيرة في الأخبار، كالأخبار الدالة على قتال المهدي عليه السلام الروم ونزول

---

(١) كمال الدين: ٦٥٥.

(٢) كتاب الغيبة: ٣٣٩ ح٢٨٦.

عيسى بن مريم عليهما السلام وغيرها.

وقد يكون السبب في هلاك الناس أمرين: أحدهما الحروب والقتل حتى يقتل الثلث الأول، والثاني هو أن يضرب الأرض حجر أو يصيبها آفة سماوية أو أرضية كالوباء والطاعون حتى يموت الثلث الثاني.

يستشعر ذلك مما رواه ابن حماد بسنده عن علي عليه السلام قال: «لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث»[1]، تؤيدها الروايات الدالة على الموت بالسيف والطاعون المارة.

الاحتمال الرابع:

ظهور قوم قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام عارفين به وبحركته وهم يتمنون ظهوره فيعملون كل ما بوسعهم من أجل تمهيد الأرضية لقدومه والاستعداد له يقال لهم: الموطئون. فتقع مسؤلية التمهيد والتمكين على عاتقهم من دون معرفة الكيفية وما هي مهمتهم التي قد تكون تبليغية تنجح في تعريف قضية المهدي عليه السلام فيتلقاها العالم بالقبول ويطلبون المهدي عليه السلام، كما يمكن أن تكون عسكرية أيضاً بعد إعدادهم العدد الدفاعية التي توقف القوى العظمى عن الحركة الانفعالية الشديدة وتحيل دون استعمال الأسلحة الستراتيجية الواسعة الدمار فتظل حرباً إعلامية أو حتى نظامية كلاسيكية.

والأخبار تتحدث عن خروج قوم يدعون لآل محمد عليه السلام وللمهدي عليه السلام قبل ظهوره ويؤطئون له ويمهدون له السبيل وإن كانت هذه الأخبار مختلفة من حيث الألفاظ والأسماء والمحالّ غير أنها تشترك في الدلالة على دعوة قوم

---

(١) كتاب الفتن: ٢٠٦ عن يحيى بن اليمان، عن كيسان الرواشي القصار وكان ثقة قال حدثني مولاي قال سمعت علياً عليه السلام يقول، وذكر نص الحديث.

للمهدي عليه السلام قبل ظهوره، فمنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد.

فمن ذلك المطلق ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام...[١].

وهي تخبر عن خروج القوم الذين يدعون للمهدي عليه السلام قبل دخول أهل الغرب إلى مصر وقبل خروج السفياني، مما ينبغي أن يكون خروجهم قبل ذلك بزمان معتد به وليس هو السنة والسنتان لأنه لا يطلق عليه «قبل» في مثل هذه الأخبار التي قد تبلغ الفواصل بين الأحداث المذكورة فيها مئات السنين.

وفي رواية أخرى يرويها الحسن بن محمد القمي عن أبي الحسن الأول عليه السلام: «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق»[٢].

وكذا يروي ابن حماد عن أرطأة أنه قال في حديث: ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي[٣]، فهي أخص من الرواية الأولى من جهتين: من جهة الدعوة لخصوص المهدي عليه السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بينما ذكرت تلك الدعوة لآل محمد صلى الله عليه وآله عامة، ومن جهة تخصيص الخارجين الداعين له بأهل خراسان.

ويروي أبو داود عن علي عليه السلام أنه قال: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له المنصور، يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وجب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته»[٤].

---

(١) كتاب الغيبة: ٤٣٦ ح ٤٧٩.

(٢) بحار الأنوار ١٠٩: ١٦٨، مستدرك سفينة البحار٨: ٥٩٨ عن علي بن عيسى عن أيوب بن يحيى بن الجندل عن أبي الحسن الأول عليه السلام.

(٣) كتاب الفتن: ٨٣.

(٤) سنن أبي داود ٢: ٣١١ ح٤٢٩٠..

يضاف إلى ذلك الرواية المعروفة المروية من طرق العامة والخاصة عن محمد بن الحنفية قال: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح، أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه...»[1].

ولكن الحقيقة أنّ دور الممهدين مهما كانت فاعليته فهو لا يتجاوز حدود الشرق الأوسط كما هو مستفاد من نفس الأخبار إذ أنها جعلت الغاية القصوى هي بلوغ بيت المقدس فلا يمكن الاعتماد على هذا الاحتمال في تقرير مصير العالم برمته.

الاحتمال الخامس:

وقوع أمور غير مترقبة تؤدّي إلى خضوع سكان الأرض من جميع المذاهب والديانات المنتشرة في أقطار الأرض، وكل أبناء الحضارات المختلفة، هي في الحقيقة علائم ظهور المهدي عليه السلام التي تحصل متتالية بحيث لا تعطي أي فرصة للترديد في اختيار الإسلام ومتابعة المهدي عليه السلام، سنبحثها تباعاً وستجيء تفاصيلها.

أول تلك الأمور هي نهاية غامضة لجيش يبعثه أشد أعداء المهدي عليه السلام، أعني السفياني الأموي الذي سيظهر في الشام ويسيطر على ربوعه فيبعث جيشاً إلى العراق وآخر إلى الحجاز حتى يدخلوا المدينة ويعبثون بها وبأهلها ثم يخرجون متوجهين نحو مكة بعدما يبلغهم أن المهدي عليه السلام قد خرج من المدينة إلى مكة، فما أن يتوسطوا البيداء التي هي على فرسخ من ذي الحليفة تخسف بهم الأرض وهم أكثر من مائة ألف مقاتل فلا ينجو منهم

---

(١) كتاب الفتن: ١٨٨.

إلا مخبران أو ثلاثة ويبلغ نبؤهم عبر وسائل الإعلام المتطورة والقوية إلى جميع العالم، عندها يدهش الناس مما حدث إذ لم يعهدوا مشابهاً له ولم يسمعوا بخسف مثل هذا الخسف، مما يجعلهم يتساءلون عن السبب الحقيقي وعن ذاك المنصور الذي بُعث إليه الجيش فنجا منه بهذا النحو، وأعانته اليد الغيبية أو القوى الطبيعية على حسب معتقدات الناس فيقع التساؤل عن مدى صدق الخبر وعلله وماذا أصاب ذلك الجيش.

فما تخمد تلك التساؤلات ولا تنقطع علامات التعجب المرسومة بعد نقل ذلك الحدث في الصحف والمجلات حتى يستيقظ الناس ليشاهدوا بدناً بارزاً في عين الشمس ويداً تشير ومنادٍ ينادي ويهتف بانقضاء مدة الجبارين واقتراب الوعد الحق، مما يثير دهشة الناس ويزداد تعجبهم واستفهاماتهم عما يحدث وعما يراد بأهل الأرض مما يذهلهم عن جميع زخارف الدنيا ويجزمون بعدم تسييب الدنيا وأهلها، بل هم مندوبون لقبول تغيير جاء يزحف وموقف جديد حاسم، تظل أذهانهم مشغولة بهذا الحدث وذاك الخسف.

حتى إذا مضت شهران أو ثلاثة يفاجئون بصيحة في السماء ونداء ينادى في ثلاث ساعات ومنشور يقرأ عليهم بحيث يوقظ النائم ويفزع المستيقظ ويقيم القاعد ويقعد القائم ويخرج الفتاة من خدرها ويسمعه كل صقع بلسانهم يصرح فيه باسم المهدي واسم آبائه عليهم السلام وأن الحق معه وفيه، وأن على الناس متابعته ونصرته بحيث لا يبقى أدنى شك لواحد من أبناء البشر ولا يدع أي ترديد، حتى يظهر اسم المهدي عليه السلام على الأفواه، ولا يكون لهم حديث مما سواه، ولا مطلب مما عداه.

وهو معجزة تناسب الشائع في هذه الأزمنة من حكومة التطور الصناعي والتفوق التكنولوجي خصوصاً في مجال الإعلام ووسائل الارتباط العالمي ليأتي هذا النداء فوق كل إعلام وكل تطور وتفوق علمي وصناعي.

ولهـذا الحـدث نظائر عبر التاريخ، فعندما كان الشائع في زمان النبي موسـى ﷺ هـو السحر والشعبذة جاءهم موسى ﷺ بما يفوق كل سحر وهـي العصـا الـتي تصـير ثعـباناً مخـيفاً مهولاً، ثم تعود عصاً، فقام أهل الـباطل وفرعون وهامان لمقاومته لما جمعوا السحرة من كل المدن وأعطوهم مـا أعطوهـم لمقابلة معجزة العصا، فصنعوا حبالاً وعصياً يخيل إلى الناس مـن سحرهم أنها تسعى وقالوا بعزة فرعون نحن الغالبون، وألقى موسى عصـاه فـإذا هي تلقف ما يأفكون وعلم السحرة أن معجزة العصا ليست مـن السـحر ولا هـي من صنع البشر فوقعوا ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

فـيأتي تدبير القوى العظمى وكل من تفرعن وطغى المسبق بما يمتلكونه من التقدم العلمي والازدهار الصناعي ليكافحوا تلك الصيحة وتلك المعجزة فـيحدثوا صـيحة مـن الأرض ونداءاً ينادى فيه بأحقية السفياني أو غيره من مناوئي صاحب الأمر وأعدائه، يرتاب عندها المبطلون، وتحدث الشكوك والأوهام.

حتى إذا مضت أيام فإذا بالشمس وقد طلعت من المغرب آية أخرى عـلى ضـعف العلـوم الحديـثة والثوابت العلمية عندها يؤمن جميع البشر على أن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، حتى السفياني يبعث إلى المهدي ﷺ بالبيعة.

فـيا تـرى هـل يبقى من القوى العظمى شيء، وهل بإمكانها تحدّي كـل تلـك المعاجـز والدلالات وتبقى لها السيطرة على العالم أو حتى على نفس دولها ورعاياها.

فـالجواب نعم إن الشيطان لا يدعهم بل يصعب على رؤوسهم ترك مـا توصـلوا إلـيه بشـق الأنفس من المناصب العالمية والهيمنة على سكان الأرض وشـتى الـدول مـع امـتلاكهم للأسلحة المدمرة والأنظمة الطويلة العريضة المعقدة.

عندها يأتي آخر تدبير إلهي لاستئصال شوكة الجبارين الذين هم من أبناء الديانة المسيحية ممن ابتلع العالم وثرواته وخيراته وملك من أقاصي الشرق إلى أقاصي الغرب، وذلك بنزول النبي عيسى بن مريم عليه السلام ليصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام عندها تقتلع تلك الشوكة ولا يبقى لها مقاومة تذكر، سرعان ما يتغلب عليها المهدي عليه السلام بجنوده، ولا تبقى يد تحرك الماكنة الحربية الاستعمارية إلا وقد خضعت لتلك الآيات أو أصابها الترديد بحيث لا تجسر على ضرب الحق وأهله، فتتحقق مصداقية قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1].

وبهذا يتم الأمر للمهدي المنتظر عليه السلام ولأعوانه بسبب تلك المعاجز العظيمة والحوادث فوق الأرضية الباهرة التي أشرنا إليها بعض الإشارة هنا، لتأتي تفاصيلها وأدلتها في هذا الكتاب وغيره مستوفاة إن شاء الله.

عنده يعلم الدليل على كتابة هذا الكتاب والغور في العلائم لما تملكه من الأهمية التغييرية والقضايا المصيرية بالإضافة إلى معرفة حدود زمانه من تحقق تلك العلائم وتمييزه عن غيره ممن يدعي المهدوية.

الاحتمال السادس:

من المسلم عندنا أرجحية علم الإمام على علوم جميع البشر في جميع المجالات بما يشمل العلوم الحديثة، وقد بينا في كتب أخرى مراراً أن العلم يساوي القدرة، حتى أنه ورد ظهور حرفين من العلم فقط إلى ظهور القائم عليه السلام فإذا ظهر المهدي عليه السلام ظهر على يديه خمس وعشرون حرفاً منه فيتسبب ذلك في تفوق أسلحة جيوشه وكف أسلحة أعدائه.

روى ابن سليمان الحلي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «العلم

---

(١) الشعراء: ٤.

سبعة وعشرون حرفاً،فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً»[١].

وهذه الرواية لها أغوار سحيقة نشير إلى بعض شواطئها التي منها الدلالة على أن كل التقدم العلمي الذي شهده العالم وسيشهده حتى ظهور القائم عليه السلام،لا يخرج عن إطار الحرفين اللذين يشبه أن يكونا قانونين يبتني عليهما كل ما سيعلمه البشر إلى زمان ظهوره عليه السلام ولعل أحدهما قانون العلية والمعلولية والتأثير والتأثرات المادية، بينما هناك قوانين أخرى تعود إلى الزمان والمكان والحجب والنور وروح القدس وقوانين الروح لم يتوصل إليها البشر ستظهر بعد ظهور القائم المنتظر عليه السلام.

وعندها يتقوى احتمال مجيء القائم عليه السلام وعيسى بن مريم عليه السلام النازل من السماء لنصرته بأسلحة أكثر تطوراً وأعقد مما يمتلكه الأعداء فيحصل التفوق العسكري للقائم عليه السلام وجيوشه فتقهر الأسلحة والقوى التي يمتلكها جيوش الأعداء ويبطل مفعول جميع ما يمتلكونه من الأسلحة الفتاكة والوسائل التقنية الحديثة.

ولذلك شاهد من الأخبار يرويه عبد الرزاق من أن المسلمين يخيّرون في آخر المطاف ويقال لهم: «اختاروا بين إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً من السماء، أو يخسف بهم الأرض، أو يسلط عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم، فيقولون: هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا، فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة، فيقومون إليهم فيسلطون عليهم»[٢]، وأياً كان الدجال فهو واحد من أقوى أعداء الإمام عليه السلام والمؤمنين سيأتي الكلام عنه، على أن

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١١٧.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٩٧ ح٢٠٨٣٤.

هذه الرواية بينت أن الاحتمالات تظل مطروحة إلى زمان ظهور الإمام عليه السلام وهي تضفي الشرعية على ما شرحنه من إعطاء الاحتمالات الستة التي طرحناها في مجال تصوير تغلب الإمام عليه السلام على كل التقدم العلمي القائم، وكذا فهي تعطي صورة عن طبيعة الأسلحة التي سيمتلكها جيوش القائم وهي عبارة عن شيء يسبب الرعدة في أفراد العدو بحيث لا يتمكنون معها من الاستفادة من السلاح الذي يمتلكونه.

والأصح من جميع تلك الاحتمالات هو اجتماع جميع تلك الاحتمالات ابتداءاً من حصول الضعف والوهن في القوى العظمى والتلاشي من الداخل ووقوف الناس على زيف هذه الحكومات وكذبها وحصول الاشتياق إلى المصلح السماوي، ومروراً بهلاك بعض أطراف الأرض بأي سبب من أسباب الهلاك وظهور من يدعو إلى المهدي ويوطئ له وانتهاءاً بمشاهدة المعاجز العظيمة التي تميز ذلك العادل المدعوم بقوى السماء وبالنتيجة تفوق أسلحة القائم وجيوشه وقدرته العلمية ثم الانتصار الحاسم.

ما الحكمة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام؟

ونحن نتوخّى عبر الجواب عن هذا السؤال معرفة حدود ظهوره عليه السلام كعلامة أشمل بعد معرفة الحكمة في غيبته وحصول تلك الحكمة وتحققها وعند تحقق تلك الحكمة وتحقق جميع ماينتظر حصوله من جراء الغيبة ولا يبقى داعٍ لتلك الغيبة أمكن التخرص في زمان ظهوره وهل هو قريب أو بعيد، على أن الحكم التي يمكن تصورها متعددة وفيها احتمالات:

الاحتمال الأول:

هو أن الإمام المهدي عليه السلام يظهر بعد امتلاء الأرض ظلماً وجوراً، فهو منخور لتلك الساعة ولذلك الزمان الذي لا يبقى فيه اسم للعدل ولا من يطالب به ويطبق جميع البشر على الظلم والتعدي والفساد في الأرض بأوسع معانيه.

ذاك المعنى الذي قد يستدل عليه بالروايات الكثيرة الدالة على أن الإمام المهدي عليه السلام يأتي ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، روى ابن حماد بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً**»[1].

---

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ٢٨، بيان الشافعي: ٥١٨، وروى الحاكم في المستدرك ٤: ٤٦٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى تضيق عليهم الأرض الرحبة، وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم فيبعث الله عزوجل رجلاً من عترتي...**» وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

وروى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ١١١ بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ابشروا بالمهدي قال ثلاثاً يخرج على حين اختلاف من الناس وزلزال شديد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

الاحتمال الثاني:

هو ظهور الإمام المهدي عليه السلام بعد استتباب الأمن وحصول إمكان الدعوة إلى الحق والعدل بحيث يجزم الإمام أنه إذا خرج لا يُقتل، بدليل الروايات الكثيرة الدالة على أن الإمام إنما غاب لأنه يخاف القتل، والنتيجة أنه إذا أمن من القتل ظهر ودعا الناس إلى الحق، فقد روى الصدوق بسند معتبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لابد للغلام من غيبة**» فقيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: «**يخاف القتل**»[1].

الاحتمال الثالث:

المعروف المشهور عدم ظهور الإمام عليه السلام حتى يكمل نصاب أعوانه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً رهبان بالليل ليوث بالنهار مؤمنون حقاً لا تزعزعهم الرياح العواصف ولا تأخذهم في الله سبحانه وتعالى لومة لائم يجمعهم الله سبحانه في ليلة، منهم المحمول جواً ومنهم المنقول أرضاً. فقد روى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه بعض أصحابه فقال له: يا سيدي ما أكثر شيعتكم؟ فقال: «**أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه...**»[2] وأخذ بذكر صفات الشيعة، وإنما ذكرنا هذه

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٤٣ ح ١. وفي ج ١ ص ٢٤٦ ح ٩ عن أبي جعفر عليه السلام « إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت ولم؟ قال: « يخاف وأومئ بيده إلى بطنه قال زرارة: يعني القتل».

(٢) وفي رواية عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «فإذا اجتمع له العقد وهو أربعة آلاف رجل خرج من مكة، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله» انظر مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦.

الـرواية مع أن روايات الثلاثمائة وبضعة عشر كثيرة لأنها ذكرت توقف ظهوره على ذلك.

الاحتمال الرابع:

أيـاس الـناس مـن المصلح الأرضي حتى لا يبقى من يدعي أنه لو حكم لعـدل، فـيحكم كل أصناف الناس، ويتداول على مقاعد السلطة كل من لـه داعـية الحكومة والدولة، وأنه لو حكم لعدل فلا يبقى أحد يقول: لو حكمـت لعدلـت، ويحصـل الملـل من تكرر الانتخابات أو الانقلابات التي لا تجدي أبداً سوى أنها تأتي بظالم بعد انتهاء مدة ظالم من سيئ إلى أسوأ، هنالك يطلـب الناس المنقذ الرباني والمسيحي يطلب نزول عيسى عليه السلام وبهذا تتمهّد الأرضية الصالحة لإقامة العدل.

يلفت النظر إلى ذلك ما رواه النعماني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قـال: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس حتى لا يقول قائل: لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»[1].

الاحتمال الخامس:

انتظاره عليه السلام لتشكيل دول قوية تمتلك حشوداً عسكرية ضخمة بما نعرفهم بالموطـئين لـلمهدي عليه السلام يستعين بقوتهم وأنظمتهم المقتدرة، كدولة الخراساني ودولة اليماني، ثم يظهر اعتماداً على تلك الدول، التي ستأتي تفاصيلها.

الاحتمال السادس:

حصـول التمحـيص والغـربلة لتميـيز الصـادق مـن الكـاذب واختبار إيمان الناس ومدى احتمالهم وصبرهم على تحمل المكاره في سبيل الحق والعدل،

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٤ ح٥٣.

حيث روى الكليني بسنده عن منصور الصيقل قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا فقال لنا:

«في أي شيء أنتم؟ هيهات هيهات، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا، لا والله ما يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد أياس، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد»[1].

وروى الشيخ الطوسي بسند معتبر عن أبي الحسن عليه السلام قال: «والله لا يكون الذي تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا أوتمحصوا حتى لا يبقى منكم إلا الأندر، ثم تلا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ويعلم الصابرين»[2].

كما وينبغي التأمل فيما رواه الشيخ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن القائم تمتد غيبته ليصرّح الحق عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم ثم تلا هذه الآية: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾»[3].

الاحتمال السابع:

---

(١) الكافي١: ٣٧٠ ح٦، وروى مثله النعماني في كتاب الغيبة: ٢٠٨ ح١٦، والشيخ الصدوق في كمال الدين٢: ٣٤٦ ح٣٢.

(٢) الغيبة: ٢٠٤، والآية: ١٦ في سورة التوبة.

(٣) الغيبة: ١٧١ ح١٢٩، والآية: ١١٠ في سورة يوسف.

هو مجموع تلك الاحتمالات لأنها يكمل بعضها بعضاً إذ لا يطلب الناس المصلح إلا بعد امتلاء الأرض بالظلم والجور وفقدان النظم والأمن والاستقرار النفسي وانتشار الفساد في الأرض مما يعم فساد الهواء والماء والفضاء وفساد الإدارات والحالة الاقتصادية والاجتماعية وانعدام الأمن وغيرها بحيث يعد رفع ذلك مستحيلاً ويحصل اليأس الأكيد.

فإذا حصل هذا التفكر عند الناس وطلبوا المهدي عليه السلام ولو بمساعدة العلامات والمعاجز السماوية انكسرت شوكة الظالمين، وصرَفَ الناس أنظارهم عنهم، فلا يشكلون بعدها خطراً على حياة الإمام المهدي عليه السلام خصوصاً بعد أن يتميز الصادق من الكاذب، ويجتمع له أصحابه الذين يعتمد عليهم كل الاعتماد، ثم تلتحق به جيوش الدول الممهدة لتتشكل قوة يعتد بها بحيث لا تبقى مقاومة مثل السفياني وفلول الروم خطراً على حياته وحياة دولته الفتية.

ولما سيكون منطلق حركته هو الحجاز وبالخصوص مكة والمدينة كما هو شائع ويكون مركز حكومته العراق، فنحن ننتظر تزعزع حكومة البلدين قبل ظهوره عليه السلام إما بحصول الاختلاف بين الحكام أنفسهم ذاك الذي تؤكد عليه الأخبار أو حصول المخالفة الشعبية العارمة أو كلاهما فيحصل خلأ سياسي ملحوظ، فإن الأخبار تؤكد على وصول الحكم إلى من اسمه عبد الله وهو ضعيف لا يستقيم الأمر عنده إلى القائم.

ولا يعدو جميع ذلك من أن يكون مجرد احتمال وبعض الحِكمة في غيبته وإلا فالسبب والعلة التامة وحتى الحكمة فهو سر من أسرار الله سبحانه، على ما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل» فقلت له: ولم جعلت فداك؟ قال: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم» قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من

خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يابن الفضل: إن هذا الأمر من أمر الله وسر من سر الله وجهها غير منكشف لنا»[١]، ولكن لا يعني هذا الحديث صرف النظر عن تلك الأحاديث الذاكرة لبعض الحكم بالكلية وإنما يصرفنا عن أخذ النتيجة النهائية فقط.

وينبغي التأمل في مثل قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه إلى سفيره محمد بن عثمان جاء فيه: «وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عزوجل يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٢] إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج ولا بيعة لأحد الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا من الدعاء بتعجيل الفرج، فإن في ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى»[٣].

وقد رويت قضية البيعة بطرق أخرى منها المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»[٤].

---

(١) إثبات الرجعة: ٢١٦.

(٢) المائدة: ١٠١.

(٣) الاحتجاج ٢: ٢٨٤، الخرائج والجرائح ٣: ١١١٥.

(٤) كمال الدين: ٣٠٣ ح١٤، إعلام الورى ٢: ٢٢٨.

الظهور قريب أم بعيد؟

متى ظهور القائم عليه السلام هل هو قريب أو بعيد؟ إذا سأل أحد من الناس مثل هذا السؤال، فما يكون الجواب المناسب والسائغ؟ هل يصح التأميل والتقريب أم هل يسوغ التقنيط والتبعيد؟ لهذا السؤال أجوبة محتملة.

١ ـ التقريب والتأميل والوعد بظهور القائم عليه السلام اليوم أو غداً، أو ما يوحي إلى ذلك من الكلام، كالأمر بالاستعداد وانتظار حدوث حدث قريب يخرج بعده بالسلاح وهكذا.

٢ ـ التقنيط والإخبار ببعد زمانه وصرفه عن التفكير في ذلك بأنك لا تدركه أو يطول، بل ما تفعل بظهوره إذا قام فليس إلا العلق والعرق، ألستم آمنين وهكذا.

٣ ـ نكتفي بذكر العلائم وملاحقة مصاديقها.

٤ ـ يتبع حال الشخص، بتفصيل يأتي.

أما الجواب الأول:

هو الذي استوحاه المحبون من كل كلام صدر من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يرتبط بالمهدي عليه السلام وعلائم ظهوره، خصوصاً الأخلاقية منها، وقد تناقلوا الأخبار الموهمة لذلك، وطبقوها على كل مشابه ومخالف، بل هو مستفاد من أجوبة الأئمة المعصومين عليهم السلام المنقولة.

مثال ذلك عندما يسأل الراوي الإمام عليه السلام ويقول: جعلت فداك إني أخاف أن لا أحج فاعلمني شيئاً إذا كان استريح إليه وأمد إليه عنقي، قال: «السفياني، إذا ملك الكور الخمس يعني الشام، فإذا ظهر على كور الشام

فاقبلوا إلينا » قال، قلت له: في السلاح، قال: « في السلاح»[1].

فماذا فهم هذا السائل من كلام الإمام؟ هل فهم منه أن الأمر سيطول عشرات القرون أو أن الأمر مترقّب متوقع اليوم أو غداً يظهر السفياني ويتم الأمر فيخرج هذا السائل في السلاح، لأنه واضح جداً أنه لم يسأل عن حال أحفاده، بل سأل عن حال نفسه، ففهم أن الأمر لا يجاوز مدة حياته.

وانظر إلى الرواية الأخرى التي يسأل فيها الراوي عن قرب هذا الأمر وعدمه فقال أبو عبد الله عليه السلام وحكاه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أول علامات الفرج سنة خمسة وتسعين ومائة، وفي سنة ست وتسعين يكون الجلاء، فقال: أما ترى بني هاشم قد انقلعوا بأهليهم وأولادهم».

ثم يقول الراوي فقلت له: جعلت فداك إنك قلت لي في عامنا الأول ـ حكيت عن أبيك ـ إن انقضاء ملك آل فلان على رأس فلان وفلان ليس لبني فلان سلطان بعدهما، قال: «قد قلت ذاك لك» فقلت: أصلحك الله إذا انقضى ملكهم يملك أحد من قريش يستقيم عليه الأمر؟ قال: «لا» قلت: يكون ماذا؟ قال: «يكون الذي تقول أنت وأصحابك» قلت: تعني خروج السفياني؟ فقال: «لا» فقلت: قيام القائم، قال: «يفعل الله ما يشاء».

إلى هناك يفهم السائل من كلام الإمام عليه السلام أن الأمر أقرب ما يكون، ليس إلا زوال دولة العباسيين يكون بعده القائم، ولذلك يسأل الراوي بعد ذلك: فأنت هو؟ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله...» [2].

فليس هذا الجواب من الإمام عليه السلام في هذه الرواية والرواية السابقة

---

(١) الأصول الستة عشرة: ٦٧.

(٢) قرب الإسناد: ٣٧٠.

إلا حكاية أخرى عن قرب ظهور القائم الذي يسأل عنه الراوي، فيتقوى الجواب الأول للمسألة التي طرحناها.

وهناك رواية ثالثة يقول فيها الراوي للإمام عليه السلام: جعلت فداك، إن ثعلبة بن ميمون حدثني عن علي بن المغيرة، عن زيد العمي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «يقوم القائم لموافاة الناس سنة» يريد السائل أن يقول: إن هي إلا سنة ويقوم القائم، فكيف لم يقم؟!

فأجابه الإمام عليه السلام وقال: «يقوم القائم بلا سفياني؟! إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفياني» فإن معنى استنكار قيام القائم بدون السفياني هو إرجاع السائل إلى مرتكزاته وما علمه من حديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من أن السفياني هو علامة قيام القائم، فيريد أن يقول له: أنت تعلم جيداً أنه يخرج السفياني أولاً ثم يقوم القائم عليه السلام.

ومع ذلك فإن الراوي يطوي كشحاً عن مسألة ظهور السفياني وطول مدته، فيسأل مرة أخرى عن قيام القائم ويقول: جعلت فداك، فيكون في هذه السنة؟ فأجابه الإمام وقال: «ما شاء الله» قلت: يكون في التي يليها؟ قال: «يفعل الله ما يشاء»[1].

ومعلوم أن حال هذا السائل لا يحتمل أكثر من هذا الجواب، فهو مع علمه بلابدّيّة خروج السفياني قبل القائم وطول مدته، يسأل عن قيام القائم في السنة التي هو فيها، ثم يستعمل غاية الصبر ويسأل عن قيامه في السنة التي تليها.

وأوضح من جميع ذلك الخبر الذي يرويه ابن مهزيار عن صاحب الأمر عليه السلام أنه بعد ما ذكر انقضاء ملك بني الشيصبان والعلائم على ذلك

---

(١) قرب الإسناد: ٣٧٤ ح ١٣٢٩.

تلا قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * أَتاهَا أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ فقلت: سيدي يا ابن رسول الله ما الأمر؟ قال: «نحن أمر الله وجنوده» قلت: حان الوقت؟ قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾»[1].

وليست الأخبار الدالة على هذا السنخ من الجواب الذي يفهم منه السائل أو السامع قرب ظهور الإمام محدودة بهذه الروايات، بل هو شامل لكل الأخبار التي يقول فيها الإمام: «إذا كان كذا فتوقعوا الفرج أو انتظروا الفرج أو فارحل إلينا» وكذا الروايات التي يخاطب بها الإمام الراوي بشخصه بأن يقول له: «يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء»[2] أو مثل رواية سدير يقول له الإمام عليه السلام: «يا سدير الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»[3].

فهل ترى أنّ سدير يفهم من هذا الكلام أن الخطاب متوجّه لابنه الأربعين مثلاً، أو أن الخطاب له بذاته، وإن كانت القرائن تشهد بإرادة سدير النوعي، أعني عامة المنتظرين لظهوره عليه السلام، ولكن لا يعدو إرادة ذلك النوع الذي أحد مصاديقه هو سدير نفسه.

وبهذا يكون الجواب الأوّل هو جواب مأثور ومسموع من الأئمة منقول في الكتب المعتبرة، فلا تثريب على من أجاب بأن الإمام عليه السلام يظهر اليوم أو

---

(١) كمال الدين ٢: ٤٦٥ ح٢٣، الغيبة للشيخ الطوسي: ١٥٩، والآية الأولى في سورة يونس: ٢٤، والثانية في سورة القمر: ١.

(٢) الكافي ١: ٣٣٧ ح ٥.

(٣) الكافي ٨: ٢٦٤ ح ٣٨٣.

غداً، أو هو قريب جداً، خصوصاً لو شفعنا ذلك الرأي بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[1] وهو أمر له حكمه ودواعيه الخاصة به.

وأما الجواب الثاني:

فهو الآخر له دلائله ومسوغاته المستفادة من كلمات المعصومين عليهم السلام المنقولة في شتات الأخبار بحيث يدعو إلى اليأس والانقطاع والتصديق بطول المدة وعدم درك شيء من ذلك.

منها الرواية التي يرويها ابن سليمان الحلي بسنده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «القائم آل محمد عليه وعليهم السلام غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة» قال فقال لي: «نعم يا أبا بصير إحداهما أطول من الأخرى، ثم لا يكون ذلك حتى يختلف ولد فلان وتضيق الحلقة ويظهر السفياني ويشتد البلاء ويشمل الناس موت وقتل يلجئون منه إلى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله»[2]، فواضح أن أبا بصير يفهم من ذلك بُعد زمان القائم عليه السلام، وعدم دركه لكل تلك العلائم.

ومنها الرواية التي يقول فيها الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك، أولها اختلاف بني العباس وما أراك تدرك ذلك ولكن حدّث به من بعدي عني...».

ومعلوم أن البعيد عند الشخص المنتظِر لقيام القائم عليه السلام هو ما بعد مفارقته الدنيا، ولو كانت بعد أيام من مفارقته الدنيا فهو عنده بعيد، والقريب هو أن يدرك زمانه ولو بعد خمسين عاماً، فليس قول الإمام (ولا أراك تدرك ذلك) إلا هو حكاية أخرى عن طول المدة وتماديها، وليس هذا

---

(١) المعارج: ٦ ـ ٧.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٨.

تأميلاً، بل هو إيجاد يأس وتقنيط.

ومنها روايات التمحيص التي تقدم منها روايتان ونضيف هنا الرواية التي يرويها الشيخ المفيد بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «لا يكون ما تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا وتمحصوا فلا يبقى منكم إلا القليل...»[١].

والرواية التي يرويها الصدوق ـ رحمه الله ـ يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه وهو منصور بزرج: «يا منصور، إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد أياس، لا والله، لا يأتيكم حتى تميزوا، لا والله لا يأتيكم حتى تمحصوا، ولا والله لا يأتيكم حتى يشقى من شقى، ويسعد من سعد»[٢].

والرواية التي يرويها النعماني بسنده عن إبراهيم بن هلال قال، قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، مات أبي على هذا الأمر وقد بلغت من السنين ما قد ترى، أموت ولا تخبرني بشيء؟! فقال: «يا أبا إسحاق أنت تعجل» فقلت: إي والله أعجل، ومالي لا أعجل وقد كبر سني وبلغت أنا من السن ما قد ترى، فقال: «أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميزوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل» ثم صغر كفه[٣].

فلا يستفاد من ذلك سوى طول المدة وبُعد الأمد وحصول اليأس والتمييز والتمحيص والشقاء والسعادة.

وخطاب الجمع في «لا يأتيكم وتميزوا» يعني الشيعة على مر الزمان، وليس هو خطاب شخص.

ومنها الرواية التي يرويها الشيخ الطوسي يسأل فيها محمد بن بشر

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٧٥.

(٢) كمال الدين: ٣٤٦ ح٣١.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٠٨ ح١٤.

محمد بن الحنفية ويقول: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قال: فحرّك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان؟ أنى يكون ذلك ولم يجفوا الإخوان؟ أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان؟ أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهتك ستورها[١]... وما تكرار كلمة «أنّى يكون» أربع مرات إلا اقتراباً من قوله لا يكون بمعنى اليأس.

ومنها الرواية التي يرويها الشيخ الكليني والشيخ الطوسي بسند عن خالد العاقولي في حديث له عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «فما تمدون أعينكم؟ فما تستعجلون؟ ألستم آمنين؟ أليس الرجل منكم يخرج من بيته فيقضي حوائجه ثم يرجع لم يختطف؟ إن كان من قبلكم من هو على ما أنتم عليه ليؤخذ الرجل منهم فتقطع يداه ورجلاه ويصلب على جذوع النخل وينشر بالمنشار، ثم لا يعدو ذنب نفسه». ثم تلا هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[٢].

ومنها رواية النعماني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟ والله ما لباسه إلا الغليظ، وما طعامه إلا الشعير الجشب، وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف»[٣].

---

(١) الغيبة: ٢٢١.

(٢) الكافي ١: ٣٣٣ ح١، الغيبة: ٤٥٨ ح٤٦٩. والآية في سورة البقرة: ٢١٤، وقوله: لا يعدو ذنب نفسه بمعنى أنه لا يتهم سوى نفسه ولا يرى السبب فيما يصيبه سوى ذنبه وتقصيره.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٣٤ ح ٢١.

ومنها ما رواه النعماني أيضاً عن معمر بن خلاد قال: ذكر القائم عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: «أنتم اليوم أرخى بالاً منكم يومئذ» قالوا: وكيف؟ قال: «لو خرج قائمنا عليه السلام لم يكن إلا العلق والعرق والنوم على السروج، وما لباس القائم عليه السلام إلا الغليظ، وما طعامه إلا الجشب»[١].

ومنها التوقيع الواصل إلى الشيخ علي بن محمد السمري جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عزوجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً...»[٢].

والرواية الأخرى التي يرويها الكليني بسنده عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب أخرج عنا» فجعل يسارّ بعضنا بعضاً، ولعل كتاب أبي مسلم هذا هو الذي بعثه إلى الإمام الصادق عليه السلام عندما أراد الخروج من خراسان بهدف خلع الملك من بني أمية وإعادته في بني هاشم رأى فيه أصحاب الإمام بارقة أمل وتنسّموا منه نسيم الفرج وحلول الوعد الصادق وقيام القائم من آل محمد عليهم السلام الذي ينتظرونه على أحر من الجمر وهم في دولة بني أمية أو هو كتاب أبي مسلم يأتمر فيه على بني العباس لما رأى ظلمهم وفسادهم فأراد رده في العلويين، فلما سمعوا ردّ الإمام عليه السلام ورفضه تعجبوا من ذلك وصاروا يتهامسون فيما بينهم عن سر ذلك الرفض والسبب في تضييع تلك الفرصة الذهبية.

فقال لهم الإمام عليه السلام: «أي شيء تسارون يا فضل إن الله عز وجل

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٨٥ ح ٥.

(٢) كمال الدين: ٥١٦ ح ٤٤.

ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله، ثم قال: إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان...» فقد آيسهم الإمام من الفرج وذكر لهم مَن سيملك من بني العباس واحداً بعد الآخر حتى بلغ السابع منهم، ولم يذكر من بعدهم وهم كثير؛ تهويناً عليهم من أن يصرفهم عن التفكر في الفرج وتأمله بالكلية، فتبرد عزائمهم الدينية ويزول المقدار المطلوب من التحمس، فهو يرجئهم بقدر أن لا تهبط عزائمهم وتبرد هممهم ولا يدعهم يفقدون الأمل ولذا يسأل الراوي بعد ذلك ويقول: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: «لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني، فإذا خرج فارحل إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم»[1].

يسأل الراوي ذلك السؤال الأخير وهو بين اليأس والرجاء، بل يتشبث بطحلب بعد الأياس الذي اقتضاه كلام الإمام من عدم انقضاء مدة حكومة بني العباس وصعوبة إزالته حتى أنه أصعب من إزالة الجبال الرواسي فلا يكون جواب الإمام عليه السلام فارحل إلينا ثلاثاً إلا تخفيفاً على ذلك السائل الني لا يتحمل عدم ظهور القائم ولا يرضى بتحمل ظلم الظالمين طيلة حياته.

ولعل هذه الرواية تفسّر الكثير من التساؤلات التي تُطرح حول أخبار القائم عليه السلام التي تتردد بين التأميل والتقنيط.

وليس هذا التقنيط منحصراً في الاستفادة من هذه الأخبار، بل هو شامل لجميع الأخبار التي جاء فيها لا يكون ما تأملون، أو لا يظهر القائم حتى يكون كذا وكذا، وهي آتية في غضون المباحث القادمة.

وأما الجواب الثالث:

فهو الجواب الذي أجاب به الإمام الصادق عليه السلام أبا بصير عندما

---

(١) الكافي ٨: ٢٧٤ ح ٤١٢.

سأله: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمد إنا أهل البيت لا نوقت وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: **كذب الوقاتون**، يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات...»[1]، ويلحق به كل الروايات الذاكرة للعلائم عند سؤال الراوي عن الفرج وزمان الظهور.

وأما الجواب الرابع:

فيتبع حال السائل إذا كان قانطاً فالمحبذ التأميل والتقريب أعني الجواب الأول، وإذا كان السائل مستعجلاً متحمساً أكثر من المقدار المطلوب فالتمهيل وخصوصاً تلك الطائفة التي تتذرع بذلك للخروج على الحكام مع كل خارج، عندما تضرب طبول الحرب وتحدث بعض التغييرات نظير الفترة الانتقالية التي عاشها المسلمون بين الحكومتين الأموية والعباسية وخروج أبي مسلم الخراساني وعرضه الحكومة على الإمام الصادق عليه السلام، وتأمّل المنتظرين الفرج أكثر من غيره من الأوقات، فليس أمام الإمام سوى صرفهم عن التحرك وحفظ دمائهم التي لم يقدر لها سوى السفك إذا خرجوا وتحركوا، وإخبارهم بعدم حلول الوقت المعلوم وطول الفترة التي تسبقه.

بينما أولئك الذين نسوا القائم عليه السلام وصارت قلوبهم تبرد بعزلها عن وهج ذلك السراج المنير والقمر الزاهر، فلا يسع المسئول سوى تأميلهم وتقريب زمانه بالإشارة إلى بعض دلائله وعلائمه وآياته.

واليوم يقال لذلك الشخص الذي ترك جدّه وجلده لخوض معترك الحياة اتكالاً على ظهور القائم اليوم أو غداً، خصوصاً أولئك الذين يتركون طلب العلم بجميع أقسامه بذريعة قرب ظهور الإمام عليه السلام وحصول الفرج اليوم أو غداً فيفيض العلم في زمانه وأيامه فلا حاجة للتعلم اليوم يقال لهم: إن الأمر لا يأت إلا بعد الأياس وانقطاع المدة.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٨٩ ح٦، البحار ٥٢: ١١٩ ح ٤٨.

ويجب أن يرقب الظالمون قرب عهده وانتصاره للمظلومين كي لا يتمادوا في ظلمهم وجورهم؛ فإن أمره عليه السلام بغتة، يوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

أما إذا استتب الإيمان في قلب شخص وصار لا يؤثر فيه قرب العهد وبعده، فلا يسع المسئول سوى ذكر المستفاد من الأخبار بحقيقته وواقعه بعد تخليصها من الشوائب والموهمات كما صنعناه في هذا الكتاب وهو الأمر الذي أخبر به الإمام الغائب عليه السلام آخر وكلائه السمري في الحديث المتقدم.

نقد حديث السبعين

شاع واشتهر بين المسلمين الأوائل أن البلاء الذي كان يصيبهم جراء انحراف مسير الخلافة عن الطريق الذي رسمه النبي الأكرم ﷺ وطمع فيها الذؤبان الطامعون وتسببوا في تشقيق صفوف الأمة وحدوث النزاع والصراع الدموي والعقائدي، كل ذلك سينجلي على رأس السبعين من الهجرة النبوية، ويتحقق الفرج بقيام القائم وانجلاء الغبرة، وهم يتناقلون بذلك الأحاديث التي يروونها عن أمير المؤمنين عليه السلام وغيره.

فقد أخبروا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «إلى السبعين بلاء، وبعد السبعين رخاء»[1] مما يدل على تكرر هذا القول منه ودوامه بقرينة قول الراوي «كان يقول».

ولا يعني بالرخاء غير الفرج كما حدّث بذلك الشيخ الصدوق عن العالم عليه السلام قل: «إن معنى قوله إلى السبعين بلاء أن الله عزوجل وقت للفرج سنة سبعين»[2].

وكان يروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان يزعم «أن الساعة تقوم على رأس السبعين» وهذا عبد الله بن بشار الشاعر ينشدنا:

إذا كملت إحدى وستون حجة ... إلى التسع من بعدهن ضرائح
وقام بنو ليث بنصر بن أحمد ... يهزّون أطراف القنا والصفائح
تعرفهم شعث النواصي يقودها ... من المنزل الأقصى شعيب بن صالح
وحدثني ذا أعلم الناس كلهم ... أبو حسن أهل التقى والمدائح[3]

---

(١) انظر الخرائج والجرائح ١: ١٧٨، والبحار ٤: ١٢٠ ح٦١.

(٢) إثبات الوصية: ١٣١.

(٣) الخرائج والجرائح ٣: ١١٦٧.

فإذا أضيفت التسع إلى الإحدى والستين حجة صارت سبعين عاماً يقوم بعدها القائم من أبناء الرسول ﷺ فينصره بنو ليث يقودهم شعيب بن صالح الذي سيأتي الكلام عنه بعنوان أنه الممهد للمهدي عليه السلام والقائد لقواته.

كل ذلك بالإضافة إلى تصديق الإمام الباقر والإمام الصادق هذا النبأ كما جاء في الأخبار المعتبرة وغير المعتبرة الآنفة الذكر.

حتى إذا مضى سبعون عاماً ولم يتحقق الرخاء ولم ير الناس الفرج بل اشتد وتعاظم الخطر الذي كان يحيط بالمسلمين جراء حكومة بني أمية وصعود يزيد إلى دفة الحكم وقتله الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه واستباحته المدينة، حدث التساؤل عن ذلك، وهو أمر طبيعي جاء به الخبر المعتبر الذي يرويه الشيخ الطوسي عن أبي حمزة الثمالي قل، قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول بعد البلاء رخاء، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء؟

وهذا سؤال محرج بحسب الشرائط الاعتيادية، ولذا لما سئل عبد الله بن عمرو وقيل له: تزعم أن الساعة تقوم على رأس السبعين قال: إنهم يكذبون عليّ، ليس هكذا، ولكن قلت: لا يكون السبعين إلا ما كان عندها من شدائد وأمور عظام.

والمستفاد من هذه الرواية أن الذي حدّث عن عبد الله بن عمرو كلامه الأول ليس رجلاً واحداً، بل هم كثير بقرينة قوله يكذبون، وما أظنهم كانوا يكذبون، ولكن هذا طريق التخلّص من الإحراج الذي يصنع نظيره بعض الرواة كأبي هريرة فإنه كان يرطن بالحبشية ويخلص نفسه.

وأنت ترى أن هذا السؤال طرح على الأئمة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام كما جاء في الخبر الذي رواه الشيخ الطوسي كما مر ويرويه الشيخ الكليني

بسند معتبر عن أبي حمزة يسأل فيه الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك، فقال: «يا ثابت، إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء، وعنده أم الكتاب».

قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام، فقال: «قد كان ذلك»[1].

وتقدمت الرواية التي يرويها عن العالم عليه السلام جاء في آخرها: «فلما قتل الحسين عليه السلام غضب الله على أهل ذلك الزمان فأخره إلى حين»[2].

فإن مَن يعرف البداء لا يشكل عليه هذا الأمر وأمثاله، والله سبحانه وتعالى مختار لا يسلب اختياره شيء، فإنه القائل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾[3].

ولو صرفنا النظر عن ذلك فإنّا بعدما علمنا أن الله سبحانه وتعالى لا يجري الأمور إلا بأسبابها التي تشكل وجود المقتضي وتحقق الشرط وارتفاع المانع، فلا يزيد أن يكون الإخبار بتحقق الفرج على رأس السبعين على تحقق المقتضي لذلك، فيبقى مثل قتل الإمام الحسين عليه السلام هو عدم تحقق الشرط أو هو المانع من تأثير المقتضي.

ولو عدلنا إلى لسان يفهمه العموم، فإن ذلك دليل على عظم المصلحة في قيام القائم عليه السلام الذي هو بمثابة هدية ثمينة جداً يشترط هاديها

---

(١) الكافي ١: ٣٦٨ ح ١، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٣، ورواه العياشي ٢: ٢١٨ ح ٦٩ مرسلاً عن أبي حمزة، والنعماني في كتاب الغيبة: ٢٩٣ ح ١٠ بتفاوت يسير.

(٢) إثبات الوصية: ١٣١.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

استحقاق المهداة إليه لتلك الهدية، ويبقى على المهدى إليه أن يبرهن على استحقاقها، فما مثابة بعث القائم عليه السلام إلى قوم قتلوا الإمام الحسين عليه السلام إلا كإهداء درة ثمينة لمن لا يعرف قدرها.

وليعلم المنتظرون بل جميع المسلمين، وحتى جميع العالمين أن المهدي عليه السلام هو أثمن هدية من الله سبحانه وتعالى للبشر بعد الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله لا يستحقونها أبداً، غير أن الله سبحانه وتعالى لما وعد بذلك، فإنه سيفي بوعده ولكن يتوقف على أدنى تغيير وتأهيل لذلك في المهدى إليهم يكون حجة وذريعة لإرسالها.

ولقد فرّطت هذه الأمة الظالمة بمن سبق من آبائه الأوصياء المعصومين عليهم السلام، فلا يفوتهم آخر فرصة وآخر حجة وهو بقية الله سبحانه وتعالى في أرضه، ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]، وما أظن أن كلمة « خير » يدرك معناها أحد.

---

(١) هود: ٨٦.

السبب في عدم توقيت الظهور

قد يصعب درك السبب على من كان في زمان المعصومين بصورة عامة، ولكننا اليوم بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً قد لا يعسر علينا فهم السبب في ذلك، لأجل أن المحاذير التي يمكن تصورها قد زال أكثرها وصارت المسألة ممكنة الاستيعاب والتصور.

وما عساه يكون حال السائل عن زمان الفرج إذا أخبره الإمام بأنه سيظهر القائم عليه السلام بعد ألفي عام مثلاً؛ فإن الأمر سيكون عنده أقرب إلى الأُسطورة من الواقع، وألصق بالخيال من الحقيقة، فتموت القضية أساساً ولم يبلغنا منها عين ولا أثر، ولا تجد من يتحمس لتحملها وتعبيتها ولا من ينشد إليها ويعطيها أذن صاغية وهمة عالية، ولما توارث المحبون هذا الحب وهذه العلاقة التي شهدناها بالأمس ونشهدها اليوم.

تلك العلاقة والمحبة التي تصنع القضية على مر الزمان وتخلق أنصارها والداعين إليها وتحرسها حتى تجد أنصارها الحقيقيين، فإن تنامي العلاقة وازدياد التقدير لأرباب الديانات بمرور الزمان ملحوظ في كل الأديان.

ومن ناحية ثانية فإن عدم العلم بالشيء الخطير يجعله أقرب إلى الذهن من ذلك الخطير الذي يعلم زمانه؛ فإن التدبير لاستقبال المعلوم أو دفعه يكون محدوداً بوقته المعلوم، وبينما ذلك المجهول يكون التحذّر منه والتدبير له في كل حين وزمان، فيزيد هذا الترقّب والتحذّر والتصور المستمر من وضوح صورته في الأذهان وارتكازها أيما ارتكاز.

ونحن بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً من يوم تولّد هذه الفكرة لم تعُد لدينا مسألة بُعد زمان الظهور وقربه معضلة في عملية تصعيد العلاقة وتحكيم الرابطة، فإن مرور كل تلك الأعصار يكون قد أثر أثره وتلاحم الغاية

المطلوب تحققها بسبب مرور الأعصار والدهور.

فلا يعود هناك فرق من ناحية الأثر الذي يتركه مرور الأيام بين مرور أربعة عشر قرناً أو عشرين قرناً، ولو كان هناك فرق فهو قليل جداً، سواء في مجال توليد عنصر الزمان للمتحمسين أو في مجال تحكيم وجودها في الأذهان، والنتيجة أن كل ما يمكن حصوله نتيجة لمرور الزمان وتمادي العصور فقد حصل.

حتى لو فرضنا أن الذي يحصل من كل ذلك التأخير وطول المدة هو البرود والتمحيص والتخليص والغربلة حتى يتميز الطالب الحقيقي عن غيره وتظهر كوامن النفوس وحقيقة المدعين للقدرة على إقامة الحق والعدل، وتنكشف خبايا المتلبسين بلباس الدين وزي الناسكين وما اشتملت عليه الصدور، فقد عض الزمان وانكشفت حقائق المدعين وكشفت عورات المتسترين، فلم يبقَ من يدعي إقامة الحق والعدل ولم يبق جلباب يستر عورة المتسترين، فلقد بدت العلامة لمتوسمها والحقيقة لناظرها، ولم يبق سوى تجليها أكثر فأكثر.

وكأني بمن يخلفني بعد عدة قرون ـ لا قدر الله ذلك ـ وهو يتعجب من قولي هذا ويقول: ماذا يقول هذا الكاتب لهذه السطور يتحدث عن انهتاك الستائر وكشف ما في الضمائر وتمحيص الناس قبل كذا من القرون، ولو كان في هذا الزمان وما يرى من كلب الناس وحصول اليأس وتكذيب أصل القضية ماذا يقول.

فإني سأقول له على فرض تمادي المدة وعدم ظهور القائم ومرور القرون إن القضايا قد وجدت مصاديقها، وعرف المتطلعون مضمرات القلوب ونوايا المدعين، فلم تزد عندكم غير اتساعها وانتشارها وخرجت من الخصوص إلى العموم.

ومهما يكن من ذلك فالتمحيص والتمهيد هو السر في عدم التوقيت،

ولـيس التقية والخوف، فأي خوف في الإخبار بظهور القائم عليه السلام بعد ألفي عام مثلاً، إنما الخوف من ترقّب الحكام الظالمين ظهوره في كل حين، يجعلهم يتصـدون بقـوة لكل حركة وقيام بالسيف، ويجهدون في تفنيد كل دعوة، ظانين أنها دعوة الإمام المهدي عليه السلام الذي يكون قيامه نهاية لحكومة الظالمين.

نعـم يكـون لهـم رادعاً عن التمادي في القسوة على العلويين تحسباً ليوم أخـبر بـه الـنبي الأمي صلى الله عليه وآله تكون الكرة فيه على الظالمين، وهو قد فقد فاعليته بعد زمان المأمون العباسي.

فـلم يـبق إلا ما ذكرناه من التمهيد والتمحيص الذي يمنع منه انكشاف طول المدة وانتشار ذلك بين عموم الناس.

فلم يحجب الأئمة عليهم السلام عن بيان الوقت سوى خوف الانتشار المؤدي إلى عدم تحقق الهدفين المنشودين.

ولـذا لمـا جـاء حمران إلى أبي جعفر عليه السلام وسأله: جعلني الله فداك لو حدثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به؟

ومعلـوم أنـه لو أخبره بواقع الحال لاغتم أشد الغم، ومع ذلك فإن الـذي مـنع الإمـام مـن جوابـه هو خوف الانتشار، فقد لا يكون حماد ممن يصـرفه طول المدة عن هذا الأمر، ولكن تسرب هذا الخبر سيؤثر أثره غير المطلـوب، ولـذا قـال له الإمـام عليه السلام: «يـا حمران إن لك أصدقاء وإخواناً ومعارف» يريد أنك لا يسعك في الساحة العملية الكتمان عنهم.

ومهما يكن من ذلك فقد ذكر له قصة ظريفة تحمل في طياتها الكثير مـن المعـاني الضـخمة قـال عليه السلام: «إن رجلاً كان فيما مضى من العلماء، وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء، وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه، فحضر الرجل الموت فدعا ابنه فقال: يا بني إنّك قـد كنـت تزهد فيما عندي وتقلّ رغبتك فيه، ولم تكن تسألني عن شيء،

ولـي جـار قـد كان يأتيني ويسألني ويأخذ منّي ويحفظ عني فإن احتجت إلى شيء فأته، وعرّفه جاره، فهلك الرجل وبقي ابنه، فرأى ملك ذلك الزمان رؤيـا فسـأل عـن الرجل فقيل له: قد هلك، فقال الملك: هل ترك ولداً؟ فقـيل له: نعـم ترك ابناً، فقال: ائتوني به، فبعث إليه ليأتي الملك، فقال الغـلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك، وما عندي علم، ولئن سألني عن شيء لأفتضحت، فذكر ما كان أوصاه أبوه به، فأتى الرجل الذي كان يأخذ العـلم مـن أبيه فقال له: إن الملك قد بعث إليّ يسألني ولست أدري فيم بعـث إلـيّ، وقـد كـان أبـي أمـرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء، فقال الرجل: ولكني أدري فيما بعث إليك، فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شـيء فهـو بـيني وبيـنك، فقال: نعم، فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له فـأوثق له الغلام، فقال: إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا، فقـل له: هـذا زمـان الذئـب. فأتـاه الغـلام فقال له الملك: هل تدري لم أرسـلت إلـيك؟ فقـال: أرسـلت إليّ تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أي زمان هذا؟ فقال له الملك: صدقت فاخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال له: زمان الذئب، فأمر له بجائزة، فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله، وأبى أن يفي لصـاحبه، وقـال: لعلّي لا أنفذ هذا المال ولا آكله حتى أهلك، ولعلّي لا أحتاج ولا أسأل عن مثل هذا الذي سئلت عنه، فمكث ما شاء الله.

ثـم إن الملـك رأى رؤيا فبعث إليه يدعوه فندم على ما صنع، وقال: والله مـا عندي علم آتيه به، وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرت له ولم أفِ له، ثـم قـال: لآتيـنه عـلى كـل حال، ولأعتذرنّ إليه ولأحلفنّ له فلعله يخبرني، فأتاه فقال له: إني قد صنعت الذي صنعت، ولم أفِ لك بما كـان بـيني وبينك، وتفرّق ما كان في يدي، وقد احتجت إليك فأنشدك الله أن لا تخذلني، وأنا أوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلا كان بيني وبينك، وقد بعـث إلي الملك ولست أدري عما يسألني، فقال: إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا؟ فقل له: إن هذا زمان الكبش، فأتى الملك فدخل

عليه، فقال: لم بعثت إليك؟ فقال: إنّك رأيت رؤيا، وإنّك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال له: صدقت: فاخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال: هذا زمان الكبش، فأمر له بصلة، فقبضها وانصرف إلى منزله، وتدبّر في رأيه في أن يفي له، فهمّ مرّة أن يفعل ومرّة أن لا يفعل، ثم قال: لعلّي أن لا أحتاج إليه بعد هذه المرة أبداً، وأجمع رأيه على ما صنع على الغدر وترك الوفاء، فمكث ما شاء الله.

ثمّ إن الملك رأى رؤيا فبعث إليه فندم على ما صنع فيما بينه وبين صاحبه، وقال: بعد غدر مرتين: كيف أصنع وليس عندي علم، ثم أجمع رأيه على إتيان الرّجل، فأتاه فناشده الله تبارك وتعالى وسأله أن يعلّمه وأخبره أن هذه المرّة يفي منه، وأوثق له وقل: لا تدعني على هذه الحال فإنّي لا أعود إلى الغدر وسأفي لك، فاستوثق منه فقال: إنه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا؟ فإذا سألك فأخبره أنه زمان الميزان، قال فأتى الملك فدخل عليه فقال له: لم بعثت إليك؟ فقال: إنّك رأيت رؤيا وتريد أن تسألني أي زمان هذا، فقال: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا؟

فقال: هذا زمان الميزان، فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها إلى الرجل، فوضعها بين يديه وقال: قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه، فقال له العالم: إن الزّمان الأوّل كان زمان الذئب وإنّك من الذئاب، وإنّ الزمان الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل، وكذلك كنت أنت تهمّ ولا تفي، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء، فاقبض مالك ولا حاجة لي فيه، وردّه عليه»[1].

(١) الكافي: ٢٦٣ ح٥٥٢.

إذا لم تتحقق العلائم

سنستفرغ بعض الوسع في سبيل معرفة العلائم الصحيحة على ظهور القائم عليه السلام وسنسلك بذلك طريقة الفقهاء بالاعتماد على الأخبار المعتبرة في أخذ النتائج النهائية وحل التعارضات والمخالفات التي تضمنتها الأخبار الكثيرة المرتبطة بعلائم الظهور التي تكاد أن تكون بحراً مواجاً، حينما توسّطته لم أرَ فيه ساحلاً ينقذني ولا مرفأ يعصمني بعد ما لم يسبقني إلى اعتماد الاستدلال الشامل سابق أخطو على آثار خطاه، ولم تعد تنفعني الحلول المقطعية التي تكلفها من سبقني من دون نظرة شاملة تتحد فيها الخطوط العامة التي تسقط في مسارها الفروع الكثيرة المتشعبة.

فاستعملت في ذلك بعض الصبر والتأني وتكرار النظر في الجوامع الحديثية محاولة لتجميع الشتات وتوحيد المسار ثم أخذ النتائج.

ولا أقول إني بذلت قصارى جهودي ولا بلغت غاية مقصودي، لأني لم أكن أتحسس الخطر الذي يتحسسه الفقيه عندما يستنبط الحكم الشرعي، فيبذل كل ما بوسعه فراراً من التقصير في معرفة أحكام الله سبحانه وأوامره ونواهيه التي يترتب عليها الثواب والعقاب.

ولهذا فقد سلكت مسلكاً سهلاً في تصحيح الأخبار.

وبعد كل ذلك فإني أريد الإشارة إلى حقيقة خطيرة محصلها أن المصلحة العظمى تكمن في نفس معرفة بعض شروط ظهور القائم عليه السلام وعلائمه، والمصلحة التي تأتي بالمرتبة الثانية هي تحقق تلك العلائم وترتيب الأثر على ذلك.

وقد تبدو خطورة العمل وصعوبة الموقف إذا تحققت كل تلك العلائم أو بعضها ولم يظهر المهدي عليه السلام أو ظهر ولم يتحقق بعض تلك العلائم أو

كلها، فإن السبب في ذلك يعود إلى أمرين:

الأمر الأول: هو ضعفي وقصوري قبل تقصيري في استفادة ذلك من المنابع استفادة صحيحة توصلني إلى المقصود الواقعي والمراد الحقيقي منها وتمييز صحيحها من سقيمها.

وليس هذا هو دائي الخاص ومشكلتي بمفردي، بل هو وباء عام وحالة تنتاب الكثيرين، فقد ترى بعض الناس يسمع حديثاً واحداً في علائم ظهور القائم عليه السلام، فيعتقد به ويستمسك وكأنه العروة الوثقى والغاية القصوى، حتى إذا جاءه لم يجده، ولما تفحصنا عنه وجدناه بنحو آخر.

الأمر الثاني: المرونة التي تتحلى بها هذه القضية المصيرية بحسب ذاتها، آتية من شدة أهميتها وكثرة شروطها ومصيريتها كما هو مستفاد من خبر السبعين وغيره.

حذّر من ذلك الأئمة عليهم السلام على ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أبي عبيدة الحذاء قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذا الأمر متى يكون؟ قال: «إن كنتم تؤمّلون أن يجيئكم من وجه، ثم جاءكم من وجه فلا تنكرونه»[1]، يدور هذا الكلام على محاور عديدة تبدأ باسمه عليه السلام وما يُعرف به ومحل خروجه وشعاره وأصحابه ومنها علائمه ودلائل ظهوره، التي قد تتبدّل وتتغير.

وهذا أمر خطير جداً يجب أن يعيه الجميع، خصوصاً لما كان المبشر به في الكتب السماوية وعرفه الكهان والأحبار والرهبان هو بعثة نبي اسمه أحمد صلى الله عليه وآله فجاء باسم محمد صلى الله عليه وآله.

والمنتظر المهدي عليه السلام كذلك لا ينبغي إنكاره إذا خالفت بعض الصفات التي عرفناها وسمعناها أو تخلّفت بعض العلامات التي قرأناها في هذا الكتاب وغيره، وذلك أنه كالشمس الطالعة لا يمكن إنكارها وإن طلعت من مغربها،

---

(١) الإمامة والتبصرة: ٩٤ ح ٨٥.

بما استلهمناه من الحقائق التي تميزه بحسب الذات عمن سواه، وترفعه على كل من عاداه.

فإذا حدثتنا الأخبار وجاءت الآثار بظهوره بين الركن والمقام من حرم الله وأمنه ثم يخرج إلى المدينة والشام ثم يفتح الروم، فلا يذهلك خروجه من الكوفة التي هي مقره النهائي على ما هو معروف، أو خروجه من الروم ومن بين الكفار الظالمين؛ لأنه الشمس الطالعة من مغربها كما جاء في الأخبار، ولأن موسى عليه السلام خرج من بيت فرعون، كيف وأُم القائم عليه السلام من الروم، فيكون قد خرج في أخواله كما أن عدوه السفياني يخرج في أخواله كلب على ما يأتي.

وليس ذلك على التعيين والتحقيق، بل هو لمجرد التقريب والتمثيل، غير أن أصل الترديد في تحقق العلائم المستفادة من الأخبار مشفوع بخبر يرويه الشيخ الكليني والشيخ الطوسي والنعماني بسندهم: عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال، قلت: لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، إنّ موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربه واعدهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً قال قومه: قد أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدّثناكم به فقولوا صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرّتين»[١].

وإذا كان الأمر كذلك فما الداعي إلى الكتابة في العلائم؟

ما هو الداعي لمعرفتها بصورة كلية؟

لا تظن أني سأقول لك هو معرفة وقت الظهور وقربه ثم الاستعداد لذلك، أو تمييز الإمام عليه السلام ومعرفته إذا اشتبه الحال أو ادعى المهدوية مدعٍ

---

(١) الكافي ١: ٣٦٨ ح ٥، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦١، الغيبة للنعماني: ٢٩٤ ح ١٣.

وما شاكلها، ولا بناء حكم شرعي يتلخص في جواز القيام والتحرك وعدمه كما هو مفاد: الزم الأرض ولا تحرك ساكناً حتى ترى علامات، ولا هو التنبؤ الذي يشهر صاحبه إذا تحقق وصدق، ولا الترويح على النفس وعلى القارئ، ولا هو إيجاد الرغبة في حكومة العدل وما يترتب على ظهوره وعلى معرفة علائمه وشدة أهميته، ولا ما هو أهم من جميع ذلك وأعظم خطراً أعني دخول معرفة العلائم تحت عنوان انتظار الفرج وهو من أفضل العبادات كما سيأتي الكلام عنه مفصلاً، ولا غير ذلك مما لا استقصيه من الفوائد التي تترتب على الإحاطة بالعلائم ومعرفتها.

وإنما هو شيء واحد وأمر فارد، ألا وهو الحب، وحال أشد من الوقوف على الأطلال وذرف الدموع على آثار النجب والنياق، فعلائم ظهوره هي آثاره وأطلاله، وهي نسيم كماله.

ولست وحدي مغرم مستهيم أو أكاد، بل هو حال جميع المؤمنين الذين عرفوه يتراوح بين ظاهر وكامن، فلا ذاك الذي يطيل النحيب أشد غراماً من ذارف دمعة كرأس الذباب وراء الجدار، ولا كمطالع كتابي أو سواه يتنسم عطر ذاك الحبيب.

فما يغفر الشوق والاشتياق إلى تلكم الطلعة الرشيدة، أم كيف تغمض عين المحب وتُعرض عن تلكم الغرة الحميدة، ومن يترك التسليم بغير نطق وكلام، وشاهد حاله يظل يقول: السلام عليك يا بقية الماضين، السلام عليك يا بقية الله في الأرضين.

انظر بالله عليك إلى هذين المرويين عن الإمام الباقر عليه السلام أحدهما جميل يقول فيه: «كأني بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون

بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد»[١].

والمروي الآخر الذي لا يمكن التشكيك في صدقه حتى لو لم يسند، كيف وقد رواه الشيخ المفيد والشيخ والطوسي رحمهما الله بسندهما عن أبي جعفر عليه السلام قال فيه: «يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت، فتصفوا له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدري الناس ما يقول من البكاء»[٢].

---

(١) الإرشاد: ٣٦٢.

(٢) الإرشاد: ٣٦٢، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٠.

فلسفة انتظار الفرج

هل يصح أنْ يقول الإنسان: إنّي انتظر الفرج ولا يتحمل في هذا السبيل المرارة والأذى؟ وهل يصدق الانتظار مع الغفلة واشتغال البال وعدم ترقّب ظهوره عليه السلام ومتابعة علائمه والأحداث التي تسبق ذلك الظهور؟

والمعروف أن الانتظار شديد وعسير تطول عنده الساعات ويشتد في وقته الألم ويصعب أكثر فأكثر كلما كان المنتظَر أكثر محبوبية وأعظم نفعاً؛ خصوصاً إذا كان المنتظِر يعيش ظروفاً صعبة وحالة حرجة يعاني فيها أشد المعاناة ينتظر فيها انجلاء تلك المأساة والشدة، ويترقب نهايتها ويتشوف إلى بلوغ المحبوب الذي يتوق إليه، والمطلوب الذي طالما انتظره وترقب حصوله.

فأنت ترى المنتظِر المتلهف متحير حزين لا يقر له قرار ولا يستطيع المكث ولا الجلوس في مكان واحد بل ينظر في الأفق ومد الطريق ويترقب دقة الباب أو جرس الهاتف ويتوسم العلائم، ويظل ذاهباً جائياً يُلحظ في وجناته القلق والأرب، بل في جميع أوصاله.

فلا يسع المنتظرون للإمام المهدي عليه السلام والمترقبون للفرج الذي يكون بفرجه دعوى ذلك حتى يشاهد في وجناتهم ويعرف من حالهم ذلك الانتظار وعدم الاستقرار.

وأجلى مصاديقه هو متابعة العلائم والأحداث التي تدلل على ظهوره، بعد الإطلاع عليها ومعرفتها من الكتب التي تبين تلك العلائم، بل وعلائم العلائم، والأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام.

فإذا عرف المؤمن العلائم وصار يتابع تحققها ويتحرى مصاديقها ويطبّقها على الأحداث أمكن أن يقال هذا منتظر، وأما إذا غفل عن كل ذلك واشتغل

بأمور المعاش والرياش، فلا يحق له أن يقول: إني أنتظر ظهور القائم عليه السلام.

وإذا أردت أن تعرف حقيقة المنتظِر، فهو ذلك الإنسان الذي يسعى على الدوام في تعديل سلوكه وتصحيح أعماله وتطبيقها على ضوء الشريعة الإسلامية تحسباً لظهور القائم عليه السلام الذي لا تنفع التوبة عند ظهوره، ولا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، حتى إنه قيل: إن التوبة تقبل قبل الموت بساعتين ولا تقبل قبل ظهور القائم عليه السلام بسنتين وله روايات تدل عليه.

فالانتظار يلازم الترقب والخشية، بل هو نفس الترقب والخشية وتعديل الأعمال وتصحيح الأفعال والسلوك على ما يقتضيه الشرع المبين، حَذَرَ يومٍ لا ينفع الإنسان الإيمان فيه لم يكن قبله من المؤمنين.

يضاف إلى ذلك الترقب عنصر الصبر، لوضوح أن الانتظار يعني حكومة الظالمين والجبارين وتسلطهم على رقاب المؤمنين والعبث بمقدارتهم والقسوة عليهم والغلظة بما لا يحتمله الإنسان لولا الصبر والانتظار المأمور به، وإمساك الأرض والجلوس في الدار المندوب إليه.

ولما بلغ الكلام إلى هذا الموضع صار عندي الحافز لأن أبوح بحقيقة خطيرة قد لا يحتملها البعض ولا يرضاها أو لا يصدقها العموم.

وهي الإشارة إلى أن قضية الإمام المهدي عليه السلام والغيبة والانتظار والظهور والفرج يجتمع فيها ثلاثة أمور:

الأول: الغيبة وأسرارها ووجه الانتفاع بالإمام الغائب.

والثاني: انتظار الفرج الذي جاء التعبير في الأخبار بأنه أفضل العبادة.

والثالث: حصول الفرج وظهور الإمام عليه السلام ورفع الظلم ونشر العدل وحصول الفوائد العظيمة بظهوره التي منها حصول الأمن والاستقرار وتحسن الوضع الاقتصادي إلى أقصى الحدود بأن تخرج الأرض خزائنها وكنوزها

ويكثر العمران وتزرع الفلوات حتى أن المرأة تخرج من العراق إلى الشام لا يعترضها معترض ولا تطأ إلا على زرع وخضرة وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج الكلام فيها إلى كتاب لسنا بصددها الآن.

فهناك حكمة ومصلحة عظيمة في ظهور القائم عليه السلام وتحقق حكومة العدل في جميع العالم، كما وأن هناك حكمة ومصلحة في نفس الغيبة وانتظار الفرج.

والحقيقة الخطيرة التي أريد الإفصاح عنها هي أرجحية الحكمة الموجودة في نفس الغيبة والانتظار على الحكمة والمصلحة الموجودة في حصول الفرج وظهور القائم عليه السلام، وربما تكون الفائدة التي يتوخاها الإنسان من وراء ظهور القائم أقل من الفائدة التي يحصل عليها وهو منتظر حزين ومترقب حيران.

لوضوح أن العمل مع الفرح والسرور والدعة أقل قيمة من العمل مع الخوف والاضطراب والقلق وهجوم الشكوك والأوهام، ومواجهة المصاعب ومعاناة الظلم والتقية من الظالمين، لأن الأخير أشد وأحمز وهو إيمان السواد على البياض الذي لا ترى فيه معجزة تشد الإيمان ولا تُسمع فيه النصائح التي تنفذ في الأعماق من نفس الإمام، والذي لا يُشاهد فيه عياناً ما يقتدى به من أعماله عليه السلام ليُقتدى بخطاه الشريفة.

والدليل على ذلك طول مدة الانتظار وقصر مدة الظهور، فهو يعني أن المصلحة في الانتظار أكثر، وإلا لأظهر الله سبحانه وتعالى القائم عليه السلام.

فأيّ حكمة هذه وأيّ مصلحة لم تتفنّد على مر العصور وتظل باقية عبر القرون، وبها كان الانتظار أفضل العبادة، والعمل معها أفضل العمل.

ولعل أعظم أهداف الخلقة استقلال طائفة من البشر بوظائف العبودية من دون مرشد سماوي ولا قائد رباني مع بقاء الدين وحفظه من التحريف والغلو، ذاك الذي تحقق بعد غيبة الثاني عشر من أوصياء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله؛

فظل المؤمنون من الشيعة الإمامية على طريق الحق مستقيمين على المنهج المرسوم، ينبع من بينهم العلماء الاتقياء الذين قاموا بحفظ الدين وصيانته من التحريف والغلو، فتابعهم سائر المؤمنين.

أما أن الانتظار أفضل العبادة فقد دلت عليه الأخبار الكثيرة والروايات العديدة التي تجعله أفضل العبادة وأفضل الجهاد، بل أفضل أعمال الأمة من أول يوم إلى آخر يوم.

ويدلّ على أنّ انتظار الفرج عبادة ما رواه الراوندي عن النبي ﷺ قال: **«انتظار الفرج بالصبر عبادة»**(١).

وهذا يعني أن الانتظار مما يقصد به القربة إلى الله سبحانه وتعالى كسائر العبادات بل هو أفضلها على ما جاء في الخبر الذي يرويه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال، قال رسول الله ﷺ: **«أفضل العبادة انتظار الفرج»**(٢).

جاءت هذه الأفضلية من جهة أن الانتظار مر، وهو يعني الصبر، وأفضل الأعمال أحمزها، ولأن الانتظار هو انتظار القائم من أهل البيت عليهم السلام وهو يعني الإيمان بهم ومحبتهم وموالاتهم التي تم التأكيد عليها أكثر مما سواها، ولأن الانتظار يعني الحذر وجهاد النفس، بل هو أفضل الجهاد للخبر الذي يرويه ابن شعبة عن النبي ﷺ أنه قال: **«أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»**(٣).

ويمكن استشعار أرجحية فترة الانتظار من الأخبار الدالة على أن انتظار الفرج أفضل الأعمال، فهو يعني أنّ انتظار الفرج أفضل من الجهاد مع النبي ﷺ لإعلان الدعوة ونشرها وصيانتها، وهو أفضل من الجهاد مع

---

(١) دعوات الراوندي: ٤١ ح١٠١، البحار ٥٢: ١٤٥ ح ٦٥: ١٤٥ ح ٦٥.

(٢) كمال الدين: ٢٧٨، كتاب الدعاء للطبراني: ٢٨، ينابيع المودة ٣: ٣٩٧.

(٣) تحف العقول: ٣٧.

المنتظر في مجال إقامة العدل وتأسيس دولته العالمية، وهو أفضل من الصلاة والصيام والحج والزيارة وجميع الأعمال العبادية المستحبة.

وما ذلك الجزم والبت في الأفضلية إلا التأكيد على ذلك في الأخبار والروايات المتعددة المتكثرة بألفاظ متوافقة ومختلفة.

منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»**[١]..

وفي رواية أُخرى: **«أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل»**[٢].

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: **«أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»**[٣].

حيث جعل انتظار الفرج أفضل أعمال الشيعة أو الأمّة من أولها إلى آخرها، وليس هناك ما يفوقه من الأعمال مهما عظمت وتخاطرت وعظمت نتائجها وآثارها، ولا أفضل منه من الأعمال.

ولم يستثن منها سوى المعرفة، فهي أمر آخر؛ لأنها أساس الدين، فقد روى ابن شعبة عن موسى بن جعفر عليه السلام **«أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»**[٤].

وهناك سر آخر يكمن في انتظار الفرج وفائدة أُخرى هي نفس الفائدة المتوخاة من الفرج وظهور القائم عليه السلام حيث عدّت الروايات انتظار الفرج

---

(١) الإمامة والتبصرة: ١٦٣، كمال الدين: ٦٤٤.

(٢) كمال الدين: ٦٤٤ ح ٣.

(٣) كمال الدين: ٣٧٧ح ١، الصراط المستقيم ٢: ٢٣١.

(٤) تحف العقول: ٤٠٣.

من الفرج، فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من الفرج، فقال: «أو لست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج»؟! قلت: لا أدري إلا أن تعلمني، فقال: «نعم انتظار الفرج من الفرج»[١].

وإذا احتملنا المجاز في هذا الكلام فهو ما أشرنا إليه آنفاً من أن انتظار الفرج هو سبب الفرج، وهو يحقق الفرج، ولكن الظاهر أنه نفس الفرج، وفيه تكمن فائدة الفرج، بل ويزيد عليها بفوائد أخرى؛ لذا روي عن علي بن الحسين عليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»[٢].

كل ذلك لما بينا من أن الانتظار يعني بقاء الأمل وعدم اليأس والقنوط؛ وإيجاد الداعي لاحتمال المصاعب والاستقامة مدة حياة المؤمن.

انتظار الفرج واجب أم مستحب؟

ولكن هل أن انتظار الفرج واجب أم مستحب، وهل يدخل في الأصول أم الفروع، فالروايات وإن أكّدت على ذلك وصرح بعضها بوجوبه، كالذي يرويه الشيخ الصدوق بسنده عن عبد العظيم الحسني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره فابتدأني فقال لي: «يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته»[٣].

فقد قال «يجب» وفي رواية أخرى جعله الإمام الصادق عليه السلام من الدين فقال: «من دين الأئمة الورع والعفة والصلاح... وانتظار الفرج بالصبر»[٤].

---

(١) الغيبة: ٤٥٩ ح ٤٧١.

(٢) كمال الدين: ٣٢٠، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٠.

(٣) كمال الدين: ٣٧٧ ح ١.

(٤) الخصال: ٤٧٩ ح ٤٦، البحار ٥٢: ١٢٢.

ولسنا بصدد استفادة حكم شرعي فإن له مجالاً آخر، غير أن الفقهاء لا يستفيدون من أمثال هذا اللحن أكثر من تأكيد الاستحباب والندب، خصوصاً وأنّ الرواية الأخيرة قد عدّته ضمن المستحبات من ورع وعفة و....

عود على بدء!!

ولو رجعنا إلى ما أشرنا إليه من الحقيقة الخطيرة القاضية بأرجحية الانتظار وأفضلية أعمال المنتظرين على أعمال القائمين بالأمر مع الإمام المهدي عليه السلام ورجحان المصلحة في الغيبة والانتظار، وطلبنا لذلك الدليل من الأخبار والروايات في مقام نفي الاستبعاد والاستغراب، ففيما بين أيدينا..

ما رواه الصدوق بسنده عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده! يا أبا خالد إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته، المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف؛ أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً»[1].

وفي الجملة فالمهم من بين هذه المباحث هو معرفة أنّ متابعة العلائم ومطالعة الأحداث التي ترتبط بالظهور هو أجلى مصاديق انتظار الفرج بحسب المأنوس في أذهان العرف والمعروف من حال المنتظر لقدوم قادم أو عودة مسافر، فهو يتأمل الطريق ويلاحظ العلائم، وإن كان المستفاد من

---

(١) كمال الدين: ٣٢٠، البحار ٥٢: ١٢٢.

الأخبار أن الانتظار هو الصبر وترك التحرك والقيام لما تقدم من رواية الإمام الصادق عليه السلام أنه من الدين انتظار الفرج بالصبر، والرواية الأخرى التي يرويها القاضي النعمان المغربي عن أحمد بن محمد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سمعته يقول: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾»[١].

وأخيراً..!!

سيطول النقض والإبرام ويتشعب الكلام في الأحداث التي تسبق ظهور القائم في المباحث القادمة، وسيكثر النقاش في مجال أخذ النتائج النهائية المرتبطة بعلائم الظهور المتاخمة وغير المتاخمة بحيث يشعر القارئ بطول المدة وكثرة الأمور التي لم تتحقق لحد الآن بحيث يحتاج تحققها إلى وقت طويل، لأن النقاش فيها قد استغرق مدة طويلة فكيف بتحققها.

ولكن الواقع عدم استغراق تلك الأحداث لفترة طويلة، بل هي نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فإن أكثر ما يستغرقه تحقق مجموع العلائم المتاخمة هو ست سنوات وإلا فالباقي لا يتجاوز السنة والسنتين، حتى أن بعضها لا يمر عليه أكثر من خمسة عشر يوماً.

وهنا يتجلى الدليل في تأكيد الأخبار على أن أمر القائم عليه السلام بغتة، فهو كناية عن سرعة الأحداث المعدودة من العلائم وخفاء بعضها فيكون ظهوره عليه السلام شبه المفاجئة.

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في القائم: **«مثله، مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة»**[٢].

---

(١) شرح الأخبار ٣: ٥٦٠ ح ١٢١٦ والآية في سورة الأعراف: ٧١.

(٢) كمال الدين ٢: ٣٧٢ ح ٦.

وروى الفضل بن شاذان: «لا يظهر القائم إلا بغتة بين الركن والمقام»[1] فهي تؤكد ظهوره بغتة من دون تمهيد، لا يكون غير ذلك.

وفي الكتاب الذي بعثه صاحب الأمر إلى الشيخ المفيد: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»[2]، وغيرها من الروايات.

وروى النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضها بعضاً»[3].

وأكثر ما روي من الوقت هي المدة بين خروج شعيب بن صالح وتسليمه الأمر للقائم عليه السلام اثنان وسبعون شهراً على ما جاء في الرواية التي يرويها ابن حماد عن محمد بن الحنفية[4]، وإلا فالسفياني يتصارع على الملك ستة أشهر ويملك حمل امرأة أو حمل ناقة ثمانية أشهر كما يأتي، وليس بين قتل النفس الزكية وخروج القائم سوى خمسة عشر يوم.

---

(١) كشف النوري: ٢٢٢.

(٢) الاحتجاج: ٤٩٥.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

(٤) تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم يهزمون أصحاب السفياني، حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلّم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً. كتاب الفتن: ٨٥.

حصر علائم الظهور وتمييزها

ينبغي الالتفات إلى أن المنقول في الأخبار من الأحداث والأمور المهمة التي سلّط عليها الضوء وورد التأكيد عليها وتكرر نقلها ليست جميعاً علائم بل هي وقائع مهمة وأُمور خطيرة أخبر بوقوعها النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام لعلل وأسباب مختلفة تكون في الغالب هي أهميتها وخطرها، وليس السبب قربها من زمان القائم ولا هي علامة على ظهوره عليه السلام، بل هي مجرد تحذير وانفعال من ناظر إلى الأحداث التي تأتي عبر الزمان.

ولو لاحظ الملاحظ كيفية إخبار النبي ﷺ عن وقوعها والحالة التي يخرج بها للتحديث عنها يستشعر أن النبي ﷺ عندها كمن شاهد كل ما يحدث في امتداد الزمن وهو يذكر أهم ما رآه من الحوادث المهمة، وحتى أنه يخرج في بعض الأحوال وكأنه ذلك المشاهد الذي يخرج في وسط المشاهدة ليخبر عن حدث هام شاهده الساعة، فإنه ﷺ قد يخرج وسط الظهيرة عليه آثار الدهشة ليجد بعض أصحابه فيقول: من هذا فلان فلان أو فلان إن السفياني مثلاً يفعل كذا، أو القائم يفعل كذا، وكأنه خرج في وسط فلم يصوّر البشرية الذي كان يراه ويشاهده بالعيان.

فقد روى ابن طاووس عن معاذ بن جبل قال: بينا أنا وأبو عبيدة الجراح وسلمان جلوس ننتظر رسول الله ﷺ إذ خرج علينا في الهجير مرعوباً متغير اللون فقال: **«من ذا؟ أبو عبيدة، معاذ، سلمان؟»** فقلنا: نعم يا رسول الله ﷺ، فذكر الفتن فقال: **«تدخل مدينة الزوراء فكم من قتيل وقتيلة، ومال منتهب، وفرج مستحل، رحم الله من آوى نسله بني هاشم يومئذ وهن حرمتي ...»**[1].

---

(١) الملاحم والفتن: ١٣٧.

ومعلوم أن مجرد العلم بالشيء لا يؤثّر كل ذلك التأثير في الشخص ولا يوجب الرعب وتغيّر اللون، وإنما يؤثّره المشاهدة ولمس الموقف عن قريب، وما المانع من ذلك وهو يمتلك روح القدس التي يتمكن أن يرى بها كل شيء كما بينا ذلك في كتاب الأسماء.

وإنه ليريبني مثل قول الإمام الصادق عليه السلام الذي يرويه الكليني: «كأني بالقائم عليه السلام على منبر الكوفة عليه قباء، فيخرج من وريان قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب فيفكه فيقرؤه على الناس فيجفلون عنه إجفال الغنم فلا يبقى إلا النقباء، فيتكلم بكلام فلا يلحقون ملجأ حتى يرجعوا إليه، وإني لأعرف الكلام الذي يتكلم به»[١].

أو مثل قول أبي جعفر عليه السلام: «لكأني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً...»[٢]، ولا يقول أحد «لكأني أنظر» إلا إذا تحسس الموقف وشاهده بعينه.

يريبني أن يكون هذا الحديث دليلاً على أن الدنيا هو فلم أُعيد بثه، دعوى مدعومة بكل التنبؤات والإخبارات الغيبية مهما كانت، ولكن يهوّن الخطب ضعف الأحاديث وقوة روح القدس.

ومهما يكن من ذلك فإنه يمكن حصر الأخبار الذاكرة للأحداث التي تسبق ظهور القائم في طوائف معينة ومحدودة قد نستلهم من كل طائفة منها معنى خاصاً ومصداقاً مغايراً يتضح بعض الشيء بعد ذكر الطوائف والحوم حولها.

فمنها: الأخبار الدالة على توقّع الفرج أو انتظاره عند حدوث بعض الحوادث، بل ما يتضمن كلمة الفرج من الأخبار بصورة عامة، فهي في

---

(١) الكافي ٨: ١٦٧ ح١٨٥، ومثله في كمال الدين٢: ٦٧٢ ح٢٥.

(٢) تفسير العياشي٢: ٥٦ ح٤٩.

الغالب لا تعني قيام القائم وظهور المهدي عليه السلام لأن الفرج هو الخلاص من الشدة وإن كنا لا ننفي علائمية الحدث بالمعنى العام الشامل لغير المتاخمة من العلامات.

ومن أمثلتها روايات اختلاف بني العباس واختلاف بني فلان التي منها الرواية التي يرويها النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان»[1].

فإن المقصود من الفرج هو خلاص المخاطبين الذين يعانون من قسوة بني العباس وحيفهم على الشيعة وقتلهم لا لشيء بل لأنهم شيعة المعبر عنها بظروف التقية والتخفي بالمعتقد مع إظهار ما يخالفه وينافيه حتى جاءت الفترة التي اختلف فيها العباسيون وقتل المأمون الأمين ليرتفع هذا التشديد وحصل الفرج نوعاً ما وإن بقي التشديد على نفس الأئمة عليهم السلام واستمر هذا الحال إلى أن خرجت الشيعة إلى الميدان وتصدى بعض علمائهم وغيرهم لبعض المناصب كالحمدانيين في الشام والمزيدية في الفرات الأوسط وتشيعت إيران وصار الشيعي مسنود الظهر يتكلم عن مذهبه ودينه بحرية أكثر، وهو فرج آل محمد عليهم السلام.

ولا شك أن هذا هو فرج وإن كان الفرج في اصطلاح اليوم بمعنى ظهور القائم عليه السلام ولكن لم يبلغ حين صدور الرواية إلى مرحلة هجر المعنى اللغوي.

كل ذلك بناءاً على إرادة بني العباس من كلمة بني فلان، وبناءاً على إرادة الاختلاف الذي طال الدولة العباسية من يوم موت الرشيد حتى أواخر أيامها بحيث صار الولد يقتل أباه.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٥.

وهناك احتمال آخر له شواهد وقرائن من الأخبار نحتمل فيه إرادة تجدد ملك بني العباس بعد زواله، أو إرادة ما سواهم من ملوك عصر الظهور من كلمة بني فلان والبحث فيه موكول إلى محله.

ومن أمثلتها رواية الشيخ الطوسي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين الحرمين»، قلت: وأي شيء يكون الحدث؟ فقال: «عصبية تكون بين الحرمين، ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً»[1].

فهي مجملة لا تبين أي فرج وهل هو ظهور القائم عليه السلام أو حصول الأمن لآل البيت عليهم السلام وللشيعة والحجاج بحيث يتمكنون من ممارسة أعمالهم كما يريدون وبحسب ما هو مقرر لهم بعد حصول الاختلاف والنزاع بين حكام الحجاز والمتنفذين فيهم نظير ما بدت ملامحه هذه الأيام، وإن كان احتمال إرادة فرج القائم عليه السلام أقوى بحسب متفاهم عرف المؤمنين، غير أن قواعد الاستدلال قد لا تخضع لذلك.

وأوضح من تلك الروايتين رواية الحميري بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أول علامات الفرج سنة خمس وتسعين ومائة، وفي سنة ست وتسعين ومائة تخلع العرب أعنتها، وفي سنة سبع وتسعين ومائة يكون الفناء، وفي سنة ثمان وتسعين ومائة يكون الجلاء، فقال أما ترى بني هاشم قد انقلعوا بأهليهم وأولادهم»[2]، فهل ترى أن ما يحدث في سنة خمس وتسعين ومائة أو حتى سنة المائتين هو علامة على ظهور القائم عليه السلام أو هو علامة على فرج الشيعة ورفع الخناق عنهم بوقوع الخلاف بين العباسيين، وخصوصاً النزاع الذي حدث بين الأمين والمأمون.

---

(١) الخرائج والجرائح٣: ١١٧٠.

(٢) الغيبة: ٤٤٨، وانظر قرب الإسناد: ٣٧٠ ح ١٣٢٦.

ومنها: الروايات الدالة على أن بعض الأمور هي أُمور محتومة لابد من تحققها ووقوعها من دون التعرّض لأنها علامة على ظهور المهدي عليه السلام، فتكون حتمية التحقق من دون دلالة على أنها علامة قريبة على ظهور القائم، منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن أبي حمزة الثمالي قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «إن خروج السفياني من الأمر المحتوم» قال لي: «نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم»[1].

وحتمية تحقق الشيء ليس فيه أدنى دلالة على كونه علامة على خروج القائم عليه السلام، خصوصاً وأن هذه الرواية عدّت من جملة الأحداث خروج القائم الذي لا يعقل معه أن يكون المراد من قولهم «من المحتوم» هو من العلامات المحتومة، لأن خروج القائم لا يكون من العلامات المحتومة على خروجه، وهو واضح أجلى وضوح، بحيث يصرفنا عن استفادة علائمية اختلاف ولد العباس على ظهور القائم عليه السلام من هذه الرواية وأمثالها، فيبقى كحدث سابق على ظهور القائم قد يسبقه بألف عام ولكن لابد من تحققه.

ونظير هذا اللسان الروايات المتضمنة لـ«اللابدية» مثل ما يروى من قول الإمام الصادق عليه السلام لزرارة: «لابد من قتل غلام بالمدينة» قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: «لا، ولكن يقتله جيش بني فلان يخرج حتى يدخل المدينة فلا يدري الناس في أي شيء دخل، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لم يمهلهم الله عزوجل فعند ذلك فتوقعوا الفرج»[2].

وأياً كان بنو فلان فهي لا تدل على علائمية قتل الغلام على ظهور

---

(١) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

(٢) كمال الدين: ٣٤٢.

القائم عليه السلام وإن كان قتله مما لابد منه ويعقبه هلاك بني فلان أو انتزاع السلطة منهم ويكون فرجاً لسكان الحجاز على الأقل بارتفاع ظروف التقية وحلول الديمقراطية وحصول تفهمّ المذاهب بارتفاع المستوى الثقافي لنسل الحجاز القادم الذي يجعله أكثر استيعاباً للأمور وأقل وحشية، فهو فرج لآل محمد وشيعتهم المتغيبين في تلك الديار.

وهذا لا يعني أننا ننفي علائمية قتل الغلام على خروج القائم عليه السلام إذ استفيد من دليل آخر، غير أن هذه الرواية لا تدل على ذلك.

ومنها الروايات التي يقول الإمام فيها «لا ترون ما تحبون حتى يكون كذا» فهي الأُخرى مجملة لا تدل على أكثر من سبق ذلك الحدث، منها رواية الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرّقت الكلمة»[1].

وبعد إجمال كلمة «ما تحبون» التي قد تعني الأمن والخير والحرية وإظهار المعتقد كما قد تعني خروج القائم عليه السلام فهي لا تدل على أن اختلافهم علامة متاخمة على ظهوره، وإنما هو حدث سابق لا يسبقه ظهور القائم، وقد يتخلّف عنه بمئات السنين، خصوصاً وأن هذه الرواية دلت على أن الذي يعقب اختلافهم هو تفرق الكلمة الذي قد يعني تقسيم الأمة الإسلامية وطمع الناس الذي قد يعني مطامع المستعمرين بعد كشف البترول وغيره الذي يصاحب صرف النظر عن ملاحقة الشيعة بما هم شيعة فيتسنى لهم إظهار المذهب الحق وارتفاع المخاوف، وحصول الأمن النسبي على الأقل.

ومنها: روايات السكون والجلوس في الدار وملازمته حتى تتحقق

---

(١) الكافي ٨: ٢٠٩ ح ٢٥٤.

علامـات مـثل ما رواه الشيخ الطوسي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الـزم الأرض ولا تحـرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات، أذكرها لك وما أراك تدركهـا: اخـتلاف بـني فلان، ومناد ينادي من السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح...»[1].

فهـي لا تدل على أكثر من التحذر الشديد وترك التحرّك والتحزّب قبل حصـول الأمـور المذكـورة في الخـبر الـتي منها مجيء الصوت من دمشق بالفتح، فالـرواية تتكـلم عن حدود زمان التقية الشديدة ولزوم التخفي بالمعتقد، وترك العمـل السياسـي بصـورة كلـية حتى تتحقق هذه الأمور، ولا تدل على ظهور القائم عند تحقق هذه العلائم، وليس هي علائم ظهوره، وإنما هي علائم زوال التقية ومشروعية العمل السياسي الهادف للتمهيد للمهدي عليه السلام مثلاً.

ومـنها الروايات الذاكرة لعلامات الساعة، أعني الساعة الثالثة التي هي ساعة القيامة مثل رواية الشيخ الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قـال، قـال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«عشر قبل الساعة لابد منها: السفياني، والدجال، والدخان، والدابة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر»**[2].

فـلا دلالـة فـيها عـلى أن المذكورات هي علائم خروج القائم عليه السلام وإن كانـت هي علائم في واقع الحال، غير أن هذه الرواية وحدها لا تدل على ذلـك، خصوصـاً وقد ذكرت في العلائم خروج القائم، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

ومـنها: الـروايات التي لسانها قدام هذا الأمر وقبل هذا الأمر حتى

---

(١) الغيبة: ٤٤١ ح٤٣٤.

(٢) الغيبة: ٤٣٦.

لو كان الأمر هو ظهور القائم عليه السلام ولكن لا دلالة فيها على العلائمية ولا المتاخمة مثل رواية النعماني بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «قبل هذا الأمر السفياني واليماني والمرواني وشعيب بن صالح، فكف يقول هذا هذا»[١] فإن قبله لا يعني الاتصال به، فقد يكون قبله بفترة طويلة.

ورواية الشيخ المفيد عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن قدام القائم عليه السلام لسنة غيداقة يفسد فيها الثمار والتمر في النخل فلا تشكوا في ذلك»[٢]. وكذا روايته الأخرى عنه عليه السلام «إن قدام القائم بلوى من الله »قلت: ما هو جعلت فداك... قال: «الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار ونقص من الأموال...» [٣].

فإن قدام قد لا تعني الاتصال وقرب العهد، فقد يكون قدامه بفترة طويلة، لكن الإنصاف استشعار القرب والالتصاق؛ لعدم صدق كلمة «قدّام القائم» على ما يحدث قبل مئات السنين.

ومنها الروايات الدالة على عدم تحقق الظهور قبل تحقق أمور مثل عبارة «أنى يكون ذلك» أو «لا يكون ذلك» الواردة في مثل رواية أبي بصير قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «لقائم آل محمد عليه السلام غيبتان: واحدة طويلة والأخرى قصيرة» قال: «نعم يا أبا بصير أحدهما أطول من الأخرى، ثم لا يكون ذلك حتى يختلف ولد فلان وتضيق الحلقة ويظهر السفياني و...» [٤].

فإن عدم كينونة الظهور قبل هذه الأمور لا يعني اتصالها به والتصاقها وقرب عهدها، بل ليس فيها دلالة أكثر من لابدية تحققها، وأما زمانه فقد

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح١٢

(٢) الإرشاد ٢ : ٣٧٧. وغيداقة تعني كثيرة المطر.

(٣) الإرشاد ٢ : ٣٧٧.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٥.

يقرب وقد يبعد، فلا يثبت كونها علامة من هذا الخبر وحده، ويكون حالها حال روايات المحتومية واللابدية.

ورواية الشيخ الطوسي عن محمد بن الحنفية يسأله محمد بن بشر فقال: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قال: فحرك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان... أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين[1].

ومنها: الروايات الدالة على علامات نزول عيسى عليه السلام.

فهي وإن كانت لا تدل بالمطابقة على العلائمية ولكن تدل بالالتزام بعد ثبوت تقارن نزول عيسى عليه السلام مع ظهور القائم عليه السلام أو تأخّره عنه بقليل.

ومنها: الروايات الشرطية التي تشرط ظهور القائم بتحقق أُمور مثل الرواية التي يسأل فيها السائل: متى يظهر قائمكم فيقول: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وركب ذوات الفروج السروج و...»[2] فهي لا تدل على أكثر من أن ظهور القائم لا يسبق تحقق هذه الأمور من دون دلالة على مباشرة ظهوره عند تحقق أول مصاديقها.

ومنها: الروايات المفصلة للوقائع من يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أو من يوم صدور الخبر، أو من يوم زوال دولة بني العباس وحتى من يوم ظهور من يدعو للمهدي عليه السلام فهي لا تتضمن أكثر من سرد وقائع تحدث قبل قيام القائم قد لا تكون متاخمة ولا هي علامة، مثل ما يرويه النعماني بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على

---

(١) الغيبة: ٤٤١.

(٢) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٧ ح٢٠.

الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب...»[١].

والرواية الأُخرى: «إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ولها أمارات، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيئ أماراتها، فإذا استثارت عليكم الروم والترك، وجهزت الجيوش ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح، فيخلع بعد سنتين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدا، ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي مناد على سور دمشق ويل...»[٢].

ويدخل فيها الروايات الدالة على علامات خروج القائم ولكن فيها كلمة «أولها كذا ثم كذا» فهي علائم متسلسلة قد يفصل بينها قرون.

ومنها: الروايات المتضمنة لعلامات بعض العلائم، مثل الروايات القائلة: «ويخرج أهل الغرب إلى مصر فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني»[٣].

ومنها: الروايات المتضمنة للفظ علامة وعلامات وأريد بها علامة قيام القائم إما بالتصريح أو بالقرينة، فهي تتكلم عن أحداث متاخمة لظهور القائم لا محالة؛ لعدم معقولية كون ما يحدث قبل ألف سنة علامة على ظهوره عليه السلام ولا حتى مائة سنة، وإنما هو ما يتصل بزمانه ولا تكون بينها فاصلة أو تكون بينهما فاصلة قليلة لا تجوز الأيام والشهر أو الشهرين، وإذا تنزلنا فلا تبلغ السنة، لمجيء التعبير بسنة ظهور القائم.

وقولنا يتصل بزمانه يعني استمرار ذلك الحدث حتى ظهوره وإن كان شروعه قد يسبق بأكثر من سنة، فإذا قلنا إن خروج السفياني من العلائم

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤١ ح٤٣٢، البحار ٥٢: ٢٠٧ ح ٤٥.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٣ ح٤٧٩، البحار ٥٢: ٢٠٧ ح ٤٥.

فهو لأجل بقاء السفياني إلى ظهور القائم عليه السلام وإن كان خروجه قبل أكثر من سنة وما كان فصله بقليل كالصيحة في رمضان والآية في رجب ليعقبها ظهور القائم عليه السلام في المحرم مثلاً.

ويضاف إلى ذلك الأخبار التي تدل على متاخمة بعض الأمور لظهور القائم عليه السلام بالقرائن والشواهد وإن لم تتضمن لكلمة علامة.

والحصيلة:

فليس جميع المذكور في الأخبار هو من العلامات على ظهور المهدي عليه السلام خصوصاً إذا جاء التعبير بقولهم قبل قيام القائم كذا وكذا، بخلاف ما إذا قال خمس علامات أو عشر علامات، لأن العلامات أمور تحدث قبيل ظهور القائم تتصل بعضها ببعض، نظام كنظام الخرز تختم بظهوره عليه السلام فلا وجه لتطبيقها على حوادث سابقة أو حوادث مفردة غير متصلة بباقي العلائم كما اتفق لكثير ممن سبقني في هذا الميدان، فلما تقدم الزمن بان خطأ ما فسر به وما طبقه.

ويمكن حصر المذكور في عامة الأخبار في ثلاث طوائف.

الطائفة الأولى: هي أمور وحوادث تحدث في الفترة ما بين صدور الخبر إلى زمان قيام القائم عليه السلام أو حتى الساعة.

الطائفة الثانية: الأمور التي تطرح كعلائم لظهور القائم بمعنى أنها تكون قبل قيامه ولو بفاصلة زمنية كبيرة تحصل بالتدريج تشد الناس بقضية المهدي عليه السلام على مر الزمان.

الطائفة الثالثة: هي علائم متاخمة لظهور الإمام المهدي عليه السلام يتصل بعضها ببعض، نظام كنظام الخرز كما جاء التعبير عنها في الأخبار، بل تكون متزامنة في الغالب، يجيء التعبير عنها عادة بخمس علامات أو عشر علامات، وهي تنقسم إلى حتمية وغير حتمية.

ونحـن نسـتعرض الطائفـة الأخـيرة، أعني العلامات المتاخمة المحصورة والمتكرر ذكـرها في الأخـبار، ثم نعطف الكلام على الطائفة الثانية إذا سنح الوقت وامكنتنا الفرصة وأما الطائفة الأولى فلا يهمنا البحث عنها في هذا الكتاب.

العلائم المتاخمة :

أول مـا نسـتعرض مـنها تلك العلائم التي جاءت بعد قولهم خمس علامات وهـي روايـات مـتعددة يتفاوت المذكور فيها ويتبدل لتزيد في المجموع على خمس علائم.

الـرواية الأولى: يـرويها الكلـيني بسند معتبر عن عمر بن حنظلة قال: سمعـت أبـا عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسـفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني»[1]، ليس الترتيب المذكـور فـيها هـو الترتيب الحقيقي لاختلاف الأخبار في التقديم والتأخير اختلافاً فاحشاً كما سيظهر.

الـرواية الثانـية: رواية الصدوق بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قـبل قـيام القـائم خمـس علامـات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[2].

الـرواية الثالـثة: يـرويها النعماني بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام: «للقائم خمس علامات: السفياني، واليماني، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[3].

---

(١) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٣، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة.

(٢) كمال الدين ١: ٦٥٠ ح ٦.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ٩.

الرواية الرابعة: يرويها الشيخ الطوسي بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خمس قبل قيام القائم من العلامات: الصيحة، والسفياني، والخسف بالبيداء، وخروج اليماني، وقتل النفس الزكية»[١].

فهذه الروايات الأربع تتفق في العلامات وإن اختلفت في الترتيب بينها مما يبدو أنها رواية واحدة مروية بطرق متعددة عن عمر بن حنظلة عن الصادق عليه السلام.

الرواية الخامسة: رواية النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «... يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، وخسف بالبيداء»[٢] فقد اختلفت مع الروايات السابقة بذكر الخراساني مكان اليماني، وبهذا صارت العلائم ستة.

الرواية السادسة: يرويها الطبري بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قبل القائم خمس علامات: السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكف تقول هذا هذا»[٣].

وهذه الأخرى أضافت المرواني وشعيب بن صالح، والكف التي تشير إلى العلائم الستة فصارت تسعة.

الرواية السابعة: يرويها النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاثة عشرة وأربع عشرة منه»[٤].

وبذلك تتم عشر علامات مصرّح في الأخبار بأنها علامة على خروج

---

(١) الغيبة: ٤٣٦ ح ٤٢٧.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٨٩ ح ٦.

(٣) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٧٢ ح ٤٧.

صاحب الأمر عليه السلام، ويبقى هناك علامات مصرح بكونها علامات تتردد بين أن تكون بلسان علامات الفرج أو علامات قدام القائم أو من العلامات المسلسلة التي هي حوادث متعاقبة قد يفصل بينها مئات السنين، كما أن هناك روايات تدل على قرب وقوع بعض الحوادث من ظهور القائم أو في عام الفتح واردة في خبر واحد أو خبرين من دون ذكر تفصيل سنعرض لها بعد إتمام العلائم المتاخمة، أي علامات الخروج التي هي نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً أو يتزامن مع البعض.

وأما العلائم المتاخمة فسنعرض لها بالنحو التالي ليكون أول العلائم هو أول عدد في العد التنازلي المشار إليه في عنوان الكتاب أعني عشرة، والعلامة الثانية بمثابة العدد الثاني في العد التنازلي أعني تسعة وهكذا.

١ ـ الخراساني

٢ ـ شعيب بن صالح

٣ ـ اليماني

٤ ـ المرواني

٥ ـ السفياني

٦ ـ الخسف بالبيداء

٧ ـ طلوع كف في عين الشمس

٨ ـ الصيحة في رمضان

٩ ـ قتل النفس الزكية

١٠ ـ الكسوف في نصف رمضان

وإذا سنح الوقت فسنخوض في العلائم غير المتاخمة مما صرح بكونها علائم أو دلت القرائن على قرب وقوعها من زمان الظهور.

ملاحظة

لما طال الكلام والنقض والإبرام في العلائم وهناك من لا يرغب في التفصيل قدمنا خلاصة لكل مبحث يكتفي بها من يكتفي ومن شاء التفصيل يقرأ أصل المبحث وكل ما جاء فيه من الأخبار والجمع والنقض والإبرام.

العلامة الأولى

الخراساني

خلاصة الكلام في الخراساني

جاء التركيز في الأخبار على منطقة الشرق التي تعني إيران وما حولها يومَ صدور الأخبار على أنها أرض البشارة والدعوة إلى الحق والمطالبة بحقوق المظلومين في نقاط العالم المختلفة.

كما تم التأكيد على أن أهل المشرق هم أول من يتحسس الظلم المبطّن والمعلن، وأول من يفكر في حل البشرية السيء، وما يصيب العالم من الدمار والاستعباد والاستعمار بثيابه المتنوعة.

فتكون أول دعوة لهم هي الدعوة إلى الحق، وأول مطالبة عندهم هي المطالبة به، على أن الحق هو معنىً كلي له مصاديق لا نهاية لها.

فتستمر هذه المطالبة حتى يتبلور السبيل لتحقيق ما يطالبون به، ويتبرهن لديهم أن السبيل واحد، والطريق منحصر، وأنه ليس سوى المنقذ السماوي القوي الساعد، فتتحول هذه الدعوة من المفهوم الكلي إلى المصداق، وتكون دعوتهم هذه المرة إلى المهدي المنتظر (عليه السلام) المخزون لإقامة العدل، والمذخور لأن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ما ملئت ظلماً وجوراً.

بيد أن هذه الدعوة تقوم بمهمة إعلامية في بادئ الأمر وتبقى بثوبها الإعلامي لمدة مديدة وسنوات عديدة وتطول وتمتد من دون أن تجد أُذناً صاغية ولا من يسمعها بين ضوضاء الظالين المالكين لأجهزة الإعلام الطاغية على العالم، والتي تأخذ بمسامع أهله أين كانوا.

فلا يجدون بُداً من تغيير الدعوة السلمية وتبديلها إلى تحركات عسكرية متميزة براياتها السوداء الحزينة، فيضعون أسلحتهم على عواتقهم، ولهم قلوب

كزبر الحديد، على أن انطلاقتهم الأُولى ستبدأ من خراسان بقيادة رجل خراساني من بني هاشم في يده اليمنى خال، جاء التأكيد في الأخبار على نصرته وإتيانه ولو حبواً على الثلج.

فيخرج ذلك الخراساني من أقصى المشرق ويقوم بتجهيز الجيوش وتحريك العساكر، ويجعل على مقدمته رجلاً من بني تميم اسمه شعيب بن صالح منعوت بالشجاعة والحنكة، فيسير بتلك الجيوش للسيطرة على جميع أرض إيران واسترجاعها من أنصار السفياني وفلول بني العباس.

ويكون أول مشروع له خارج إيران هو الانقضاض على حكومة العباسيين في بغداد وفي المرحلة الثانية مواجهة عساكر السفياني في الكوفة وحدوث المعارك الضارية التي تنتهي بإنكسار جيش السفياني واستخلاص الأسرى والمسجونين من أهل الكوفة من يده.

وهناك رواية تفصّل المعارك التي يخوضها الخراساني مع جيش السفياني الذي يدخل أرض إيران ويكون له معارك مع قوى محلية هنا وهناك، حتى يظهر الخراساني ويقبل بالرايات السود فيكون أول اشتباك لهم مع جنود السفياني في تخوم خراسان، ويسير الهاشمي الخراساني إلى طهران ويبعث بشعيب والجيش إلى اصطخر ليكون أول لقاء حاسم في حوالي مدينة يزد في العمق الإيراني، تقع بين الجيشين ملحمة عظيمة تكثر فيها القتلى حتى يأتي جيوش الخراساني المدد من سجستان عليها رجل من بني عدي، فينتصر الخراساني، ويهرب جيش السفياني، على أنه أول نصر حاسم تتوالى بعده الانتصارات ويتراجع السفياني ليكون ثاني التقاء لهم في حوالي طهران، يتراجع بعدها السفياني إلى المدائن في الحدود العراقية ثم يتقاتلون في عقرقوف الواقعة في شمال العراق، وتقع في بابل مذبحة عظيمة، ويتراجع الجيش الأموي إلى أرض نصيبين داخل الأراضي السورية ليتحقق فيها آخر اشتباك.

ولكن الأخبار الأُخرى تدل على أن السفياني لا يدخل أرض إيران ولا

يتجاوز حدود العراق، ويكون أول اشتباك لهم في حوالي الكوفة تكون فيه الغلبة الساحقة للرايات السود بحيث لا يسمحون لجيش السفياني بأن يخلي الأسرى والمسجونين من السادة والعلويين، ويُقتل الكثير من جنود السفياني.

فيبعث السفياني الجيش إلى المدينة لقتل بني هاشم انتقاماً مما صنعه الهاشمي بجيشه والبلاء الذي أصابهم منه.

وهناك أخبار عديدة تذكر تحركات الخراساني وجيوشه الواسعة التي تشمل العراق والشام وحتى بيت المقدس في مجال التمهيد لحكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ولكن سنترك الخوض في التفاصيل ونحيل الكلام إلى التقاء الخارجين من المشرق بالإمام المهدي عليه السلام وما يتفق عنده من الأحداث.

فهناك رواية تتحدث عن خروج الحسني من نحو الديلم لم تصرّح بأن هذا الخارج هو ذلك الخراساني أو هو رجل يخرج بعد خروج الخراساني.

فهذا الخارج من الديلم تصفه الرواية بأنه جميل جداً، وجهه كدارة البدر يريع الناس جمالاً، فيصيح بصوت فصيح ياآل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطالقان، كنوزاً وأي كنوز ليست من فضة ولا من ذهب، بل رجال كزبر الحديد على الآليات العسكرية وفي أيديهم الأسلحة يتعاوون شوقاً للحرب كما تتعاوى الذئاب، أميرهم رجل من بني تميم، وهو شعيب بن صالح الذي تقدم ذكره، فيسير الحسني بتلك الرايات حتى يرد الكوفة ويجعلها معقلاً.

فبينا هو في الكوفة وقد استتب له الأمر يأتيه الخبر بأن جيشاً صغيراً قد نزل قريباً منهم، فيقولون: يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا؟

فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد، وهو يعلم أنه الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه، وأنه ليعرفه إما لاتصاله المسبق به أو لسبب

آخر، ولكن يريد أن يعرّفه لأصحابه، فيقبل الحسني حتى ينزل بالقرب من الإمام المهدي عليه السلام، ثم يقول لأصحابه: اسألوا عن هذا الرجل من هو وماذا يريد، فيخرج بعض أصحاب الحسني إلى عسكر المهدي عليه السلام ويقول: يا أيها العسكر الجميل من أنتم حياكم الله، ومن صاحبكم هذا؟ وما تريدون؟

فيقول أصحاب المهدي عليه السلام: هذا ولي الله مهدي آل محمد، ونحن أنصاره، فيتعجب أصحاب الحسني ويصيبهم الدهشة، فيقولون للحسني: ياسيدنا ما تسمع مايقول هؤلاء في صاحبهم.

فيقول الحسني: خلوا بيني وبين القوم، فيخرج الحسني من عسكره ويخرج المهدي عليه السلام ويقفان بين العسكرين، فيقول له الحسني: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبرده ودرعه، فيحضر المهدي السفط الذي فيه تلك الأشياء.

فيقول الحسني: أنا أسألك أن تغرس هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر وتسأل الله أن ينبتها فيها، وهو لايريد بذلك إلا أن يُري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يطيعوه ويبايعوه، فيأخذ المهدي عليه السلام الهراوة بيده ويغرسها في الحجر فتنبت فيه وتعلو وتورق، فيقول الحسني: الله أكبر، مد يدك يا ابن رسول الله حتى أُبايعك، فيمد يده فيبايعه، ويبايعه سائر عسكر الحسني.

هذه خلاصة الكلام في العلامة الأولى من علائم ظهور الإمام المهدي عليه السلام، اختصرناها، لمن لا يرغب في التفصيل، ولا يحب الخوض في النقض والابرام والنقاش الطويل.

على أن هذا هو المستفاد من مجموع الأخبار ضعيفة ومعتبرة، والثابت من خصوص الأخبار المعتبرة منها هو أصل خروج الخراساني وإقبال الرايات السود إلى الكوفة.

العلامة الأولى:

الخراساني

الحديث عن الخراساني بحاجة إلى شيء من الصبر والتأمل والمتابعة ثم فرز البحوث المتشابكة بطي المراحل المتعددة؛ وذلك لأن الكلام الوارد في الخراساني مصاحب لعدة كلمات واصطلاحات يحكي كل واحد منها عن أحداث لها دور في ما نرمي إليه ونقصده من وراء البحث في علائم الظهور بصورة عامة، وفي الخراساني بصورة خاصة.

فمن تلك الكلمات والاصطلاحات أهل المشرق والشرق وما يحدث فيه من الانطلاقات الهامة التي تختم بحدوث تغييرات عملاقة تشمل منطقة الشرق الأوسط، بل المناطق الإسلامية جمعاء، كالتي حدثت عند خروج أبي مسلم الخراساني على الحكم الأموي وأدّى إلى الإطاحة به ومجيء العباسيين الذين حكموا البلاد الإسلامية لعدة قرون.

واليوم نتحدث عن انطلاقة أُخرى من جهة الشرق تمهّد في المرحلة الأولى لتغيير أعمق ومتفاوت مع تلك الانطلاقة السابقة، ولعل تفاوتها هو التفاوت بين الباطل والحق المتمثل في منقذ البشرية ذاك الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، تبدأ بالتمهيد له والتوطئة الإعلامية ويعقبها التحركات العسكرية التي تشمل العراق والشام وحتى بيت المقدس، ومن ثم المشاركة الأكبر في تأسيس دولة المهدي المنتظر عليه السلام التي هي الأخرى تشمل منطقة الشرق الأوسط بالمرحلة الأولى، ثم تتسع لتشمل العالم أجمع.

والاصطلاح الآخر هو الرايات السود التي هي علامة تتميز بها حركة الخراساني وأهل الشرق وصفتها المشخصة لها، فهو اصطلاح آخر كان له الدور في الحركة الأولى وله دور في الحركة الثانية، للخبر الذي يرويه جميع الفرق الإسلامية: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء و...» يأتي الكلام عنها.

والمصطلح الثالث هو خراسان الوارد في الأخبار التي تركّز وتؤكد على الحركة الخراسانية من بين تحركات أهل المشرق وجميع حوادث الشرق الكبير الذي لا ينحصر بخراسان مهما عظمت وشملت للكثير من أرض المشرق بحسب المصطلح عليه في ذلك الزمان.

والمصطلح الرابع هو الهاشمي الخارج من المشرق الذي يقاتل السفياني ويلتقي بالمهدي عليه السلام.

والمصطلح الخامس هو الحسني المنعوت بالجمال والقوة يخرج من نحو الديلم يقاتل السفياني ويسلمها للمهدي المنتظر عليه السلام بعد مناظرة ودلائل يطلبها منه.

والمصطلح السادس هو الحسيني الخارج من ناحية المشرق.

والأخير هو شعيب بن صالح الذي يكون خروجه إحدى علائم الظهور المستقلة، لما لخروجه من الأهمية البالغة بحيث تتمحور عليه تحركات المهدي عليه السلام ومن سبقه من الخارجين من المشرق.

ونحن نحاول إفراز البحث عن كل واحد من تلك المصطلحات مع بيان المشتركات التي تؤدي إلى التطابق، أو الفوارق التي تؤدي إلى الاختلاف وعدم التطابق.

والأهم من ذلك التمييز بين ما يرتبط بحركة العباسيين وبين ما يرتبط بحركة الهاشميين الطالبيين الخارجين في الشرق قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام

وبين حركتهم بقيادة شعيب بن صالح المتاخمة لظهور الإمام المهدي عليه السلام والتي تنتهي بتسليمه القدرة والنزول على حكمه، مما يدخل في عملنا الشاق عند الجمع بين شتات الأخبار الواردة في حركة الخراساني.

أهل المشرق والرايات السود:

تكرر ذكر أهل المشرق في الأخبار التي تعكس تحركاتهم وحضورهم الفاعل في الساحة السياسية قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وإن كان التحقيق عدم إرادة طائفة معينة أو بلاد خاصة فهي في الغالب تعني أهل خراسان وإيران عامة، وقد تعني أهل العراق أو من في العراق من القوات المجتمعة فيه، وحتى قد تعني أهل مشرق الأرض.

فمن الروايات التي يراد بها أهل خراسان أو إيران الحالية المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: **«تجيء رايات سود من قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم ولو حبواً على الثلج»**[1].

ورواه ابن ماجة بنحو آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم»**[2].

ومعلوم أن الرايات السود هي رايات الخراسانيين كما سيأتي.

ويؤكد إرادة أهل خراسان رواية حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال بعد ذكر دخول السفياني الكوفة: **«فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سبي الكوفة ويقتلهم»**[3].

---

(١) بيان الشافعي: ٤٨٩.

(٢) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٧ ح ٤٠٨٤.

(٣) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

وشعيب هو قائد جيش الخراساني على ما سيأتي تفصيله، دلت هذه الرواية على اشتباكه مع جيش السفياني في العراق واستنقاذ سبي أهل الكوفة من يده، ومنه يعلم أن المراد من أهل المشرق في رواية ابن حماد عن ابن مسعود قال في الحديث: «السفياني بالعراق يقاتل أهل المشرق»[١] هم الخراسانيون.

ولكن هناك رواية أُخرى لا يعلم منها ذلك يرويها ابن حماد عن كعب قال فيها: «ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم ـ أهل المغرب ـ حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق»[٢]، لا يعلم المراد فيها من أهل المشرق هل هم الخراسانيون أو أهل العراق. وماذا يفعل الخراسانيون أو أهل العراق في الشام ستأتي الإشارة إلى ذلك في معرض الحديث عن الخراساني والسفياني.

وكذا الرواية التي يرويها ابن حماد أيضاً عن كعب قال فيها: «ويخرج بفلسطين رجل يظهر على من ناواه على يديه هلاك أهل المشرق يملك حمل امرأة، يخرج له ثلاث جيوش»[٣].

وسيأتي أن الذي يملك حمل امرأة ـ أي تسعة أشهر ـ هو السفياني، وكيف يكون المراد بأهل المشرق الذين يقتلهم السفياني هم الخراسانيون؛ لأن الروايات الأخرى تدل على أن أهل المشرق هم الذين يقتلون جيش السفياني إلا أن تكون معارك مختلفة أو يكون المراد خصوص أهل المشرق المتواجدين في الشام بقرينة ما رواه ابن حماد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيه: «يبعث السفياني على جيش العراق رجلاً من بني حارثة له غديرتان يقال

---

(١) كتاب الفتن: ٥٩.

(٢) كتاب الفتن: ٩١، وروى ابن حماد مثله عن محمد بن الحنفية في ص ٧١.

(٣) كتاب الفتن: ٧٧.

لـه نمـر بـن عباد رجلاً جسيماً على مقدمته رجل من قومه قصير أصلع عريض المنكـبين فـيقاتله مـن بالشـام من أهل المشرق وفي موضع يقال له الثنية وأهل حمـص في حـرب المشـرق وأنصـارهم وبها يومئذ جند عظيم تقاتلهم فيما يلي دمشـق كـل ذلـك يهزمهم، ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفياني ويلتقون وأهـل المشـرق في موضـع يقـال له المديـن مما يلي شرق حمص فيقتل بها نيف وسـبعون ألفـاً ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق، ثم تكون الدبرة عليهم، ويسير الجيش الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة...»[1].

ومهمـا يكن من ذلك فإن صح هذا الحديث فمن العسير فهم المراد مـن أهل المشرق وهل هم أهل خراسان أو من عداهم، أو هي حروب في أزمنة متفاوتة تكون الغلبة فيها لأهل المشرق مرة وللسفياني أُخرى.

أردنـا بذلـك إعطـاء فكـرة كلية عن أهل المشرق المتكرّر ذكرهم في الأخـبار وبـيان أن المـراد منهم في الغالب هم أهل خراسان، نختمه برواية يـرويها ابن حماد عن كعب قال: «إذا ملك رجل الشام وآخر مصر، فاقتتل الشامي والمصري وسبا أهل الشام قبائل من مصر وأقبل رجل من المشرق بـرايات سـود صـغار قِـبل صـاحب الشـام فهـو الـذي يـؤدي الطاعة إلى المهدي»[2].

على أن نذكّر أخيراً على أن جميع الروايات الذاكرة لأهل الشرق مما لا نتحقق صحة أسنادها ولم يثبت عندنا شيء منها.

وأفضـلها سنداً ما رواه النعماني بسنده عن أبي خالد الكابلي عن أبـي جعفر عليه السلام أنه قال: «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونـه، ثـم يطلـبونه فـلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على

---

(١) كتاب الفتن: ٨١.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

عواتقهم، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»[1].

وفي طريقها الحسين بن موسى وهو ممن لم يثبت توثيقه ولا ورد فيه مدح في الجملة وإن روى عنه الثقات، فهي لا تثبت حكماً شرعياً.

والمهم أنها تحدثت عن قوم يخرجون بالمشرق يكون خروجهم بشكل مطالبة حق، بمعنى أنها ليست حركة عسكرية ولا مسلحة، بل هي حركة سلمية للمطالبة ببعض الحقوق المصادرة والمسحوقة، تتكرر وتطول، حتى تتخذ موقفاً معادياً، فيتحملون السلاح ويستعدون لخوض الحرب والاشتباكات العسكرية، فيعطون تلك الحقوق أو يوعدون بالإصلاحات فلا يقبلونه حتى يحصل القيام العارم بالأسلحة وغيرها ليمتد هذا القيام وهذه الحركة إلى ظهور القائم عليه السلام، لا يرضيهم شيء سوى تسليمها إلى القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

وأهم ما في هذا الحديث هو الحكم بأن قتلاهم شهداء، تعبيراً عن صحة تلك الحركة وصحة نوايا المقتولين فيها، ولكنه مفضول، والأفضل منه استبقاء النفس لصاحب الأمر كناية عن قرب عهده عندها، وإمكان درك زمانه وأيامه، كما أنها تعني عدم وجوب مواكبة ذلك التحرك، خصوصاً في مظان القتل.

ومعلوم أن حركة الخراساني الحسني القادمة ستكون امتداداً لهذه الحركة، لأنه هو الذي يدفعها إلى المهدي عليه السلام ويسلمها إليه من بين الخارجين من المشرق.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٣.

الحركة الخراسانية بصورة عامة:

أصل الحركة الخراسانية وتحرك أهل خراسان مذكور في الأخبار المتعددة على أنها حركة ثانية ترتبط بظهور القائم المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد حركتهم الأولى التي انتهت بتأسيس دولة بني العباس الظلمة الذين ملأوا البلاد ظلماً وجوراً، وإن كانت هي نهاية لحكومة الأمويين الجبابرة، فهذه الحركة الخراسانية الأخرى ستجابه الحركة الأموية الشامية بقيادة السفياني تنزع منه الملك لتسلمه إلى أهله من آل بيت الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

يدل على أصل خروجهم الثاني الرواية المعروفة التي يرويها محمد بن الحنفية قال: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل ببيت المقدس ويوطئ للمهدي سلطانه»[1].

فأول ما يهمنا في هذا المقام هو أصل الخروج والتغلّب على خراسان نفسها وإقامة دولة تحمل الفكرة المهدوية وتكنّ العداء للحركة الأموية، وتتجهّز شيئاً فشيئاً لخوض غمار الحروب الضارية.

يدل على احتمالهم لتلك الفكرة والقيام بالدعوة لها الرواية التي يرويها ابن حماد عن أرطأة قال: «ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي»[2].

ويدل على تجهيزهم الجيوش وتحركهم العسكري على أنه علامة على ظهور المهدي المنتظر عليه السلام ما جاء في الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام المسماة بالتطنجية قال فيها: «إذا صاح الناقوس وكبس الكابوس ـ إلى أن قال ـ وتحركت عساكر خراسان، ونبع شعيب بن صالح التميمي من بطن

---

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ١٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤.

الطالقان و... فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور...»[1] مما يدل على أن جيش خراسان جيش عظيم بل هو جيوش وعساكر جرارة؛ وإن كانت في بدايتها حركة ضعيفة لا ينظر إليها ولكنها ستحقق انتصارات حاسمة وتتعاظم شيئاً فشيئاً كما دل على ذلك الخبر الذي يرويه ابن حماد عن ربيعة بن سيف تبيع قال: «تخرج الرايات السود من خراسان معهم قوم ضعفاء يجتمعون يؤيدهم الله بنصره»[2].

حتى أن رواية ابن الحنفية دلت على أنهم يهزمون جيش السفياني المعروف بالقسوة والشدة، بل إن بعض الأخبار تدل على زحفهم المتواصل وعدم توقفهم حتى يبلغوا تخوم الشام، ففي رواية يرويها ابن حماد عن عمرو ابن مرة الجملي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لتخرجن من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين بيت لهيا وحرستا»[3].

---

(١) مشارق البرسي: ١٦٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٨٩.

(٣) كتاب الفتن: ١٩٠.

أسماء الخراساني

هناك أربعة أسماء مذكورة في الأخبار وهي تحمل معنى رجل من آل البيت عليهم السلام يخرج من المشرق أو خراسان أو الطالقان أو قم أو قزوين أو الديلم بما يعني إيران الحالية وأطرافها، وهي: الخراساني والهاشمي والحسني والحسيني، وقد يقارن هذه الأسماء عبارة الرايات السود التي تحث الأخبار على إتيانها ولو حبواً على الثلج إذا ظهرت، وأن فيها المهدي عليه السلام أو فيهم من أصحاب المهدي عليه السلام، كما يذكر البعض منها صحبة قائد عظيم اسمه شعيب بن صالح.

والمهم أولاً معرفة أن هذه الأسماء هل هي أسماء متعددة لرجل واحد وشخصية فاردة، أو هي أسماء لأشخاص مختلفين متزامنين أو غير متزامنين، وما هي ماهية هذه الحركة وحقيقتها.

ونحن ندرس صفات وحركات كل اسم ثم نجمع بينها:

الخراساني:

هو الخارج من منطقة خراسان التي هي بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، ومن أمهات بلادها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان وسرخس وما تخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون وتشمل خوارزم وآمل وبخارى وسمرقند فجميع ذلك وما والاه كان مضموماً إلى خراسان في زمان صدور الأخبار فهي تعني أكثر دولة إيران وأفغانستان وبعض بلاد القفقاز.

ومن ذلك يعلم إذا نسب الشخص في الأخبار إلى خراسان في رواية، وفي أخرى إلى الطالقان أو مرو أو سمرقند لا يكون هناك تنافي.

ومهما يكن من ذلك فقد دلت الأخبار على ظهور هذه الشخصية

واستلامه السلطة أولاً، يلي ذلك التهيؤ لخوض المعارك الحاسمة.

منها ما رواه النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «لابد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق، وهذا من المغرب...»[(١)].

وروى الفضل، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمد الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد...»[(٢)]، والسند معتبر على ما يبدو، فيكون أصل خروج الخراساني ثابتاً.

كما جاء في بعض الأخبار أن حركة الخراساني وخروجه هي علامة على خروج المهدي عليه السلام وإن كانت الرواية المارة الدالة على خروج الثلاثة في وقت واحد كافية في الدلالة على كون خروج الخراساني علامة على ظهور المهدي عليه السلام، لمسلّمية كون السفياني واليماني علامة على ما سيأتي في محله، ولكن مع ذلك وقع التصريح بذلك في بعض الأخبار.

كالذي يرويه النعماني بسنده عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قلت له: متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمد إنّا أهل بيت لا نوقّت، وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: **كذب الوقاتون**، يا أبا محمد إن قدّام هذا الأمر علامات أُولاهن النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية وخسف بالبيداء»[(٣)]، إذ دلّ على أن خروج الخراساني من الخمس العلامات على خروج القائم، غير أن

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٩، وفي طريقه الحسن بن علي بن أبي حمزة وهو لا يُعمد عليه.

(٢) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦ ح١٧، ورواه أيضاً الشيخ في كتاب الغيبة: ٤٤٦ ح ٤٤٣.

(٣) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٨٩ ح٦.

الرواية ضعيفة السند بعلي بن أبي حمزة، ومضطربة المتن لأنه ذكر أُولى العلامات ولم يذكر الثانية والثالثة، أي لم يقل ثانيهن، ولكن بينا كفاية الرواية المارة المعتبرة سنداً في الدلالة على ذلك.

وهناك قرائن وشواهد أُخرى يمكن استفادتها من الأخبار تدل على أن خروج الخراساني من علامات ظهور المهدي كالرواية التي تعدّ شعيب بن صالح قائد قوات الخراساني من العلامات كما سيأتي.

صفات الخراساني:

الأخبار الواردة في صفات الخراساني وخصائصه قليلة جداً، نعم روى ابن حماد بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قل: «يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم»[1].

فأول صفة مهمة للخراساني دل عليها هذا الخبر هو انتسابه إلى بني هاشم الأمر الذي سيأتي له مؤيدات بل أدلة.

وثاني صفاته المهمة خروجه برايات سود مهما كان المراد منها فهو مذكور في الأخبار الكثيرة كعلامة مشخّصة لرايات الخراسانيين الأولى والثانية المأمور بإتيانها ولو حبواً على الثلج أو أن فيها الخليفة المهدي عليه السلام.

وثالث صفاته المهمة خروج شعيب بن صالح معه أو يكون قائداً لقواته، فهي أهم العلامات الثلاث التي ينفع جميعها في بيان اتحاد العناوين التالية أعني الهاشمي والحسني وغيرهما.

ثم إن هذه الرواية ذكرت الخال التي بيده كعلامة مشخّصة له تميزه عن غيره من الخارجين من خراسان، غير أن هذه العلامة ليست بتلك الأهمية

---

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

لتواجدها في الكثيرين.

وفي رواية أُخرى يرويها ابن حماد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يلتقي السفياني والرايات السود، فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه»[١]، فهذه تدل على أن هناك خالاً في كفه اليسرى بعدما دلت الرواية الأولى أن هناك خالاً في يده اليمنى، ولعل له خالان إحداهما في كفه اليمنى والأخرى في اليسرى ولا يكون بين الروايتين تعارض، وإن استشعرنا ذلك بل فهمناه بعض الشيء.

وقد يرتفع هذا التنافي بملاحظة رواية ابن حماد الثالثة يرويها بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفياني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم، يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه»[٢]، مع الالتفات إلى أن كلمة كفه وكلمة كتفه متقاربة في الكتابة يحتمل معها التصحيف فلو كانت بدل كلمة كفّه في الرواية السابقة كلمة كتفه كان أبعد من التعارض والتنافي، ويكون له شامتان واحدة في كفه اليمنى والأخرى في كتفه اليسرى، كما يمكن أن تكون الروايات على حالها ويكون له ثلاث شامات واحدة في كفه اليمنى والأخرى في كفه اليسرى والثالثة في كتفه اليسرى، فهو كثير الشامات على ما يبدو.

والأهم من جميع ذلك الذي تشترك فيه الروايات الثلاثة المارة كعلامة مميزة له ممن سواه وهو قتاله السفياني، ولكن قد تفقد هذه العلامة بعض الأهمية في مجال إثبات اتحاد العناوين الأربعة وعدمها بعد الإلمام بقتال السفياني لكثيرين.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

حركة الخراساني:

الخراساني كما هو معلوم من اسمه من أهل خراسان وبالطبع سيكون خروجه منها، بل من أقاصيها على ما جاء في بعض الأخبار.

فقد روى ابن حماد «أن السفياني يبعث خيله وجنوده فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ويكون بينهم وقعات في غير موضع فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم، وهم يومئذٍ في آخر الشرق، فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم...»[1].

فهي وإن تضمنت لمواضيع عديدة منها بلوغ جند السفياني عامة المشرق أو يبلغ خبره دون جيشه على الأظهر، ويكون بينه وبين أهل المشرق وقعات وحروب ولكن الذي يهمّنا هنا هو وقوع بيعة الخراساني في آخر الشرق وإن كان تحديده غير ميسور بعد ما عرفنا أن خراسان كانت تشمل مما يلي الهند من افغانستان وما والاها من الدول، ولكن الأظهر إرادة خراسان المعروفة بهذا الاسم اليوم وبعد اليوم لأن هذه الأخبار إنما تنفع من تاخم زمانه زمان القائم عليه السلام مع أنها القدر المتيقن؛ لأنها المنطقة التي يطلق عليها اسم خراسان في زمان النبي صلى الله عليه وآله وزماننا، وإن كانت في زمان النبي صلى الله عليه وآله تشمل غيرها من البلاد، خصوصاً مع الالتفات إلى أن الشرق كان يطلق على نجد، وإذا بالغ القائل أراد العراق، فيكون الأقصى هو أرض خراسان الحالية، مع أننا لا نمانع من إرادة مثل أفغانستان خصوصاً المناطق الشيعية منها.

فلو صحت هذه الرواية لدلت على خروج الخراساني من خراسان وخصوص الشرق منها وإنما تكون البيعة هناك.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

على أنها بيعة اضطرارية بعد حصول المضايقة والملاحقة من جيوش السفياني، فتكون مبايعة الهاشمي من أجل توحيد الصفوف وقتال السفياني ودفع شرّه، أو لأجل التخوف منه فقط من دون أن يصل إليهم أو يوصل إليهم أقل أذى، أو يكون تحركهم مجرد فزعة لأهل العراق الذين يفعل بهم السفياني الأفاعيل، فتزحف عساكر خراسان باتجاه العراق ويكون محل الالتقاء الحاسم هو اصطخر.

وهناك معارك أُخرى قبل معركة اصطخر كما جاء في بعض الأخبار التي منها ما رواه ابن حماد بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يبث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فزعة من وراء النهر من أهل خراسان فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم، فإذا بلغه ذلك بعث جيشاً عظيماً إلى اصطخر عليهم رجل من بني أمية فتكون لهم وقعة بقومس، ووقعة بدولات الري، ووقعة بتخوم زرع، فعند ذلك يأمر السفياني بقتل أهل الكوفة وأهل المدينة، وعند ذلك تقبل الرايات السود على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال يسهّل الله أمره وطريقه، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر، فتكون ملحمة عظيمة...»[1].

وهذه الرواية وإن كانت مضطربة المتن، غير أنها تفرّدت بتفصيل دخول السفياني أرض إيران ووقوع معارك في مركزها وحتى أقاصيها مع قوات محلية ثم تكون المعركة الحاسمة في اصطخر مع الخراساني وجيشه بقيادة شعيب بن صالح.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٦.

والمقصود من اضطرابها هو ذكرها دخول السفياني الكوفة وبغداد الموصوف كما سيأتي بالقسوة والشدة من يوم دخوله، بينما المستفاد من هذا الخبر أنّ الأمر بقتل أهل الكوفة بعد بثه الجنود ودخوله أرض إيران وحصول المعارك بقومس ودولات الري وتخوم زرع، وقومس هي منطقة دامغان، ودولات الري هي قرية من قراه، فهذا هو العمق الإيراني، بينما المستفاد من سائر الأخبار عدم تجاوزه حدود العراق وحتى عدم وصوله البصرة.

وكذا ما جاء في أولها «فيبلغه فزعة من وراء النهر من أهل خراسان فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم» فإن الفزعة تعني الإغاثة والنجدة أو الالتجاء من وراء النهر الذي دلت هذه الرواية على إرادة خراسان منه، فتكون الفزعة لأهل العراق من أهل خراسان.

ولكن يبقى تعيين المقتول من أهل المشرق هل هم أهل خراسان أو أهل العراق الذين هم شرق الشام فالأقوى إرادة أهل خراسان لأنه يذكر بعدها الأمر بقتل أهل بغداد والكوفة، على أن كلمة جهم تعني الغلظة والشدّة.

والأولى إرادة الفزعة من أهل خراسان أو أهل المشرق المتواجدين في الشام أيام ظهور السفياني لأي سبب كان، فيقاتلهم ويقتل منهم الكثير ثم يدخل العراق ويأمر بقتل أهل بغداد والكوفة.

والمحصل أن الجمع بين أول هذه الرواية وآخرها مما يحتاج إلى مؤونة زائدة وقرائن خارجية وإلا فهي تبدو مضطربة متهافتة ولا تستحق كل ذلك الكلام لضعف سندها ومخالفة باقي الأخبار لها، وإن اتفقت مع غيرها في بعض الأمور كمعركة اصطخر الحاسمة غير أنها اختلفت معها مرة أخرى بذكر المعارك بعد معركة اصطخر حيث جاء فيها بعد ذكر معركة اصطخر: «ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتي الري، وفي عاقرقوفا وقعة

صيلمية يخبر عنها كل ناج، ثم يكون ذبح عظيم ببابل، ووقعة في أرض نصيبين، ثم يخرج على الأخوص قوم من سوادهم، وهم العصب، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان»[1].

مما يدل على عدم حسم الموقف في اصطخر، ويكون أوّل انكسار لجيش السفياني، يليه تراجع وانكسارات متوالية كانكساره في المدائن التي هي داخل العراق وعاقرقوفا التي في شمال العراق وفي بابل ذبح عظيم وأخيرها في أرض نصيبين التي هي من أرض الشام، وإنما تبدأ الانكسارات بعد حضور الإمام المهدي عليه السلام في اصطخر الذي هو أول لقاء له بجيش الخراساني وأول معاركه مع السفياني حسب ما جاء في الرواية.

ولو صحت هذه الرواية لدلت على تشكيل السفياني لامبراطورية عظيمة تشمل الشام برمته والعراق وإيران والحجاز.

فلابد من مطالعة باقي الأخبار ومعرفة مدى صحة هذا الخبر.

روى الطبري عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام طويل مفصل: «**إذا خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم، ويخرج جيش آخر من جيوش السفياني إلى المدينة**»[2].

فهي تفرض حصول الاشتباك الأول داخل العراق ذاك الاشتباك الذي يتلخص بتخليص الأسرى الذين وقعوا بيد جيش السفياني ولم تتحدث

---

(١) تتمة الرواية في كتاب الفتن: ٨٦.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

عن حصول اشتباك في إيران.

فإذا قيل بأن تلك الرواية مفصلة وهذه غير مفصلة ولا تنافي بينهما؛ فإنا سنردف الأخيرة بالرواية التي يرويها النعماني بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «لابد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من ههنا وهذا من ههنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما أنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً»[1].

والاستباق إلى الكوفة لا يتلائم مع وقوع تلك المعارك داخل الأراضي الإيرانية التي تبدأ من تخوم خراسان إلى دامغان إلى الري إلى اصطخر يزد وما حولها ثم المدائن وعاقرقوفا ونصيبين، فليس هذا استباق إلى الكوفة فضلاً عن الاستباق كفرسي رهان.

وأوضح من جميع ذلك الرواية المعتبرة المروية بعدة طرق عن أبي جعفر عليه السلام التي أولها: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات» جاء فيها: «ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طيّاً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير الجيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة...»[2].

فإن طيّ المنازل طياً حثيثاً لا يجتمع مع وقوع المعارك الضارية كمعركة اصطخر وغيرها، وهي تدل بوضوح على انتهاء غائلة السفياني في العراق وتوجهه إلى المدينة بعد ذلك.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٩.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩.

معركة اصطخر :

تحدثت بعض الأخبار العامية عن وقوع معركة ضارية في اصطخر التي هي منطقة من بلاد فارس تشمل مدينة يزد؛ تكون بين الهاشمي من خراسان وبين السفياني الأموي تتصف بالشدة والضراوة، وذلك أن السفياني يبعث الجيش إلى اصطخر بعدما يجد مقاومة محلية في قومس التي تعني دامغان والري التي هي متصلة بطهران وتخوم زرع.

عند ذلك تقبل الرايات السود ويكون لهم وقعة أولى في تخوم خراسان على أن يكون اللقاء الحاسم في اصطخر.

ونحن بصدد إثبات أصل معركة اصطخر، وذكر الأخبار الدالة على ذلك وهي متعددة، ثم الخوض في بعض تفاصيلها.

فقد روى ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب اصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»[1].

الرواية تتحدث عن وقعة عظيمة كناية عن كثرة أعداد الجيوش المتحاربة والأسلحة المدمرة التي أول حصيلة لها هي كثرة القتلى والجرحى في باب كورة اصطخر ومدخلها.

وقد فصلت رواية ابن حماد الأخرى بعض التفصيل، لأن فيها: «ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر، فتكون بينهما ملحمة عظيمة حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرصاغها، ثم تأتيه

---

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ١٩٢، كنز العمال ١٤: ٥٩٠.

جنود من سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده»[1].

أضافت الرواية مسير الهاشمي والخراساني إلى الري، وبعثه شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي ويلحق هو به ليلتقي هو وشعيب مع المهدي عليه السلام في مدينة بيضاء التي هي من مدن كورة اصطخر، ثم تكون المعركة العظيمة التي تسيل فيها الدماء وتطأ الخيل والآليات العسكرية الدماء إلى أرصاغها التي هي لغة في الأرساغ بمعنى الموضع المستدق الذي بين الحافر وموصل الوظيف من اليد أو الرجل[2]، وهو كناية عن كثرة القتلى يحدث ذلك من دون تحقيق أي نصر حتى يأتي المدد من سجستان بقيادة رجل من بني عدي يكون وصولهم واشتراكهم في المعركة هو اللحظة الحاسمة التي ينكسر فيها جيش السفياني انكسارة عظمى تذهب معها هيمنته وسلطته فتأخذ المدن والبلدان الأخرى بالتحرر من تحت سيطرته كما جاء في آخر رواية ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال بعد ذكر معركة اصطخر: «ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتي الري، وفي عاقرقوفا وقعة صيلمية يخبر عنها كل ناج...».

ومع كل ذلك بين تصديق هذين الخبرين، وبين طرحهما وقفة للمتأمل توقفه القرائن المحتشدة من الطرفين ومفاد الأخبار التي تخبر عن حصول معركة بين الخراساني والسفياني في الجملة ينهزم فيها جيش السفياني وبين الأخبار التي تحصر عمل الخراساني في دخول العراق بالقهر والغلبة ليستخلص الأُسراء والسبايا الذين وقعوا بأيدي السفياني أو تكون الممهدة لذلك فقط، ويكون المباشرون هم جيش العصب الذين يخرجون من الكوفة والبصرة.

---

(١) كتاب الفتن: ١٩٢، وفي طبعة أُخرى ص ٨٦.

(٢) انظر الصحاح ٤: ١٣١٩، مجمع البحرين ٢: ١٧٦.

فمن الأول رواية ابن حماد عن ضمرة بن حبيب وصاحبيه المتقدمة، جاء فيها: فيلتقي - يعني شعيب بن صالح - هو وخيل السفياني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفياني ويهرب الهاشمي...»[١]، مما يدل على وقوع معارك ضارية يتناوبون فيها النصر، وليس الأمر مجرد استخلاص أسرى وسباء.

ويؤيده رواية ابن حماد الأُخرى عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم»[٢] حيث دلت على حدوث قتال نهايته هي هزيمة جيش السفياني، وكذا روايته الثالثة عن علي عليه السلام قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفياني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه»[٣].

ومن الطائفة الثانية رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله جاء فيها بعد ذكر انحدار جيش السفياني إلى الكوفة: «**فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم**»[٤]، حيث حصرت مهمة الخراساني في دخول العراق واستنقاذ سبي أهل الكوفة من يد السفياني وجيشه وقتلهم بحيث يستفاد منها فقدان التوازن بين القوى وإنما يدخل شعيب بالقهر والغلبة ليعبث بجيش السفياني كيف أراد.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤.

(٣) كتاب الفتن: ٨٥.

(٤) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

ورواية ابن حماد عن محمد بن الحنفية المعروفة قال فيها: «ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أوصالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس»[١].

فهو مجرد إرعاب وهزيمة من دون أن يكون قتال، خصوصاً وفي بعض الأخبار القادمة التي تتحدث عن شعيب أنه لا يلقى أحداً إلا فلّه بمعنى ضربه وهزمه.

الهاشمي والخراساني:

الاسم الآخر المطروح في الأخبار هو الهاشمي، وإن كان هذا لقب كل من ينتسب إلى هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ، ولكن إذا ورد في روايات علامات الظهور يراد به الخراساني الذي تقدم بقرائن عديدة تأتي تصاحب ذكره.

ولم يذكر على إطلاقه في شيء من الأخبار فقد قيده بالخروج من المشرق في رواية ابن حماد التي يرويها عن أبي قبيل قال: «يبعث السفياني جيشاً إلى المدينة، فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالى، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق، يقول ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلا من قبلهم»[٢].

فهذا الهاشمي الذي يتحدث عنه في هذا الخبر يشترك مع الخراساني في الخروج من المشرق وقتال السفياني وقتل أصحابه.

وتقيده الرواية الأخرى التي يرويها ابن حماد عن علي عليه السلام بقيود

---

(١) كتان الفتن: ١٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٩.

كثيرة قال: «إذا خرجت خيل السفياني بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهـل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شـعيب بـن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب اصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة...»[١].

وكل هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الخبر من التقييد بالخروج من خراسـان في طلـب المهدي والرايات السود وشعيب بن صالح وقتال السفياني بباب اصطخر كلها أوصاف الخراساني، فلا شك أن المراد بهذا الهاشمي هو الخراساني الذي ذكرنا أنه من بني هاشم.

وفي روايـة ثالثة لابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قل: «يبث السفياني جنوده في الآفـاق ـ إلى أن قـال ـ ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجلاً من بني تميم مـن الموالـي يقـال له شـعيب بـن صـالح إلى اصـطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر...»[٢]، فهي صفات الخراساني وأعماله.

هذا عن اسم الهاشمي وأما التعبير عن رجل من بني هاشم في الأخبار فقـد يراد به المهدي نفسه بقرينة قوله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أو غيرها، وبين أن يراد به الخراساني الهاشمي وهو الغالب، كمقارنة ذكره في الأخبار مع أوصاف الخراساني وتحركاته وخصوصاً شعيب بن صالح سنتعرض لهذه الأخبار عند الخوض في تفصيل تحركات الخراساني.

ولا يبعد أن يكون المراد منه الخراساني حتى في مثل الرواية القائلة: «ينزل رجل من بني هاشم بيت المقدس حرسه اثنا عشر ألفاً»[٣] لما دل على أن الخراساني أو رايته تنصب في إيلياء القدس.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٩٢، وفي طبعة أخرى ص٨٦.

(٣) كتاب الفتن: ١٠٦ عن كعب.

الحسني والخراساني:

بعدما عرفنا أن الخارج في خراسان من بني هاشم لكن لم نتعرف على أنه من أي بني هاشم، وهل هو حسني أو حسيني أو غير ذلك، خصوصاً وقد جاءت أخبار عن خروج الحسني من المشرق أيضاً تتفاوت بعض صفاته ومحل خروجه ويتفق بعض أعماله وأحواله مع الخراساني ناسب البحث عنه بشكل مستقل ثم البت في التطابق وعدمه.

فقد جاء في رواية المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام بعد ذكر الزوراء وما يحدث فيها من الفتن والخراب والدمار حتى يمر المار فيقول ههنا كانت الزوراء قال المفضل: ثم ماذا يا سيدي؟ قال: «ثم يخرج الحسني الفتى الصبيح من نحو الديلم يصيح بصوت فصيح يا آل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوزاً وأي كنوز ليست من فضة ولا من ذهب بل هي رجال كزبر الحديد كأني أنظر إليهم على البراذين الشهب في أيديهم الحراب يتعاوون شوقاً للحرب كما تتعاوى الذئاب، أميرهم رجل من تميم يقال له شعيب بن صالح، فيقبل الحسني إليهم وجهه كدارة البدر يريع الناس جمالاً أنيقاً، فيعفي على أثر الظلمة، فيأخذ بسيفه الكبير والصغير، والعظيم والوضيع، ثم يسير بتلك الرايات كلها حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض فيجعلها معقلاً، ويتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام فيقولون: يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا. فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد، والله ويعلم أنه المهدي، وأنه يعرفه، وأنه لم يرد بذلك الأمر إلا له، فيخرج الحسني في أمر عظيم بين يديه أربعة آلاف رجل وفي أعناقهم المصاحف وعلى ظهورهم المسوح الشعر يقال لهم الزيدية، فيقبل الحسني حتى ينزل بالقرب من المهدي، ثم يقول الرجل لأصحابه اسألوا عن هذا الرجل من هو وما يريد، فيخرج بعض أصحاب الحسني إلى عسكر المهدي عليه السلام، ويقول:

يا أيها العسكر الجميل من أنتم حيّاكم الله، ومن صاحبكم هذا، وما تريدون؟ فيقول: أصحاب المهدي عليه السلام: هذا ولي الله مهدي آل محمد، ونحن أنصاره من الملائكة والإنس والجن، فيقول: أصحاب الحسني: يا سيدنا ما تسمع ما يقول هؤلاء في صاحبهم. فيقول الحسني: خلوا بيني وبين القوم فأنا أتي على هذا حتى انظر وينظروا، فيخرج الحسني من عسكره، ويخرج المهدي عليه السلام ويقفان بين العسكرين، فيقول له الحسني: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب وفرسه اليربوع، وناقته العضباء، وبغلته الدلدل وحماره اليعفور ونجيبه البراق، وتاجه السني والمصحف الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير تبديل ولا تغيير. فيحضر له السفط الذي فيه جميع ما طلبه.

قال المفضل: يا سيدي فهذا كله في السفط! قال: يا مفضل وتركات جميع النبيين حتى عصاة آدم وآلة نوح وتركه هود وصالح، ومجمع إبراهيم، وصاع يوسف، ومكائيل شعيب وميراثه، وعصا موسى وتابوته الذي فيه بقية مما ترك آل موسى، وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داوود وعصاته، وخاتم سليمان وتاجه، وانجيل عيسى، وميراث النبيين والمرسلين في ذلك السفط.

فيقول الحسني: هذا بعض ما قد رأيت وأنا أسألك أن تغرس هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصفا وتسأل الله أن ينبتها فيها، وهو لا يريد بذلك إلا أن يري أصحابه فضل المهدي إليه التسليم حتى يطيعوه ويبايعوه، فيأخذ المهدي الهراوة بيده ويغرسها في الحجر فتنبت فيه، وتعلو وتورق حتى تظل عسكر المهدي والحسني. فيقول الحسني: الله أكبر مد يدك يا ابن رسول الله حتى أبايعك، فيمد يده فيبايعه، ويبايعه سائر عسكر الحسني إلا الأربعة آلاف أصحاب المصاحف والمسوح الشعر، المعروفين بالزيدية، فيقولون: ما هذا إلا سحر عظيم، فتختلط العسكران ويقبل المهدي عليه السلام على

الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعهم ثلاثة أيام، فلم يزدادوا إلا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم، كأني أنظر إليهم وقد ذبحوا على مصاحفهم، وتمرغوا بدمائهم، فيقبل بعض أصحاب المهدي لأخذ تلك المصاحف فيقول لهم المهدي عليه السلام: دعوها تكون عليهم حسرة كما بدّلوها وغيروها ولم يعملوا بما فيها»[1].

إن رواة هذه الرواية وغيرها من روايات المفضّل بن عمر يتهمون بالغلو والكفر والإيمان بربوبية الأئمة عليهم السلام ويرون أنفسهم رسلاً لهم وأنبياء وغير ذلك من التهم التي هي عادة أهل العراق وخصوصاً أهل الكوفة من المبالغة في الطعن والتنقيص حتى أن الشخص إذا روى رواية واحدة مما لا تحتمله عقولهم قالوا: هذا كافر يقول بربوبية الأئمة، ولو شاهدوا التقدم العلمي اليوم بحيث يمكن الاتصال بجميع بقاع العالم ورؤية أهل المشرق والمغرب عبر الوسائل الحديثة ما رموا أحداً بالغلو، ولأذعنوا بإمكان ما يروى وينقل من قدرات النبي والأئمة عليهم السلام لما يمتلكونه من روح القدس التي يستطيع أن يحيط من خلالها بجميع ما يحدث في الأرض بل ينال ما أراد.

ومهما يكن من ذلك فإن هذه الرواية وروايات المفضل الأخرى تحتشد فيها من العلوم التي تصدقها العلوم الحديثة بحيث يذعن من له أقل اطلاع بصدورها من إمام معصوم ومن هو فوق مستوى البشر، وكذا إخباراتها عما يحدث في المستقبل وقد تحقق الكثير منها خصوصاً الفتن التي تكون في الزوراء وما يحل بها من الدمار والقتل والسلب والنهب من يوم دخول هولاكو إلى يومنا هذا وبعد اليوم كما تنذر به الأحداث.

فلا يسعني رد هذه الرواية بالكلية وإن أمكن المناقشة في بعض بنودها وتفاصيلها بعد استعراض أكثر ما فيها وفتح بعض مغالقه.

فإن الحديث الذي يخصنا منها هو حديث الحسني التي وصفته هذه

---

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٠٣، مختصر بصائر الدرجات: ١٩٠.

الـرواية بعـد مـا نصت على أنه حسني بأنه «فتى»، والفتى كما ذكرنا في كتاب الأسمـاء يقـال لمن يقوم بعمل تغييري عظيم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا الفتى ابـن الفـتى أخـو الفتى» عنى بذلك نفسه الشريفه، وأباه إبراهيم عليه السلام الذي كسـر الأصـنام وحـاج الملـوك، وأخـاه أمـير المؤمنين حينما نادى المنادي لا فتى....

فالحسـني هـو الفـتى الـذي يقـوم بعمـل تغييري عظيم يتمثل بالتمهيد والتمكين لآل محمد عليهم السلام وللحجة المنتظر عليه السلام وغير ذلك كما سنعرض له.

والصـفة الثانية أنه صبيح جميل الوجه مما يدل على أن جماله بمرتبة عالية حـتى كان له صفة مشخصة بحيث أن الرواية تصفه بأنه كدارة البدر يريع الناس جمالاً أنيقاً.

والصـفة الثالـثة أنـه فصـيح اللسان الدالة على أنه يتكلم بالعربية لأن الغالـب في اسـتعمال كـلمة الفصاحة في الكلام العربي وإن كان متصوراً بالنسبة لغـير العـربي، والأفضـل إرادة الفصـاحة في اللغـة العربية والفارسية بمعنى إجزال الكلمات والحروف وإخراجها من مخارجها الصحيحة.

وأما نداؤه يا آل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح قد يعني نفسـه، لأنـه متـلهّف لنصرة الحق وللإمام المهدي عليه السلام لما علم بظهوره أو شاهد علاماته.

والطالقـان هي مدينة قرب طهران باتجاه الحدود العراقية قد تجتمع فـيها القـوات كما قد يعني بها كل المنطقة بما فيها طهران التي تكتظ بالسكان الذيـن سـيكون بينهم شباب مؤمنون أقوياء في إيمانهم راسخ اعتقادهم بالمهدي المنتظر عليه السلام وبلزوم نصرته، تجيب ذلك النداء وتجتمع وتتهيأ له.

كما يمكن أن يكون المراد بالملهوف هو صاحب الأمر عليه السلام الذي طال انتظاره وقد حانت الفرصة لأخذ الثار ونشر العدل وهو ينادي من ضريح

الرسـول ﷺ قـبل انـتقاله إلى مكـة، وإن كـان الناس لا يعرفونه حينها. والمعنى الأول هو الأقرب، فيكون المراد بالضريح هو أشهر ضريح في إيران وأعرفه وهو ضريح الإمام الرضا عليه السلام وقد يكون غير ذلك.

وأمـا البراذين الشهب فهي في اللغة البغال القوية التي يغلب فيها البياض كما يحتمل إرادة لون الأرض لأن الشهباء تقال للأرض الخالية من الخضـرة، فهـي تتكلم عن براذين كلها بلون واحد لا يمكن تصوره إلا في الآلـيات العسكرية التي تصبغ بلون واحد مهما تطورت وتعقدت فهي في الغالب تكون كذلك.

والحراب كناية عن السلاح الذي يمسك باليد ويقتل على البعد لأن الحربة تُرمى، وإن كان خلاف الظاهر الذي يبدو ويظهر في الحربة المستعملة في تلـك الأزمـنة، لكـن القرائن والشواهد تصرفها عن ذلك الظهور لاستحالة تراجع العلم والتقدم العلمي على ما يبدو.

ويـزحف الحسـني مـن الطالقان نحو الكوفة وهو يقتل الظلمة سواء كان ذلك خلال قتال ومعارك دامية أو مجرد زحف عسكري لا يقاومه شيء يذكر.

والمهم وروده الكوفة وتكون معقله ومقرّه وقد صفا أكثر الأرض من الديلم والطالقان إلى الكوفة ولا أظن أن المراد جميع الأرض.

فبيـنا هو وأصحابه في الكوفة يقبل المهدي عليه السلام مع أصحابه إلى الكوفة ولكن لا بعنوان أنه المهدي عليه السلام.

يظهـر ذلـك من عدم معرفة أصحاب الحسني به وبحركته عليه السلام، بل كأنه سياسـي ظهـر على السلحة وصارت له جماعة وحركة يستولي عندها على مكة والمدينة ويتجه نحو الكوفة من دون تمهيد وإعلام.

عـندها يسأل جيش الحسني «يا ابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا» والحال أن الحسني يعلم أنه المهدي عليه السلام ويعرفه، فهو من الرموز

التي ينبغي حلها.

لعل معرفته تتصل بلقاء مسبق وتمهيد مخطط له قام به قائد القوات شعيب بن صالح الذي ذكرت الأخبار تحركاته واتصاله بالمهدي عليه السلام وخروجه معه من الكوفة عند إقبال جيش السفياني إليها وغير ذلك، ويكون جهل أصحاب الحسني به عليه السلام لأن دخوله الكوفة هذه المرة بعد خروجه الأول غير المعلن من مكة والمدينة.

كما ويحتمل معرفة الحسني بذلك من خلال وقوفه على أوضاع السياسة العالمية وكل ما يحدث ويدور في المنطقة، فلعله علم بأن هذا الخارج مما هو خارج عن تلك الحسابات والتمهيدات التي تدبرها القوى العظمى والمستعمرون بآخر قناع لهم.

مما يدل على أن حركة المهدي عليه السلام تكون غامضة في بادئ الأمر بحيث تخفى على المنتظرين، وإنما يعلمها أرباب السياسة.

وتكون بحد من الخفاء والالتباس لا يجليها إلا المعجزة والدلائل والشواهد التي يطلبها الحسني من الإمام من أجل اتضاح الأمر على أصحابه دونه، فيكون أول إعلان للظهور في الكوفة لأنه الشمس الطالعة من مغربها.

ويمكن أن تكون هذه الرواية التي نتحدث عنها هي المرشدة للحسني والمبينة له كيف يتصرف عندما يلتقي بالمهدي عليه السلام حتى يؤمن أصحابه ويعتقدون به.

ولما كان الشيعة الإمامية قد سمعوا الكثير عن معجزات الأئمة عليهم السلام لا يروعهم أن يروا العصا وهي تورق وتعظم حتى تغطي الجيشين بل هم ينتظرون ذلك ويرغبون في مشاهدته على خلاف الزيدية الذين هم كالعامة في هذا الجانب يكون مشاهدة ذلك لهم أكبر مفاجئة بحيث يعجزون عن تفسيرها ولا يرونها إلا سحراً، بينما يرى البعض أن المراد من الزيدية هم

الذيـن يحملون عقيدة الزيدية القائلة بإمامة كل من يخرج بالسيف من آل محمد وإن لم يكونوا زيدية بالاسم لعدم تواجدهم في إيران.

فلا يبقى سوى حكاية السفط الذي يخرج منه آثار رسول الله ﷺ وسائر الأنبـياء مـع أن الـسـفط شـيء صـغير يعـبى به الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، يعني كالحقيبة النسائية والمحفظة.

وأعجـب مـا في ذلـك تحدث هذه الرواية عن إخراج ناقة رسول الله وبغله وحماره اللواتي ماتت في زمانه أو بعده، فهو إلى الأسطورة أقرب منه إلى الحقـيقة فقـد يكون المراد إرائة صورة تلك الأشياء دون أعيانها كالذي نشـاهده الـيوم بواسطة الأقراص، وإن كنت لا استبعد استخراج الأعيان مـنه، فـإن العـلم يفعـل كـل شـيء، فـإذا كـان الإنسان القديم لا يصدق الطيران في الهواء والوصول إلى القمر ويراه مستحيلاً فإن تصديقه وعدمه لم يغير من الواقع شيئاً، والإمام يحمل من العلم ما لا يحمله البشر ـ رغم كل تقدمهم إلى يوم ظهوره ـ ولا معشار ما يحتمله.

على أن ذلك جميعه لا يهمنا التعرض له ولا فتح أبوابه بعدما عنونّا البحث في الحسني والخراساني ومدى اتحادهما وعدمه فهو من المعضلات، لأن الـرواية تذكـر خـروج الحسـني من نحو الديلم، والديلم تتردد بين أن تكـون جـيل مـن الـناس سموا بأرضهم وهم في جبال قرب جيلان كما في مراصد الاطلاع[1] وبين أن يكونوا هم الترك، والأول أعرف.

بيـنما الخراسـاني يخرج من خراسان وإن كانت خراسان بمعناها الواسع قد تشمل الديلم وجيلان، خصوصاً والرواية ذكرت أنه يخرج من نحو الديلم، أي على مقربة منه.

والذي ينفي الشك هو اتحاد القائد الذي يقود الجيش، أعني شعيب

---

(١) مراصد الاطلاع ٢: ٥٨١.

بن صالح فهو قائد قوات الخراساني وهو قائد قوات الحسني، وإن كان احتمال معاصرة شعيب لقائدين هما الخراساني والحسني موجوداً، ولكن الروايات لما ذكرت أن الخراساني يستبق إلى الكوفة هو والسفياني ويكون زمان الحسني هو زمان السفياني كما هو مستفاد من هذا الخبر، فلا محيص عن قبول الاتحاد، والالتزام بخروج الخراساني ثم استقراره قريباً من الديلم أينما كان.

فهي تدل على أن الخراساني هو حسني من أبناء الحسن عليه السلام، وليس من أبناء الحسين عليه السلام.

الحسني والحسيني :

جاء في بعض الأخبار اسم الحسيني فهل هو تصحيف الحسني أو أن الحسني تصحيف الحسيني، أو هما متغايران، ومن الذي يسلّمها للمهدي عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق في الحديث القدسي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر حديث المعراج وما أخبره الله سبحانه بشأن الأئمة الذين آخرهم المهدي يملأ الأرض عدلاً، إلى أن قال: «**يكون ذلك إذا رفع العلم... وخروج رجل من ولد الحسين بن علي**»[1]، ولكن الرواية مرفوعة.

وفي رواية أخرى يرويها ابن مسكويه جاء فيها أن بني هاشم كتبوا إلى المأمون يسألونه أن يبايع لولده العباس بولاية العهد ويعاتبونه على مبايعته لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، فكتب في جوابهم: «فأما إن أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العصا، فإن الرشيد أخبرني عن آبائه وعما وجد في كتاب الدولة وغيرها أن السابع هو الذي لا يقوم لبني العباس بعده، ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، وإذا ودع فودعوها، وإذا فقدتم شخصي

---

(١) كمال الدين: ٢٥١.

فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، وهيهات مالكم إلا السيف يأتيكم الحسيني الثائر فيحصدكم حصداً والسفياني المرغم، والقائم المهدي عليه السلام، وعند القائم المهدي عليه السلام تحقن دماؤكم إلا بحقها»[1].

أخطأ المأمون في تطبيق الرواية على زمانه، ولعله لم يخطئ في أصل النقل عن الرشيد عن آبائه لترتيبه الأثر عليها بتولية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام تحسباً لمجيء الحسيني الثائر، والقائم المهدي عليه السلام فيكون قد تقرب بهذا العمل من الحسينيين بحسب الظاهر، مما يدل على أن إحدى فوائد خفاء زمان ظهور المهدي عليه السلام هي عدم تمادي الخلفاء والسلاطين في متابعة العلويين وقتلهم تخوفاً من ظهور الحسيني أو القائم الذي لا محالة في ظهوره لإخبار النبي صلى الله عليه وآله بذلك وروايته من طريق العباسيين أنفسهم، يكون قد أبقى لنفسه مخرجاً ولو محتملاً عند قيام الحسيني أو القائم.

ومهما يكن من ذلك فالرواية ذكرت الحسيني الثائر من دون تعيينٍ لمحل خروجه ولا مبلغ حركته وحقيقتها.

ولكن هناك رواية أخرى عينت خروجه من المشرق يرويها ابن حماد عن عبد الله بن عمر قال: يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً[2].

المشرق الذي هو محل خروج الخراساني الحسني على ما يبدو، فهل وقع في رواية الحسني تصحيف أو وقع في رواية الحسيني التصحيف والخطأ في النقل أو الكتابة أو هما شخصان يختلف زمانهما وعملهما؟

والمرجحات مع الحسني إذا كان الشخص واحداً لأن نظير هذه الرواية الأخيرة يرويها البعض عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: يخرج رجل

(١) غاية المرام: ١١٩.

(٢) كتاب الفتن: ١٠٢.

من ولد الحسن من قبل المشرق لو استقبل به الجبال لهدها فلا يؤخذ فيها طريق[١].

والمرجح الآخر الرواية المروية عن رسول الله ﷺ وقوله: «**كأني بالحسيني والحسيني وقد قاداها، فيسلمها إلى الحسيني فيبايعونه**» قال أبو جعفر عليه السلام في تتمة هذه الرواية: «فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس: يا ابن رسول الله الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله ﷺ...»[٢].

ظاهرها إرادة القائم المهدي عليه السلام من الحسيني، والذي يسلمها للمهدي هو الحسني؛ لعدم معقولية قول الرسول ﷺ: «**كأني بالحسيني والحسيني وقد قاداها**».

والمرجح الثالث: رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها بعد ذكر من يلتحق بالمهدي عليه السلام ويكون معه: «ويلحقه هناك ابن عمه الحسني في اثني عشر ألف فارس، فيقول: يا ابن عم أنا أحق بهذا الجيش منك، أنا ابن الحسن وأنا المهدي، فيقول المهدي عليه السلام: بل أنا المهدي، فيقول الحسني: هل لك من آية فنبايعك؟ فيومئ المهدي إلى الطير فتسقط على يده، ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيخضرّ ويورق، فيقول له الحسني يا ابن عم هي لك، ويسلم إليه جيشه ويكون على مقدمته واسمه على اسمه»[٣].

تؤكد هذه الرواية على أنه حسني بحيث لا يحتمل التصحيف والخطأ في النقل بعد المقابلة بينهما هذا يقول أنا ابن الحسن والآخر يقول أنا المهدي عليه السلام غير أن قوله بعد ذلك واسمه على اسمه يرجح إرادته أن الحسن

---

(١) تلخيص المتشابه ١: ٤٠٧.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨١.

(٣) عقد الدرر: ٩.

هو اسم أبيه المباشر وليس المقصود الإمام الحسن عليه السلام فيكون اسمه واسم أبيه مطابقاً لاسم المهدي عليه السلام وبهذا يدعي المهدوية، وبذلك تكون هذه الرواية قد عرّفتنا اسم الحسني، أعني أن اسمه هو اسم المهدي عليه السلام.

والمرجع الرابع: خطبة البيان التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام على ما يروى جاء فيها عند الحديث عن المهدي عليه السلام: «ثم يسير بالجيوش حتى يصير إلى العراق والناس خلفه وأمامه، وعلى مقدمته رجل اسمه عقيل، وعلى ساقته رجل اسمه الحارث، فيلحقه رجل من أولاد الحسن عليه السلام في اثني عشر ألف فارس، ويقول: يا ابن العم، أنا أحق منك بهذا الأمر، لأني من ولد الحسن عليه السلام وهو أكبر من الحسين عليه السلام، فيقول المهدي عليه السلام: إني أنا المهدي، فيقول له: هل عندك آية أو معجزة أو علامة، فينظر المهدي عليه السلام إلى طير في الهواء فيومئ إليه، فيسقط في كفه، فينطق بقدرة الله تعالى، ويشهد له بالإمامة، ثم يغرس قضيباً يابساً في بقعة من الأرض ليس فيها ماء فيخضر ويورق، ويأخذ جلموداً كان في الأرض من الصخر، فيفركه بيده ويعجنه مثل الشمع، فيقول الحسني: الأمر لك، فيسلم وتسلم جنوده»[1].

فلا يبقى مع هذه الرواية أقل ترديد في إرادة الحسني الذي هو من نسل الإمام الحسن عليه السلام، خصوصاً بعد استدلاله بأن الحسن عليه السلام أكبر من الحسين عليه السلام، وكذا قوله في هذه الرواية والرواية السابقة: «ابن العم» مما يتم معه الدلالة ويبقى سند هذه الروايات وحال رواتها فهي غير معتبرة على ما يبدو، أفضلها سنداً رواية الشيخ، وهي الأخرى يشتمل سندها على المجاهيل.

والنتيجة النهائية عدم ثبوت خروج الحسني أو الحسيني بهذا الاسم ولا تعيين حال الخراساني الثابت خروجه هل هو حسني أو حسيني أو غير ذلك من

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٧٨.

الأخبار المعتبرة، كما لا يمكن قطع النظر عن الأخبار المتعددة الدالة على خروج حسني أو حسيني من إيران يسلمها إلى المهدي عليه السلام مع وروده من طرق العامة والخاصة، ولما لم يثبت أن الحسني والحسيني هما شخص واحد، تحتم المصير إلى أن الحسيني غير الحسني وإن كان خروجهما من مبدأ واحد وهو الشرق، وأن الذي يسلّمها إلى المهدي عليه السلام على الأرجح هو الحسني ولعله هو الخراساني لوجود بعض المشتركات واتحاد زمان الخروج ـ أعني زمان السفياني ـ وقد يكون الحسيني من الذين حكموا إيران في زمان سابق على ذلك.

العلامة الثانية

شعيب بن صالح

خلاصة الكلام في شعيب بن صالح

يُعدّ خروج شعيب بن صالح العلامة الثانية على ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وليس هو مَلِكاً ولا رئيساً وإنما هو أحد القادة العسكريين الذين يقودون الجيوش ويخوضون المعارك، وقد جاء التأكيد عليه من أجل انصباب تحركاته في مصب التمهيد والتوطئة لظهور الإمام المهدي عليه السلام قبل ظهوره، وليكون بعد ظهوره عليه السلام أحد قواده، بل وزيره في بعض الشؤون العسكرية والسياسية على ما يبدو.

وهو شعيب بن صالح التميمي الذي يعني أنه من بني تميم الموالي؛ رجل ربعة أسمر الوجه أصفر كوسج خفيف اللحية ثيابه بيض وقلنسوته سوداء.

ويمتاز بالشجاعة الفائقة والصبر والاستقامة في الحروب بحيث لو قاتل الجبال لهدّها واتخذ فيها سبلاً، والروايات تزخر بالتعابير الممجدة به حتى تقرنه بجبرئيل وميكائيل.

هذا، وينبع شعيب بن صالح من الطالقان أو طهران ويترعرع وينشأ هناك، ثم يخرج في خراسان مرة مع الخراساني وفي طهران مع الحسني الخارج من نحو الديلم، يقاتل فلول العباسيين مرة ويشتبك مع جيوش السفياني في حوالي الكوفة فينتصر عليها ويقتلهم ليستنقذ الأسرى من أيديهم تارة أُخرى.

حتى يلتقي جيش الحسني وجيش الإمام المهدي عليه السلام فيسلمها الحسني ويكون شعيب بن صالح قائداً للإمام المهدي عليه السلام ووزيراً له.

كما تشهد الأخبار بتواجده في العراق والشام والحجاز سواء كان تواجداً عسكرياً أو غيره في مجال التمهيد للمنتظر ودولته، ويستشعر منها دوره الفاعل في تحرير بيت المقدس، وفتح فلسطين وغيرها. وهناك قرائن حاكية عن اتصاله

المسبق بالإمام المهدي عليه السلام قبل التقاء الجيشين، وعندما حاولنا كشف القناع عنها تبلور لنا سر آخر وواقعة أُخرى تتلخص بتحقق ظهورين للإمام المهدي عليه السلام وقيامه بتحركين بين الحجاز والعراق أحدهما مع الخواص والآخر معلن.

وذلك عند توجه الجيوش الخراسانية والرايات السود، فإن تلك الجيوش تفقد قائدها وتتحير لأنه يسبقهم إلى الكوفة ليخرج هو والإمام متخفياً إلى المدينة بعد وصول جيش السفياني، وقدومه إليها بهدف القبض على الإمام عليه السلام والقضاء على حركته.

وعندما يصل إليها السفياني ويعلم بخروج الإمام عليه السلام مع شعيب إلى المدينة يبعث السفياني جيشاً آخر في أثرهما إلى المدينة، وتظل بقية جيشه التي لم تترك الكوفة في صراع مع جيوش خراسان، حتى ينتصر عليهم الجيش الخراساني ويخرجهم عنها ليستقر هو الآخر فيها إلى قدوم الأمام عليه السلام مرة أخرى.

ولما يصل جيش السفياني الثاني إلى المدينة يكون الإمام المهدي عليه السلام وشعيب قد خرجا منها إلى مكة، فيبعث السفياني الجيش في أثرهما حتى إذا توسط البيداء خُسف به.

هناك يجتمع أصحاب الإمام الثلاثمائة وبضعة عشر فيبايعونه بين الركن والمقام ويلتحق به من يلتحق، ثم يتجه نحو المدينة فيجعل عليها رجل من أصحابه ويسير عليه السلام هو وأصحابه إلى الكوفة ليلتقي بجيش الحسني الذي استتب له الأمر فيها وخضعت له أطراف البلاد فيسلم الحسني الجيش إليه فيسير الإمام عليه السلام والجيوش على أثر ذلك إلى الشام وبيت المقدس.

هذا هو المستفاد من مجموع الأخبار، والمستفاد من خصوص المعتبرة منها أصل خروج شعيب بن صالح وعلائميته مع شيء من الإغماض.

العلامة الثانية:

شعيب بن صالح

تكرر ذكر شعيب بن صالح خلال البحوث السابقة مصحوباً بذكر بعض صفاته وتحركاته العسكرية وغير العسكرية التي تنبئ عن محورية هذا القائد العظيم في فترات متفاوتة عندما يظهر الخراساني ويتحرك الحسني ويتواجد ما بين خراسان والكوفة إلى مكة والمدينة وحتى إيلياء القدس ليكون في نهاية المطاف وزيراً للإمام المهدي عليه السلام وقائداً لقواته، مما يحكي عن شجاعة تفوق التصور وتدبير حكيم يعجز عن دركه أكبر القواد وأحنكهم كما يحكي عن إيمان عميق ومستحكم لا يحصل فيه أقل خلل وفتنة مما يجعله الأفضل على الدوام وإن كان مرؤساً لمثل الخراساني.

فهو القطب الذي تدور عليه رحا الأحداث السريعة التي تسبق ظهور المهدي عليه السلام وتنتهي إلى تشكيل دولته جهد الإمكان.

اسمه ونسبه:

هو شعيب بن صالح من بني تميم من الموالي كما جاء في كثير من الأخبار والروايات المصرحة باسمه من دون ترديد يدعو كثرتها إلى قطع النظر عن الرواية التي يتردد فيها الراوي بين شعيب بن صالح وصالح بن شعيب نسياناً، ويجعلنا نتركها كرواية شاذة، وهي رواية ابن حماد عن محمد بن الحنفية جاء فيها: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود، وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن

صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه»[١].

بدأنا بهذه الرواية الشاذة لوجود كلام فيها يورث الترديد والشك، وهو قوله «يقال له شعيب بن صالح أوصالح بن شعيب» فإن كلمة «يقال له» قد تعني أن هذا ما يشتهر ويعرف به وليس هو اسمه الحقيقي، وإلا لقال اسمه كذا، ولم يقل يقال له، يدعم ذلك روايات أخرى فيها يقال له أو يدعى، والباقية خالية من هذا الكلام.

ومهما يكن من ذلك فهو يعرف بشعيب بن صالح وهو من بني تميم، كما يمكن أن يكون لقبه هو التميمي أيضاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله المروي في بعض الأخبار: **«ثم يقبل الرجل التميمي شعيب بن صالح»**[٢] وفي خبر آخر: **«فعليكم بالفتى التميمي فإنه يقبل من المشرق وهو صاحب راية المهدي»**[٣]، وإن كان احتمال إرادة نسبته إلى تميم فقط من دون أن يكون لقبه هو التميمي.

وإذا قلنا من الموالي فلورود الرواية التي يرويها ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «ويسرح الهاشمي في طريق الري، فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر»[٤].

بينما تذكر الأخبار اسماً آخر لشعيب، ألا وهو المنصور يستفاد ذلك من مثل ما رواه ابو داود عن علي عليه السلام أنه قال: «يخرج رجل من رواء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له المنصور يوطئ ويمكّن

---

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

(٢) الملاحم والفتن: ١٣٧.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٤: ٢٥٦، مجمع الزوائد ٧: ٣١٨.

(٤) كتاب الفتن: ١٩٢.

لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره»[1] ومعلوم أن القائد الخارج من وراء النهر ليس هو اليماني الذي هو الآخر يسمى بالمنصور، وليس سوى شعيب بن صالح، وهو المأمور بنصرته.

محل خروج شعيب وولادته:

فالروايات اختلفت في تعيين محل خروجه بين ما تعيّنه بسمرقند، كرواية الشيخ الطوسي التي جاء فيها: «ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند»[2]، المشفوع بالرواية التي تسميه السمرقندي[3]، والأخرى الدالة على خروجه من وراء النهر الذي يعني سمرقند وبخارى، وإن كانت إرادة وراء نهر دجلة مما يعني إيران الحالية غير بعيدة، فيكون ذكر سمرقند مجرد تفسير من الراوي لقوله وراء النهر في الرواية.

هذا والروايات الأخرى تدل على نبوعه من الطالقان، كما جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المسماة بالتطنجية قال فيها: «وتحركت عساكر خراسان، ونبع شعيب بن صالح من بطن الطالقان»[4]؛ المشفوع برواية: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها، وعلى أبواب أنطاكية وما حولها، وعلى باب دمشق وما حولها، وعلى أبواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يبالون بمن خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كنزه من الطالقان، فيحيى به دينه كما أميت من قبل»[5]، وإن

---

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ ح ٤٢٩٠، كنز العمال ١٤: ٥٧٢ ح٣٩٦٣٨.

(٢) الغيبة: ٤٤٤.

(٣) كشف الحق: ١٥٣، قال فيها: «فبينا هم كذلك إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان برايات سود والسفياني من الوادي اليابس».

(٤) مشارق البرسي: ١٦٦.

(٥) تهذيب ابن عساكر ١: ٥٦، كنز العمال ١٢: ٢٨٣ ح٣٥٠٥٤.

كان المفسر به كنز الطالقان بشباب كزبر الحديد.

وقد يفرّق بين النبوع الذي يعني الولادة والنشأة، وبين الخروج الذي يعني شروع التحرك العسكري والتنظيم السياسي، الذي لو تم لدل على تغيّر الحال التي عليها اليوم لأنها لا تسمح بحصول نهضة دينية في دول الاتحاد السوفياتي وسمرقند بالذات.

ولكن هناك رواية ثالثة تدل على خروجه بالري، رواها ابن حماد عن الحسن قال: «يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود، يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فلّه»[1].

فهي بين أن تكون معارضة لرواية سمرقند، وبين أن يكون لشعيب خروجان، أحدهما مع الخراساني من سمرقند، والآخر مع الحسني من الري، خصوصاً والرواية الأولى لم تذكر خروجه مع المهدي عليه السلام، ولكن الرواية الأخيرة، أعني رواية خروجه من الري ذكرت ذلك، ويهون الخطب ضعف جميع الروايات فلا يثبت شيء من ذلك سوى ما اتفقت عليه جميع الروايات من خروجه من الشرق من خراسان وما حولها.

صفاته:

قد تتفاوت الأخبار الذاكرة لصفاته في الألفاظ وبعض الصفات وتركها، ولكن اجتماعها يحكي أنه غلام حديث السن ربعة كوسج خفيف اللحية أصفر أسمر ثيابه بيض وقلنسوته سوداء على أنها متفقة في شجاعته وبسالته.

فمن تلك الأخبار ما يرويه ابن حماد عن الحسن قال: يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة

---

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فلّه»[١].

مما يحكي عن زيّ موحّد كالذي يعتاد لبسه العساكر غير أنه أبيض مع قلنسوة سوداء، تذكره هذه الرواية التي تضمنت أكثر صفاته بحيث لو أضيفت إليها رواية ابن حماد الثانية عن سفيان الكعبي لتمت لأنه قال: «يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهزها حتى ينزل إيليا»[٢].

أضافت إلى الرواية السابقة أنه غلام حديث السن، بعدما عبرت الأولى بأنه رجل.

على أن الروايات الذاكرة لصفاته كلها ضعيفة السند، لم يثبت شيء مما ذكرنا من الروايات المعتبرة غير أصل خروج شعيب وشجاعته.

خروج شعيب من العلائم:

أما أصل خروج شعيب بن صالح فقد دلّت عليه الرواية التي يرويها النعماني بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قل: «قبل هذا الأمر السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، فكف تقول هذا هذا»[٣]، فيكون خروجه ثابت بالخبر المعتبر.

وأما كونه من العلامات على خروج القائم فقد صرحت بذلك بعض الأخبار، التي فيها الخبر الذي يرويه الطبري بسند ليس فيه ما يتوقف في شأنه سوى محمد بن خالد التميمي الذي لم يوثق وليس ما يدل على وثاقته

---

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ج١٢.

سوى وقوعه في أسناد كامل الزيارات ولعله يكفي في المقام.

يروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قبل قيام القائم خمس علامات: السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكف تقول: هذا هذا»[١].

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه الشيخ الطوسي مرسلاً عن حذلم بن بشير قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: **صف لي خروج المهدي وعرفني دلائله وعلاماته؟** فقال: «**يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفياني الملعون...**»[٢]، جعلت من علامات خروج القائم ودلائله خروج شعيب بن صالح، كما دلت على أن خروج شعيب بن صالح بعد قتل الشخص الذي يكون مأواه تكريت ومقتله مسجد دمشق.

وكذا ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: **مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرض**، قال أُبي: كيف يكون غيرك يا رسول الله زين السماوات والأرض - فذكر له فضل الأئمة حتى بلغ المهدي عليه السلام فقال - **يخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وشعيب بن صالح على مقدمته...**»[٣]، وهي مشتملة على بعض الجاهيل

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

(٢) الغيبة: ٤٤٤ ح ٤٣٧.

(٣) كمال الدين: ٢٦٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٩ ح ٢٩. بإسناده عن أحمد بن ثابت الدواليبي، عن محمد بن الفضل النحوي، عن محمد بن علي بن عبد الصمد الكوفي، عن علي بن عاصم عن محمد بن علي بن موسى عن آبائه عليهم السلام، عن الحسين بن علي عليهما السلام.

في سندها، فلا تزيد على كونها مؤيدة، وهناك أخبار كثيرة واردة من طرق العامة سنعرض لها.

عظمة شعيب بن صالح:

الروايات تزخر بالتعابير الممجدة بهذه الشخصة الفذة التي منها أنه لا يلقى أحداً إلا فلّه، أو لا يلقاه أحد إلا قتله، أو لو قاتل الجبال لهزها أو لهدها، أو لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها، وأنه صاحب راية المهدي عليه السلام، وحتى التعبير بأنه وزيره(١).

وأفضل من ذلك كله مقارنته مع جبرئيل وميكائيل في الحديث السابق المروي عن النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول: يخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وشعيب بن صالح على مقدمته، فأنعم به من مقام سام وكم هو وجود مبارك عندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«سقى الله بلاد شعيب»**(٢).

وروي عن عبد الله بن بشار رضيع الحسين عليه السلام شعراً:

إذا كملت إحدى وستون حجة	إلى التسع من بعدهن ضرائح
وقام بنو ليث بنصر ابن أحمد	يهزون أطراف القنا والصفائح
تعرفهم شعث النواصي يقودها	من المنزل الأقصى شعيب بن صالح
وحدثني ذا أعلم الناس كلهم	أبو حسن أهل التقى والمدائح(٣)

تحركات شعيب بن صالح :

تنقسم تحركات شعيب إلى قسمين، القسم الأول ما كان تحت لواء

---

(١) انظر كتاب الفتن لابن حماد: ٨٤ و ٨٥، الملاحم والفتن: ٥٣، مجمع الزوائد ٧: ٣١٧ .

(٢) الملاحم والفتن: ١٣٧.

(٣) الخرائج والجرائح ٣: ١١٦٧.

الخراساني الحسني وقد تقدم أكثر الكلام عنها في بحث الخراساني، والقسم الثاني هي تحركاته مع الإمام المهدي عليه السلام، وقد يضاف إليها تحركاته الفردية التي تدخل في إطار التمكين والتوطئة للإمام المهدي عليه السلام.

ولعل أهم تحركاته من القسم الأول هو الغلبة على جيش السفياني ودخوله العراق لتخليص الأسرى والسبايا من يده، فأصل دخوله يرويه الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: «تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة»[1]، فهي تذكر مجرد النزول من دون ذكر قتال.

وروى ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفياني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه»[2].

وفي رواية أخرى يرويها عن أبي جعفر عليه السلام: «يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم»[3]، وهناك رواية ثالثة أضافت استخلاص سبي أهل الكوفة يرويها حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث طويل جاء فيه: **«خروج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك يخرج دابة من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم»**[4].

---

(١) الغيبة: ٤٥٢، وانظر الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

(٣) كتاب الفتن: ٨٥ وفي ص ١٨٩ عن ربيعة بن سيف تبيع مثله.

(٤) الداني: ١٠٤، جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

مما يدل على سرعة عمل شعيب وجيشه بحيث لا يعطي لجيش السفياني الفرصة في تخلية السبايا والأسرى، هذا المعنى الذي تؤيده رواية استباق الخراساني والسفياني إلى الكوفة مما يظهر سبق جيش السفياني إليها ووصول جيش الخراساني بعد فترة وجيزة، ولكن الصحيح أن دور جيش الخراساني هي هزيمة جيش السفياني وإنما يكون تخليص السبي على يد أهل الكوفة والبصرة أنفسهم مما يسمى جيش العصب رواه ابن حماد عن أرطأة قال فيه: «ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي ـ إلى أن قال ـ وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي»[1].

حركة شعيب باتجاه الشام :

ذكرت الأخبار مسير شعيب بن صالح والرايات السود إلى الشام أو بيت المقدس، وهي متعددة مضطربة غامضة من ناحية الدلالة على تحقق ذلك بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام وبقيادته، أو قبل ظهوره مما يدخل في التمكين له والتوطئة لدولته.

روى ابن حماد عن عمرو بن الجملي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لتخرجن من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين بيت لهيا وحرستا، قلنا: ما بين هاتين زيتونة؟! قال: سينصب بينهما زيتون حتى ينزلها أهل تلك الراية فتربط خيولها بها[2]، ظاهرها دخول

---

(١) كتاب الفتن: ٩٣.

(٢) كتاب الفتن: ١٩٠.

الراية السوداء الشام بمفردها وليست ضمن جيوش المهدي عليه السلام.

وفي رواية محمد بن الحنفية: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلاثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً»[١].

ظاهر هذه الرواية أن دخول شعيب بيت المقدس يدخل في التوطئة للمهدي عليه السلام قبل ظهوره غير أنها دلت على ذلك بعد ظهور السفياني وختم غائلته مما يولّد إشكالاً من ناحية دلالة الأخبار على أن المهدي عليه السلام هو الذي يقاتل السفياني ويقضي عليه كما سيأتي.

المؤيد لدخول شعيب الشام بل الدليل عليه هو ما رواه ابن حماد عن سفيان الكلبي قال: يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهزّها حتى ينزل إيلياء[٢]، مما يدل على عدم نزوله بمفرده وباستقلاله إنما يكون تحت لواء المهدي عليه السلام.

هذا كله مع قطع النظر عن مصير فلسطين وخصوص بيت المقدس ومن الذي يقوم بتحريره قبل خروج السفياني والذي يأتي كلام عنه.

وهناك رواية تدل على دخول شعيب بيت المقدس بمفرده خفية بالمرحلة الأولى لفرش الأرضية والتمهيد لقدوم المهدي عليه السلام ثم دخوله بيت المقدس بجيشه بعد هزيمة السفياني وقتله وقتل أصحابه.

رواها ابن حماد عن جماعة منهم ضمرة بن حبيب قالوا بعد ذكر

---

(١) كتاب الفتن: ١٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ١٨٩.

خروج شعيب فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفياني ويهرب الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام[١].

خالفت الروايات السابقة في الدلالة على غلبة السفياني بالمرحلة الثانية، وهروب الخراساني، الذي يحتمل أن يراد به التوقف في حدود الشام أو الكوفة من دون تحقيق أي نصر بعد دخولها أو حتى قد يحصل انكسار، ولكن لا يعني استحلال السفياني الكوفة مرة أخرى، لعدم ذكره في الأخبار، ولا دلت عليه هذه الرواية.

نعم هناك رواية يرويها ابن حماد عن أبي قبيل يقول فيها: «يملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية فلا يبقى منهم إلا اليسير لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل بكل رجل رجلين حتى لا يبقى إلا النساء، ثم يخرج المهدي»[٢] وواضح أن المراد بذلك الهاشمي هو العباسي لأنهم من بني هاشم، فالسفاح قتل بني أمية، والثاني هو السفياني يقتل بني هاشم عامة، سواء بني العباس أو أبي طالب.

ولكن لما كان خروج الخراساني مزامناً لخروج السفياني، فقد صار من الصعب تصوّر وصوله إلى القدس بعدما سنعرف أن المهدي عليه السلام هو الذي سيقتل السفياني وهو الذي يثوّر سراياه إلى جهة الشام لهزيمة السفياني وأخذه وقتله على الصخرة كما سيجيء.

فيبقى الأمر بين أن يكون دخول شعيب بيت المقدس قبل خروج الخراساني والسفياني المؤيّد بقتال السفياني عند خروجه لجيش المشرق المتواجد في الشام كما سيأتي، فلعله هو الجيش المحرر للقدس بقيادة

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٧٥.

شـعيب، ثـم رجوعه إلى خراسان لينضم إلى قوات الخراساني بعد خروجه وزحفه نحو الكوفة ليبايع الإمام المهدي عليه السلام هذه المرة.

وبـين أن يكـون دخـول شعيب بن صالح بيت المقدس كقائد لقوات الإمام المهدي عليه السلام بعدما يقضي على قوات السفياني وينهزم جيشه ويؤخذ السفياني ويقتل على الصخرة.

وهـذا الأخـير ـ أعني دخول شعيب مع قوات المهدي عليه السلام ـ مسلم، ويـبقى ذلـك الـزحف الأول والدخـول السـابق مجرد احتمال، وإن كانت بعض الروايات تشعر به.

مـثل روايـة: «تجـيء رايـات سـود مـن قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديـد، فمـن سمـع بهم فليأتهم ولو حبواً على الثلج حتى يأتوا مدينة دمشق فيهدمونها حجراً حجراً» وواضح أن المراد به رايات أبي مسلم الذي أطاح بالدولـة الأمويـة ودخـل دمشـق وفعل ما فعل، حصل فيه الخلط من قبل الـرواة أو الـتحريف مـن قبل المتزلفين لبني العباس، ولعمري هذا أوضح من أن يخفى.

فـلا يثبت من هذه الرواية وأمثالها دخول الخراساني أو شعيب بن صالح الشام وفلسطين.

نعم جنود المشرق وبالذات إيران هم الذين سيحررون بيت المقدس إذا كان المقدر ذلك وسيأتي الكلام فيه.

شعيب بن صالح والإمام المهدي عليه السلام :

القرائن والشواهد تحكي عن اتصال شعيب بن صالح بالمهدي عليه السلام قبل ظهوره، أعني الظهور المعلن واجتماع أصحابه، لدلالة بعض الأخبار على تواجد المهدي عليه السلام والمنصور الذي يعني شعيباً في المدينة عند بعث السفياني الجيش إليها فيخرج هو والمنصور منها إلى مكة، بل في بعض الأخبار دلالة على التقائهما في الكوفة وهروبهما معاً منها بعدما تقبل خيل السفياني لتطلب أهل خراسان.

فقد روى ابن حماد عن أرطأة قال: يدخل السفياني الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها، ودخوله مكة بعدما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا، ثم ينفتق عليهم خلفهم فتق فيرجع طائفة منهم إلى خراسان فتقبل خيل السفياني وتهدم الحصون حتى تدخل الكوفة وتطلب أهل خراسان ويظهر بخراسان قوم يدعون للمهدي، ثم يبعث السفياني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد صلى الله عليه وآله حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهدي والمنصور من الكوفة هاربين ويبعث السفياني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفياني البيداء فيخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي[1].

---

(١) كتاب الفتن: ٨٣.

ولا تـزال هـذه الرواية مضطربة غامضة تحتاج إلى شيء من التفسير والتفحص في أطرافها، خصوصاً المراحل التي تذكرها.

فهـي تذكـر دخول السفياني الكوفة وسبيه وقتله ومكثه ثمانية عشر يوماً فيها.

ثـم تذكر دخول شخص مكة بعدما يقاتل الترك والروم بقرقيسياء، فـلما كـان الكـلام السـابق يدور حول السفياني وهو المصرح باسمه يكون معـنى دخوله هو دخول السفياني مكة، خصوصاً وأن معركة قرقيسياء هي معـركة السفياني نفسه مع الترك والروم أو غيرهم. ولكن دخوله مكة لم يذكره واحد من الأخبار.

والأوهن من ذلك تعقيبه بقوله ثم ينفتق عليهم خلفهم فتق فيرجع طائفـة منهم إلى خراسان، وليس خراسان خلف السفياني وإنما هي خلف الخراساني وشعيب، فهو قرينة على أن الكلام حول شعيب أو الخراساني وهـو الداخـل مكـة، ولكـن لـيس هـناك ما يدل على قتاله الترك والروم بقرقيسياء.

ثم إنها ذكرت دخول السفياني الكوفة مرة أُخرى لقوله: فتقبل خيل السفياني وتهدم الحصون حتى تدخل الكوفة وتطلب أهل خراسان.

وفي المـرحلة اللاحقـة تذكر خروج قوم من خراسان يدعون للمهدي عليه السلام، ومن بعده بعث السفياني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد صلى الله عليه وآله حتى يرد بهم الكوفة، وبعدها خروج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين والروايات تذكـر هـروبهما مـن المدينة دون الكوفة، وهو المعقول، لقوله بعد ذلك، فـإذا بلـغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفياني البيداء وخسف بهم، ورجع المهدي عليه السلام إلى المدينة لاستنقاذ من فيها من بني هاشم.

وفي النهاية تجعل ورود الرايات السود ونزولها على الماء بعد الخسف

بجيش السفياني ولا يكون في الكوفة حينها سوى قليل من قوات السفياني التي تهرب عند سماعها بنزول الرايات السود على الفرات.

ثم تقول: «ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم» ولم تذكر من هو النازل، ولعله المهدي عليه السلام أو قائد جيش الخراساني كما مر.

والمهم في الرواية دلالتها على خروج الإمام المهدي عليه السلام وشعيب هاربين من الكوفة، من دون تفصيل ذلك، وأنه بعد ظهور الإمام عليه السلام المعلن أو قبله.

فإنا إذا سلمنا تحرك شعيب نحو الشام وبيت المقدس قبل ظهور القائم فله تفاصيله التي مرت أو تأتي.

وإذا لم نسلم ذلك فإما أن نركن إلى الرواية القائلة بخروج المنصور والمهدي عليه السلام من الكوفة خفية سواء بعد انكسار جيش الخراساني عقيب ظفره أو من دون انكساره، إذ يترك شعيب الجيش ويخرج مع القائم إلى الحجاز لتمهيد خروج الإمام في المدينة أولاً ثم في مكة بعد الخسف بالجيش أو قبله، فالأخبار بين أن تذكر دخول جيش ما إلى الكوفة ثم يفقدون قائدهم ويتحير ذلك الجيش.

وبين أن تذكر خروج المهدي عليه السلام ومنصور من الكوفة؛ لأنه جاء في خبر ابن حماد «ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين»، وبين أن تذكر خروج شعيب إلى بيت المقدس خفية؛ لأن في خبر ابن حماد الآخر: «ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام»[1]، وبين أن تذكر خروجه والمهدي من المدينة إلى مكة كرواية ابن حماد: «يبعث السفياني بجيش إلى المدينة، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد صلى الله عليه وآله ويقتل من بني هاشم رجال ونساء، فعند ذلك يهرب

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

المهدي عليه السلام والمبيض من المدينة إلى مكة»[١] والمبيض هو شعيب لما مر أن ثيابه بيض وهناك رواية أخرى معتبرة يرويها النعماني عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ويهرب المهدي ومنصور منها»[٢].

فلا شك أن هناك خبراً وحدثاً يكون بالكوفة يحتاج إلى بعض الفحص وتتبع خيوطه الأولى التي تبدأ بظهور الإمام المهدي عليه السلام في الكعبة ثم إقباله إلى المدينة ثم الكوفة ثم يختفي مرة أخرى، للرواية التي يرويها الشيخ الطوسي عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام قال فيها: «ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان، فإذا ظهر السفياني اختفى المهدي ثم يخرج بعد ذلك»[٣].

وذلك بعدما يبايعه أصحابه الثلاثمائة وبضعة عشر ليقدم معهم إلى المدينة ثم الكوفة فيكون إقدام السفياني إلى الكوفة في الحقيقة هو في طلب المهدي عليه السلام فيخرج المهدي والمنصور ـ أعني شعيباً ـ إلى المدينة كما جاء في ذلك الخبر، ثم يبعث السفياني الجيش في أثرهما إلى المدينة فيخرجان منها إلى مكة كما جاء في رواية ابن حماد، ثم وقوع البيعة له بمكة كرهاً لما روي من أنه: «يقع اختلاف عند موت خليفة فيخرج المهدي من المدينة وهو من أهلها هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام»[٤]، وفي رواية أخرى تذكر دخول

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ح ٦٧، تفسير العياشي: ١: ٦٤ ح١١٧.

(٣) الغيبة: ٤٤٤.

(٤) القول المختصر: ٥ ح ١٣.

السفياني المدينة وهروب بني هاشم منها قال: «ويتفرقوا منها هاربين إلى البوادي والجبال وإلى مكة حتى نساؤهم، يضع جيشه فيهم السيف أياماً ثم يكف عنهم فلا يظهر منهم إلا خائف حتى يظهر أمر المهدي بمكة اجتمع كل من شذ منهم إليه بمكة»[١].

وفي رواية ثالثة عن النبي ﷺ يذكر الخسف بجيش السفياني ثم يقول: **«ويأتي البشير المهدي وهو بمكة، فيخرج معه اثنا عشر ألفاً فيهم الأبدال»**[٢].

فهذا الاجتماع وهذه البيعة غير تلك البيعة الأولى.

ويؤيد ذلك ما رواه السيد علي بن عبد الحميد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يبايع القائم بمكة على كتاب العز وجل وسنة رسوله ﷺ، ويستعمل على مكة ثم يسير نحو المدينة، فيبلغه أن عامله قتل فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك، ويخرج إلى المدينة فيقيم بها ما شاء، ثم يخرج إلى الكوفة ويستعمل عليها رجلاً من أصحابه، فإذا نزل الشفرة جاءهم كتاب السفياني إن لم تقتلوه لأقتلن مقاتليكم ولأسبين ذراريكم، فيقبلون على عامله فيقتلونه، فيأتيه الخبر فيرجع إليهم فيقتلهم ويقتل قريشاً حتى لا يبقى منهم إلا أكلة كبش، ثم يخرج إلى الكوفة، فيقبل وينزل النجف»[٣].

فهي تدل على مسير القائم إلى الكوفة مرتين، مرة تبليغية في الغالب وأُخرى عسكرية على ما يبدو تكون في المرة الأُولى بعد دخول جيش الخراساني الكوفة، وفي الثانية بعد الخسف بجيش السفياني وحصول البيعة الجماعية، أو يظهر أساساً في الكوفة على خلاف ما هو معروف لأنه الشمس الطالعة من مغربها على ما يأتي.

---

(١) عقد الدرر: ٥٦.

(٢) البدء والتاريخ ٢: ١٧٨.

(٣) عنه في البحار ٥٢: ٣٠٨ ح ٨٣.

ولعل من هذا البيان يعلم السر في الخبر الذي يرويه ابن حماد عن أرطأة حيث جاء فيه بعد ذكر خبر الصخري الذي يراد به السفياني على ما يبدو: «وتخرج رايات من المشرق مسوّدة فتنزل الكوفة فيتوارى رئيسهم فيها، فلا يدرى موضعه، فيتحير ذلك الجيش، ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته فيسير بجنود المشرق نحو الشام ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه، فيلتقون بجبل الحصى فيهلك بينهما عالم كثير ويولي المشرقي منصرفاً...»[1].

وقد مر أنّ قائد جيش المشرق والرايات السود هو شعيب بن صالح، فلعل السر في تواريه هو خروجه مع المهدي عليه السلام من الكوفة إلى المدينة ثم إلى مكة في مجال التمهيد للخروج الآخر المعلن.

وإنما ذكرنا ذلك لأجل الجمع بين شتات الأخبار وتناثرها، وإلا فجميع الروايات ضعيفة السند سوى رواية خروج الإمام المهدي عليه السلام والمنصور من المدينة الذي يحتاج إلى طائفة من البحث وله محل آخر.

محل بيعة شعيب وجيشه :

فالذي يبدو لي أن شعيب من الأوائل، أعني الثلاثمائة وبضعة عشر الذين يجتمعون عند الإمام المهدي عليه السلام بأي نحو كان، يجتمعون إليه من مختلف بلدان العالم، فتكون بيعته بين الركن والمقام.

وكذا الخراساني إذا ثبت أنه من قوّاده عليه السلام كما جاء في بعض الأخبار ودلالة الخبر المفصل على التقاء جيشه بجيش القائم وأنه يعرف شخصه وإنما يطلب منه الآية ليتعرف أصحابه وجيشه عليه، فلعل معرفته السابقة

---

(١) كتاب الفتن: ١٦٣.

معلولة لبيعته له بين الركن والمقام، أو بتدبير من شعيب بن صالح الذي يبايعه مع من يبايعه بين الركن والمقام، فيخبر الخراساني بذلك فيبعث إليه بالبيعة.

وأما الجيش فإن ظاهر رواية البيعة التي تقدمت في بحث الحسني أن البيعة تقع في الكوفة؛ لأن فيها: «ثم يسير ـ الحسني ـ بتلك الرايات كلها حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض فيجعلها معقلاً، ويتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام فيقولون يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا، فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظره من هو وما يريد، والله ويعلم أنه المهدي وأنه يعرفه، وأنه لم يرد بذلك الأمر إلا له...»[1].

فهي تدل على أن البيعة إنما تكون في الكوفة؛ لدلالة الرواية على استقرار القوات بالكوفة، وقولهم من هذا الذي نزل بساحتنا.

وهناك رواية أخرى تدل على وقوع البيعة في وادي القرى يعني مكة، وهي رواية عقد الدرر عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: «وتسير الجيوش حتى تصير بوادي القرى في هدوء ورفق، ويلحقه هناك ابن عمه الحسني في اثني عشر ألف فارس فيقول يا ابن عم أنا أحق بهذا الجيش منك...»[2].

فهذه وإن كانت أصرح في تعيين محل البيعة غير أن الرواية الأولى هي رواية المفضل أقرب إلى الصواب من هذه الرواية، وإن كان هناك احتمال إرادة حسني آخر غير الخراساني من هذه الرواية الأخيرة، يؤيد هذا الاحتمال الرواية الدالة على خروج الإمام المهدي عليه السلام مع اثنى عشر ألف من الحجاز.

---

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٠٢، مختصر بصائر الدرجات: ١٨٨.

(٢) عقد الدرر: ٩٠.

ويؤيد الرواية الأولى خطبة البيان التي جاء فيها: « ثم يسير بالجيوش حتى يصير إلى العراق والناس خلفه وأمامه، وعلى مقدمته رجل اسمه عقيل، وعلى ساقته رجل اسمه الحارث، فيلحقه رجل من أولاد الحسن عليه السلام في اثنى عشر ألف فارس، ويقول: يا ابن عم أنا أحق منك بهذا الأمر لأني من ولد الحسن عليه السلام وهو أكبر من الحسين عليه السلام...»[1].

فهي تدل على وقوع البيعة بالعراق مما يؤيد رواية الكوفة، مع أن هذه الروايات الثلاث متطابقة في الآية والتفاصيل التي تلي هذا الكلام، غير أن الروايتين الأخيرتين لم تتعرضا لمجيء الحسني من المشرق ولا فيهما من حديث الرايات السود عين ولا أثر.

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٧٨.

العلامة الثالثة

اليماني

خلاصة الكلام في اليماني

تعتمد حركة الإمام المهدي عليه السلام على ظهور قطبين في البلاد الإسلامية، واحد في إيران والآخر في اليمن.

فنحن بانتظار ذلك الخليفة اليماني الذي يخرج من اليمن عندما يكون قائدها ورئيسها القحطاني الظالم قد خرج بالجيش إلى الشام في مهمة قتالية، وواقعة تجتمع فيها الجيوش من مختلف البلدان الإسلامية، لينتهز اليماني الفرصة ويتغلب على مقعد الحكم في اليمن، حتى إذا رجع ذلك القحطاني الظالم نشب بينهما القتال، فيتغلب اليماني ويقتل القحطاني ويستتب الأمر لليماني الخارج، وهو من أبناء زيد بن علي واسمه حسين أو حسن أبيض الوجه أو السريرة يخرج في نفس السنة التي يخرج فيها الخراساني والسفياني وتكون رايته أهدى الرايات لأنه يوالي علياً، ويهدي إلى الحق، ويدعو إلى صاحب الأمر، المهدي المنتظر عليه السلام.

مما يبدو أن خروجه يكون بعد حصول التغيير في اليمن التي يغلب فيها مذهب الزيدية، فيكون خروجه على أثر ميول أهلها إلى التشيّع والأئمة من أهل البيت عليهم السلام خصوصاً الإمام المهدي عليه السلام، ولا أقل من حصول الدعوة إلى الحق مهما كان من دون تعصب، بخلاف الملحوظ عند أكثر سكان الحجاز.

ثم إن اليماني بعد سيطرته على اليمن يعبّئ الجيوش ليكون له حضور في الشام والجزيرة من أجل الدفاع عن الإسلام والأمة الإسلامية مقابل الجيوش التي تبغي السيطرة عليها ومحو معالم الدين، عندها يظهر السفياني ويقع بينهما القتال، فيتراجع اليماني، ويدخل السفياني الكوفة، ثم

المدينة، يكون بينه وبين اليماني استباق عليها يسبق إليها السفياني.

ولما يُخسف بجيش السفياني يكون بين اليماني والخراساني سباق آخر، ولكن لا لأجل القتال هذه المرة، بل لأجل نصرة الحق والإمام المهدي عليه السلام، يستبقان إلى الكوفة، حيث تُقبل خيل اليماني والخراساني كأنهما فرسي رهان، وهم شعث غبر جرد يقول أحدهم: لاخير في مجلسنا بعد يومنا هذا، اللهم فإنا التائبون، عندها يكون اليمانيون والإيرانيون هم الأبدال الذين وصفهم الله في كتابه العزيز، وخاطب العرب: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[1].

---

(١) التوبة: ٣٩.

العلامة الثالثة:

اليماني

عـدّت الأخـبار مـن علامـات ظهـور المهدي (عج) خروج رجل من الـيمن يبدو أنّ لخروجه دوراً هاماً في عملية التغيير والتحول الجارية إبان ظهور الإمام المهدي (عج) حتى أنه كان يعرف قبل بعثة النبي ﷺ ويحدث عنه مثل سطيح الكاهن، إذ روى البرسي في مشارق الأنوار عن كعب بن الحـارث قـال: «إن ذاجدن الملك أرسل إلى سطيح لأمر شك فيه، فلما قدم علـيه أراد أن يجـرّب علمه قبل حكمه فخبأ له ديناراً تحت قدمه ثم أذن له فدخل، فقال له الملك: ما خبّأتُ لك يا سطيح؟

فقال سطيح: حلفت بالبيت والحرم، والحجر الأصم، والليل إذا أظلم، والصـبح إذا تبسّم، وبكل فصيح وأبكم، لقد خبأت لي ديناراً بين النعل والقدم.

فقـال الملك: من أين علمك هذا يا سطيح؟! فقال: من قبل أخ لي حتى ينزل معي إن نزلت.

فقـال المـلـك: أخبرني عما يكون في الدهور؟ فكان فيما قال: يخرج ملك من صنعاء اليمن، أبيض كالقطن اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه غمر الفتن، فهناك يظهر مباركاً زكياً، وهادياً مهدياً، وسيداً علوياً، فيفرح الناس إذا أتاهم بمنّ الله الذي هداهم، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به

الحق بعد الخفاء...»[1].

معلوم أنّ الكهان كانوا يأخذون علمهم من الجن الذين تصعدوا في السماء وقعدوا مقاعد للسمع، فاسترقوا أخبار السماء كما جاء في سورة الجن وغيرها، مما يدخل في التدبير الإلهي لبعثة النبي صلى الله عليه وآله وفي هذا النص إخبار بظهور القائم المنتظر عليه السلام، بعد خروج ملك من صنعاء اليمن.

ولما لا نحاول النزوع إلى عملقة القضايا التي نطرحها نركن بعض الشيء إلى الأخبار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وأصحابه.

حيث يروي النعماني بسند عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله أهل اليمن، فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«جاءكم أهل اليمن يبسّون بسيساً»** فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، ومنهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلَفي وخلف وصيي، حمائل سيوفهم المسك»**[2].

ويبسون بمعنى يزجرون نياقهم مسرعين[3] كناية عن إيمان صادق واعتقاد جازم يدفعهم بكل عنف نحو أفضل غاية وخير مخلوق، عندها يبشر النبي صلى الله عليه وآله بخروج رجل منهم يسميه المنصور وهو ناصر ينصر خلف النبي وخلف وصيّه وهو المهدي عليه السلام.

يكون بذلك التعبير قد أعطى زخماً لليماني يجعله أكثر من أن يكون علامة بل هو علامة وناصر.

وانطلاقاً من الدوافع الأولى أعني الحوم حول علائم الظهور نعطف

---

(١) البحار ٥١: ١٦٢.

(٢) كتاب الغيبة: ٣٩.

(٣) انظر تاج العروس ٤: ١١٠.

على التركيز على هذا الجانب نستقي ذلك من الأخبار.

ففي الروايات عن الباقر والصادق عليهما السلام عندما قيل له: يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء...وخروج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن ...»[١].

فإذا لم تصرح هذه الرواية بكون خروج اليماني علامة على ظهور المهدي (عج) فقد جاء في روايات عديدة التصريح بذلك حيث جاء فيها:

«إن من علامات خروجه خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني من اليمن، وصيحة من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي باسمه واسم أبيه»[٢].

وخصوصاً الرواية المعتبرة التي يرويها الكليني وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني»[٣].

وبعد ورود ذكر اليماني في الأحاديث المعتبرة لا يبقى مجال للسؤال سوى عن حتميته وعدمها والظاهر أنه من المحتوم لورود ذلك في الأخبار المعتبرة وغيرها أيضاً.

فقد روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[٤].

---

(١) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٧، كمال الدين: ٣٣٠، إعلام الورى: ٤٣٣، كشف الغمة ٣: ٣٢٤.

(٢) كمال الدين ١: ٣٢٧، أعلام الورى: ٤٠٣، كشف الغمة ٣: ٣٣٠.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٣، كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٢، وفيه للقائم خمس علامات، وسائل الشيعة ١٥: ٥٢ ح ١٩٩٧٠.

(٤) كمال الدين: ٦٥٠ ح ٦.

صفات اليماني وأحواله:

لم تتعرض الروايات للحديث عن صفات اليماني وأحواله كثيراً غير أنها أشارت إلى نقطتين أساسيتين، الأولى هي موالاته أمير المؤمنين علياً عليه السلام بحيث جعلتها مشخصة له ومايزاً من بين من يخرج من اليمن، وذلك لما روي بسند عن أبي عبد الله عليه السلام أنه لما خرج طالب الحق، قيل لأبي عبد الله عليه السلام نرجو أن يكون هذا اليماني، فقال: «لا، اليماني يتوالى علياً وهذا يبرأ منه»[1].

مما يبدو أن اليماني كان معروفاً آنذاك في أوساط المسلمين بحيث يترقبون خروجه، وخصوصاً أهل اليمن كما يبدو من رواية أخرى، بالإضافة إلى دلالة هذه الرواية على العلامة التي يعرف بها اليماني.

والنقطة الثانية التأكيد على أن راية اليماني هي أهدى الرايات، ورد ذلك في الخبر الدال على تزامن خروج السفياني والخراساني واليماني، ففي الرواية التي يرويها الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق»[2].

والذي يثير الدهشة والتعجب هو تفضيل راية اليماني على راية الخراساني مع ورود المدح المعتد به لراية الخراساني.

بل في رواية أخرى الدلالة على دعوته إلى صاحب الأمر، ومن ثم التحريض على القيام مع اليماني متى ما ظهر، يرويها الشيخ الطوسي والنعماني وغيرهما بعدة طرق منها المعتبر عن محمد بن مسلم عن أبي

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٦١، البحار ٥٢: ٢٧٥ ح ١٧٠.

(٢) الغيبة: ٤٤٧ ح٤٤٣، البحار ٥٢: ٢١٠ ح ٥٢، مختصر إثبات الرجعة: ١٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٦٠.

جعفر عليه السلام أنه قال: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار؛ لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم»[1].

ولعل كل هذا التفضيل لراية اليماني على سائر الرايات ينبع من صدق النية وصلاح السريرة الذي لا يمازجه نفاق، وعدم إضماره لما يخالف الظاهر، بخلاف غيرها من الرايات التي طغت عليها الحنكة السياسية القائلة إن الهدف يبرر الوسيلة.

وإذا كان هناك مدح لبعض الرايات وتمجيد فهو لبعض التابعين من ذوي العقائد الصادقة دون المتبوعين.

تحركات اليماني :

هذا الجانب هو الآخر لم يُلقَ عليه الضوء ولم تتعرض له الأخبار بشكل مفصل وواسع سوى الإعلان عن خروج اليماني كما جاء في الأخبار المارة.

وفي المرحلة الثانية تسجل بعض الأخبار حضوراً لرجل يماني في الشام تعبر عنه بالقحطاني إلا أن المستفاد منها مغايرته لليماني المبحوث عنه؛ لأنها تدل على أنه ظالم، فقد روي في عقد الدرر عن كعب الأحبار قال: لابد من نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض، ولابد أن يظهر بين يديه علامات وفتن،

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٧٤، كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٣ ـ ٢٥٦ ذ ح ١٣، إعلام الورى: ٤٢٨.

فأول ما يخرج ويغلب على البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن.

قال كعب الأحبار: بينما هؤلاء الثلاثة قد تغلّبوا على مواضعهم بالظلم، وإذ قد خرج السفياني من دمشق[1].

فهي تدل على خروج القحطاني من بلاد اليمن وتصفه بالظلم، بينما اليماني المتحدث عنه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

ويدل على التغاير بين اليماني والقحطاني بوضوح وحضور الأخير في الشام رواية الخاتون آبادي عن الفضل بن شاذان عن زرارة بن أعين عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «استعيذوا بالله من شر السفياني والدجال وغيرهما من أصحاب الفتن» وقيل له: يا بن رسول الله أما الدجال فعرفناه، وقد بيّن من مضامين أحاديثكم شأنه، فمن السفياني وغيره من أصحاب الفتن وما يصنعون؟ قال عليه السلام: «أول من يخرج منهم رجل يقال له أصهب بن قيس يخرج من بلاد الجزيرة له نكاية شديدة في الناس وجور عظيم، ثم يخرج الجرهمي من بلاد الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن، ولكل واحد من هؤلاء شوكة عظيمة في ولايتهم، ويغلب على أهلها الظلم والفتنة منهم، فبينا هم كذلك إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود، والسفياني من الوادي اليابس من أودية الشام... وقد يكون خروجه وخروج اليماني من اليمن مع الرايات البيض في يوم واحد وشهر واحد وسنة واحدة، فأول من يقاتل السفياني القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن فيقتله اليماني...»[2].

مما يبدو أن القحطاني غير اليماني يظهر قبل اليماني ويأتي الشام

---

(١) عقد الدرر: ٧٩.

(٢) كشف الحق: ١٥٣.

لأي سبب كان بقرينة قوله: «فأول من يقاتل السفياني القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن»، إذا جمع مع قوله: «ويخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس من أودية الشام» فهو يدل على أن قتالهم إنما يكون في الشام.

وبهـذا يكون خروج اليماني من اليمن هو ثورة على القحطاني الظالم، فيقتله بظلمه بعد عودته منكسراً من الشام إلى اليمن.

ولا يـبقى بعـد أصـل الخروج من تحركات اليماني المشهودة سوى إقباله الـذي يـرويه الشـيخ الكليني بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل: مـتى فـرَج شـيعتكم قـال عليه السلام: «إذا اخـتلف ولـد العباس، ووهى سلطانهم، وطمـع فـيهم مـن لم يكـن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنتها، ورفع كل ذي صيصـية صيصـيته، وظهـر الشـامي، وأقـبل الـيماني، وتحـرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله...»[١].

مما يشعر بأن إقباله له دور في خروج صاحب الأمر عليه السلام أو هو أمر يلفت أنظار المجتمع الدولي كحدث هام يكون علامة لحدوث تغيير جاد وشامل.

بيـنما تصـف روايات أخرى إقبال اليماني بأنه سباق ففي رواية الشيخ الطوسـي بسـنده عـن أبـي عـبد الله عليه السلام قـال: «الـيماني والسفياني كفرسي رهان»[٢]، ورواه النعماني بطريق آخر[٣].

فـيبقى الكلام في الهدف الذي يستبقان إليه والغاية التي يتسابقان عليها بعد الوقوف على أن حركة السفياني إنما تكون بالدرجة الأولى نحو العراق والمدينة، فهل المستبق إليه هو العراق أو المدينة.

والظاهر إذا لاحظنا أن هناك سباقاً آخر هو سبق الخراساني والسفياني

---

(١) الكافي ٨: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ح ٢٨٥، البحار ٥٢: ٣٠١ ح ٦٦.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٦١، البحار ٥٢: ٢٧٥ ح ١٧٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٣٠٥، البحار ٥٢: ٢٥٣.

نحو العراق، تعين إرادة استباق اليماني والسفياني نحو المدينة ومكة، يستبقان كفرسي رهان، بينما هناك رواية تدل على أن السباق نحو الجزيرة، وهي رواية الشيخ الطوسي عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: «ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام، وتنزل الترك الحيرة، وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبد الله عبد الله حتى يلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفياني، فيسبق اليماني ويحوز السفياني ما جمعوا، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد صلى الله عليه وآله»[١]. وفي رواية أُخرى: «حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني، فيتبع اليماني فيقتل قيساً بأريحا ويحوز السفياني ما جمعوا»[٢] وإذا كانت الجزيرة هي الجزيرة العربية فإنه يثبت ما استظهرناه، ولكن باعتقادي أن هذه الرواية فيها تقديم وتأخير فاحش كل جملة منها تتحدث عن واقعة على حدة فقوله: «ينزل الجزيرة السفياني» واقعة على حدة يراد بها ما بين دجلة والفرات، وقوله: «فيسبق اليماني» أي يسبق السفياني اليماني الذي هو عبارة أخرى عن قولهم واليماني والسفياني كفرسي رهان مع الإخبار عن سبق السفياني، وقوله «يحوز السفياني ما جمعوا» هو النهب الذي يقوم به جيش السفياني عند دخوله المدينة وغيرها المتحدث عنه في الأخبار، فليس ثمة جديد في هذا الخبر سوى سبق السفياني بينما هناك روايات تتحدث عن حدوث صدام بين اليماني والسفياني.

يروي ذلك ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا ظهر الأبقع من قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص

---

(١) الغيبة: ٤٦٤ ح٤٧٩، البحار٥٢: ٢٠٨ ح٤٥.

(٢) كتاب الفتن: ٨٢.

السفياني عليهما جميعاً، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقل الناس قبل الجاهلية، فيلتقي هو والأخوص وراياتهم صفر وثيابهم ملونة، فيكون بينهما قتال شديد، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه، ثم يظهر الروم...»[١].

فهي تدل على مقاتلة اليماني للسفياني بنفسه مع اتسام هذا القتال بالشدة بحيث يتبين من مجموعه أهمية اليماني وعلة تأكيد الرواية عليه.

وفي رواية أخرى لابن حماد عنه عليه السلام: «إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياني»[٢] هي الأخرى تتحدث عن تصدي اليماني بنفسه لقتال السفياني، إلا أن يكون القحطاني المار الذكر من قواده.

والخطوة الثالثة لليماني هو استباقه مع الخراساني لنصرة المهدي عليه السلام وتشكيل النواة الأولى لجيشه يدل عليه الخبر المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني ـ إلى أن قال ـ وتقبل رايات من شرقي الأرض غير معلمة، ليست بقطن ولا كتان ولا حرير، مختوم في رأس القناة بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد تظهر بالمشرق، وتوجد ريحها بالمغرب كالمسك الأذفر يسير الرعب أمامها بشهر حتى ينزلوا الكوفة طالبين بدماء آبائهم، فبينما هم على ذلك إذ أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسي رهان، شعث غبر جرد أصلاب نواطي وأقداح إذا نظرت أحدهم برجله باطنه فيقول: لا خير في مجلسنا بعد يومنا هذا اللهم فإنا التائبون، وهم الأبدال الذين وصفهم الله في كتابه العزيز إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ونظراؤهم من آل محمد»[٣].

---

(١) كتاب الفتن: ٧٨.

(٢) كتاب الفتن: ٥٩.

(٣) البحار ٥٢: ٢٧٤ ح١٦٧.

هـم الأبـدال الذيـن قـال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[١]، عـندما تخـاذل أكـثر العـرب خصوصـاً بعض عرب الجزيرة كما هو مشهود اليوم وسنشهده غداً أكثر فأكثر، بُعـداً لهـم وسـحقاً وسيسـتبدل الله سـبحانه بهـم أهـل المشـرق أي الإيرانيين وغيرهـم، وأهـل اليمن، فيأتون لنصرة الحق شعثاً غبراً جرداً حكاية عن سرعة النهضة والإقدام من دون تأني.

بمـنطق صـائب واستدلال حكيم بعد رؤيتهم لزيف الدنيا وعبث أفعالها بجمـيع زخارفهـا فـيقولون لا خـير في مجلسـنا بعـد الـيوم لا خـير في الجلـوس والـتأخر، ولا أفضـل مـن التوبة واللحاق بولي الله، عندها يتجلى معنى قول النبي ﷺ على ما روي عن أنس: «دعائم أمتي عصائب بساحل اليمن»[٢]، وكذا المروي من قوله ﷺ: «والإيمان يماني، والحكمة يمانية»[٣].

فـنحن نهيـب بـأهل الـيمن وحركتهم بمقدار ما نستحقر تخاذل أكثر العرب وابـتعادهم عـن الديـن الحق والطريقة المثلى، وقد مجّد لهم الرسول ﷺ ذلك على ما يرويه حذيفة قال في حديث:

«ويبعـث إمامهم إلى اليمن أعينوني، فيقبل سبعون ألفاً من اليمن عـلى قلائـص عـدن، حمـائل سيوفهم المسد، ويقولون: نحن عباد الله حقاً حقـاً لا نـريد عطـاءاً ولارزقـاً، حتى يأتوا المهدي بعمق أنطاكية، فيقتتل الروم والمسلمون قتالاً شديداً فيستشهد من المسلمين ثلاثون ألفاً، ويقتل سبعون أميراً نورهم يبلغ إلى السماء»[٤].

---

(١) التوبة: ٣٩.

(٢) الفردوس ٢: ٣٦ ح ٢٢٢٤.

(٣) الكافي ٨: ٦٩ ح ٢٧.

(٤) جامع البيان للطبري١٥: ١٧، كما في الداني: ١٠٤ ـ ١١٣.

بقي أمران:

الأمر الأول: هناك أخبار تدل على خروج المهدي عليه السلام من اليمن كالمروي عن النبي صلى الله عليه وآله يذكر فيه الأوصياء حتى يبلغ الثاني عشر ويذكر غيبته فيقول: «**فيخرج من اليمن من قرية يقال لها أكرعة على رأسه عمامة متدرع بدرعي متقلد بسيفي ذي الفقار ومنادٍ ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه**»[1].

فهو لا يدل على أن اليماني المتحدث عنه هو المهدي عليه السلام، ولعل المراد به إن صح الخبر هو خروجه عليه السلام من آخر محل اختفائه الذي هو اليمن وقرية أكرعة ودخوله مكة التي هي محل الظهور.

وكذا المروي عن أرطأة قال: «على يد ذلك الخليفة اليماني الذي تفتح القسطنطينية وورومية على يديه، يخرج الدجال في زمانه، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام في زمانه، على يديه تكون غزوة الهند وهو من بني هاشم»[2]، لو صح هذا الخبر إنما يكون فتح القسطنطينية وغيرها على يديه كقائد من قوّاد جيوش المهدي عليه السلام لا أنه هو المهدي، كما يستشعر من رواية حذيفة المارة.

الأمر الثاني: تتحدث الأخبار عن قحطاني يأتي بعد المهدي عليه السلام ويحكم عشرين عاماً يسير سيرته فإن ثبت ذلك فهو لا ارتباط له ببحثنا الذي يدور حول علائم الظهور، ولكن له المعارضة مع الروايات القائلة بأن القحطاني هو المهدي، فيطرح الجميع خصوصاً مع ضعف أسنادها.

المنصور:

أُطلق المنصور على اليماني وهي تطلق في الأخبار على ثلاثة: الأول هو المهدي المنتظر عليه السلام والثاني هو شعيب بن صالح قائد قوات المهدي عليه السلام، والثالث هو اليماني، وقد يقيد بالمنصور اليماني كما مر.

---

(١) كفاية الأثر: ١٤٧.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ١١٣.

اليماني من الذرية :

جاءت روايات عن عبد الله بن عباس وغيره تدل على أنه من بني هاشم منها قولهم: «ومنا قائم آل محمد الذين أكرم الله به نبيه، ومنا المنصور»[١]، وقيل هو من نسل زيد بن علي عليه السلام[٢].

---

(١) الإرشاد ١ : ٣٧، البحار ٣٧ : ٤٨.

(٢) انظر الغيبة للشيخ الطوسي: ١٨٩.

العلامة الرابعة

المرواني

خلاصة الكلام في المرواني

لعل المرواني هو رئيس إحدى دول الشام الأربع من الذين يقاتلهم السفياني قبل توجهه نحو العراق، في مجال بسط السيطرة على جميع دول الشام.

والمستفاد من الأخبار أن المرواني المتحدث عنه رجل قوي وله أعوان من عشائر بني مروان، بحيث يقاوم تهاجم جيوش السفياني لمدة ثلاثة أشهر بعد التعب المفرط والإنهاك الذي أصابه في ملحمة قرقيسياء العظيمة لأن له فيها السهم الأكبر، غير أن السفياني ينتصر عليه بالنتيجة ويقتلهم، ثم يتبع بني مروان فيقتلهم، ويقبل بعدها على أهل المشرق وبني العباس.

كما يقتل ابن ذلك المرواني الذي يؤهّل نفسه للقيام مقام أبيه بعد ما يقتل، كي يصفو له الجو في الشام، ولا يبقى له منازع.

العلامة الرابعة:

المرواني

لم تعط الأخبار تفصيلاً عن حركة المرواني ولا ماهيتها وحقيقتها، غير أنها جعلتها من العلائم على ظهور القائم من بين الأحداث التي تحدث قبل قيامه من دون تعليل لذلك ولا بيان لوجه الأهمية بالدقة.

غاية ما بلغنا عن ذلك أمور نعرض لها بالتدريج:

أولها: خروجه قبل قيام القائم كما جاء في الخبر المعتبر الذي يرويه النعماني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «قبل هذا الأمر: السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكف تقول: هذا هذا»[1]، بناءاً على أن المراد بهذا الأمر هو القائم كما هو منصرف إلى الذهن عند استعماله في أخبار العلائم وبقرينة الأمور الأربعة الأخرى المذكورة في هذه الرواية حيث إن جميعها من علامات ظهوره عليه السلام، وبدلالة الرواية الأخرى التي يرويها الطبري بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قبل القائم عليه السلام خمس علامات: السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح: وكف تقول: هذا هذا»[2].

فهي تدل على أن المراد بهذا الأمر هو ظهور القائم لأنها لم تقل قبل

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٢، ورواه عنه في إثبات الهداة ٣: ٧٣٥ ح ٩٧ إلا أن فيه: فكيف يقول هذا هذا، مما يدل على اختلاف النسخ فيما بينها، ولعل الأصح كلمة «كف».

(٢) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

هذا الأمر وقالت قبل القائم وأضافت ما هو أهم من ذلك وهو كونه من العلامـات على قيام القائم عليه السلام، الأمر الذي دعانا إلى عد خروج المرواني من العلائم المتاخمة بالإضافة إلى القرائن والشواهد الأخرى الآتية، ولو تم سند هـذه الـرواية لـتم ما أردناه وحققناه غير أن في سندها محمد بن خالد التميمي الـذي لم يذكـر في توثـيقه ومدحـه سوى رواية الأجلة عنه، مما يجعلها غير قابلة للطرح كما أنها غير قابلة للتصديق.

ومهمـا يكـن مـن ذلك فغاية ما بلغنا من التفصيل هو ما رواه ابن حماد عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «يقتل أربعة نفر بالشام كلهم ولـد خلـيفة: رجل من بني مروان، ورجل من آل أبي سفيان، قل: فيظهر السفياني على المروانيين فيقتلهم، ثم يتبع بني مروان فيقتلهم ثم يقبل على أهل المشرق وبني العباس حتى يدخل الكوفة»[1].

فهذه الرواية تدل على وجود أربعة خلفاء في الشام ولعله كناية عن الدول الأربع، القائمة في الشام، لأنه قال: «يقتل أربعة كلهم ولد خليفة» مما يدل على أن الآباء هم خلفاء بالفعل، لا أنهم كانوا خلفاء؛ لعدم وضع اللفظ لما انقضى عنه التلبس بالمبدأ.

ولا بُعـد في ذلك بعد تقسيم الشام إلى أربع دول، والمهم أن أحدهم من بني مروان والآخر من آل أبي سفيان وثالث عباسي كما مر.

ولعـل المـرواني الذي نتحدث عنه هو الخليفة الأب دون الابن المقتول، تكـون الحكومـة في بلـده وزمانه لبني مروان، لأن كل رئيس يقرّب أهله وعشيرته.

ثـم إن هذا الخليفة الأب هو الذي يقاتل السفياني وينازعه على الملك، لأنه جاء في الرواية: «ثم فيظهر السفياني على المروانيين فيقتلهم ثم يتبع

(١) كتاب الفتن: ١٧١.

بني مروان فيقتلهم ثم يقبل على أهل المشرق وبني العباس حتى يدخل الكوفة».

يؤيد ذلك ما رواه ابن حماد أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ينازع السفياني بدمشق أحد بني مروان فيظهر على المرواني فيقتله، ثم يقتل بني مروان ثلاثة أشهر، ثم يقبل على أهل المشرق حتى يدخل الكوفة»[1]، فإنها دلت على أن المرواني هو أحد أولئك الذين يقاتلهم السفياني قبل حركته نحو العراق والمشرق، مما يحتمل مشاركتهم في كل معركة يخوضها السفياني حتى معركة قرقيسياء التي تذكرها رواية النعماني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسياء يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله عنهم النصر، ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض اشبعي من لحوم الجبارين ثم يخرج السفياني»[2]، مما يدل على أن المرواني هو أحد أطراف النزاع فيها كما أن السفياني كذلك وكذا بنو العباس وغيرهم مما تقدم الكلام فيه مفصلاً، حاصله أن السفياني هو واحد من المشاركين فيها دون أن يكون له تلك المعروفية والشهرة، فإذا رجع منها وقتل كل مناوئيه الثلاثة الذين هم الأصهب والأبقع والمرواني الذي نتحدث عنه دانت له الدنيا، واشتهر أمره وتعاظم خطره، فيدخل العراق.

هذا غاية ما وجدناه من الأحاديث عن المرواني مع ضعف أكثرها سنداً، سوى رواية قبل هذا الأمر، ومع التسامح رواية خمس علامات.

---

(١) كتاب الفتن: ١٧١.

(٢) كتاب الغيبة: ٣٠٣.

العلامة الخامسة

السفياني

خلاصة الكلام في السفياني

إن خروج السفياني هو أهم العلائم على ظهور الإمام المهدي عليه السلام بحيث لا يقاس معه شيء من العلائم الأُخرى، ولعل العلائم الأُخرى تكسب علائميتها منه، فلا يكون الخارج من خراسان هو الخراساني العلامة إلا إذا قاتل السفياني، ولا يكون الخارج من اليمن هو اليماني إلا إذا قاتل السفياني، وكذا لا يكون الخسف في البيداء علامة على ظهور القائم إلا إذا كان هو الخسف بجيش السفياني، ولا تكون الصيحة والنداء هي العلامة إلا إذا أعقبها النداء باسم السفياني، وهكذا المرواني وشعيب بن صالح، ولا يكون المبايَع بين الركن والمقام هو القائم المهدي عليه السلام إذا لم يخرج قبله السفياني.

ولعلك تدرك مدى أهمية خروج السفياني والسر في التأكيد على خروجه في الأخبار، بعد معرفة أن العلامة التي يتميز معها صدق المدعي للمهدوية وكذبه، وبه نتحقق صدق الخارج باسم الخراساني والحسني واليماني وغيره.

والسفياني هو عثمان بن عنبسة، يرجع نسبه إلى أبي سفيان، وقيل: هو من ولد يزيد بن معاوية، وقيل من نسل عتبة بن أبي سفيان، والمسلَّم أن أُمه من بني كلاب وهم العشائر المنتشرة في الشام.

وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة وبوجهه أثر الجدري وفي عينه خلل إذا رأيته حسبته أعور، فهو قبيح المنظر بشع الصورة رغم أنه أحمر أشقر أزرق العينين، وما فائدة ذلك وخبثه يظهر على وجهه وفي جميع فعاله.

ينشأ السفياني ويترعرع في الشام على مايبدو، مع احتمال ترعرعه

في الغرب وفي بلد الروم.

والمهم أنه يُظهر الزهد ويتقشف، ويبذل الأموال، فيجذب قلوب الجهال والأراذل حتى يصبح شخصية مرموقة، ورمزاً دينياً منظوراً إليه، رغم أنه لم يعبد الله قط ولم ير مكة والمدينة، وهو متأثر بالثقافة الغربية إلى آخر الحدود، ولعله يكون من صنع أيديهم!!

حتى إذا عمّت البلاد الفتن، وتسبب الصراع بين القوى المتواجدة في الشام في حصول التشويش والاضطراب الشديدين، وأصاب أهل الشام الذلّ والهوان وتمادت الفتنة وطال العناء، صار أهل الشام يفكرون في استعادة أمجادهم، وتتولد عندهم فكرة مستجدة أو سابقة تتجلى في ذلك الحال، وهي أن الشام لا تستعيد مجدها إلا على يد أموية فيقولون: اطلبوا ملك الأول، ويخطر في أذهانهم ذلك الأموي المتقشف والرمز المصنوع، فيأتون إليه ويطالبونه بالخروج، وهو يومها في قرية حرستا القريبة من دمشق، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب وذلك دهاء منه، فيبقى في الوادي اليابس الذي لايعلم موضعه بالدقة، ولعله في فلسطين وقيل: قرب دمشق.

ولما كان السفياني معروفاً بين أهل الشام لأجل ما بذله من الأموال وما أظهره من الزهد والتقشف يأتيه جماعة من أهالي الوادي اليابس فيقولون له: يا هذا ما يحل لك أن تضيّع الإسلام، أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن، أما تنصر دينك وأنت من قريش من أهل بيت الملك القديم؟!

فيستجيب لهم ويخرج راغباً في الأموال والعيش الرغد، ويتبعه ناس من قرى الوادي اليابس، حتى يأتي دمشق، ويتجه نحوها بمجموعة قليلة في وقت عصيب قد اشتبكت فيه قوات الشام مع قوات المغرب التي جاءت لاستحلال الشام بعد ما استحلت مصر.

ولما يسمع حاكم دمشق العباسي بالخبر، يخرج إليه بمن معه من القوات ليلقاه ويقاتله، ولكن لحظة تلاقيهما ينهزم جيش الحاكم وجموعه، حتى يأتي السفياني دمشق في يوم جمعة من شهر رجب، ويستوي على منبرها ويخطب فيأمرهم بالجهاد ويبايعهم على أن لا يخالفوا له أمراً رضوه أم كرهوه.

فما يبرح حتى يجتمع إليه الناس وتتلاحق به أهل الضغائن، ثم يبعث إلى قبائل كلب فيأتيه منهم مثل السيل، فيجمع الجيوش حتى تنتظم ويبعث بها إلى قوات المغرب ورجال البربر الذين يقاتلون رجال الملك المنحًى من ولد العباس والتي هي قوات أجنبية، فيفاجئهم السفياني في عصائب أهل الشام، ويقع القتال الشديد بين الأقطاب الثلاثة في بطن الأردن وتتوالى المعارك حتى يخرج السفياني من هذه المعارك منتصراً، ويقضي على جنود المغرب ويفرق جموعهم، فيلتحق به طائفة منهم ويهرب الباقون إلى مصر والحجاز، ويستتب له الأمر بالشام، ويعدل بين الناس، ويسير فيهم بما هو خيرهم وصلاحهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب.

فيكون في أرض الشام بعد ذلك ثلاث دول غير دولة السفياني يعرف رئيس أحدها بالأبقع والثانية بالأصهب، والثالثة بالمرواني، فيتجه السفياني إلى قتال الأبقع، ويقع بينهما القتال، فينتصر عليه السفياني ويقتله ومن تبعه، ثم يتوجه إلى الأصهب، وينتصر عليه ويقتله، وهكذا المرواني حتى يسيطر على جميع بلاد الشام، المعبَّر عنها بكور الشام الخمس، ويقوم بإخراج جميع القوات المجتمعة فيها كقوات اليمن وأهل المشرق والقوات الأجنبية.

ثم لا يكون له همة بعد ذلك سوى التوجه نحو الشرق، أي العراق حيث اجتمعت فيه قوات متعددة من الترك والروم بالإضافة إلى تواجد قوات مشرقية ايرانية أو غيرها يعطف عليها ويقع القتال بينهم، فتتراجع أمامه

تلك القوات، حتى تجتمع جميعها في منطقة قرقيسياء الواقعة عند ملتقى نهر الخابور والفرات، التي تنشب فيها الحرب المعروفة بمعركة قرقيسياء ويكون السفياني أحد المساهمين وأحد الأطراف المتنازعة فيها.

وقد تحدثت الأخبار عن حدوث حرب لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض، ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض، فتكون مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء من لحوم الجبارين.

فيبلي السفياني في هذه الحرب بلاءاً عظيماً، وتظهر قوته وقسوته لجميع العالم، يقوم فيها بقتل الترك والروم وجنود المشرق، فيداخل الناس عنده الجزع والخوف، ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق، واعترف به العالم.

حتى أنه يرسل إلى رؤساء الدول الغربية ويطالبهم باسترجاع من هرب إلى بلادهم من العلويين وغيرهم فيحصل عندهم التردد في تسليمهم ثم يسلمونهم إليه فيأخذهم ويقتلهم.

وتستحكم الروابط بينه وبين الدول الغربية، خصوصاً بعد ما يحاول الدخول إلى العراق وتتصدى له جنود المشرق والرايات السود الخراسانية ويقع القتل في قواته حتى يعجز أمام تلك القوات مما يضطره إلى الذهاب إلى الدول الغربية ويطلب منهم المساعدات والأسلحة، وإذا به يرجع من تلك الدول وقد صار نصرانياً وفي عنقه الصليب، ليكشف عن حقيقته وعمالته المسبقة.

ثم يتجه نحو العراق ولا يعبر الفرات إلا وهو كافر قد سلب الله الرحمة من قلبه فيأتي إلى مدن العراق واحدة بعد واحدة فيخربها ويكثر فيها القتل حتى يدخل بغداد، فكم من قتيل وقتيلة ومال منتهب وفرج مستحل.

ثـم تـنحدر قواته إلى الكوفة والنجف، فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإن الـرجل منهم ليمر بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرّض لها، ويرى الصبي الصـغير فيـلحقه ويقـتله، وحتى النساء لايدعهن بل يقتل منهن ويسبي بعضهن، ثـم يترك بعض قواته فيها ويأمر البعض الآخر بالتوجه إلى المدينة ويرسل إلـيهم الـتعزيزات العسـكرية والقوات الإضافية ليشكّل جيشاً جديداً ثانياً في غاية الاستعداد.

وفي ذلك الحال تقبل الرايات السود الخراسانية حتى تنزل على الماء، ويـبلغ مـن بالكوفـة مـن أصحاب السفياني نزولهم فيهربون، ثم ينزلون الكوفة ليستنقذوا من فيها من المسجونين من بني هاشم وغيرهم.

ويخرج في هذا الحال قوم من سواد الكوفة يقل لهم العصب ليس معهم سـلاح إلا قلـيل وفـيهم نفـر مـن أهـل البصـرة فيدركون أصحاب السفياني ويستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة.

ثـم يتوجه الجيش الأخر من جيوش السفياني نحو المدينة المنورة التي يـتواجد فـيها الإمام المهدي عليه السلام يومئذ، فيجيء الجيش حتى يدخل المدينة ويقـتل فيها الرجال ويبقر بطون النساء، ويأمر بقتل كل من كان فيها من بـني هاشـم حتى الحبالى، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه مـن المشـرق، فـيهرب الناس ويتفرقون في الجبال والبوادي، ويخرج الإمام المهدي عليه السلام وصاحبه منها إلى مكة.

ويبعـث السـفياني الجيش إلى مكة في أثرهما، حتى إذا توسطوا البيداء خسفت بهم الأرض على ما سيأتي الكلام فيه.

فلا ينجو منهم سوى شاهدين أو ثلاثة فيجيء اثنان منهم إلى السفياني ويخـبرانه الخـبر، فيمـتعظ ويكون له عبرة، خصوصاً وأنه حينما يدخل الكوفة يقتل الأطفال ويغلي لهم الزيت، ويأخذ اثنين منهم اسمهما حسن وحسين فيصلبهما على مسجد الكوفة، فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فإذا رأى

ذلك الدم وسمع بخبر الخسف أيقن بالهلاك، فيعتكف على شرب الخمر والمعاصي ويأمر أصحابه بذلك كحالة هستيرية، ويأخذ امرأة حامل في وسط الطريق ويدفعها إلى بعض أصحابه ويقول: افجر بها في وسط الطريق، ثم يبقر بطنها فيسقط الجنين من بطن أُمه، ولا يقدر أحد أن يغير ذلك وتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر الله عزوجل جبرئيل عليه السلام ليصيح على سور دمشق، ألا قد جاءكم الغوث يا أُمة محمد، قد جاءكم الفرج وهو المهدي عليه السلام.

عندها يكون المهدي عليه السلام قد ظهر بمكة وجاء بالأصحاب إلى الكوفة لتبايعه جيوش خراسان ويسير الجميع نحو الشام.

فيقول السفياني: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض، إن هذا لعبرة وبصيرة، ويكون حوله جماعة هم الآخرون قد اعتبروا بذلك فيصرّون عليه ويجبرونه على النزول على حكم الإمام، فيضطر إلى بعث البيعة إلى الإمام، ويؤدي إليه الطاعة.

ثم تأتيه قبائل كلب فيقولون: ماصنعت؟ انطلقتَ إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له، فيقول: ما أصنع قد أسلمني الناس، فيقولون: إنا معك، فيقول: ما ترون، استقيله البيعة؟ فيقولون: نعم، فيأتيه ويقول: أقلني البيعة، فيقيله الإمام عليه السلام ويقول: «هذا رجل قد خلع طاعتي» ويعود السفياني إلى أصحابه وقد استعدوا للقتال فتدور بين الجيشين المعارك وينشب بينهما القتال، وسرعان ما ينكسر جيش السفياني ويقتل أصحابه، ويؤتى بالسفياني وقد جعلت عمامته في عنقه وسحب حتى يقف بين يدي الإمام عليه السلام.

فيقول السفياني للمهدي عليه السلام: يا ابن عمي مُنّ علي بالحياة أكون سيفاً بين يديك وأُجاهد أعداءك، والمهدي جالس بين أصحابه وهو أحيى من العذراء، فيقول: «خلّوه».

عندها يعترض أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ويقولون ياابن بنت رسول

الله تمنّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله ﷺ ما نصبر على ذلك.

فيقول: «شأنكم وإياه، اصنعوا به ما شئتم»وقد كان خلاّه وأفلته، فيلحقه رجل من الإيرانيين فيأخذه ويقتله.

ويكون قبل خروج السفياني أُمور وأحداث تتحدث الأخبار عن أنها علامة على خروج السفياني منها اختلاف بني العباس، وخروج اليماني، وإقبال الترك والروم إلى المنطقة، وخروج أهل المغرب إلى مصر والشام، والاختلاف في الشام، والانتخابات في بغداد، وسقوط طائفة من مسجد دمشق، وظهور الأبقع، وخروج رجل عباسي في الشام، وفتنة بين أهل المشرق والمغرب، وخراب الشام، والخسف بقرية الجابية وحرستا، ورجفة تكون في الشام يهلك فيها الكثير، وغيرها.

العلامة الخامسة:

السفياني

لعل خروج السفياني هو المحور الذي تدور عليه رحى العلاملت والأحداث السريعة التي تسبق ظهور القائم عليه السلام وبه تتميز عن نظائرها ومشابهاتها؛ لأنها بين أن تكون طرف الصراع معه كالخراساني واليماني والمرواني، وبين أن تكون واقعة تصيب جيشه وأتباعه كالخسف بجيشه وعساكره، أو ترتبط به كالنداء الثاني الذي يكون باسمه، ولا أقل من أن تقارنه في الوجود أو تحدث في زمان خروجه كقتل النفس الزكية من العلائم، أو تختم بذلك كزوال بني فلان الذي يأتي الكلام عنه.

والأهم من جميع ذلك اهتمام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بهذه العلامة أشد الاهتمام، فما أن يسأل السائل عن العلامة القطعية لظهور القائم إلا ويكون جوابهم عليهم السلام هو خروج السفياني، أو يقول ماهي العلامة بيننا وبينكم؟ فيأتيه الجواب إذا خرج السفياني فاقبل إلينا بالسلاح، أو الزم الأرض وكن حلساً من أحلاس بيوتك حتى يبلغك أن السفياني قد خرج.

وما أن يوقت السائل ويقول يخرج القائم عليه السلام هذه السنة أو كان المقرر أن يظهر في هذه السنة إلا ويواجه الجواب الاعتراضي القائل أيقوم القائم بغير سفياني؟!

وهكذا فإن المتحمسين كانوا يأتون الأئمة عند حصول كل حركة ويقولون كنا نقدر أن هذه الحركة هي حركتكم وتنتهي بدولتكم أو يبعثون

إليهم بالرسائل يحرضونهم على استغلال الفرصة والخروج بالسيف فكان الجواب الذي لا يتوقعونه على الرغم من العلم به هو أن يقول الإمام أما علمتم أنه إنما يقوم السفياني، ولا يقوم القائم من دون خروج السفياني. كل ذلك حتم علينا أن نستوفي الكلام في هذه العلامة أكثر مما عداها ونسلّط عليها الضوء أكثر من العلامات الأخرى.

اسمه ونسبه:

ليس من المستحسن البت في اسم السفياني ولا غيره ممن سيأتي زمانه كما علّمنا التاريخ، والمهم هو معرفته بجامع صفاته وعلائمه.

ومع ذلك فقد ورد في أكثر من رواية أن اسمه عثمان بن عنبسة، أفضلها سنداً ما رواه الشيخ الصدوق عن محمد بن علي ماجيلويه قال: حدثني عمي محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام قال أبي عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها»[1]، ومحمد بن علي الكوفي مرمي بالضعف والكذب والغلو، وأكثر ما يتهم به هو الغلو والارتفاع غير أني أتردد في تضعيف مثله.

وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام: «هو عثمان بن عنبسة الأموي من ولد يزيد بن معاوية»[2] وهي ضعيفة السند غير أنها مشحونة

---

(١) كمال الدين ٦٥١ ح ٩، البحار ٥٢: ٢٠٥ ح ٣٦، ورواه في إعلام الورى ٢: ٢٨٢ مرسلاً عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن الصادق عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيه: وأبوه عيينة، وفي إثبات الهداة ٣: ٧٢١ «وأبو عيينة».

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٤، البحار٥٣: ٨.

بالعلم لا يصدر متنها إلا من إمام معصوم.

ويؤيد ذلك أمران:

الأول: الروايات الواردة في الصيحة الثانية، وهو نداء إبليس من الأرض: «ألا أن الحق مع عثمان وشيعته»[١] إذا جمع مع ما رواه الصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس ـ لعنه الله ـ في آخر النهار: ألا أن الحق في السفياني وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون»[٢] ومع ذلك لا يكون نداء «ألا إن الحق في علي وشيعته» قرينة على إرادة عثمان بن عفان؛ لأن نداء «ألا إن الحق في السفياني وشيعته» تعيين لما هو المراد، ويكون المراد بعثمان المنادى باسمه هو السفياني عثمان بن عنبة.

الثاني: تكرُّر اسم عثمان بن عنبسة في شجرة بني أمية، منهم عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ذكره في تاريخ مدينة دمشق وقال: وهو ابن أخي معاوية وابن أخت ابن الزبير أرادت بنو أمية أن تبايعه بالخلافة يوم ملت معاوية بن يزيد بن معاوية فأبى ذلك[٣].

ومنهم عثمان بن عنبسة الأصغر بن عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان أبو العباس الأموي العنبسي ذكره ابن عساكر[٤].

وعليه فما جاء في مرسلة عقد الدرر المفصلة من أن اسمه حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية

---

(١) الإرشاد للمفيد ٢: ٣٧١، الغيبة للطوسي: ٤٣٥، كمال الدين: ٦٥٢.

(٢) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ١٤، وله قصة مفصلة أخرى في ج ٣١: ٣، من شاء فليطلع عليها.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ١٨ رقم ٤٦٢٨.

بن أبي سفيان، لا يعتمد عليه[1].

وأما نسبه، فقد تقدم في رواية المفضل أنّه من ولد يزيد بن معاوية، ولكن روى الشيخ الطوسي وغيره عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام أنه من ولد عتبة بن أبي سفيان[2]، وهي مرسلة على ما يبدو، بينما الأولى مسندة، تدعمها مرسلة عقد الدرر.

ومهما يكن من ذلك فالروايات متفقة على أنه من ولد أبي سفيان وإن اختلفت في غيره من آبائه.

صفاته:

جاء في رواية عمر بن أذينة التي تقدم الكلام في سندها: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور»[3] وآكلة الأكباد هي هند زوجة أبي سفيان التي لاكت كبد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله، مما يدعم أنه من ولد أبي سفيان.

ولا ينافي بشاعة وجهه ما ورد من أن السفياني أحمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم ير مكة ولا المدينة[4]...، لما ورد بسند معتبر عن عمر بن يزيد قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول: يا رب ثاري ثاري ثم النار، وقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه...»[5].

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) الغيبة: ٤٤٣ ح ٤٣٧، الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٥ وفيه: قيل لعلي بن الحسين عليه السلام.

(٣) كمال الدين: ٦٥١ ح ٩. الربعة: الوسيط القامة، أنظر كتاب العين ٢: ١٣٣.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٦، البحار ٥٢: ٢٥٤.

(٥) كمال الدين: ٦٥١، البحار ٥٢: ٢٠٥ ح ٣٧.

فهو يدلّ على أن الخبث والوحشة في فعاله بحيث يظهر الشر على وجهه وإن كان أزرق العينين أحمر الوجه وأشقر، ينضاف إلى ظهور خبثه على وجهه الخلل الموجود في عينيه بحيث إذا رأيته حسبته أعور، وكذلك أثر الجدري وضخامة الرأس، مما يجعله مخوفاً مهولاً.

ومهما اختلفت صفاته فالراجح أنه أحمر أشقر أزرق؛ لورود ذلك في الخبر المعتبر وتكرر نقله.

منشأ حركة السفياني:

إذا استدامت أمور الدنيا على ما هو عليه اليوم فلابد أن نطلب لحركة السفياني أصابع غربية تدعمها وتمدها بالأيدولوجية والثقافة التي تسود في الغرب الذي يعبر عنه في الروايات ببلاد الروم.

فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن بشر بن غالب قل: يقبل السفياني من بلاد الروم متنصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم[1].

مما يدل على أن له قوماً يسيرّونه وله ثقافة غربية ولا يتيسر التعبير عنها في ذلك الزمان سوى بالتنصر أي النصرانية والمسيحية الغالبة ـ ولو بالاسم ـ في بلاد الغرب، وكذلك فإن الصليب هو علامة على ذلك.

ولو صح هذا الخبر فهو يدل على ترعرع السفياني في الغرب وانتهاله من ثقافتهم وذوبانه في أيدولوجيتهم.

يؤيد ذلك ما ورد في خبر آخر يجعل من علامات ظهور القائم:

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٢ عن قرقارة، عن أبي النصر إسماعيل بن عبد الله بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن جعفر بن سعد الكاهلي، عن الأعمش، عن بشر بن غالب.

خـروج السـفياني براية خضراء وصليب من ذهب[1]، مما يدل على ثقافته ودعمـه بالمـال المسـتفاد من قوله صليب من ذهب، ولا أقل من مصانعته ومعاملـته مـع الغربـيين مـن أجـل إمداده بالسلاح وتقويته للتغلب على مناوئـيه، خصوصـاً الخراساني القوي الشوكة، حتى جاء في رواية الخاتون آبـادي عـن الإمـام الصادق عليه السلام «ثم يبعث السفياني جيوشاً إلى الأطراف ويسخر كثيراً من البلاد ويبالغ في القتل والفساد، ويذهب إلى الروم لدفع الملك الخراساني ويرجع منها متنصراً في عنقه صليب»[2].

فـإن هـاتين الروايـتين وإن كانـتا ضـعيفتي السـند، لكـن يسـاعدها الوضع الحاكم في الدنيا اليوم ورجحان ثباته على ما سيأتي.

ولو فرضنا عدم ثباته واختلاف أُمور الدنيا بزوال الدول الأوربية أو زوال هيمنتها بحصول خلاف بينها أو حجر يضرب الأرض يهلك فيه أكثر أهلها كما يشعر به بعض الأخبار.

فـالذي يظهر من الأخبار الذاكرة لأعمال السفياني وإباحيته هو تأثره العميق بتلك الثقافة وتكون حركته ناشئة عن الانفلات السياسي الحاصل أثر ذلك.

ومهمـا يكـن مـن ذلـك فإن ثقافة السفياني الحقيقية لا تمنع من أن يظهر الزهد ويكون له موقع ديني أو ثقافي كما يأتي.

منطق السفياني:

المستفاد من الأخبار التي منها خبر عمر بن يزيد المعتبر المار أن السفياني إنما يجيء لطلب الثأر وهدفه الانتقام فإن فيها: «إنك لو رأيت السفياني لرأيت

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

(٢) كشف الحق (أربعين الخاتون آبادى): ١٥٣.

أخبث الناس، أشقر أحمر أزرق يقول: يا رب ثاري ثاري ثم النار»[١] وفي رواية أخرى يقول: «يا رب ثاري والنار، يا رب ثاري والنار»[٢]، مما يدل على أن ثأره قول وليس ثأراً حقيقياً لأنه قال: «يقول» فهو مجرد قول وادعاء، ويؤيده كلمة أخبث الناس الدالة على اصطناع الفتن وإظهار خلاف ما في الضمير، وكذلك قوله «ثم النار» ويدل على علمه بزيف دعوته وبطلان دعواه.

وتكرار كلمة ثاري يدل على طول مدة المطالبة بذلك والتأكيد عليه.

ولما سيأتي أن السفياني سيصب حمم غضبه على العراق والحجاز بعد السيطرة على الشام بأكمله فإن ذلك يحكي عن وجود نفرة وعداوة من ناحية الغرب لسكان هذين المصرين بعدما يحدث فيها ما ينافي مصالحهم بحيث يضطرون من أجل بسط السيطرة عليها إلى تشكيل دولة قوية في الشام،حيث إن الشام تخضع بطبعها لرؤسائها مهما كانوا، وبواسطتها تحاول السيطرة على هذين البلدين.

كما لا يبعد أن تحدث في منطقة الشرق الأوسط عموماً والعراق والحجاز والشام ولبنان وفلسطين تحركات طائفية، وحركات متشددة تنتمي إلى نزعات أموية تمهد الأرضية المناسبة لتنامي الفكر الانتقامي الذي يدعو إليه السفياني، وهناك رواية تدلّ على أن الأمويين يصيبهم الويلات من ناحية الهاشمي الذي

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥١ ح١٠ عن أحمد بن زياد جعفر الهمداني عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن محمد بن أبي عمير عن حماد بن عثمان عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

(٢) الغيبة للنعماني: ٣٠٦ ح١٨ عن أحمد بن محمد بن سعيد بن حميد بن زياد عن علي بن الصباح ابن الضحاك عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في هذا السند علي بن الصباح مهمل لم يتعرض له الرجاليون في كتبهم.

يخرج من المشرق، من إيران أو العراق وتكون أعمالهم كرد فعلٍ على تلك المضايقات كما سيأتي في سبب دخول المدينة واستباحتها وقتل الهاشميين فيها.

والأولى من جميع ذلك دخول أعماله في طريق التدبير المسبق من القوى العظمى للحض حركة القائم في نطفتها أو قبل قيامها لعلمهم بمجيء مصلح يكون مركزه العراق وينتظره الشيعة الإمامية حتى ورد أن السفياني يقتل كل شيعي وكل من اسمه حسن أو حسين وأمثاله كما يأتي.

بل إن المستفاد من بعض الأخبار أن قيام السفياني إنما يكون بعد ظهور القائم فيختفي القائم حتى يخسف بالجيش بالبيداء كما يأتي.

على أن لا يعني كل ذلك عدم إعلان الأهداف الجذابة والهتافات المضللة بحيث يصعب تمييز حقيقة الدعوة الجديدة والتباس الأمر على بعض أهل الحق بحيث إنهم لولا عصمة الله سبحانه لهم لزالوا معها ودخلوا تحت رايتها كما جاء في بعض الأخبار.

ومنها المروي في عقد الدرر مرسلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه: «فيغلب السفياني، وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب، والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله منه ما قالوا ذلك، فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات، وينزع الله من قلبه الرحمة...»[1].

ومنها ما رواه النعماني بسنده عن علي عليه السلام وفيه: «وإذا كان ذلك خرج السفياني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه...»[2].

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) غيبة النعماني: ٣٠٥، البحار ٥٢: ٢٥٢ والسند هكذا علي بن أحمد عن عبيد الله بن موسى العلوي عن عبد الله بن محمد عن محمد بن خالد عن الحسن بن المبارك عن أبي اسحاق الهمداني عن الحارث الهمداني عن علي عليه السلام.

بل ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «وهذا الملعون يظهر الزهد قبل خروجه، ويتقشف، ويتقنع بخبز الشعير والملح الجريش، ويبذل الأموال فيجلب قلوب الجهال والأراذل، ثم يدّعي الخلافة فيبايعونه ويتبعهم العلماء الذين يكتمون الحق ويظهرون الباطل فيقولون: إنه خير أهل الأرض»(١).

وأكثر من ذلك فإن الأخبار دلت على أن الناس هم الذين يأتونه ويطلبون منه القيام والانتصار للدين فيقول: لست بصاحبكم، مما يدل على أن له موقعاً دينياً أو ثقافياً مرموقاً وعالياً، وإن كانت حقيقته هي الثقافة الغربية كما مر.

فقد جاء في عقد الدرر المار عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فتضطرب الشام وفلسطين فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون اطلبوا ملك الأول فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق بموضع يقال لها حرستا، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب، وذلك دهاء منه، ويكون بالوادي اليابس عدّة عديدة فيقولون له: يا هذا، ما يحلّ لك أن تضيع الإسلام، أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن؟! فاتق الله واخرج، أما تنصر دينك؟! فيقول: لست بصاحبكم، فيقولون: ألست من قريش من أهل بيت الملك القديم، أما تغضب لأهل بيتك وما نزل بهم من الذل والهوان؟!

ويخرج راغباً في الأموال والعيش الرغد فيقول: اذهبوا إلى خلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة، ثم يجيئهم في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق، وهو أول منبر يصعده، فيخطب ويأمرهم بالجهاد ويبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً رضوه أم كرهوه»(٢).

وهذا الحديث وغيره يدل على حقيقة خطيرة يجب الالتفات إليها محصلها أن السفياني لا يأتي باسم السفياني، ولا يأتي بعنوان حاكم جائر، وإنما يأتي

---

(١) كشف الحق للخاتون آبادي: ١٥٣.

(٢) عقد الدرر: ٩٠، وانظر الزام الناصب ٢: ١٧٨.

بصفة دينية وحتى أنه يعمل بالعدل مدة بحيث يؤدي إلى التباس الأمر بالكلية فقد جاء في موضعٍ آخر من الرواية المارة:

«وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب، والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمه محمد ﷺ منه ما قالوا ذلك، فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات، وينزع الله من قلبه الرحمة...».

فهي تصرّح بذلك، وتدل على أن التغيّر أو إظهار الكفر والفسق أو ظهور حقيقته يكون بعد عبوره الفرات، فهي وإن كانت ضعيفة السند إلا أن هناك رواية أخرى تدعمها.

فقد ورد: «أن السفياني لا يعبر الفرات إلا وهو كافر»[١].

محل خروج السفياني:

المؤكد أن السفياني إنما يخرج في الشام، فقد عدت الروايات الكثيرة في علامات خروج القائم خروج السفياني من الشام[٢].

كما عينت الروايات خروجه من الوادي اليابس وهي كثيرة.

ومنها ما رواه حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال: **«فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق»**[٣].

ومنها ما رواه النعماني بسند عن علي عليه السلام: «فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي

---

(١) عقد الدرر: ٧٩.

(٢) كمال الدين: ٣٢٨، ٣٣١، البحار ٥٠: ٢١٨.

(٣) البحار ٥٢: ١٨٦.

اليابس حتى يستوي على منبر دمشق»[١].

ومنها رواية الشيخ الطوسي بسند عن علي عليه السلام قال في حديث: «فإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي اليابس»[٢].

ومنها رواية حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام وفيها: «ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس...» [٣].

ومنها رواية عمر بن أذينة التي تقدم الكلام عن سندها: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس...» [٤].

ومنها ما رواه الخاتون آبادي في كتاب كشف الحق عن الفضل بن شاذان يروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «فبينا م كذلك إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود والسفياني من الوادي اليابس من أودية الشام وهو من ولد عنبسة بن أبي سفيان»[٥].

ولم تذكر المعاجم حدود الوادي اليابس غير أن المستفاد من بعض الأخبار أنه في فلسطين؛ ففي رواية المفضل عندما يذكر الصيحة الأولى والثانية يقول: «فإذا زالت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغاربها يا معاشر الخلائق لقد ظهر ربكم من الوادي اليابس من أرض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة الأموي...» [٦].

---

(١) غيبة النعماني: ٣٠٥ ب ١٨ ح ١٦. ومثله في ب البدء والتاريخ ٢: ١٧٧.

(٢) الغيبة: ٢٧٧.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٤، الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٥ وفيه: قيل لعلي بن الحسين صف لنا متى خروج المهدي.

(٤) كمال الدين: ٦٥١، البحار ٥٢: ٢٠٥ ح ٣٦.

(٥) كشف الحق: ١٥٣.

(٦) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٩٧.

ولكـن يرى البعض أن الوادي اليابس قرب دمشق أو في منطقة حوران ودرعا قرب الأردن[١].

ولم يـزد الحموي على قوله: وادي اليابس نسبة إلى رجل، قيل: منه يخرج السفياني في آخر الزمان[٢].

وقصبة فلسطين كما ذكر البشاري هي الرملة ومدنها بيت المقدس، بيـت جـبريل، غزة، ميماس، عسقلان، يافه، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحا، عمان[٣]، فلا يعد في كون الوادي اليابس يقع فيما يسمى قصبة فلسطين آنذاك وهـو الـيوم فـيما يسـمى الأردن؛ لأن الكتب ذكرت عمان من جملة مدن فلسطين، ومن هذا الجمع يعلم حدود الوادي اليابس.

مركز حكومته:

وأمـا مركز حكومته على ما يبدو فهي مدينة دمشق كما دلت عليه رواية حذيفة المارة، وما رواه النعماني فإن فيها: «حتى يستوي على منبر دمشق» الذي هو كناية عن الملك والسلطة.

وروى ابن حماد بسنده عن كعب في حديث أنه قل: «ويجلس ابن آكلة الأكباد على منبر دمشق، ويخرج البربر إلى سرّة الشام، فهو علامة خروج المهدي»[٤].

وروي عـن الـنبي صلى الله عليه وآله أنـه قال في حديث: «فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين...»[٥].

---

(١) معجم أحاديث الأمام المهدي عليه السلام ١: ٤١٩.

(٢) معجم البلدان ٥: ٤٨٦.

(٣) أحسن التقاسيم: ١٣٦.

(٤) كتاب الفتن: ٥٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢، الكشاف ٣: ٤٦٧، مجمع البيان ٤: ٣٩٨، البحار ٥٢: ١٨٦.

ونزوله مدينة دمشق وبعثه الجيش منها آية صيرورتها مركز حكومته.

وروي عن علي عليه السلام: «السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بياض، يخرج من ناحية مدينة دمشق في وادٍ يقال له وادي اليابس»[١].

وفي رواية عقد الدرر عن علي عليه السلام بعد ذكر حروب السفياني يقول: «ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق فيجيّش جيشين...»[٢].

ولكن ليس في هذه الروايات مما يوثق بسنده، وأفضلها سنداً رواية النعماني المارّة بسنده عن المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام ...، والمغيرة بن سعيد ملعون.

فإن استغنينا بتعدد الطرق وإلا فالمسلم أن مركز حكومته الشام.

بقي أنه ورد في بعض الأخبار: «أن السفياني يخرج من الوادي اليابس حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها»[٣]، فإذا جمع مع رواية النعماني فهو يعني دمشق.

استقرار حكومة السفياني:

المستفاد من الأخبار أن استقرار حكومة السفياني بتسلطه على كور الشام الخمس، فقد روى النعماني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «السفياني من المحتوم وخروجه في رجب، من أول خروجه إلى آخره خمسة

---

(١) كتاب الفتن: ٧٥، عقد الدرر: ٧٢، كنز العمال ١١: ٢٨٤.

(٢) عقد الدرر: ٩٢، الزام الناصب ٢: ١٧٨.

(٣) البحار٥٢: ٢٠٥، عن ما جيلويه عن عمه عن الكوفي عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة قال ابو عبدالله عليه السلام...

عشر شهراً ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً»[١].

مما يبدو أن المقصود بكور الشام الخمس هو جميع الشام، بدليل ما ورد في الأصول الستة عشر عن جعفر بن محمد عليهما السلام: «السفياني إذا ملك الكور الخمس يعني الشام، فإذا ظهر على كور الشام فاقبلوا إلينا»[٢].

وأما أسماء الكور الخمس فيدل عليه ما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن أبي منصور قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اسم السفياني فقال: «وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج»[٣].

وقد بين البشاري مدن كل كور وقصبته فقال: فأما قنسرين فقصبتها حلب ومن مدنها: أنطاكية، بالس، السويديّة، سميساط، منبج، بيّاس،

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٠، البحار ٥٢: ٢٤٨ ح ١٣٠، والسند فيه أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: حدثني محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانه من كتابه في رجب سنة خمس وستين ومائتين قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال قال: حدثنا ثعلبة بن ميمون أبو إسحاق، عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام...

(٢) الأصول الستة عشر: ٦٧، والسند فيه عن جعفر بن محمد بن تسريح عن اسعر (اسفر) بن عمرو الجعفي عن محمد بن تسريح، واسعر او اسفر لم يذكر في كتب الرجال.

(٣) الإمامة والتبصرة: ١٣٠، كمال الدين: ٦٥١، والسند فيه حدثني أبي ومحمد بن الحسن قالا حدثنا محمد بن أبي القاسم ماجيلويه عن محمد بن علي الكوفي عن الحسين بن سفيان عن قتيبة بن محمد عن عبد الله بن أبي منصور البجلي وهذا الأخير لم يذكر في كتب الرجال.

التينات، قنّسرين، مرعش، اسكندرونة، لجّون، رفنية، جوسية، حماة، شيوز، وادي بطنان، معرة النعمان، معرّة قنسرين.

وأما حمص فاسم القصبة، ومن مدنها: سلمية، تدمر، الخناصرة، كفر طاب، اللاذقية، جبلة، انطرسوس، بلنياس، حصن الخوابي.

وأما دمشق فاسم القصبة أيضاً ومدنها: بانياس، صيدا، بيروت، أطرابلس، عرقة، ونلحية البقاع مدينتها: بعلبك، ولها كامد، عرجموش، الزبداني. ولدمشق ستة رساتيق: الغوطة، حوران، البثنية، الجولان، البقاع، الحولة.

وأما الأردن، فقصبتها طبرية ومن مدنها: قدس، صور، عكّا، اللجون، كابُل، بيسان، أذرعات.

وأما فلسطين فقصبتها الرملة، ومدنها: بيت المقدس، بيت جبريل، غزّة، ميماس، عسقلان، يافه، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحا، عمان[١].

ذكر ذلك وأضاف كور سارس وهو الشراة وذكر من مدنه تاب ومعان وتبوك.

والمهم بيان أن المراد بالكور الخمس ما يشمل دول الشام الكبرى عامة والتأكيد على سيطرة السفياني على الكور الخمس لعلم النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بتحول الشام إلى دول متعددة بحيث يُعدّ اجتماعها ورجوعها دولة واحدة أكبر علامة بل هي أهم من اسم السفياني، فلذا يقول: وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس..

والأهم من ذلك دخول فلسطين الحالية بمدنها في دولة السفياني مما يدل على زوال الدولة الصهيونية قبل ظهوره أو إبانه، مما سيأتي الكلام عنه.

---

(١) أحسن التقاسيم: ١٣٥.

غير أن بعض الأخبار دلت على أن استقرار حكومته واعتراف العالم بها إنما يكون بعد معركة قرقيسياء فقد جاء في رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد بيان معاركه في الشام وتسلطه عليها كما سيأتي قال: «ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره، فيداخلهم من ذلك الجزع، ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق»[١].

زمان خروج السفياني:

المستفاد من الأخبار أن خروج السفياني في شهر رجب، فقد روى الشيخ الصدوق، عيسى بن أعين، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمر السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب»[٢].

وفي المعلى بن خنيس كلام، وثقه بعض وضعفه آخر، ولكن وردت روايات تدل على أنه من أهل الجنة[٣]، كما أن الأرجح في الحسين بن الحسن بن أبان قبول روايته[٤].

وروى النعماني بسنده عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفياني في

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كمال الدين: ٦٥٠، ٦٥٢ ح ٥و ١٥، والسند فيه محمد بن الحسن عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن عيسى بن أعين، عن المعلى بن خنيس...

(٣) انظر منتهى المقال ٦: ٣٩٢ / ٣٠١١، ومعجم رجال الحديث ١٨: ٢٣٧ / ١٢٤٩٦، وقد وثقه السيد الخوئي (قدس سره)

(٤) أنظر منتهى المقال ٣: ٢٧ / ٨٥٦، وفيه قد وثقه بعض مثل ابن داود وغيره...

رجب»[١].

فقد دلت على أن خروجه في رجب من المحتوم الذي لا تبديل فيه.

ويدل على ذلك ما رواه النعماني أيضاً عن محمد بن همام، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن عباد بن يعقوب، عن خلاد الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «السفياني لابد منه، ولا يخرج إلا في رجب»[٢].

وخلاد الصائغ لم يذكر في كتب الرجال، فقد يكون تصحيف الصفار أو الصيرفي، ومهما يكن من ذلك فالروايتان ضعيفتا السند.

وروى الشيخ بسنده عن خلاد عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «السفياني لابد منه ولا يخرج إلا في رجب»[٣]، والسند يشتمل على بعض المجاهيل، كمحمد بن إسماعيل بن حيان الوراق.

بقي أمران:

الأول: أن المروي أن خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون

---

(١) الغيبة: ٣٠٠، والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد بن الحسين بن حازم في كتابه قال حدثنا عبيس بن هشام عن محمد بن بشر الأحول عن عبد الله بن جبلة عن عيسى بن أعين عن المعلى بن خنيس...

(٢) الغيبة: ٣٠٢، البحار ٥٢: ٢٩٤ ح ١٣٥.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٩٧ والسند: الحسين بن إبراهيم القزويني عن محمد بن وهبان عن أبي عيسى محمد. بن إسماعيل بن حيان الوراق عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي الأسدي عن أبي سعيد عباد بن يعقوب الأسدي، عن خلاد...

البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم»[1].

وروى الشيخ عن الفضل، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق»[2]، ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد عن ابن عميرة عنه[3].

والرواية معتبرة على ما يبدو، ولكن يشكل تعقّل خروج الثلاثة في يوم واحد إذا كان المراد بالخروج هو شروع الحركة والقيام بالسلاح، خصوصاً وقد روى الشيخ نفسه عن الفضل عن ابن فضل، عن ابن بكير، عن محمد بن مسلم، قال: «يخرج قبل السفياني مصري ويماني»[4]. وهي معتبرة أيضاً، فلابد أن يكون المراد تزامن حروبهم وتحركاتهم العسكرية.

وروى النعماني بسنده عن عبيد بن زرارة قال: وذكر عند أبي عبد الله عليه السلام السفياني فقال: «أنى يخرج ذلك ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء»[5].

---

(١) رواه النعماني في الغيبة: ٢٥٦، عن ابن عقدة عن أحمد بن يوسف بن يعقوب أبي الحسن الجعفي من كتابه عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه ووهيب بن حفص عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام، والحسن بن علي بن أبي حمزة لا يعتمد على روايته.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٦ ح ٤٤٣، البحار ٥٢: ٢١٠ ح ٥٢.

(٣) الإرشاد ٢: ٣٧٥.

(٤) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٧ ح ٤٤٤، البحار ٥٢: ٢١٠ ح ٥٣.

(٥) الغيبة: ٢٧٧ ح٦٠، البحار ٥٢: ٢٤٥ ح ١٢٣، والسند فيه علي بن الحسين عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن حسان الرازي عن محمد بن علي الكوفي عن محمد بن سنان عن عبيد بن زرارة.

كما أن بعض الروايات دلت على أن سنة خروج القائم عليه السلام هي سنة خروج السفياني وحتى أنه يستفاد من بعضها أسبقية خروج القائم عليه السلام، ومعلوم أن خروج القائم لا يصح التوقيت فيه على ما يأتي، فلا يمكن تعيين سنة خروج السفياني.

فقد روى النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «السفياني والقائم في سنة واحدة»[1].

الثاني: المستفاد من بعض الأخبار أن السفياني يخرج وملك بني العباس قائم فقد روى النعماني بسند عن الحسن بن الجهم قال قلت للرضا عليه السلام أصلحك الله إنهم يتحدثون أن السفياني يقوم وقد ذهب سلطان بني العباس، فقال عليه السلام: «كذبوا إنه ليقوم وإن سلطانهم لقائم»[2].

ومعلوم أن سلطان بني العباس قد زال على أيدي التتر، ولكن الأخبار تتحدث عن عود ملكهم من جديد.

فقد روى النعماني عن محمد بن همام، عن الفزاري، عن الحسن بن علي بن يسار، عن الخليل بن راشد، عن البطائني قال: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام من مكة إلى المدينة فقال يوماً لي: «لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت الأرض بدمائهم حتى يخرج السفياني» قلت له: يا سيدي أمره من المحتوم؟ قال: «من المحتوم»، ثم أطرق، ثم رفع رأسه وقال: «ملك بني العباس مكر وخدعة يذهب بحيث لم يبق منه شيء، ويتجدد حتى يقال: ما مر به شيء»[3].

ووردت أخبار عن أبي جعفر عليه السلام يخبر بملك بني العباس يقول: «لا بد

---

(١) الغيبة: ٢٦٧، البحار ٥٢: ٢٣٩ ح ١٠٦.

(٢) الغيبة: ٣٠٣ ح ١١، البحار ٥٢: ٢٥١ ح ١٣٩.

(٣) الغيبة: ٣٠٢ ح ٩، البحار ٥٢: ٢٥٠ ح ١٣٧.

أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من ههنا وهذا من ههنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما أنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً»[1]، فهي تدل بوضوح على بقاء ملك بني العباس إلى خروج السفياني، ويكون هلاكهم على يديه وعلى يد الخراساني، غير أن الروايات ضعيفة السند لايمكن الاعتماد عليها مع وجود الروايات الكثيرة المنافية لذلك.

فلا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال:

١ ـ كون الملوك الذين حكموا الدول الإسلامية وخصوصاً بغداد بعد الدولة العثمانية والاستعمار البريطاني وغيره من بني العباس وإن لم يشتهر ذلك ولم يعرفه الناس، كملوك الحجاز والعراق، وليس ذلك مستبعداً لوجود بني العباس في هذه البلدان ووجود نخوة الملك والسيطرة موروثة في أنفسهم ويطمعون في ذلك مهما كلف الثمن، وجدّهم القائل الملك عقيم.

٢ ـ تجدد ملكهم في المستقبل، وظهور دعوتهم من جديد بعنوان بني العباس وحكومتهم لجميع البلاد الإسلامية، وهو بعيد. نعم قد يحكمون بعض البلاد بدليل المروي عن كعب الأحبار أنه قال: إذا ملك رجل من بني العباس يقال له عبد الله وهو ذو العين[2] بها افتتحوا وبها يختمون، وهو مفتاح البلاء وسيف الفناء، فإذا قرئ له كتاب بالشام من عبد الله أمير

---

(١) الغيبة للنعماني:٢٥٩ ح١٢، البحار ٥٢: ٢٣٤ ح ١٠١، السند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن أبي عبدالله يحيى بن زكريا بن شيبان عن أبي سليمان يوسف بن كليب عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي. والرواية لايعتمد عليها لوجود الحسن بن علي بن أبي حمزة.

(٢) أي أن اسمه يبتدئ بالعين.

المؤمنين لم تلبثوا أن يبلغكم أن كتاباً قرىء على منبر مصر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين.

وفي حديث آخر قال: الملك لبني العباس حتى يبلغكم كتاب قرئ بمصر من عبد الله بن عبد الرحمن أمير المؤمنين، وإذا كان ذلك فهو زوال ملكهم وانقطاع مدتهم، فإذا قرئ عليكم أول النهار لبني العباس من عبد الله أمير المؤمنين فانتظروا كتاباً يقرأ عليكم من آخر النهار من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين، وويل لعبد الله من عبد الرحمن[1].

ومعلوم أن آخر ملوك بني العباس هو عبد الله المستعصم غير أن التفاصيل الأُخرى لم تتحقق، فيكون المراد عبد الله آخر يحكم في الشام كدولة ولها دولة مناوئة في مصر، مما يدل على تجدد ملكهم وحكمهم على بعض البلاد، لكن الخبرين ضعيفان جداً.

٣ ـ عدم الاعتماد على هذين الخبرين وأمثالهما، والالتزام بعدم عود ملكهم وإنما زال وتشتت وتفرق أمر السلطة في العراق وغيره إلى ظهور السفياني وهو المستفاد من كثير من الأخبار.

منها: ما رواه النعماني عن ابن عقدة عن أحمد بن يوسف، عن إسماعيل بن مهران، عن ابن البطائني ووهيب، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثم يملك بنو العباس، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب نعم وأهل القبلة، ويلقى الناس جهد شديد مما يمر بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء»[2]

---

(١) البحار ٥٢: ٢١٣ ح ٦٤.

(٢) الغيبة: ٢٧٠، بحار٥٢: ٢٣٥ ح١٠٣، في الرواية الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني وهو لايعتمد عليه.

فهي تدل على خلاف الشرق والغرب وبتبعهم المسلمون بعد زوال دولة بني العباس وهو الذي شاهدناه من عمالة الدول الإسلامية للشرق والغرب...

وروى النعماني بسنده عن يعقوب بن السراج قل قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم قل: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع وخلعت العرب أعنتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته وظهر السفياني واليماني...»[1]، فهي تفرض وقوع حوادث ومرور زمان بعد سقوط الدولة العباسية إلى زمان ظهور السفياني واليماني.

وفي رواية أُخرى معتبرة رواها الكليني والنعماني عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها، أولها اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدّث به من بعدي عني، ومناد ينادي من السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وستقبل اخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة فتلك السنة يا جابر اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني...»[2].

وغيرها من الروايات الكثيرة الآتية الدالة على الوقائع والأحداث

---

(١) الغيبة: ٢٧٠، البحار ٥٢: ٢٤٢ ح ١١٢ والصيصية شوكة الديك وقرن البقر والظباء والحصن وكلما امتنع به ودُفع به العدو، أي اظهر كل ذي قوة قوته، والسند فيه علي بن أحمد البندنيجي، عن عبيد الله بن موسى العلوي عن محمد بن موسى عن احمد بن أبي أحمد الوراق عن يعقوب بن السراج...

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٩، البحار ٥٢: ٢٣٧ ح ١٠٥، مستدرك الوسائل ١٢: ٣٧ ح١١.

الكثيرة وتشتت الملك الذي هو كناية عن تقسيم الدول الإسلامية بعد سقوط دولة العباسيين وقبل السفياني وظهور القائم.

ويعارض رواية خروج السفياني عليهم رواية حذيفة بن اليمان: أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال: «**فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس**»[١]، فهي تدل على أن السفياني إنما يخرج على أهل المشرق والمغرب دون العباسيين.

وأما تلك الروايات الدالة على تجدد ملكهم وبقائهم إلى خروج السفياني فمنشؤها ما كان شائعاً في تلك الأزمنة بين العامة أو عامة الناس من أن بني العباس يحكمون مرتين ولهم رايتان. فقد روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قلت له: جعلت فداك بلغنا أن لآل جعفر راية ولآل العباس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟ قال: «أما آل جعفر فليس بشيء ولا إلى شيء، وأما آل العباس فإن ملكهم مبطئاً يقربون البعيد ويباعدون فيه القريب وسلطانهم عسير ليس فيه يسير حتى إذا أمنوا مكر الله وأمنوا عقابه صيح فيهم صيحة لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم وهو قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا...﴾ الآية»[٢].

ورواه النعماني بسنده عن محمد بن الحنيفة إلا أن فيه آل مرداس بدل آل عباس[٣].

فهاتان الروايتان تدلان على وجود شائعة وخبر ينقل بين الناس يدل

---

(١) البحار ٥٢: ١٨٦.

(٢) تفسير القمي١: ٣١٠، وعنه البحار٥٢: ١٨٤ والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٩١.

على حكومة بني العباس مرتين بالإضافة إلى حكومة آل جعفر حتى عبر عنه السائل بقوله «بلغنا»، ورد الإمام عليه السلام هذه الشائعة وفندها بانكار قيام دولة لبني جعفر، وإعراضه عليه السلام عن الكلام في تجدد ملك العباسيين إلى ذكر طول مدة حكومتهم وظلمهم.

فهاتان الروايتان تدلان على ما نريد إثباته من ناحيتين، الأولى: عدم ذكر الإمام تجدد ملكهم بعدما أنكر أن تكون لآل جعفر دولة، مع أنه بيّن حال دولة العباسيين من ابتدائها إلى انتهائها.

والثانية: قوله عليه السلام «لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم» فكيف تتجدد دولتهم أو تبقى مع عدم بقاء مناد يجمعهم ولا يسمعهم.

ونضيف أن الأخبار الذاكرة لبقاء بني العباس إلى زمان السفياني صادرة من الإمام الباقر عليه السلام قبل تحقق دولتهم، فكلامه في الحقيقة ناظر بالدرجة الأولى إلى ما يجول في أذهان الناس من كيفية ظهور القائم مع تحقق هذه الدولة وطول بقائها، دون التفصيل فيما يحدث عقيب زوالها.

مع أن الروايات الواردة في زمانهم وبعد تسلطهم وظلمهم لا تعكس أكثر من رؤية الناس الفرج بزوال دولة بني العباس القوية، ولذا عدت إحدى علامات الظهور هو اختلاف بني العباس وبعده ظهور السفياني من دون التفات إلى الزمان الدقيق والحال القائمة بين العلامتين.

فقد روى النعماني بسند عن محمد بن الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال: «بلى»، قلت: ما هي؟ قال: «هلاك العباسي، وخروج السفياني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء»[1].

---

(١) الغيبة: ٢٦٢، البحار ٥٢: ٢٣٥ ح ١٠٢ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عبيس بن هشام عن عبد الله بن جبلة عن أبيه عن محمد بن الصلت...

والروايات بهذا المعنى كثيرة قد تختلف في تقديم اختلاف بني العباس على ظهور السفياني بالذكر وتأخيره، كما يمكن أن يكون المراد من العباسي في هذه الرواية هو حاكم مكان خاص وليس حاكماً عاماً للبلاد الإسلامية، إذا أريد المباشرة، وإن كان الأقوى إرادة الجنس، أي جنس الحاكم العباسي الذي هو كناية عن انقراض دولتهم على يد هولاكو.

وأخيراً نذكّر على أن هناك روايات كثيرة تعبّر ببني فلان والمظنون فيها إرادة بني العباس وهي مختلفة الدلالة فبعض دال على بقاء ملكهم حتى ظهور السفياني، وبعض دال على عدم بقائه غير أن بعضها يراد به غير بني العباس بحسب القرائن والشواهد، كما أن بعض الرواة يعبّر ببني فلان بدل اسم كان قد ذكَره الإمام ظناً من الراوي أن الاسم المجهول صدر تقية حذراً من التصريح باسم بني العباس، بينما هو اسم لحكام يأتون بعد زوال ملك بني العباس.

فمن تلك الروايات التي يراد بها بنو العباس ما رواه الشيخان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وهي رواية الكليني والنعماني عن جابر المارة إلا أن فيها: «إلزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك، وما أراك تدرك ذلك: اختلاف بني فلان...» وقرينة إرادة بني العباس هو ورود «بني العباس» بدل «بني فلان» في رواية الكليني والنعماني.

ومن الروايات التي لا يراد بها بنو العباس ما رواه النعماني بسنده عن عباية بن ربعي عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيه: «إلا أخبركم بآخر ملك بني فلان؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين قال: قتل نفس حرام في يوم حرام في بلد حرام عن قوم من قريش والذي فلق الحبة وبرأ النسمة مالهم ملك بعده غير خمسة عشر ليلة قلنا: هل قبل هذا من شيء أو بعده؟ فقال: صيحة في شهر رمضان تفزع اليقظان وتوقظ النائم، وتخرج الفتاة من

خدرها»[1].

واثبتـنا أن ملك بني العباس لا يبقى إلى الصيحة، ولا يعلـم أن أمير المؤمـنين عليه السلام يـتحدث عن ملك بني العباس، وإنما يتحدث عن ملك بني أمية المبتـلى بـه حيـنذاك، ولا يعقـل سؤال أصحابه عما سواه، وكذا فإن السفياني الذي من بني أمية يكون هو الحاكم عند الصيحة كما مر ويأتي.

حتمية السفياني :

الأخـبار الـواردة في حتمـية السـفياني قد تصل حد التواتر منها ما رواه الشـيخ بسند معتبر عن أبي نصر، عن عامر بن واثلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«عشر قبل الساعة لابد منها: السفياني، والدجال و...»**[2] والرواية معتبرة إلى أبي نصر فيبقى أبو نصر، وعامر بن واثلة، فالأخير لا بأس به ولكن أبا نصر مهمل.

وروى الحمـيري بسـند معتبر عن ابن عيسى، عن ابن أسباط قال قلت لأبـي جعفـر عليه السلام: جعلـت فداك إن ثعلبة بن ميمون حدثني عن علي بن المغـيرة، عن زيد العمي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: يقوم قائمنا لموافاة الناس سنة، قال: «يقوم القائم بلا سفياني؟! إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفياني»[3].

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني:٢٥٨، البحار٥٢: ٢٣٤ح ١٠٠ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني علي بن الحسن، عن علي بن مهزيار، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن عبدالرحمن بن سيابة عن عمران بن الهيثم عن عباية.. وفيه أن ابن الهيثم لم يمدح ولم يخدش ولم يوثق.

(٢) الغيبة: ٤٣٦ح ٤٣٦.

(٣) قرب الإسناد: ٣٧٤، البحار ٥٢: ١٨٢.

مما يدل على تحريف الأخبار الواردة في علائم الظهور ووقته نتيجة لرغبة الناس في تعجيل الفرج ولذلك يسأل في آخر هذه الرواية فيقول، قلت: جعلت فداك فيكون في هذه السنة؟ قال عليه السلام: «ما شاء الله»، قلت: يكون في التي يليها؟ قال: «يفعل الله ما يشاء»، ونحن بدورنا اليوم نعلم الوجه في عدم جواب الإمام الصريح وفراره عن الجواب البات؛ لعلمه بطول المدة، كما نعلم الوجه في جعل السفياني علامة على القائم، وذلك عندما يطلب الناس من الإمام القيام والتحرك وإلحاحهم على ذلك، يكون الجواب أن القيام إنما يكون بعد السفياني وعلامات أخرى، ولا يكون قائم إلا بسفياني.

وكذلك يتم بذلك تحديد هوية التحرك والقيام من قِبَل شُذّاذ بني هاشم وصرف أنظار العامة عنهم لعدم استيفاء العلائم، وعدم خروج السفياني.

فقد روى الكليني عن حميد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن زياد، عن أبان، عن صباح بن سيابة، عن المعلى بن خنيس قال: ذهبت بكتاب عبد السلام بن نعيم وسدير وكتب غير واحد إلى أبي عبد الله عليه السلام حين ظهر المسودة قبل أن يظهر ولد العباس بأن قد قدرنا أن يؤول هذا الأمر إليك، فما ترى؟ قال: «فضرب بالكتب الأرض، قال: أف أف ما أنا لهؤلاء بإمام، أما يعلمون أنه إنما يقتل السفياني»[1].

فقد دلت على مدى إلحاح الشيعة وإصرارهم على استلام السلطة، كما دلت على حتمية السفياني وأنه لابد منه مهما توفرت الشرائط

---

(١) الكافي ٨: ٣٣١ .ح ٥٠٩، الوسائل ١٥: ٥٣ ح ١٩٩٧١ وقال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ٩: ٣٩ الرواية ضعيفة ولا اقل من جهة صباح بن سيابة.

للحكم بحيث صار علم الشيعة به من روايات النبي صلى الله عليه وآله وغيره أكبر ذريعة لصرفهم عن التحرك وعن مطالبة الإمام بذلك.

ويدل على المطلب الثاني ـ أعني صرف الشيعة عن التحرك قبل السفياني ـ ما رواه الكليني أيضاً بسند معتبر عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب، أخرج عنا» فجعلنا يسارّ بعضنا بعضاً، فقال: «أي شيء تساروّن يا فضل، إن الله عزوجل ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله» ثم قال: «إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان» قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: «لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم»[1].

ومهما يكن من ذلك فإن الروايات الدالة على حتمية السفياني كثيرة جداً نذكر طائفة منها.

١ ـ روى الصدوق عن محمد بن الحسن، عن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن أعين، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب»[2].

وروى أيضاً عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي

---

(١) الكافي ٨: ٢٧٤ ح ٤١٢.

(٢) كمال الدين: ٦٥٠ ح ٥، وص ٦٥٢ ح ١٥ الكلام فقط في الحسن بن أبان ولكن وثقه الشهيد والتفرشي، انظر منتهى المقال ٢: ٣٥٤.

حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «إن خروج السفياني من الأمر المحتوم» قال: «نعم»[1]. والسند معتبر.

وروى النعماني عن علي بن أحمد البندنيجي عن عبيد الله بن موسى العلوي، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد بن مروان، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام. أنه قال: «النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم...»[2].

وروى أيضاً عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن علي بن الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن غير واحد من أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: قلنا له: السفياني من المحتوم؟ فقال: «نعم وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم...»[3].

وروى أيضاً بسنده عن عيسى بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «السفياني من المحتوم وخروجه في رجب...»[4].

وروى بسنده عن معلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفياني في

---

(١) كمال الدين: ٦٥٢ ح١٤، بحار٥٢: ٢٠٦ ح٤٠.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ١١، البحار ٥٢: ٢٣٣ ح ٩٨ الكلام فقط في البندنيجي فقال عنه ابن الغضائري ضعيف متهافت لايلتفت إليه، كما نقله التفرشي في نقد الرجال (٢: ٢٢٩).

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح ١٥ والرواية مرسلة.

(٤) الغيبة: ٣٠٠ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمّانة عن الحسن بن علي بن فضال عن ثعلبة بن ميمون أبي إسحاق، عن عيسى بن أعين والسند فيه معتبر.

رجب»[١].

وروى بسنده عن خلاد الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل: «السفياني لابد منه ولا يخرج إلا في رجب»[٢].

وروى بسنده عن علي بن أبي حمزة قل: زاملت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بين مكة والمدينة فقال لي يوماً: «يا علي لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت الأرض بدمائهم حتى يخرج السفياني»، قلت له: يا سيدي أمره من المحتوم؟ قل: «نعم»[٣].

وروى الشيخ الطوسي عن أحمد بن إدريس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «خروج السفياني من المحتوم، والفداء من المحتوم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم، وأشياء كان يقولها من المحتوم» فقال أبو عبد الله عليه السلام: «واختلاف بني فلان من المحتوم و...»[٤]، والسند معتبر إذا ثبتت رواية ابن محبوب عن أبي حمزة.

وروى الشيخ عن الفضل، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن

---

(١) الغيبة: ٣٠٠ ح ٢ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد بن الحسن بن حازم عن عبيس بن هشام عن محمد بن بشر الأحول عن عبدالله بن جبلة عن عيسى بن أعين عن معلى بن خنيس، والرواية ضعيفة بجهالة القاسم بن محمد.

(٢) الغيبة: ٣٠٢ ح ٧ والسند فيه محمد بن همام عن جعفر بن محمد بن مالك عن عباد بن يعقوب عن خلاد الصائغ.

(٣) الغيبة: ٣٠٢ ح ٩ والسند فيه غير معتبر بعلي بن أبي حمزة.

(٤) الغيبة: ٤٣٥ ح ٤٢٥.

محمد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة ثم قال عليه السلام: أستغفر الله حمل جمل، وهو من الأمر المحتوم الذي لابد منه»[1]، والسند معتبر.

وروى النعماني، عن ابن عقدة، عن علي بن الحسن، عن عباس بن عامر، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة بن أعين، عن عبد الملك بن أعين قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عليه السلام فقلت له: أرجو أن يكون عاجلاً، ولا يكون سفياني، فقال: «لا والله إنه لمن المحتوم الذي لابد منه»[2].

ويبقى الكلام في المحتوم وهل هو قابل للتغيير، وهل فيه المشيئة مع العلم بأننا نعتقد بالبداء، وهل يبدو لله في المحتوم، أو لا يبدو كالوعيد؛ فإن الله سبحانه لا يخلف الميعاد؟؟

الظاهر من كلمة المحتوم عدم حصول البداء فيه ولا فيه المشيئة، وإلا لما كان بين المحتوم والموقوف فرق أبداً.

ومع ذلك فقد روى النعماني، عن محمد بن همام، عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لابي جعفر عليه السلام: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم» قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم، فقال: «إن القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد»[3].

---

(١) الغيبة: ٤٤٩ ح٤٥٢، البحار ٥٢: ٢١٥ ح ٧٢.

(٢) الغيبة: ٣٠١، البحار ٥٢: ٢٢٩ ح ١٣٢ الكلام فقط في (عبد الملك بن أعين) لم يوثق ويحكم بقبول الرواية بناءاً على كون الرواي عنه زرارة وهو من أصحاب الاجماع الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه. مضافاً إلى ان الإمام قد ترحم عليه فالرجل ممدوح في الجملة.

(٣) الغيبة: ٣٠٣.

ولو صحّت هذه الرواية فلا تعارضها الروايات السابقة الدالة على أنه من المحتوم، بل تكون هي الحاكمة عليها والمفسرة لها، ومعه يشكل تصور معنى المحتوم، بل ويكون بمعنى غير المحتوم، ولكن الرواية في طريقها محمد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي، والموجود في كتب الرجال باسم محمد بن أحمد بن عبد الله أحدهم البصري الملقب بالمفجع وهو ممدوح، والآخر محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال ويعرف بالصفواني وهو ثقة، والثالث ابن مهران بن خانبة الكرخي ثقة أيضا، ورابع يلقب بالرازي وهو مهمل، وخامس يلقب بالكاتب أيضاً مهمل، وليس للقب الخالنجي عين ولا أثر، فلا يمكن الاعتماد عليها في مقابل المعنى اللغوي للمحتوم ومسلمية صدق الأئمة في إخبارهم، ومع كل ذلك التأكيد وأنه لابد منه أو المحتوم الذي لا بد منه.

ولو قطعنا النظر عن سندها فهي معارضة برواية أخرى

رواها النعماني عن ابن عقدة، عن علي بن الحسين، عن محمد بن خالد الأصم، عن عبد الله بن بكير، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ﴾ قال: «إنهما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف، قال له حمران: ما المحتوم؟ قال: الذي لا يكون غيره، قال: وما الموقوف؟ قال: هو الذي لله فيه المشيئة» قال حمران: إني لأرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا والله إنه لمن المحتوم»[1].

فإن ظاهر هذه الرواية أن أمر السفياني من المحتوم الذي ليس لله فيه المشيئة وهو كالميعاد.

وهذه الرواية كمعارضتها ضعيفة السند فتتساقطان وتبقى الروايات

---

(١) الغيبة: ٣٠١، البحار ٥٢: ٢٤٩ ح ١٣٣، والآية ٢ من سورة الأنعام.

المستفيضة الدالة على حتمية أمر السفياني ـ وفيها المعتبرة ـ خاضعة للمعنى اللغوي من الحتمية واللابدية، ولا يبقى أي مجال للتشكيك في السفياني وأن أمره من المحتوم بعد تواتر الروايات الواردة في خروجه وحتميته وزمانه ومدته ومكانه وتحركاته والخسف بجيشه وقتله وغيرها مما ينقله كتب جميع الفرق الإسلامية، بل مجيء الإشارة إليه في القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (١) كما سيأتي.

السفياني واحد أو اثنان:

قد يستفاد من بعض الأخبار أن السفياني شخصان.

فقد روى ابن حماد عن أرطأة أنه قال: «إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني»(٢).

وهي لا تدل على حكومة اثنين من بني أبي سفيان، وإنما دلت على خروجهما وإنما يكون الحكم والظفر لواحد.

وروى السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة يذكر فيها الفتن: «أولها السفياني وآخرها السفياني» فقيل له: وما السفياني والسفياني؟ فقال: «السفياني صاحب هجر والسفياني صاحب الشام»(٣).

وهذا لا يدل على أن السفيانيين يكونان في آخر الزمان ويحتمل إرادة

---

(١) سورة ق: ٤٢.

(٢) كتاب الفتن: ٧٦، معجم أحاديث الإمام المهدي ١: ٣٢٩.

(٣) الملاحم والفتن: ١٣٦.

معاوية من السفياني الأول فهو أول الفتن ويكون السفياني الثاني هو السفياني المعروف حيث إنه آخر الفتن، لأن هجر هي قرية قريبة من المدينة[١].

وروى في بيان الأئمة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «**اتق السفياني**» قيل: السفياني سفيانيان بأيهما تنظر؟ قال: «**السفياني الذي يأتي من الشام**»[٢].

ومنه يعلم أن السفياني الآخر يأتي من غير الشام كالحجاز.

والذي يهون الخطب أن هذه الروايات ضعيفة السند جداً لا يمكن التعويل عليها، وضعيفة الدلالة كما بينا فلا يثبت وجود سفيانيين يحكمان وإن كان ممكناً على كل حال.

علامات خروج السفياني:

١ ـ اختلاف بني فلان

فقد روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرقت الكلمة وخرج السفياني»[٣].

ويروي النعماني بسند عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان

---

(١) معجم البلدان ٥: ٣٩٣.

(٢) بيان الأئمة ١: ٢٥٠.

(٣) الكافي ٨: ٢٠٩ ح ٢٥٤.

وخروج القائم عليه السلام، إن الله يفعل ما يشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة، وخرج السفياني».

وقال: «لابد لبني فلان من أن يملكوا، فإن ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق، وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هنا، وهذا من هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما إنهم لا يبقون منهم أحداً، ثم قال: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني...»[1].

من هم بنو فلان؟

ظاهر الأمر هم بنو العباس لأن أبا جعفر عليه السلام أدرك الدولة الأموية والعباسية وظاهر قوله «لابد لبني فلان» أن يملكوا، إرادة بني العباس، فيكون هذا القول منه في زمان بني أمية. ويكون الوجه في قوله «بني فلان» بدل «بني العباس» هو التقية من بني أمية، أو غيرّه الرواة تقية من بني العباس.

كما يحتمل إرادة غير بني العباس وتبديله إلى بني فلان من قبل الرواة لعدم معرفتهم بهم أو تصورهم إرادة بني العباس وأن تغيير الاسم وقع تقية فتكون يدهم مفتوحة في تبديلها بكلمة فلان، وقد تقدم الكلام في بعض ذلك.

ومهما يكن من ذلك فالرواية لا تدلّ على المباشرة، ولكن هو أول

---

(١) الغيبة: ٢٥٣ ـ ٢٥٦ ح ١٣، والرواية ضعيفة بالحسن بن علي بن أبي حمزة.

العلائـم الملموسـة لمن كان في فترة الإمام الباقر عليه السلام حيث إنه لا يفكر في شيء سوى حكومة بني العباس وانتهاء حكمهم ليتسنى للإمام المهدي عليه السلام الظهـور وبسـط العـدل، كما يحتمل قوياً أن يكون عدم المباشرة والتأخير داخـل في الـبداء لعدم تعيين الزمان ورفضهم التوقيت، كما يستفاد ذلك من بعض الأخبار.

ويـدل عـلى إرادة بني العباس ما رواه النعماني أيضاً بسند عن أبي بكـر الحضـرمي عـن أبـي جعفـر عليه السلام أنه سمعه يقول: «لابد أن يملك بنو العـباس، فـإذا ملكـوا واخـتلفوا وتشـتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسـفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من ههنا، وهذا من ههنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما إنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً»[1].

فالرواية لما تطابقت بالألفاظ مع الرواية السابقة دلت على أن المراد ببني فلان هم بنو العباس، ولكن لو صحّت هذه الرواية لدلت على بقاء حكـم بـني العـباس إلى ظهـور السـفياني أو تجدده؛ لأن ظاهر قوله «خرج علـيهم» إرادة بـني العـباس لعـدم مرجع للضمير غيرهم، ولكن لا اتحقق ذلـك واحـتمل إرادتـه عليه السلام ناساً آخرين من ضمير عليهم، خصوصاً وأن الـرواية السـابقة دلت على عدم المباشرة وقد تقدم منّا استبعاد بقاء ملك بني العباس إلى ذلك الحين أو تجدده.

ويهون الخطب ضعف الروايات واضطرابها.

---

(١) الغيـبة: ٢٥٩ والسـند فـيه احمـد بـن محمد بن سعيد عن ابي عبدالله يحيى بن زكـريا ابـن شـيبان عـن أبي سليمان يوسف بن كليب عن الحسن بن علي بن حمـزة عـن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي والرواية ضعيفة بالحسن بن علي بن أبي حمزة.

٢ ـ خروج اليماني

وهو من العلامات على خروج السفياني، بدليل ما رواه النعماني بسند عن محمد بن سنان عن عبيد بن زرارة قل: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام السفياني فقال: «أنى يخرج ذلك ولما يخرج كاسر عينيه بصنعاء»[1].

ولكن هذه العلامة هي من العلامات الأخيرة والقريبة جداً لما دلّ على أن خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة.

ولكن يشكل أن هذه الروايات دلت على خروجهم في شهر واحد وفي يوم واحد، وقد ذكرنا سابقاً إرادة تزامن حركاتهم العسكرية دون يوم الخروج، فإن تزامنه من المستبعد وتنفيه الرواية السابقة.

٣ ـ إقبال الترك والروم

فقد روى الشيخ الطوسي بسند عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: «فإذا استثارت عليكم الروم والترك وجهزت الجيوش، ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال... ويتخالف الترك والروم وتكثر الحروب في الأرض وينادي منادٍ من سور دمشق: ويل لأهل الأرض من شر قد اقترب، ويخسف بغربي مسجدها حتى يخر حائطها، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفيان...»[2]، مهما

---

(١) الغيبة: ٢٧٧، والسند فيه علي بن الحسين عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن حسان الرازي عن محمد بن علي الكوفي عن محمد بن سنان عن عبيد بن زرارة قال.. وفيه محمد بن حسان الرازي لم يوثق وضعفه لم يثبت (معجم رجال الخوئي١٦: ٢٠٣)، ووثقه الوحيد في تعليقه.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٨.

فسرت كلمة استثارت فهي تعني إقبال الترك والروم بنفسها أو بعمالها وحلفائها.

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود: «إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة وآذربايجان، والروم بالعمق وأطرافها قاتل الروم رجل من قيس من أهل قنسرين والسفياني بالعراق يقاتل أهل المشرق»(١)، والجزيرة هي ما بين فرات ودجلة، أو هي الجزيرة العربية.

وروى النعماني عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن محمد بن المفضل وسعدان بن إسحاق بن سعيد، وأحمد بن الحسين بن عبد الملك، ومحمد بن أحمد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون، فيقتله السفياني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق...»(٢).

ولا يشكل في سندها سوى عمرو بن أبي المقدام ففيه خلاف، في اسمه وفي وثاقته وقد اختار البعض وثاقته(٣)، وكذا جابر بن يزيد الجعفي فالأرجح وثاقته، وبهذا تكون الرواية كافية في المقام، وهي طويلة مفصلة يرويها الشيخ الكليني بثلاث طرق عن الحسن بن محبوب بعضها معتبر(٤).

---

(١) ابن حماد: ٥٩.

(٢) الغيبة: ٢٧٩.

(٣) انظر معجم رجال الحديث ١٣: ٧٤، ومنتهى المقال ٥: ٩٨ / ٢١٤٦.

(٤) انظر طرق سند الرواية في الغيبة: ٢٧٩، والبحار٥٢: ٢٣٧.

ورواهاالشيخ المفيد عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي[١].

ورواهـا الشيخ عن الفضل بن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر[٢].

ثم ما المقصود بإخوان الترك؟

فـالترك جيل معـروف بلادهـم تحدهـا بـلاد الروم من الغرب والجنوب والـرس ـ أي الـروس ـ مـن الشمل، والصين وتبت من الشرق، وبلاد الهند وفارس والعراق من الجنوب، وهم يسكنون ويتمركزون في منطقة الخزر.

وقد تطلق على التتر والمغول الذين غزوا العراق.

وأما اسم الجزيرة فهو يطلق على الأرض التي بين دجلة والفرات مجاورة الشـام تشـتمل عـلى ديـار مضر وديار بكر ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك، فهي تعني شمال العراق وغربه.

ويـرى الـبعض أن الجزيرة هي جزيرة العرب سميت جزيرة لأن دجلة والفرات وبحر فارس وبحر الحبش قد أحاطت بها.

وأمـا كلمة إخوان فهي مجملة، ومن هم إخوان الترك؟ هل هـم حلفاؤهم كأمـريكا، أو الـروس المجـاورين لهـم، أو آخـرون لا نعلمهم، أو المقصود هم الـتتر والمغـول الذين غزوا ايران والعراق برمته، ولكن تخصيصه بالجزيرة يدل على تمركزهم فيها لدواعي اقتصادية أو غيرها كالبترول.

خصوصـاً مـع مقارنته بنزول مارقة الروم الرميلة أو الرملة الموقع الآخر للنفط في العراق.

---

(١) الاختصاص: ٢٥٦.

(٢) الغيبة: ٤٤٢ ح ٤٣٤، وانظر البحار ٥٢: ٢٢٢ ح ٨٧.

فالمارق هو الخارج في غير مدخله يراد بهم من خرج من الروم من غير مدخلهم إذا كان دخولهم من الشرق أي الشام وغيرها فيكون المراد خروجهم من الغرب وسكونتهم الأطراف كعامة الدول الأوربية وحتى الأمريكية، فكلهم مارقة الروم.

فالمحتمل أن المراد بالترك هم المغول بقرينة ما رواه الشيخ بسند عن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«تاركوا الترك ما تركوكم؛ فإن أول من يسلب أمتي ملكها وما خولها الله لبنو قنطور بن كركر وهم الترك»**[1]، فإنهم بلغوا أطراف الشام.

كما أن المحتمل إرادة حلفاء الترك كما بينا بقرينة ما رواه الشيخ بسند عن عمار بن ياسر قل: «إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ولها أمارات، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء أماراتها، فإذا استثارت عليكم الروم والترك، وجهزت الجيوش ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح، فيخلع بعد سنين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ، ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني، ويخرج من قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام»[2].

فهي تدل على دخول الروم والترك معاً وتجهيز الجيوش كالذي حدث أخيراً في العراق، فليس هو جيش واحد كجيش هولاكو.

والأقوى من ذينك الاحتمالين إرادة الدولة العثمانية وتسلطهم على كل جزيرة العرب بقرينة كلمة إخوان التي قد تعني أنهم مسلمون، وحروبهم مع الروم.

وأقوى من الجميع إرادة نزول ترك تركيا فيما بعد بقرينة ما جاء في

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٦، الوسائل ١٥ : ٥٧ ح ١٩٩٨٢.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٣ح ٢٧٩.

آخر الرواية السابقة: فإن فيها بعد قوله فتلك أمارة السفياني قال: ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام وتنزل الترك الحيرة؛، وتنزل الروم فلسطين ويسبق عبد الله عبد الله.

فهي تدل على أن نزول الترك الحيرة عند خروج من يدعو لآل محمد عليهم السلام وفي زمان نزول الروم فلسطين.

٤ ـ خروج أهل الغرب إلى مصر

فقد روى الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر قل: «يظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك: رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج في كلب ويحضر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني»[1].

٥ ـ حكومة الظلمة

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يخرج السفياني حتى يرقى الظلمة»[2].

٦ ـ اختلاف رمحان بالشام

٧ ـ رجفة بالشام

٨ ـ اقبال الرايات الصفر إلى الشام

فقد روى النعماني بسند عن الباقر عليه السلام أنه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما

---

(١) الغيبة: ٤٦٣ ح ٤٧٩، البحار ٥٢: ٢٠٨ ح ٤٥.

(٢) الملاحم والفتن: ٧٧، كتاب الفتن لابن حماد: ٩١ عن يحيى بن اليمان، عن هارون بن هلال عن أبي جعفر عليه السلام.

هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المخذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا إلى خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي عليه السلام»[١]، ورواه الشيخ بسندين عن الباقر عليه السلام[٢].

فقوله: «لم تنجل» يشعر بطول اختلاف الرمحين الذي يعني الحرب والطعن والمناوشات دون الحرب الرسمية، فهي تشبه النزاع الدائر بين اليهود والعرب، لا ينجلي إلا عن هلاك جمع كبير من اليهود يضطرهم للهجرة وترك الأرض.

والرجفة قد تعني انفجار هائل أو انفجارات متوالية.

والمغرب كما قلنا هو مغرب الأرض وإن كان يطلق على الشام ومصر والمغرب العربي في زمان صدور الخبر.

٩ ـ خروج رجل من أهل السفح

فقد روى السيد ابن طاووس في كتاب اليقين بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن أنس بن مالك، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في كلام لحباب الراهب: «ستبنى على جنب مسجدك هذا ـ مسجد براثا ـ مدينة وتكثر

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥ وفي طريقه المغيرة بن سعيد وهو ضعيف وأيضاً إسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم وكتب الرجال خالية منهما.

(٢) الغيبة: ٤٦١ ح ٤٧٦ وفيهما إسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم لم يتعرض لهما الرجاليون في كتبهم.

الجبابرة فيها ويعظم البلاء حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم شدّوا على مسجدك بفطوة... فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين واحترقت خضرهم وسلط الله عليهم رجلٌ من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد ثم يعود عليهم.

ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأسخط أهلها وذلك إذا عمرت الخربة وبني فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك البصرة، ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه نحو بغداد فيدخلها عفواً، ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة، ولا يكون بلد من الكوفة تشوش الأمر له، ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فيتلقاهما السفياني فيهزمهما ثم يقتلهما ويوجه جيشاً إلى الكوفة...»[1].

أما السفح فهو الموضع القريب من الجبل الذي يسفح فيه الماء، فيكون مما يقرب من شمال العراق فيكون أهل شمال العراق هم أهل الجبل، بينما المدن القريبة منه هم أهل السفح.

ويدل هذا الحديث على تسلطه على العراق ثلاث مرات يكون خراب البصرة على يديه في المرة الثالثة.

١٠ ـ الانتخابات في بغداد

فقد روى السيد ابن طاووس، عن محمد بن عبد الله، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في حديث: «ويعود دار الملك إلى الزوراء وتصير الأمور شورى، من غلب على شيء فعله، فعند ذلك خروج السفياني...»[2].

كما يمكن أن تكون هي الشورى المشار إليها فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) اليقين: ٤٢٣، البحار ٥٢: ٢١٩.

(٢) الملاحم والفتن: ١٤٤ ب ٥٤.

أنه قال: «**الويل الويل لأمتي من الشورى الكبرى والشورى الصغرى**»، فسئل عنهما، فقال: «**أما الشورى الكبرى فتنعقد في بلدتي بعد وفاتي لغصب خلافة أخي، وغصب حق ابنتي، وأما الشورى الصغرى فتنعقد في الغيبة الكبرى في الزوراء لتغيير سنتي وتبديل أحكامي**»[1].

غير أنها ضعيفة السند جداً، ضعيفة المتن ولا يشبه شيئاً من كلام الرسول ﷺ إلا أن تكون نقلاً بالمعنى متأخر.

١١ ـ سقوط طائفة من مسجد دمشق

فقد روى ابن حماد عن أرطأة: إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني[2].

ومثله عن عمار بن ياسر[3].

١٢ ـ ظهور الأبقع

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلهما جميعاً فيظهر عليهما»[4].

١٣ ـ خروج رجل عباسي في الشام

فقد ورد: «تختلف ثلاث رايات: راية بالمغرب ويل لمصر وما يحل بها

---

(١) بيان الأئمة ١ : ٢٩٥، نقلاً عن مناقب العترة لابن فهد الحلي.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٦، معجم أحاديث الإمام المهدي ١ : ٢٣٩.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٨، كتاب الفتن لابن حماد: ٩٢.

(٤) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٨ عن سعيد أبي عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، معجم أحاديث الإمام المهدي ٣ : ٢٧٦.

منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى يكون منهم مسيرة ليلتين، فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة، فتضطرب الشام وفلسطين فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون اطلبوا ملك الأول» يعني السفياني كما يظهر من تتمتها[١].

١٤ ـ فتنة بين أهل المشرق والمغرب

فقد روى حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: «**فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس**»[٢].

غير أن الرواية ضعيفة السند، والفتنة تأتي بمعني الاضطراب وبلبلة الأفكار فيشبه أن يكون المراد به ما يعبر عنه بالحرب الباردة أو التهديدات، وكما تأتي أيضاً بمعنى قيام جماعة لقلب النظام القائم، والأول أقرب.

وأما أهل المشرق والمغرب فبحسب ظاهر اللفظ إرادة أهل مشرق الأرض وأهل مغرب الأرض وإن كان هذا المعنى في زمان صدور الخبر ينصرف إلى أهل خراسان وأهل الشام والكل محتمل.

١٥ ـ وقعة قرقيسيه

فقد روى النعماني بسند ضعيف عن أبي جعفر عليه السلام: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسياء يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله عنهم النصر، ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض: اشبعي من لحوم الجبارين، ثم يخرج السفياني»[٣].

وقرقيسياء بلد على الخابور عند مصبه، وهي على الفرات، جانب

---

(١) عقد الدرر: ٩٠، الزام الناصب ٢: ١٧٨، معجم أحاديث المهدي ٣: ٩١.

(٢) البحار ٥٢: ١٨٦.

(٣) الغيبة: ٣٠٣ ح ١٢، والحزور الغلام القوي الذي كاد أن يدرك.

منها على الخابور وجانب على الفرات فوق رحبة مالك بن طوف.

ويقابل هذه الرواية الروايات الدالة على أنّ معركة قرقيسياء هي معركة السفياني نفسه مع الترك أو الروم أو مع العباسيين على اختلافها كما سيأتي، ولكن الأصح أنها معركة متعددة الأطراف يشارك فيها اكثر من فئتين فواحدة هي فئة ولد العباس وأُخرى فئة المرواني وثالثة فئة السفياني وغيرها كما سيأتي.

١٦ ـ خروج الشيصباني

فقد روى النعماني بسند ضعيف عن جابر الجعفي قل: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عنْ السفياني فقل: «وأنى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء فيقتل وفدكم فتوقعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم»[1].

وهي ضعيفة السند لا شتمالها على المجاهيل وحتى الضعفاء.

١٧ ـ خروج شعيب بن صالح

فقد روى الشيخ الطوسي عن حذلم بن بشير قال قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: صف لي خروج المهدي وعرفني دلائله وعلاماته؟ فقال: «يكون قبل خروجه رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان...»[2].

وتأخر خروج السفياني عن شعيب بن صالح بقرينة كلمة «ثم» الدالة على التعقيب.

---

(١) الغيبة: ٣٠٢ ح ٨.

(٢) الغيبة:٤٤٣ ح٤٣٧، البحار ٥٢: ٢١٣ ح ٦٥.

١٨ ـ خراب الشام

فقد ورد:

«سيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاثة رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني...»[١].

وفي رواية أخرى يرويها العلامة الحلي جاء فيها: «واختلاف كثير عند ذلك في كل أرض حتى يخرب الشام ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها: راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني»[٢]، وهي تنافي الرواية الأولى؛ لأنها جعلت سبب الخراب اجتماع الرايات الثلاث التي منها راية السفياني، بينما جعلت الأولى الخراب علامة على اختلاف الرايات، وهذه الرواية الثانية أكثر معقولية؛ لأن الاختلاف عادة هو سبب الخراب.

١٩ ـ إقبال أصحاب البراذين إلى الشام

جاء في خبر رواه النعماني بسند عن المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: بعد ذكر اختلاف أهل الشام وحصول الرجفة: «فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان

---

(١) الغيبة للنعماني: ٢٨٠ ح ٦٧ والسند فيه معتبر عن أحمد بن محمد بن سعيد عن محمد بن المفضل وسعدان بن إسحاق بن سعيد وأحمد بن الحسين بن عبد الملك ومحمد بن أحمد بن الحسن جميعاً عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام.

(٢) المستجاد من الإرشاد: ٢٥٩، عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر....

ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق»[١].

وأما البراذين المحذوفة، فهي البغال المقطوعة الآذان والذنب فالمقصود به كل دابة أو آلة تعمل عملها.

وتقييدها بكونها جميعها صفراً يصرفها عن البغال المعروفة ويقرب كونها مصنوعة مصبوغة.

٢٠ ـ خروج المصري

فقد روى الشيخ الطوسي، عن الفضل، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن سنان، عن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يخرج قبل السفياني مصري ويماني»[٢].

ولكن في سندها ضعف من ناحية ابن سنان ففيه كلام وثقه الشيخ المفيد وضعفه الآخرون، يبدو أن ضعفه من ناحية التخليط ورواية ما فيه من غلو، وهذا ما لا يضر في بحثنا.

قصة خروج السفياني:

روى في عقد الدرر مرسلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام رواية مفصلة في قصة خروج السفياني جاء فيها: «تختلف ثلاث رايات راية بالمغرب ويل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام، تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى تكون منهم مسيرة

---

(١) الغيبة: ٣٠٥، البحار ٥٢: ٢٥٣ ح ١٤٣ والسند في طريقه المغيرة بن سعيد وهو ضعيف.

(٢) كتاب الغيبة: ٤٤٧ ح ٤٤٤.

ليلتين فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة، فتضطرب الشام وفلسطين، فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين، فيقولون اطلبوا ملك الأول: فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق، بموضع يقال لها حرستا، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب، وذلك دهاء منه.

ويكون بالوادي اليابس عدة عديدة فيقولون له: يا هذا، ما يحل لك أن تضيع الإسلام، أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن؟ فاتق الله واخرج، أما تنصر دينك؟ فيقول لست بصاحبكم، فيقولون: ألست من قريش، من أهل بيت الملك القديم، أما تغضب لأهل بيتك وما نزل بهم من الذل والهوان؟

ويخرج راغباً في الأموال والعيش الرغد، فيقول: اذهبوا إلى حلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة، ثم يجيئهم فيخرج في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق وهو أول منبر يصعده، فيخطب ويأمرهم بالجهاد، ويبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً، رضوه أم كرهوه».

فقام رجل فقال: ما اسمه يا أمير المؤمنين؟ فقال: «هو حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ملعون في السماء، ملعون في الأرض، أشرّ خلق الله عزوجل أباً، وألعن خلق الله جداً، وأكثر خلق الله ظلماً».

قال: «ثم يخرج إلى الغوطة، فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، وتتلاحق به أهل الضغائن، فيكون في خمسين ألفاً، ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل، ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفياني في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات رجال ولد العباس هم الترك والعجم، وراياتهم سوداء وراية البربر صفراء وراية السفياني حمراء، فيقتتلون ببطن الأردن

قتالاً شديداً، فيقتل فيما بينهم ستون ألفاً، فيغلب السفياني، وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب، والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منه ما قالوا ذلك.

فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات، وينزع الله من قلبه الرحمة، ثمّ يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا، فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره، فيداخلهم من ذلك الجزع.

ثم يرجع إلى دمشق، وقد دان له الخلق، فيجيش جيشين جيش إلى المدينة، وجيش إلى المشرق، فأما جيش المشرق فيقتلون بالزوراء سبعين ألفاً، ويبقرون بطون ثلاثمائة امرأة، ويخرج الجيش إلى الكوفة، فيقتل بها خلقاً. وأمّا جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح، وهو جبريل عليه السلام فلا يبقى منهم أحد إلاّ خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض، فيسألان جبريل عليه السلام ما أصاب الجيش؟ فيقول: أنتما منهم؟ فيقولان: نعم. فيصيح بهما، فتتحول وجوههما القهقرى، ويمضي أحدهما إلى المدينة وهو بشير، فيبشرهم بما سلّمهم الله عزوجل منه، والآخر نذير، فيرجع إلى السفياني فيخبره بما نال الجيش عند ذلك.

قال: وعند جهينة الخبر اليقين، لأنهما من جهينة.

ثمّ يهرب قوم من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بلد الروم، فيبعث السفياني إلى ملك الروم: رد إليَّ عبيدي، فيردهم إليه، فيضرب أعناقهم على الدرج شرقي مسجد دمشق فلا ينكر ذلك عليه.

ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق، والكوفة والبصرة. ثمّ يدور الأمصار والأقطار، ويحل عرى الإسلام عروة بعد عروة، ويقتل أهل العلم ويحرق المصاحف ويخرب المساجد ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي والمزامر

في الأسـواق، والشـرب عـلى قوارع الطرق، ويحلّل لهم الفواحش، ويحرم علـيهم كـل مـا افترضه الله عزّوجلّ عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور بل يزداد تمرداً وعتواً وطغياناً، ويقتل من كان اسمه محمداً، وأحمـد، وعلياً وجعفراً وحمزة، وحسناً، وحسيناً، وفاطمة، وزينب، ورقية، وام كلـثوم، وخديجة، وعاتكة، حنقاً وبغضاً لبيت آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثـمّ يبعـث فـيجمع الأطفـال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنـا عصـوك فـنحن مـا ذنبـنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسن وحسين فيصلبهما، ثم يسير إلى الكوفة، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال، ويصلب عـلى بـاب مسـجدها طفلـين أسماؤهما حسن وحسين فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فإذا رأى ذلك أيّقن بالهلاك والبلاء، فيخرج هاربـاً مـنها، مـتوجهاً إلى الشام فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه، فإذا دخل دمشق اعتكف على شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك.

ويخـرج السـفياني وبيده حربة فيأخذ امرأة حاملاً فيدفعها إلى بعض أصـحابه ويقـول: افجر بها في وسط الطريق. فيفعل ذلك، ويبقر بطنها، فيسـقط الجـنين مـن بطـن أمـه، فـلا يقـدر أحد أن يغير ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء فيأمر الله عزوجل جبريل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق: ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الفرج، وهو المهدي عليه السلام خارج من مكة فأجيبوه. ثـم قـال عليه السلام: ألا أصفه لكم، ألا وإن الدهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخـذت عهـوده، وإليـنا ترد شهوده، ألا وإن أهل حرم الله عزوجل سيطلبون لنا بالفضـل، مـن عـرف عودتـنا فهـو مشـاهدنا، ألا فهو أشبه خلق الله عزوجل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه على اسمه، واسم أبيه على اسم ابنه، من ولد فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من ولد الحسين، ألا فمن توالى غيره لعنه الله.

ثم قال عليه السلام: فيجمع الله عزوجل أصحابه على عدد أهل بدر وعلى عدد أصحاب طالوت، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كأنّهم ليوث خرجوا من غابة، قلوبهم مثل زبر الحديد، لوهمّوا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها، الزّي واحد، واللباس واحد، كأنّما آباؤهم أبٌ واحد»[1].

فهذه الرواية وإن لم تكن مسندة ولم ترد في مصادر متعددة غير أنا سنشير إلى مقاطعها التي وردت في أخبار أُخر.

أما تواجده في غوطة دمشق المذكور فيها فلم تذكره الروايات ولم تشر إليه، وكذا شيوع هذا المنطق، أعني طلب ملك الأول والنزعة الأموية وتفكُّر أهل الشام واعتقادهم بعدم عود عزهم إلا على يد أموية فهو الآخر لم تشر إليه الأخبار وليس منه عين ولا أثر، وهكذا موافاته في غوطة الشام، أي قرية حرستا، وكذا هروبه إلى أخواله من كلب.

أما خروج السفياني من الوادي اليابس فقد دلت عليه روايات متعددة مرت الإشارة إلى بعضها، وامتازت هذه الرواية بتفصيل سبب خروجه من الوادي اليابس وهو طلب عدة عديدة منه القيام والخروج وامتناعه، ثم موافقته بهدف دنيوي ورغبة في الأموال والعيش الرغد، بعد تفلّته من الأمر ولو بحسب الظاهر وإرجاعهم إلى حلفائهم السابقين.

وهناك رواية تذكر سبب خروجه بنحو آخر يرويها ابن حماد عن أبي مريم عن أشياخه قال: يؤتى السفياني في منامه فيقال له: قم فاخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثانية، فيقال له مثل ذلك، ثم يقال له في الثالثة: قم فأخرج فانظر من على باب دارك، فينحدر في الثالثة إلى باب داره، فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة ومعهم لواء، فيقولون: نحن أصحابك، فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قريات الوادي اليابس، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه

---

(١) عقد الدرر: ١٣٧.

ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم[١].

وإثبات خصوصيات كهذه بهذا الخبر أو ملاحظة انطباقها في الخارج مما لا يتيسر.

غير أن باقي الروايات ذكرت خروجه من الوادي اليابس بقوة قاهرة بحيث يهرب أمير دمشق عند سماعه به.

وأما صعوده منبر دمشق فقد ورد في الأخبار ونصت عليه الروايات غير أن البعض عبّر مكان كلمة دمشق بأرض ذات قرار ومعين.

يستفاد منها أن لصعوده منبر دمشق انعكاساً وصدى وأثراً هاماً تكشف هذه الرواية عن بعض حقائقه التي منها أخذ البيعة والطاعة وأن لا يخالفوا له أمراً حتى لو كرهوه مما يدل على إضماره مالا يليق بشؤون الإسلام ولا يتلائم معه بحيث يستنكره جمهور المسلمين، ومنها أمرهم بالجهاد وتحريضهم على القتال الذي تبتني عليه قواعد ملكه.

وأما اسمه فقد خالفت باقي الروايات إذ جعلت اسمه حرباً وباقي الروايات تجعله عثماناً، وغيرها من الروايات العامية جعلته عبد الله بن يزيد[٢]، وقد بينا أن الأرجح عثمان كما مر.

ثم إن رجوع نسبه في هذه الرواية إلى يزيد بن معاوية دلت عليه بعض الأخبار المارة كرواية المفضل وإن كان الأكثر على أنه ابن عتبة بن أبي سفيان أو عنبسة بن أبي سفيان.

والغوطة هي الكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلاً[٣].

---

(١) كتاب الفتن: ٧٥، عقد الدرر: ٧٢.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٤، معجم أحاديث الإمام المهدي ١: ٤١٩.

(٣) معجم البلدان ٤: ٢٤٨ / ٨٩٤٨.

كما أنها تدل على سرعة التفاف أهل الشام حوله لوجود أسباب الذل والهوان أو وجود المغريات.

وهنا يأتي التركيز على كلب في هذا الخبر وغيره من الأخبار بحيث يكون أكثر جيشه منهم، وإن لم يكونوا هم النواة الأولى بينما دلت هذه الرواية وغيرها على أن كلب هم أخواله.

ثم تحكي هذه الرواية تواجد البربر عندها في الشام وهم يقاتلون بقايا بني العباس أو رجلاً من بني العباس يكون حاكماً على الشام أو دمشق أو غيرها ثم تقول: إن رجالهم هم الترك والعجم مما ليس له في الأخبار منه عين ولا أثر، يترجح كونه خلطاً من الروات بين مسألة زوال دولة بني العباس التي رجالها العجم والترك على يد المغول وبين زوال الأصهب والأبقع على يد السفياني، أو يراد بها مجيء الروم والترك بحكام من بني العباس يحكمون العراق يمدونهم بالجيوش وهو احتمال غير مستبعد.

كما وتتحدث عن قتال في بطن الأدرن وقتل ستين ألفاً وغلبة السفياني فهذا أيضاً مما ليس منه عين ولا أثر في باقي الروايات.

وأهم ما في هذه الرواية الإشارة إلى عدل السفياني في الناس في بادئ الأمر، وزعم البعض كذب الروايات الذامة له، ثم تكذيب الإمام زعمهم بصورة باتة وقاطعة مع الإشارة إلى جهلهم مما له مؤيد في الأخبار الدالة على أنه يوشك أن ينخرط معه أهل الحق لولا عصمة الله سبحانه لهم تكلمنا عنه في عنوان منطق السفياني على أنه أمر معقول جداً يضطره إلى ذلك التدبير من أجل تثبيت ملكه وبسط سيطرته إلى استعطاف الناس وكسب وِدّهم حتى يعبر الفرات حيث تبدو منه القسوة وتظهر حقيقته وواقعه مؤيداً بالأخبار التي منها أن السفياني لا يعبر الفرات إلا وهو كافر.

وأما حروب السفياني وبعثه الجيش إلى العراق فسيأتي تفصيلها.

وأما معركة قرقيسياء فهي تتردد بين أن تكون قبل السفياني وبين أن تكون معركته الحاسمة، كما أن هناك ترديداً فيمن يقاتلهم عندها، فالمروي أن القتال فيها بين المرواني وبني العباس أو بينه وبين الروم والترك، إلا أن يكون المرواني من حكام بعض دول الشام يشارك السفياني فتكون متعددة الأطراف، وهو ليس بعيد.

ثم لمعركة قرقيسياء الطاحنة أكبر الصدى لانتشار خبر السفياني ولفت أنظار العالم إليه كما تضمنه هذا الخبر وهو طبيعي جداً، فإن معركة كهذه كيف لا تعطف أنظار العالم وإن لم تذكر الأخبار هذا الجانب، خصوصاً إذا شاهدوا بلاء السفياني فيها وتوفيقه الأكبر من بين المشاركين في هذه المعركة.

حروب السفياني ومعاركه:

تنقسم حروب السفياني ومعاركه إلى قسمين القسم الاول حروب تشكيل الدولة، والقسم الثاني حروب الغزو.

ولما كانت حركة السفياني تتفجر من حوالي دمشق وأطرافها وخصوص الوادي اليابس كما يستفاد من مجموع الأخبار غير أن هناك ترديداً في تعيين موضع الوادي اليابس الذي يخرج منه ويكون منبته فيه هل هو في فلسطين أو الأردن أو أطراف دمشق، غير أن المستشم من الأخبار إرادة الأخير لأن بعضها عبر بالغوطة التي هي غوطة دمشق[1]، والبعض الآخر عبر بعمق دمشق، وثالث بناحية مدينة دمشق.

وعلى هذا فلا محيص من أن تكون أول حركة للسفياني وأول حروبه هي المنازعة على كرسي الحكم في دمشق والتدبير للاستيلاء عليه، لتتسع

---

(١) انظر الكافي ١: ٤٧٩، مدينة المعاجز٦: ٣٠٠.

دائـرة حـروبه الـتي هي من القسم الأول في حدود الشام لأن دولته هناك، أعني الكور الخمس كما مر.

الاستيلاء على دمشق:

الأخبار في دخول السفياني مدينة دمشق كثيرة، ولكن الأخبار في كيفية دخوله وحربه مع أمير دمشق قليلة ومن الأول ما روي عن حذيفة قل، قال رسول الله ﷺ في حديث طويل: «**خروج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً**»[1].

ومـن الثاني الرواية المارة في قصة خروجه فإن فيها «يؤتى السفياني في منامه فيقال له: قم فأخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتي الثانية فيقال له: مثل ذلك، ثم يقال له الثالثة: قم فاخرج فانظر من على باب دارك، فإذا هو بسـبعة نفـر أو تسـعة نفـر معهـم لواء، فيقولون نحن أصحابك، فيخرج فيهم ويتـبعه نـاس مـن قـريات وادي الـيابس، فـيخرج إلـيه صاحب دمشق ليلقاه ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم، ووالي دمشق يومئذ والٍ لبني العباس»[2].

فهـي تـدل عـلى سرعة انهزام أمير دمشق أمامه وحتى عدم وقوع حرب بيـنهما، ولعلـه لسـماعه بخبر السفياني وحتمية تسلطه وشدة قسوته من قبل، كمـا ويحتمل ضعفه المفرط وعلمه بإرادة أسياده بحيث لا تنفعه الحرب، وهناك روايـة تدل انشغال جيش الشام آنذاك في مقاومة جيش المغرب والرايات الصفر ستأتي الإشارة إليها عند الكلام عن أحداث الشام.

والعجيـب في هذا الخبر التعبير بكلمة الوالي، والياً لبني العباس،

---

(١) الداني: ١٠٤.

(٢) الفتن لابن حماد: ٧٥، مستدرك الحاكم ٤: ٥٢٠.

وقد رجحنا سابقاً عدم بقاء دولة بني العباس إلى زمان السفياني، إلا أن يكون حاكم بعض الدويلات أو خصوص الشام من بني العباس وهو مما لم نستبعده.

فغاية ما يمكن قبوله من هذه الرواية الضعيفة السند هو كون أمير دمشق من بني العباس كذلك دون قيام دولة عباسية في البلدان الإسلامية، غاية الأمر قيام دولة عباسية في العراق مدعومة بتدبير خارجي وجيوش قوية نتيجتها الطبيعية خضوع دول المنطقة لها، فيكون الحكام فيها كالولاة.

والذي يؤيد أن أمير دمشق وحده من بني العباس ما رواه في عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «تختلف ثلاث رايات، راية بالمغرب، ويل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى يكون منهم مسيرة ليلتين، فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة، فتضطرب الشام وفلسطين فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون: اطلبوا ملك الأول، فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق بموضع يقال له حرستا، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب وذلك دهاء منه، ويكون بالوادي اليابس عدة عديدة فيقولون له يا هذا ما يحل لك أن تضيّع الإسلام...»[1].

فهي تدل على أن حاكم دمشق بخصوصه من بني العباس لقوله: «ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام» الدال على خروجه بمفرده وظهوره من جديد.

لكنه مازال ضعيفاً لا يؤبه به والرأي العام ورؤساء الناس يضادونه ويعادونه كل ذلك يفسر علة هروبه وعدم مقاومته بينما هؤلاء النفر الذين يلتفون حول السفياني هم رؤساء مطاعون تُخشى سطوتهم وقسوتهم.

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

حرب السفياني مع أهل المغرب:

يستفاد من أخبار عديدة خروج أهل المغرب ودخولهم مصر قبل ظهور السفياني، ويكون خروجهم علامة لخروجه.

فقد ورد: علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال، ويستخلف بعده ضعيف فيخلع بعد سنتين من بيعته، ويخسف بغربي مسجد دمشق، وخروج ثلاثة نفر بالشام، وخروج أهل المغرب إلى مصر، وتلك أمارة السفياني[1].

وفي رواية أخرى عن عمار بن ياسر قال فيها: «ويخرج أهل المغرب ينحدرون إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد، وينزل الترك الجزيرة، وينزل الروم فلسطين، ويقبل صاحب المغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع حتى ينزل الحيرة إلى السفياني»[2].

وفي رواية ثالثة رواها ابن حماد عن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة، فإذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذٍ خير لأهل الشام»[3].

فإلى حد الآن اطلعت على خروج أهل المغرب ودخولهم مصر، ثم لزوم تخوف أهل الشام من هذه الحركة التي تدل الأخبار على دخول طلائعها الشام، وانقعار المسجد عندها وحدوث خسف بقرية حرستا، وظهور السفياني ومحاربته لهم.

فقد ورد: «يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق، فبينا هم ينظرون

---

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ٩٢.

(٢) عقد الدرر: ٤٦ ب٢ ف ١.

(٣) الداني: ٧٣، وانظر عقد الدرر: ٥١، والملاحم والفتن: ٧٧، وكتاب الفتن لابن حماد: ٩١ بتفاوت.

في أعاجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق»[١].

وفي رواية أخرى يرويها الشيخ والنعماني بسنديهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجلِ إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس»[٢].

---

(١) كتاب الفتن: ٧١، عقد الدرر: ٥٣.

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦١ ح٤٧٦، كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٥، والسند فيهما علي بن أحمد عن عبيد الله بن موسى عن محمد بن موسى قال اخبرني أحمد بن أبي أحمد المعروف بأبي جعفر الوراق عن اسماعيل بن عياش عن مهاجر بن حكيم عن المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا السند ضعيف بالمغيرة بن سعيد وكذلك بإسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم فأن كتب الرجال خالية منهما.

اخبرنا جماعة عن أبي المفضل الشيباني عن أبي نعيم نصر بن عصام بن المغيرة العمري عن أبي يوسف يعقوب بن نعيم بن عمرو قرقارة الكاتب عن أحمد بن محمد الأسدي عن محمد بن أحمد عن اسماعيل بن عياش عن مهاجر بن حكيم عن معاوية بن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام...وهذا السند أيضاً ضعيف لاحتوائه على إسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم.

فهي تشترك مع الرواية السابقة وتصادقها في خسف قرية حرستا، وتفترق مع سابقتها بوصف أهل المغرب بأنهم أصحاب براذين شهب محذوفة ورايات صفر.

وفي رواية ثالثة:

تختلف ثلاث رايات: راية المغرب، ويل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام حتى تكون منهم مسيرة ليلتين فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة فتضطرب الشام وفلسطين، فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين، فيقولون اطلبوا ملك الأول، فيوافونه بغوطة دمشق بموضع يقال له حرستا...[١].

يظهر منها أن جيش المغرب يكون تهديداً جاداً لأهل الشام بحيث يدعهم يفكرون في توحيد الشام تحت قيادة أموية، وذلك يجعل حكومة العباسي في دمشق في موضع الضعف بالإضافة إلى ضعفها السابق.

ولما تقدم أن السفياني يدخل دمشق يخلعها من أميرها العباسي لا يكون دخول جيش المغرب الشام ودمشق سبباً لخلعه فهو يحكي عن نحو من التناقض.

ولكن الروايات لا تدل على أكثر من دخول بعض طلائع أهل الغرب مدينة دمشق، ولم تذكر دخول الطلائع سوى رواية واحدة، ولما كانت الروايات ضعيفة السند فلا يحصل الرجحان إلا فيما توافقت عليه وهو دخولهم الشام دون دخول دمشق.

ولكن مَنْ هم أهل المغرب؟

مقتضى الإطلاق أنهم أهل مغرب الأرض، خصوصاً وأن الرواية تصفهم بأنهم أصحاب البراذين المحذوفة الذي هو كناية عن الآليات العسكرية، وتصفهم

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

أنهم أصحاب رايات صفر، ومعلوم أن بني الأصفر هم الروم يؤيد ذلك الرواية الدالة على تملك الكفار للأنهار الخمسة[1].

ولكن بعض الروايات دلت على أن رايات المغرب التي تدخل مصر عليها رجل أعرج من كندة[2]، وهناك قرائن كثيرة على أنهم هم أهل المغرب العربي كالتعبير بكلمة البربر التي تعني بعض المغرب العربي أو جلهم.

حرب السفياني مع أهل المشرق :

يستفاد من بعض الأخبار تواجد أهل المشرق في الشام إبّان ظهور السفياني فقد روى ابن حماد عن محمد بن الحنفية أنه قل: يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق فبينا هم ينظرون في أعاجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق[3].

وأهل المشرق على الإطلاق هم أهل شرق الأرض وإذا أضيفت إلى بلد خاص فالمراد شرق ذلك البلاد، فشرق الحجاز نجد، كما جاء في الرواية قرن الشيطان، وشرق العراق ايران، وشرق الشام العراق، ولكن الغالب في الروايات الواردة في علامات الظهور إرادة ايران، فهذه الرواية تدل على تواجدهم أو وجود قوات منهم يرتبط تواجدها بمسألة فلسطين لأن الإيرانيين هم المحررين لها كما يستفاد من بعض الأخبار[4].

---

(١) والرواية هي عن حذيفة وجابر: «هبط جبرئيل على النبي ﷺ وبشره بأن القائم من ولده لا يظهر حتى يملك الكفار الأنهر الخمسة سيحون، وجيحون، والفراتين،والنيل...» أنظر الصراط المستقيم ٢: ٢٥٨.

(٢) عقد الدرر: ٥١، كتاب الفتن لابن حماد: ٩١، ملاحم ابن طاووس: ٧٧ باب ١٦٩.

(٣) كتاب الفتن: ٧١، وانظر عقد الدرر: ٥٣ ب ٤ ف ١.

(٤) انظر مسند أحمد٢: ٣٦٥.

ومهما يكن من ذلك فالرواية ضعيفة السند ولم تسند إلى النبي صلى الله عليه وآله غير أن هناك بعض المؤيدات.

فمما يؤيد تواجد بعض قواتهم في الشام ما رواه ابن حماد أيضاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يبعث السفياني على جيش العراق رجلاً من بني حارثة له غديرتان يقال له نمر ـ أو قمر ـ بن عباد رجلاً جسيماً على مقدمته رجلٌ من قومه قصير أصلع عريض المنكبين فيقاتله من بالشام من أهل المشرق، وفي موضع يقال له البنية (الثنية) وأهل حمص في حرب المشرق وأنصارهم، وبها يومئذ منهم جند عظيم تقاتلهم فيما يلي دمشق، كل ذلك يهزمهم، ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفياني ويلتقون وأهل المشرق في موضع يقال له المدين مما يلي شرق حمص، فيقتل بها نيّف وسبعون ألفاً، ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق، ثم تكون الدبرة عليهم ويسير الجيش الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة...»[1].

فهذه فصلت الواقعة وذكرت تواجد جند عظيم من أهل المشرق في الشام.

وذكرت وقوع القتال وانتصار السفياني انتصاراً ساحقاً، ولكن لا يمكن الاعتماد على رواية ضعيفة السند كهذه في إثبات أصل تواجد أهل المشرق في الشام ووقوع الحرب بينهم وبين السفياني.

وهناك رواية أخرى فصلت تواجد أهل المشرق رواها ابن طاووس عن أرطأة بن المنذر قال: يجيء البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والأردن، فتسير إليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية، ويخرج رجل من ولد صخر في ضعف فيلقى جيوش المغرب على ثنية بيسان فيردعهم عنها، ثم يلقاهم من الغد فيردعهم عنها، فينحازون وراها، ثم يلقاهم في اليوم الثالث

---

(١) كتاب الفتن: ٧١.

فيردعهم إلى عين الريح، فيأتيهم موت رئيسهم فيفترقون ثلاث فرق، فرقة ترتد على أعقابها، وفرقة تلحق بالحجاز، وفرقة تلحق بالصخري فيسير إلى بقية جموعهم حتى يأتي ثنية فيق فيلتقون عليها فيدال عليهم الصخري، ثم يعطف إلى جموع المشرق والشام فيلقاهم فيدال عليهم ما بين الجابية والخربة حتى تخوض الخيل في الدماء، ويقتل أهل الشام رئيسهم وينحازون إلى الصخري فيدخل دمشق فيمثل بها، وتخرج رايات من المشرق مسودة فتنزل الكوفة فيتوارى رئيسهم فيها فلا يدرى موضعه فيتحير ذلك الجيش ثم يخرج رجل كان مختفيا في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته، فيسير بجنود المشرق نحو الشام، ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه فيلتقون بجبل الحصى فيهلك بينهما عالم كثير ويولي المشرقي منصرفاً ويتبعه الصخري فيدركه بقرقيسيا عند مجمع النهرين، فيلتقيان فيفرغ عليهما الصبر فيقتل من جنود المشرقي من كل عشرة سبعة، ثم يدخل جنود الصخري الكوفة فيسوم أهلها الخسف، ويوجه جندًا من أهل المغرب إلى من بإزائه من جنود المشرق فيأتونه بسبيهم، فإنه لعلى ذلك إذ يأتيه خبر ظهور المهدي بمكة فيقطع إليه من الكوفة بعثًا يخسف به.

قال أرطاة: ويكون بين أهل المغرب وأهل المشرق بقنطرة الفسطاط سبعة أيام، فيلتقون بالعريش فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يبلغوا الأردن، ثم يخرج عليهم السفياني بعد. وكان الروم الذين كانوا بحمص كانوا يتخوفون عليها البربر ويقولون: ويلك يا تمرة من بربر[١]...

هذه الرواية مضطربة المتن[٢] ضعيفة السند غير أنها تشترك مع سائر

---

(١) كتاب الفتن: ٧٣، الملاحم والفتن، ٤٩.

(٢) تدل هذه الرواية على أن حرب قرقيسياء قبل السفياني فتكون مؤيدةً، لأنها من علامته لا حربه.

الروايات في تواجد جنود أهل المشرق في الشام وحرب السفياني معهم.

غير أن أكثر الروايات تدل على أن أهل المشرق الخراسانيين إنما يدخلون العراق بعد دخول السفياني العراق وإنما يكون القتال في العراق كما سيأتي، فلا يتقوى سوى احتمال إرادة أهل العراق أو المتواجدين فيه من أهل المشرق، أي شرق الشام الذي هو العراق.

فقد روى ابن حماد نفسه: «إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة وآذربيجان والروم بالعمق وأطرافها، قاتل الروم رجل من قيس من أهل قنسرين، والسفياني بالعراق يقاتل أهل المشرق وقد اشتغل كل ناحية حذو كذا، فإذا قاتلهم أربعين يوماً ولم يأته مدد، صالح الروم على أن لا يؤدي أحد الفريقين إلى صاحبه شيئاً»[1].

ويمكن المناقشة بأن قتال السفياني مع أهل المشرق في العراق ولا ينافي قتاله معهم أو مع جند لهم قبل ذلك في الشام.

وكذا ما رواه الطبري قال في حديث السفياني: «فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة»[2]..

حرب الأبقع:

تتكلم الروايات عن اجتماع ثلاث رايات في الشام في آخر المطاف: راية الأبقع، وراية الأصهب، وراية السفياني[3] وفي هذه الروايات ما يتشبث

---

(١) كتاب الفتن: ٥٩، معجم أحاديث المهدي عليه السلام ١: ٣٣٠.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧، الداني: ١٠٤ ـ ١١٣.

(٣) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٧ عن علي عليه السلام، كنز العمال ١١: ٢٨٤ ح ٣١٥٣٦، كتاب الفتن لابن حماد: ١٧١ عن محمد بن الحنفية، وص ١٧٣ عن عمار بن ياسر.

بالاعتبار كرواية جابر بن يزيد الجعفي المروية بعدة طرق تنتهي إلى الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر الزم الأرض ـ إلى أن قال ـ وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون، فيقتله السفياني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسياء فيقتتلون بها، فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة...»[1].

فهي تدل على أن السفياني يقاتل الأبقع أولاً ثم الأصهب ثم تكون معركة قرقيسياء فمن هو هذا الأبقع؟ وما هو موطنه؟

الأبقع في اللغة يقال لمن اختلف لونه وكان فيه سواد وبياض، أو ما كان في صدره بياض، ويطلق على من به البرص أو من اختلف نسله كمن ولد من بين أبيض وأسود، كما يحتمل إرادة اختلاف لون ملابسه كالذي يلبسه بعض الجنود اليوم من الملابس المبقعة، أو إرادة أهل الغرب البيض الشهب فقد ورد في رواية أخرى «فأول أرض تخرب الشام، ثم يختلفون على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأشهب، وراية السفياني»[2]، فقد عبر مكان الأبقع بالأشهب.

بينما تنبئ الأخبار بأن الأبقع من مصر فيكون هو المصري الذي تكلمنا عنه، فقد روي عن ابن مسعود: «إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية دمشق وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع

---

(١) الغيبة للنعماني: ٢٧٩، البحار ٥٢: ٢٢٢ ح ٨٧، الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٥٥.

(٢) الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٧ والرواية مسند عن جابر عن الباقر عليه السلام.

والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلان من بني أبي سفيان، فيكون الظفر للثاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم»[1].

فهي تدل على أن مادة الأبقع من مصر، والمادة بين أن تعني أصله، وبين أن تعني جيشه ومدده، ولكن هناك رواية تصرح بأنه من مصر، فقد روى ابن حماد بسند عن علي عليه السلام قال: «إذا اختلفت الرايات السود خسف بقرية من قرى إرم، وسقط جانب مسجدها الغربي، ثم تخرج بالشام ثلاث رايات: الأصهب، والأبقع، والسفياني، فيخرج السفياني من الشام، والأبقع من مصر، فيظهر السفياني عليهم»[2].

غير أن هناك رواية أو أكثر تدل على أن الأبقع من مضر وتعبر عنهم ببني ذنب الحمار فقد جاء في رواية في تفسير العياشي لجابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام «وأن أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفياني، مع بني ذنب الحمار مضر، ومع السفياني أخواله من كلب، فيظهر السفياني ومن معه على بني ذنب الحمار حتى يقتلوا قتلاً لم يقتله شيء قط، ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلاً لم يقتله شيء قط وهو من بني ذنب الحمار، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ »[3].

فيشكل الجمع بين الروايات إلا أن يكون مضر تصحيف مصر أو بالعكس، وقد استظهرنا سابقاً إرادة مصر في كل الأحوال.

والذي يهون الخطب ضعف الروايات الدالة على أنه من مصر، وعدم

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ١١: ٣٨٠ ح ٢٠٧٩٨.

(٢) الفتن: ٧٧، كنز العمال ١١: ٢٨٤ ح ٣١٥٣٦.

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٤٤، والآية ٣٧ من سورة مريم.

دلالة الروايات على حتمية الأبقع، وإن كانت الروايات الدالة عليه متعددة.

حربه مع الأصهب:

إحدى الرايات الثلاث التي تجتمع في الشام هي راية الأصهب التي تظهر أولاً قبل الأبقع لكن يقتل الأصهب بعد الأبقع؛ لأنه جاء في رواية جابر المنقولة بعدة طرق المارة: «فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون، فيقتله السفياني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسياء..».

وفي رواية العياشي: «يا جابر أول أرض المغرب تخرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على رايات ثلاث: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلقى السفياني الأبقع ويقتتلون فيقتله ومن معه، وراية الأصهب، ثم لا يكون لهم هم إلا الإقبال نحو العراق، ومر جيش بقرقيسياء فيقتتلون بها مائة ألف من الجبارين...»[1].

والذي يدل على ظهور راية الأصهب أولاً قبل الأبقع ما رواه في عقد الدرر عن كتاب قصص الأنبياء لمحمد بن عبيد الكسائي عن كعب الأحبار: «لابد من نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض، ولابد أن يظهر بين يديه علامات وفتن، فأول ما يخرج ويغلب على البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن.

قال كعب الأحبار: بينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم بالظلم، إذ قد خرج عليهم السفياني من دمشق...»[2]، غير أن الرواية ضعيفة السند.

---

(١) تفسير العياشي ١: ٢٤٤ ح ١٤٧.

(٢) عقد الدرر: ٧٩ ب ٤.

ويستفاد من هذه الرواية وغيرها خروجه من بلاد الجزيرة التي تتردد بين الأرض الواقعة بين دجلة والفرات[١]، أو الجزيرة العربية، أو غيرها من جزر العالم أي جزيرة كانت، والأول أعرف في ذلك الزمان بهذا الاسم وبقرينة مجاورته للشام.

والمهم أن هذه الرايات إنما يكون نزاعها في الشام، فقد ورد في رواية عمار بن ياسر قال: فيخرج ثلاثة نفر كلهم يطلب الملك: رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج بكلب[٢].

ويبقى هنا سؤال عن الأصهب، وهل أنه اسم أو صفة؟ ظاهر الروايات أنه صفة بمعنى الأشقر الذي يخالط بياضه حمرة، أو هو الأصفر الوجه.

ولكن يبدو من بعض الأخبار أنه اسمه، فقد روى في كتاب كشف الحق عن الفضل بن شاذان عن زرارة بن أعين عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «استعيذوا بالله من شر السفياني والدجال وغيرهما من أصحاب الفتن».

قيل له: يا بن رسول الله! أما الدجال فعرفناه وقد بين من مضامين أحاديثكم شأنه، فمن السفياني وغيره من أصحاب الفتن وما يصنعون؟ قال عليه السلام: «أول من يخرج منهم رجل يقال له أصهب بن قيس يخرج من بلاد الجزيرة له نكاية شديدة في الناس وجور عظيم، ثم يخرج الجرهمي من بلاد الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن، ولكل واحد من هؤلاء شوكة عظيمة في ولايتهم، ويغلب على أهلها الظلم والفتنة منهم، فبيناهم كذلك

---

(١) وتسمى جزيرة أقور، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك. معجم البلدان ٢: ١٥٦.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ١٧٣، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٧٨.

إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود، والسفياني من الوادي اليابس من أودية الشام...».

إلى أن قال: «فأول من يقاتل السفياني القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن فيقتله اليماني، ثم يفرّ الأصهب والجرهمي بعد محاربات كثيرة مع السفياني فيتبعهما ويقهر كل من ينازعه ويحاربه إلا اليماني»[1] فقد قال عليه السلام «يقال له أصهب بن قيس» الدال على أنه اسم له أو صار اسماً له.

وفي خبر آخر قال البسطامي: « قبل نزول عيسى عليه السلام يخرج من بلاد الجزيرة يقال له الأصهب، ويخرج عليه من الشام رجل يقال له جرهم، ثم يخرج القحطاني رجل بأرض اليمن، فبينما هؤلاء الثلاثة إذا هم بالسفياني وقد خرج من غوطة دمشق... فأول ما يقابله القحطاني ينهزم ثم ينفذ جيشاً إلى الكوفة»[2].

حربه مع الجرهمي:

يستفاد من رواية كشف الحق المارة حرب السفياني مع الجرهمي الذي هو حاكم آخر من حكام الشام.

وفي رواية قصص الأنبياء للكسائي المارة: «فأول ما يخرج على البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام»[3] وبهذا تكون الرايات في الشام عند ظهور السفياني هي راية الأصهب من الجزيرة، وراية الأبقع القادم من مصر، وراية القحطاني القادم من اليمن،

---

(١) كشف الحق (أربعين الخاتون آبادي): ١٥٣، وانظر البحار ٥٢: ٣٠٧، والغيبة للطوسي: ٢٧٨.

(٢) فيض القدير للمناوي ٤: ١٦٧ ح ٤٧٦٨.

(٣) عقد الدرر: ٧٩، نقلاً عن قصص الأنبياء للكسائي.

والحكام هم الجرهمي، والمرواني، ورجل من بني العباس يكون الحاكم على دمشق.

ولم تذكر الأخبار تفصيلاً عن الجرهمي ومحل حكومته بالدقة، بل لم يدل على أصل ظهوره وخروجه خبر معتبر.

حرب السفياني مع القحطاني:

تقدم في رواية كشف الحق أن القحطاني أول من يقاتل السفياني، إذ جاء فيها: «ويخرج القحطاني من بلاد اليمن... فأول من يقاتل السفياني القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن، فيقتله اليماني».

وهي تدل على أن القحطاني غير اليماني المعروف يحضر في الشام، ولا تُعلم علة حضوره وحضور باقي الرايات.

معركة قرقيسياء:

جاءت الأخبار في وقوع معركة عظيمة في مدينة قرقيسياء التي تقع عند ملتقى نهر الخابور والفرات.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام قال يا ميسر كم بينكم وبين قرقيسيا؟ قلت: هي قريب على شاطئ الفرات، فقال: «أما إنه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض، ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض، مأدبة للطير، تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء يهلك فيها قيس ولا يدعى لها داعية قال: وروى غير واحد وزاد فيه: وينادي منادٍ هلمّوا إلى لحوم الجبارين»[1].

---

(١) الكافي ٨: ٢٩٥ ح ٤٥١، والسند هو محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال، عن علي بن عقبة عن أبيه عن ميسر...

ولما كانت الرواية معتبرة مروية في الكافي يترجح وقوع المعركة وتحققها كما تصفها، غير أن الكلام في طرفي النزاع واتحاد المعركة أو تعددها، فقد تعددت الروايات في أصل وقوع المعركة وكثرة القتلى فيها.

فقد روى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن لله مائدة ـ وفي غير هذه الرواية مأدبة ـ بقرقيسيا يطلع مطلع من السماء فينادي: يا طير السماء ويا سباع الأرض هلموا إلى الشبع من لحوم الجبارين»[١].

ومعلوم أن هذا النداء ليس هو صوت وإنما هو فعل، أي نفس أكل السباع وطير السماء يكون هو المراد وكأنما دُعوا إلى ذلك ونُدبوا إليه، وقد يكون المراد نداء المطلع نداءاً حقيقياً من طائرة أو ما يشبهها مبثوث بوسائل الإذاعة والإعلام الحديثة.

والروايات الأكثر عدداً دالة على أن أحد طرفي النزاع هو السفياني، فقد روى ابن حماد بسنده عن علي عليه السلام قال: «يظهر السفياني على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم»[٢].

وفي رواية عقد الدرر: «ثم يسير ـ السفياني ـ إلى الموضع المعروف بقرقيسياء فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره، فيداخلهم من ذلك الجزع»[٣].

وأما الطرف المقابل للسفياني فقد اختلفت الروايات الواردة من

---

(١) الغيبة: ٢٧٨، وعنه البحار ٥٢: ٢٤٦ والسند فيه عن عبد الواحد بن عبد الله عن محمد بن جعفر القرشي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن حذيفة بن المنصور عن أبي عبدالله عليه السلام.. وفيه ـ أي السند ـ محمد بن سنان وهو مختلف فيه.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٨٢ مستدرك الحاكم ٤: ٥٠١، عقد الدرر: ٨٧ ب ٤.

(٣) عقد الدرر: ٩٠.

طرق العامة فيه، فالأكثر يدل على مقاتلته الترك والروم، ففي رواية ابن حماد عن أرطأة: إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه[1]، ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم، فيقتل الترك الروم بقرقيسيا حتى تشبع سباع الأرض من لحومهم[2].

وفي رواية أخرى يرويها ابن حماد وآخرون عن أرطأة: يدخل السفياني الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها، ودخوله مكة بعد ما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا[3].

وهناك روايات تدل على أن المعركة بين أهل المشرق والسفياني وإن عبرت بعضها بالصخري.

فقد روى ابن حماد عن أرطأة أنه قال في حديث: وتخرج رايات من المشرق مسودة فتنزل الكوفة فيتوارى رئيسهم فلا يدرى موضعه، فيتحير ذلك الجيش ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته، فيسير بجنود المشرق نحو الشام، ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه، فيلتقون بجبل الحصى، فيهلك بينهما عالم كثير، ويولي المشرقي منصرفاً ويتبعه الصخري فيدركه بقرقيسيا عند مجمع النهرين، فيلتقيان فيفرغ عليها الصبر فيقتل من جنود المشرقي من كل عشرة سبعة، ثم يدخل جنود الصخري الكوفة فيسوم

---

(١) كتاب الفتن: ١٧٠.

(٢) كتاب الفتن: ٧٦.

(٣) كتاب الفتن: ٨٤، عرف السيوطي ٢: ٦٧، ولا يدخل مكة أي السفياني وإنما يراد توجهه.

أهلها الخسف[1].

فهذه الرواية تفرض وجود شخص متخفّي في بعض الوديان يعني في منطقة جبلية كشمال العراق مثلاً، ويكون أهله بالشام مثلاً يغدر بهم الصخري والراجح أنه السفياني، فيأتي لينتقم ويتصدى لقيادة جيش المشرق المتحير، الذي يحتمل إرادة جيش العراق أو الجيش المستقر في العراق، كما أن معنى أهل المغرب في هذه الرواية هم أهل الشام.

ثم إن هناك رواية تدل على أن أحد طرفي النزاع هم ولد العباس.

ثم إن هناك رواية قد تذكر خروج السفياني جاء فيها: «ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفياني في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات: رجال ولد العباس وهم الترك والعجم وراياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفياني حمراء، فيقتتلون ببطن الأردن قتالاً شديداً فيقتل فيما بينهم ستون ألفاً فيغلب السفياني... ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا، فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره فيداخلهم من ذلك الجزع ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق»[2].

فقد جعلت الرايات السود هي رايات ولد العباس التي رجالها الترك والعجم يعني من غير العرب، والنتيجة أنه لم يثبت سوى تحقق معركة قرقيساء وضراوتها وكثرة القتلى فيها دون تعيين الأطراف المتنازعة فيها، وإن كان الأرجح طرفية السفياني وجيشه فيها، ويبقى الطرف الآخر فيه احتمالات أقواها أنه الجيش الذي يكون في العراق من ملل متعددة عبر عنها بالترك والروم، والأصح من جميع ذلك هو تعدد الأطراف المتنازعة في قرقيسياء

---

(١) كتاب الفتن ٧٣، الملاحم لابن طاووس: ٤٩.

(٢) عقد الدرر: ٩٠ ـ ٩٩.

فولـد العـباس وجيوش الترك والروم أو العجم يعني الأجانب تدعمهم، والمـرواني الـذي هـو أحد رؤساء دول الشام، والسفياني الذي هو رئيس آخـر مـن رؤساء دول الشام وغيره جمعاً بين الأخبار والأخذ بها الأولى من طرح شيء منها.

حركة السفياني نحو العراق:

المـروي أن السفياني يجيش جيشين جيشاً إلى العراق والآخر إلى الحجاز، ولكن بعض الروايات تدل على أنه جيش واحد يبعثه أولاً إلى العراق ثم يذهب إلى المدينة.

فقـد روى حذيفـة عن رسول الله ﷺ: «**إذا خرجت السودان طلبت العـرب ينكشـفون حتى يلحقوا ببطن الأردن، فبينما هم كذلك إذ خرج السـفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حـتى يـبايعه مـن كلـب ثلاثـون ألفـاً فيبعـث جيشـاً إلى العراق، فيقتل بالـزوراء مائة وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهـم مـن سـبي أهـل الكوفـة ويقتـلهم ويخرج جيش آخر من جيوش السفياني إلى المدينة**»[1].

فهذه الرواية تدل على أن للسفياني جيوش وليس جيش واحد وأن الجـيش الذي يبعثه إلى المدينة غير الجيش الذي يبعثه إلى العراق، لأنه قال «ويخـرج جـيش آخـر من جيوش السفياني إلى المدينة» فإن كلمة جيش آخر تعـني أن لـه جيشين، وقوله «من جيوش السفياني» يدل على أن له جيوش متعددة.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧، عقد الدرر: ٧٤.

ويدل على التعدد ما رواه الطبري في دلائل الإمامة بسنده عن يونس بن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا خرج السفياني بعث جيشاً إلينا وجيشاً إليكم، فإذا كان ذلك فأتونا على كل صعب وذلول»[١].

وتفصيل ذلك ما رواه النعماني بعدّة طرق معتبرة عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام في حديث بعد ذكر سيطرة السفياني على الشام قال: «ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمرّ جيشه بقرقيسياء فيقتتلون بها، فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة»[٢].

فالمراحل التي يطويها السفياني عند دخوله إلى العراق تتلخص في معركة قرقيسياء في شمال العراق الغربي، التي هي اليوم داخل سوريا وقد تقدم الكلام عنها.

والمرحلة الثانية فتح مدن العراق في طريقه إلى بغداد وتخريبها، والمرحلة الثالثة دخول بغداد وتخريبها.

تخريب مدن العراق:

جاء في رواية مختصر البصائر عن علي بن مهزيار مرفوعاً، عن صاحب الزمان عليه السلام: «ثم يظهر السفياني ويسيّر جيشه إلى العراق فيخربه

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٨.

ويخرب الزوراء وتركها جماء ويخرب الكوفة والمدينة»[١]، فهي تشير إلى تخريب العراق الذي هو تخريب مدنه قبل تخريب الزوراء.

وفي رواية أخرى: يقدم على القائم رجل فيقول كنت وأخي نذيراً في جيش السفياني فخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها حمماً وخربنا الكوفة[٢].

فهي تدل على تخريب المدن العراقية من غرب العراق إلى بغداد.

دخول بغداد:

فقد تقدم في رواية حذيفة أنه يقتل بالزوراء مائة ألف.

وفي رواية أخرى عن حذيفة أنّ النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب وقال: «**فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة ـ يعني بغداد ـ فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة**»[٣].

وقد تقدم في رواية المختصر أن السفياني يخرب الزوراء وهي بغداد.

وفي رواية ابن طاووس عن معاذ بن جبل قال: بينما أنا وأبو عبيدة الجراح وسلمان جلوس ننتظر رسول الله ﷺ إذ خرج علينا في الهجير مرعوباً متغير اللون، فقال: «**من ذا، أبو عبيدة، معاذ، سلمان؟**» قلنا: نعم يا رسول الله، فذكر الفتن ثم قال: «**تكون وقعة بالزوراء**»، قالوا: يا رسول

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٥.

(٢) الهداية الكبرى: ٣٩٨.

(٣) البحار ٥٢: ١٨٦.

الله وما الزوراء؟ قال: «**مدينة بالمشرق بين أنهار يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتي تقذف بأربعة أصناف من العذاب: بالسيف وخسف وقذف ومسخ**».

وقال ﷺ: «**إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأردن، فبينا هم كذلك إذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها**»[1].

وفي رواية ابن حماد عن أبي عثمان عن جامع عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا ظهر السفياني على الأبقع وعلى المنصور والكندي، والترك والروم خرج وصار إلى العراق، ثم يطلع القرن ذو الشفا فعند ذلك هلاك عبد الله ويخلع المخلوع ويتسبب أقوام في مدينة الزوراء على جهل فيظهر الأخوص على مدينة عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة وتقتل ستة أكبش من آل العباس ويذبح فيها ذبحاً صبراً ثم يخرج إلى الكوفة»[2].

دخول الكوفة:

ينحدر السفياني إلى الكوفة بجيش يربو على السبعين ألف، ومقصوده الأول في الحقيقة مدينة النجف الأشرف معقل التشيع لأن الراوية ذكرت أنهم ينزلون الكوفة موضع قبر هود، وهو في وادي السلام من النجف.

ويتصف دخوله الكوفة أو النجف بالعنف والوحشية التي لا مثيل لها والقسوة التي لم يسمع نظيرها ـ كما سيأتي تفصيله ـ كل ذلك بهدف

---

(١) الملاحم والفتن: ١٣٧ ب ٦٠.

(٢) كتاب الفتن: ٨٢.

الانتقام من الشيعة الإمامية وأتباع أهل البيت عليهم السلام إما بدافع سياسي أو بدافع عدواني أموي أو كلاهما معاً، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قل: **«ويدخل جيش السفياني الزوراء وبابل والكوفة والغريين ويفعل الأفاعيل الشنيعة»**[1].

وروي أنه: «يبعث بعثاً إلى الكوفة فيصاب بأناس من شيعة آل محمد بالكوفة قتلاً وصلباً»[2].

وفي رواية ثانية: «أن جيش السفياني يدخل إلى الكوفة فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإن الرجل منهم ليمر بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله...»[3].

بل في رواية ثالثة: «كأني بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه: من جاء برأس رجل من شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره يقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم، أما إن أمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا، وكأني أنظر إلى صاحب البرقع، قلت: ومن صاحب البرقع؟ فقال: رجل منكم يقول بقولكم، يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه، فيغمز بكم رجلاً رجلاً، أما إنه لا يكون إلا ابن بغي»[4].

---

(١) الملاحم والفتن: ٢٦٣.

(٢) تفسير العياشي١: ٦٤ ح١١٧، البحار٥٢: ٢٢٢ ح٨٧. وسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام والسند معتبر.

(٣) اليقين: ٤٢٣، البحار٥٢: ٢١٧ ـ ٢١٩ ح٨٠. والسند عن محمد بن المشهدي بإسناده عن محمد بن القاسم عن أحمد بن محمد عن مشايخه عن سليمان الاعمش عن جابر عن أنس بن مالك عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٥٠ ح٤٥٣، البحار٥٢: ٢١٥ ح٧٢ والسند فيه عن الفضل عن إسماعيل بن مهران عن عثمان بن جبلة عن عمر بن أبان الكلبي عن أبي عبدالله عليه السلام وفيه عثمان بن جبلة مجهول.

وما هذا التشديد على أهل البيت وشيعتهم إلا لأنهم الفرقة المحقة والثلة المؤمنة التي يتكالب عليها شياطين الدنيا وأتباعهم كما قتلوا أنبياء الله سبحانه من قبل وعذبوهم وقتلوا أتباعهم وعذبوهم على مر الدهور، وأبسط دليل على صدق ذلك إخبار الرسول والأئمة بذلك وتحققه، مع إخبارهم بأن قاتليهم هم أبناء البغايا، ألا بُعداً للقوم الظالمين.

ومهما يكن من ذلك فقد ورد في خبر: «يبعث السفياني مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة، فينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسى عليهما السلام بالقادسية، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة، فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له: الكاهن الساحر، فيخرج من مدينة يقال لها الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجسام، ويسبي من الكوفة أبكاراً لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في المحامل يزلف بهن الثوية وهي الغريين»[1].

وفي رواية ابن حماد عن أرطأة، قال: «يدخل السفياني الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها... وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم»[2]، فإذا كان دخوله الكوفة هو المرحلة الرابعة فالمرحلة الخامسة هي قدوم أهل خراسان.

فقد ورد أنه عند دخول جيش السفياني الكوفة تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩ من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام تسمى المخزون.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤، الحاوي ٢: ٦٧.

من سبي الكوفة ويقتلهم.

وفي خبر آخر: فيبعث ـ أي السفياني ـ جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم.

والأجمل من كل ذلك ما روي:

«إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب اصطخر فتكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»[1].

وروى ابن حماد بسنده عن عمار بن ياسر قال: «وتقبل خيل السفياني كالليل والسيل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته حتى يدخلون الكوفة فيقتلون شيعة آل محمد، ثم يطلبون أهل خراسان في كل وجه، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيدعون له وينصرونه»[2].

وهناك خبر يفصل قصة استنقاذ السبي أكثر من ذلك، يرويه ابن حماد عن أرطأة جاء فيه: وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات

---

(١) كتاب الفتن: ١٩٢، كنز العمال ١٤: ٥٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٢.

السود بالبيعة إلى المهدي[١].

فهي تدل على أن أصحاب الرايات السود يستنقذون من بالكوفة من السجناء من بني هاشم، بينما العصب من الكوفة هم الذين يستنقذون سبي الكوفة بعد انكسار جيش السفياني أو هروبه أمام أهل الرايات السود.

ويدل على ذلك أيضاً مارواه الطبري بسند عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فقال: **«فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم»**[٢].

ونرجع إلى قساوة السفياني وأعماله عند دخوله العراق وخصوصاً بغداد والكوفة، فقد روى ابن طاووس عن النبي ﷺ أنه ذكر الفتن فقال: **«تدخل مدينة الزوراء، فكم من قتيل وقتيلة ومال منتهب وفرج مستحل، رحم الله من آوى نسله بني هاشم يومئذ وهن حرمتي، ثم ينتهي إلى ذكر السلطان بذي الغريين، فيخرج إليهم فتيان من مجالهم، عليهم رجل يقال له صالح، فتكون الدائرة على أهل الكوفة»**[٣].

---

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢.

(٣) الملاحم والفتن: ١٣٧ ب ٦٠.

وفي روايـة أخرى يرويها ابن حماد عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «ويسير الجيش الـذي بعـث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة، فكم من دم مهراق وبطن مبقور، ووليد مقتول، ومال منهوب، ودم مستحل»[1].

ولا يـتوقف إجرامه على من في العراق والشام، بل يشمل الذين هربوا إلى الغرب فقد جاء في رواية عقد الدرر مرسلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم يهـرب قـوم مـن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بلد الروم، فيبعث السفياني إلى ملـك الـروم: ردّ إليّ عبيدي، فيردهم إليه، فيضرب أعناقهم على الدرج شـرقي مسـجد دمشـق، فـلا ينكر ذلك عليه، ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق والكوفة والبصرة، ثم يدور الأمصار والأقطار ويحل عرى الإسلام عـروة بعـد عـروة، ويقـتل أهـل العـلم ويحرق المصاحف ويخرب المساجد ويستبيح الحرام ويأمر بضرب الملاهي والمزامر في الأسواق، والشرب على قـوارع الطـرق، ويحلـل لهـم الفواحـش، ويحـرم عليهم كل ما افترضه الله عـزوجل عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يزداد تمرداً وعتواً وطغياناً، ويقتل من كان اسمه محمداً وأحمد وعلياً وجعفراً وحمزة وحسـناً وحسـيناً وفاطمـة وزينـب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة حنقاً وبغضاً لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثـم يبعـث فـيجمع الأطفـال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا»[2]؟

فالمتحصل من جميع هذه الروايات أن السفياني يدخل العراق ويكون أول اشـتباك لـه مـع جيش العراق في ملتقى الفرات والخابور يقتل عندها الكـثير، مائـة ألف أو أكثر، ثم يخرب المدن التي في طريقه إلى بغداد، فإذا

---

(١) كتاب الفتن: ٨١.

(٢) عقد الدرر: ٩٠.

دخل بغداد سوف يدخلها بغير مقاومة بعد انكسار الجيش في ملتقى الخابور، وإنما يقوم بسفك الدماء ومطاردة بني هاشم حتى النساء فيقتل بها أكثر من ثلاثة آلاف ويبقر بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش لبني العباس.

ثم ينحدر إلى الكوفة ويكون له قتال مع قوة ضعيفة من الكوفة والنجف سرعان ما يتغلب عليها ويستبيح الكوفة والنجف على أثرها قاصداً اجتثاث أصل الشيعة الإمامية وأتباع أهل البيت عليهم السلام وإن كان هدفه الأكبر هو هدم الإسلام بكامله، وذلك لما جاء في رواية جابر: «ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة»[1].

ثم يقوم بقتل الأطفال واستحياء النساء وأخذهن سبايا، عند ذلك يسمع بمجيء الرايات السود ووصولها إلى نهر دجلة بحيث يعلم بعدم قدرته على مقاومتهم، فيهمُّ بالهروب فتقبل الرايات وتستنقذ بني هاشم من يده، وتخرج قوات من الكوفة فتلحق بجيش السفياني ويأخذون ما في أيديهم من النساء السبايا.

فهذه الروايات وإن كان البعض منها ضعيف السند لكن هذه المطالب قد تكرر نقلها في الأخبار المروية من طرق العامة والإمامية بحيث يمتنع التواطؤ على الكذب.

جيش الغضب:

ولا بأس بالإشارة إلى جيش الغضب أو العصب على اختلاف النقل رغم أنهم جماعة قليلة وضعيفة غير أنهم يقومون بعمل جبار يتمثل باستنقاذ سبايا الكوفة وغيرها من جيش السفياني بعد تراجعه من الكوفة وانهزامه أمام جيوش خراسان واستصحابه النساء والأطفال.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٨.

فقد روى ابن حماد بسنده عن أرطأة قال: «وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي»[1].

مما يبدو أن هذا الخروج عفوي انفعالي من دون تدبير سابق وإنما خروجهم غضب مما صنع جيش السفياني.

وروى ابن حماد أيضاً بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث يذكر فيه المعارك التي تدور بين السفياني والخراساني: «ثم يخرج على الأخوص قوم من سوادهم وهم العصب، عامتهم من الكوفه والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان»[2].

ولعل خروجهم يكون من مدن العراق الجنوبية وإن جاء التعبير بالكوفة والبصرة؛ لأن الكوفة والبصرة آنذاك تشمل أكثر العراق.

وتمتاز رواية الشيخ النعماني بتفصيل أكثر.

حيث روى عن جابر قال حدثني من رأى المسيب بن نجبة قال: وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومعه رجل يقال له ابن السوداء فقال له: يا أمير المؤمنين إن هذا يكذب على الله وعلى رسوله ويستشهدك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أعرض وأطول ملاذا؟ فقال: يذكر جيش الغضب، فقال: خل سبيل الرجل، أولئك قوم يأتون في آخر الزمان قزع كقزع الخريف والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتى يبلغ تسعة، أما والله إني

(١) كتاب الفتن: ٨٣.

(٢) كتاب الفتن: ٨٦.

لأعرف أميرهم واسمه ومناخ ركابهم، ثم نهض وهو يقول: باقراً باقراً باقراً، ثم قال: ذلك رجل من ذريتي يبقر الحديث بقراً»[1].

فهي تدل على أهمية الحدث الذي فهمناه من تهمة السائل واضطرابه وثقل ذلك على مسامعه حيث يقول الإمام عليه السلام لما شاهد حاله واضطرابه: «لقد أعرض وأطول ماذا؟» يعني ماذا قال من الكلام الطويل العريض الذي ثقل عليك؟

وتدل على العفوية بمقتضى قوله عليه السلام: «قزع كقزع الخريف والرجل والرجلان...» وإن أكد أن لهم أمير يقودهم بأوصاف عالية واسمه باقر.

ويستفاد من هذا الكلام وجوده حينها لأن ظاهر الكلام أنه أمير بالفعل.

ولعل بعض أهل الذوق يستفيد من تكرار كلمة باقر توالي ثلاث امراء بهذا الاسم والصفة وللكلام محل آخر.

دخول السفياني المدينة:

اتفقت الأخبار على إرسال السفياني جيشاً إلى المدينة، غير أن المختلف فيه إرساله من دمشق كما تدل عليه بعض الأخبار القائلة إن السفياني يبعث جيشين جيشاً إلى العراق وجيشاً إلى المدينة، مما ظاهره اختلاف الجيشين وليس جيش العراق هو الغازي للمدينة، وإنما هو جيش آخر وفي نفس الوقت يبعثه من دمشق.

وهنك أخبار تدل على أن جيش السفياني بعدما يغزو الكوفة يتوجّه إلى المدينة.

فمن الأول رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله يقول: **«فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل... ويحل**

---

(١) كتاب الغيبة: ٣١١.

الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها.»[١]، وأمثال هذه الرواية عن أهل البيت عليهم السلام متعددة.

بينما يروي ابن حماد بسند عن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله بعد ما يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمائة رجل، ويبقر البطون، ويقتل الولدان، ويقتل أخوين من قريش، رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة»[٢].

والتحقيق أن الجيشين لا يكونان في وقت واحد، وإنما يرسل الجيش إلى المدينة بعد خروجه من الكوفة وإعادة تجهيزه وتنظيمه وإضافته بالعَدد والعُدد مما يجعله جيشاً آخر، وليس في الرواية الأولى دلالة على أن الجيشين في وقت واحد والغزوين في وقت واحد، فهو يبعث جيشين على التوالي، واحداً بعد الآخر، ولذا عبّر عن جيش المدينة بالجيش الثاني.

ولأجل ذلك قال البعض: ذكرت بعض الروايات أن السفياني يرسل إلى المدينة ومكة قسماً من جيشه الذي يكون في العراق وقسماً من الشام عاصمة حكمه، ولعل هذا هو السبب في الروايات التي ذكرت أن هذا الجيش من قبل المغرب أي الشام تارة ومن قبل العراق أو المشرق تارة أخرى.

وهذا الكلام وإن كان غير دقيق إلا أنه قريب مما هو التحقيق.

جيش السفياني يقصد الإمام المهدي عليه السلام:

ثم إن الروايات تذكر أن المهدي عليه السلام يكون في المدينة حينما يبعث السفياني الجيش إليها فينفر منها إلى مكة.

---

(١) البحار ٥٢: ١٨٦، تفسير الطبري ٢٢: ٧٢، مجمع البيان ٤: ٣٩٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٨ الملاحم والفتن: ٥٦ ب ١٠٧.

وذلك كرواية ابن حماد بسنده عن علي عليه السلام قال: «يبعث بجيش إلى المدينة، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد صلى الله عليه وآله ويقتل من بني هاشم رجال ونساء، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض من المدينة إلى مكة، فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه»(١).

ويدعمها رواية جابر الجعفي التي تتشبث بالاعتبار، حيث جاء فيها عن أبي جعفر عليه السلام: «ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير الجيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره»(٢).

ومما يبدو أن المهدي عليه السلام لا ينفر لوحده إلى مكة حيث ذكرت رواية ابن حماد هروب المبيض معه، وفي روايات أخرى يهرب هو والمنصور.

ففي رواية العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فيبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم، لا يترك منهم أحداً إلا حبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين»(٣).

والمنصور هذا مردد بين اليماني الذي يأتي الكلام عنه، وبين الخارج من إيران ولعله شعيب بن صالح.

فقد روى ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياني»(٤).

بينما يروي أبو داود عن علي عليه السلام: «يخرج رجل من وراء النهر يقال

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٩ب ١٤ ح ٦٧.

(٣) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح ١١٧، البحار ٥٢: ٢٢٢.

(٤) كتاب الفتن: ٥٩.

له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له المنصور يوطئ ويمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وجب على كل مؤمن نصره أو قال: إجابته»[1].

ويطلق وراء النهر علاة على ما وراء نهر جيحون من سمرقند وبخارى وغيرها.

فيكون المراد شعيب بن صالح بقرينة ما رواه الشيخ الطوسي عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام فإن فيها: «ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند»[2]، حيث إن سمرقند هي وراء النهر.

وأيضاً ما رواه عن عمار بن ياسر: «ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح»[3].

وخصوصاً فإن رواية ابن حماد عن علي عليه السلام المارة عبرت مكان المنصور بالمبيض، والمبيض هو شعيب بدليل ما رواه السليلي عن معاذ بن جبل: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح»[4]، والمبيضة هم الذين يلبسون الثياب البيض.

فجميع ذلك يقوي إرادة شعيب بن صالح من كلمة المنصور الذي يفر مع المهدي من المدينة عند قدوم جيش السفياني إليها، نعم هناك رواية تدل على أن راية اليماني بيضاء فقد يطلق عليه المبيض باعتبار رايته.

والذي يبدو أن الخروج من المدينة لا يقتصر على هذين النفرين، بل يخرج الكثير كما جاء في رواية ابن حماد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

---

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ ح ٤٢٩.

(٢) الغيبة: ٤٤٤.

(٣) الغيبة: ٤٦٤.

(٤) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٣٧.

«يهرب ناس من المدينة إلى مكة حين يبلغهم جيش السفياني، منهم ثلاثة نفر من قريش منظور إليهم»[١].

وتؤكد خروج ثلاثة نفر قرشيين منظور إليهم رواية ابن حماد الأخرى عن علي عليه السلام وفيها: «يخرج ثلاثة نفر من قريش إلى مكة من جيش السفياني منظور إليهم، فإذا بلغهم الخسف اجتمعوا بمكة لأولئك النفر الثلاثة من البلاد فيبايع أحدهم كرهاً»[٢].

وبعد كل ذلك فالأخبار تتحدث عن قسوة السفياني وبطشه عند دخول المدينة حتى جاء في بعض الأخبار: «تكون بالمدينة وقعة تغرق فيها أحجار الزيت، ما الحرة عندها إلا كضربة سوط، فيتنحى عن المدينة قدر بريدين ثم يبايع المهدي»[٣].

فما هذه الوقعة التي تكون وقعة الحرة ـ وهي هجوم يزيد على المدينة الذي اختلط فيها دماء الفروج بدماء أصحاب السروج ـ عندها كضربة سوط.

هذه الأخرى تنتهك فيها الحرمات بنحو أشد كما ذكر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب بعثه إلى معاوية فكان فيه: «وأن رجلاً من ولدك مشوم ملعون، جلف جاف، منكوس القلب، فظ غليظ، قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب، كأني أنظر إليه ولو شئت لسميته ووصفته وابن كم هو فيبعث جيشاً إلى المدينة فيدخلونها، فيسرفون فيها في القتل والفواحش، ويهرب منهم رجل من ولدي زكي نقي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»[٤]، حيث عبّر عليه السلام بالإسراف في الفواحش.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٩٥، عقد الدرر: ٦٦.

(٣) كتاب الفتن: ٨٩.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ١٩٧، البحار ٨: ٥١٦.

بينما تزيد على وقعة الحرة بالنهب كما جاء في رواية حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «**ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة**»[1].

وأكثر من ذلك تعرضهم للنساء الحبالى لما رواه القرطبي عن أبي هريرة قال: «يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة، ويبقر بطون النساء، ويقولون للحبلى في البطن: اقتلوا صبابة السوء»[2]. وفي خبر الناجي من الخسف يقول: وخربنا المدينة، وكسرنا المنبر، وراثت بغالنا في مسجد رسول الله [3].

لكن لو تفحصنا عن علة غزو المدينة الأساسية فهي تكمن في العداء لبني هاشم وبالخصوص آل النبي صلى الله عليه وآله وذراريه، بل المقصود الأول هو المهدي عليه السلام بعينه، كما أنه وهو المقصود من عند بعث الجيش الأول إلى الكوفة على ما سبق بيانه.

ففي رواية العياشي عن أبي جعفر عليه السلام: «ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحداً إلا حبس»[4].

وفي رواية ابن حماد عن علي عليه السلام قل: «يبعث بجيش إلى المدينة، فيأخذون

---

(١) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢، الداني: ١٠٤.

(٢) تذكرة القرطبي ٢: ٦٩١، والصبابة قد تقرأ بالتشديد بمعنى الصب والإراقة، فكأنها حين تلد تصب السوء صباً، وقد تقرأ بالتخفيف وتعني ما يتبقى في الإناء من الماء القليل فإذا أُضيف إلى السوء صارت بمعنى بقية السوء ممن قتل من الرجال.

(٣) البحار ٥٣: ١٠.

(٤) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح ١١٧ البحار ٥٢: ٢٢٢.

من قدروا عليه من آل محمد ﷺ ويقتل من بني هاشم رجال ونساء»[١].

ولعل علة العداء لبني هاشم بالإضافة إلى العداء الأصيل بين الهاشميين والأمويين هو ما يصنعه الهاشمي الذي يخرج من المشرق من الأعمال التي تجر الويلات لقوم السفياني وأصحابه بدليل ما رواه ابن حماد عن أبي قبيل يقول: «يبعث السفياني جيشاً إلى المدينة فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالى؛ وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق يقول: ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلا من قبلهم، فيأمر بقتلهم فيقتلون حتى لا يعرف منهم بالمدينة أحد، ويتفرقون منها هاربين إلى البوادي والجبال وإلى مكة، حتى نساؤهم، يضع جيشه فيهم السيف أياماً، ثم يكف عنهم فلا يظهر منهم إلا خائف، حتى يظهر أمر المهدي بمكة، اجتمع كل من شذّ منهم إليه بمكة»[٢].

فهذه الرواية تفرض أمرين:

الأول: ظهور رجل من بني هاشم في المشرق يقتل بني أمية ويغلظ عليهم، فمن يكون هذا الهاشمي، وقد تقدم الكلام في ذلك.

وتؤيده رواية ابن حماد عن أبي قبيل قال: «يملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية، فلا يبقى منهم إلى اليسير لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل بكل رجل رجلين حتى لا يبقى إلا النساء، ثم يخرج المهدي»[٣].

والثاني: اجتماع بني هاشم أو جماعة منهم في المدينة على خلاف ما هو معهود في انتشارهم في البلاد كإيران والعراق، مما يبدو تحقق ذلك إثر تغيرات سياسية في المنطقة فإن الوضع الراهن لا يدل على تحقق ذلك.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٩.

(٣) كتاب الفتن: ٧٥.

وأخيراً نذكّر أنّه لم يثبت شيءٌ من ذلك من الأخبار المعتبرة سوى بعث السفياني بعثاً إلى المدينة ونفر المهدي منها إلى مكة.

مصير السفياني:

الموصوف المذكور في الأخبار أنّ بني أُمية يؤخذون بالسيف جهرة سواء في حكمهم الأول أو في حكمهم الثاني عندما يخرج السفياني في الشام ويدخل العراق ويستبيح المدينة كما فعل أجداده الأمويون من قبل حيث استمروا بظلمهم حتى أتاح الله سبحانه وتعالى راية من المشرق من خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني، الذي كان على لواء أبي العباس السفاح من الهاشميين استطاع أن يقضي عليهم ويأخذهم بالسيف جهرة بعد معارك ضارية وينهي سلطتهم وحكومتهم، ثم ليعيد التاريخ نفسه ويتيح راية من المشرق من خراسان بقيادة شعيب بن صالح التميمي الذي يكون على لواء المهدي عليه السلام هو الآخر من الهاشميين، فيقاتل بني أُمية ويأخذهم بالسيف جهرة بعد معارك طاحنة.

يمكنك أن تستلهم ذلك من الرواية التي يرويها النعماني بعدة طرق والشيخ الطوسي بطريق معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: إن الله عز وجل ذكره قدّر فيما قدّر وقضى وحتّم بأنه كائن لابد منه أنّه يأخذ بني أُمية بالسيف جهرة، وأنه يأخذ بني فلان بغتة»[1].

هذا الإجمال في مصير السفياني وقتله بالسيف، ولكن وردت تفاصيل كثيرة تبدأ عندما يدخل الكوفة ويقتل الكبار والصغار وكل من كان اسمه

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٣ ح١٣، وص٢٣٣ ح١٩، وص٢٣٤ ح٢٢، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٧٤.

محمداً وأحمد وعلياً وجعفر وحمزة وحسناً وحسيناً وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة حنقاً وبغضاً لآلِ رسول الله ﷺ ثم يبعث فيجمع الأطفال ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ماذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسن وحسين فيصلبهما على مسجد الكوفة، فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاك والبلاء، فيخرج هارباً منها متوجهاً إلى الشام يعتكف على شرب الخمر والمعاصي ويأمر أصحابه بذلك كحالة هستيرية، ويخرج في يوم من الأيام وبيده حربة فيأخذ امرأة حاملاً فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول افجر بها في وسط الطريق، فيفعل ذلك ويبقر بطنها فيسقط الجنين من بطن أُمه، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر الله عزوجل جبرئيل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق، ألا قد جاءكم الغوث يا أُمة محمد، قد جاءكم الغوث قد جاءكم الفرج وهو المهدي فلجيبوه، هذا هو المروي في عقد الدرر[1]، ويأتي الكلام عن الصوت.

ثم إن السفياني يبعث جيشاً إلى المدينة في طلب المهدي عليه السلام كما مر فينبؤن بخروجه إلى مكة، فيخرجون على أثره حتى إذا توسطوا البيداء خسف بهم، روى ابن حماد عن ابن عباس يقول: «إذا خسف بجيش السفياني قال صاحب مكة: هذه العلامة التي كنتم تخبرون بها، فيسيرون إلى الشام فيبلغ صاحب دمشق، فيرسل إليه ببيعته ويبايعه...»[2].

وفي رواية أُخرى يرويها ابن حماد عن محمد بن علي عليه السلام قال «إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيلياء، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيليا: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض، إن

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الفتن: ٩٦.

هـذا لعبرة وبصيرة، ويؤدي إليه السفياني الطاعة...»[١]، على أن الكلام في الخسف بالجيش سيأتي مفصلاً كواحدة من العلائم على الظهور.

ونعـود إلى روايـة عقـد الـدرر التي تذكر التحاق الحسني الخارج من خراسان بالإمام المهدي عليه السلام فيسلم إليه الجيش ويكون على مقدمته، وتقع الضـجة بالشـام ألا إن أعـراب الحجـاز قد خرجوا إليكم، فيجتمعون إلى السفياني بدمشق فيقولون: أُخرج بنا إليهم، فيرونه قد جبن، وهو عالم بما يـراد مـنه، فـلا يـزالون به حتى يخرجون، فيخرج بخيله ورجاله وجيشه في مـائتي ألـف وستين ألفاً حتى ينزلوا ببحيرة طبرية، فيسير المهدي عليه السلام بمن معه لا يُحـدث في بلـد حادثة إلا الأمن والأمان والبشرى وعن يمينه جبرئيل عليه السلام، وعـن شماله ميكائيل عليه السلام، والناس يلحقونه من الآفاق حتى يلحقوا السفياني على بحيرة طبرية، ويغضب الله عز وجل على السفياني وجيشه، ويغضب سـائر خلقـه علـيهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها، وإن الجبال لترميهم بصخورها، فتكون وقعة يهلك الله فيها جيش السفياني، ويمضي هاربـاً فـيأخذه رجـل من الموالي اسمه صباح فيأتي به إلى المهدي عليه السلام وهو يصلي العشاء الآخرة فيبشره، فيخفف في الصلاة ويخرج ويكون السفياني قـد جعلـت عمامـته في عـنقه وسـحب، فـيوقفه بـين يديـه، فـيقول السفياني لـلمهدي: ياابن عمي مُنّ علي بالحياة أكون سيفاً بين يديك، وأجاهد أعداءك، والمهدي جالس بين أصحابه وهو أحيى من العذراء، فيقول: خلّوه.

فيقول أصحاب المهدي: يا ابن بنت رسول الله تمنّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ما نصبر على ذلك!

فـيقول: شـأنكم وإيـاه، اصنعوا به ما شئتم، وقد كان خلاّه وأفلته، فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة فيضجعه ويذبحه ويأخذ رأسه ويأتي

---

(١) كتاب الفتن: ٣٤٦.

به المهدي، فينظر شيعته إلى الرأس فيكبرون ويهللون، ويحمدون الله تعالى على ذلك، ثم يأمر المهدي بدفنه، ثم يسير في عساكره حتى ينزل دمشق.

فقد تضمنت هذه الرواية مطالب ظريفة وتفاصيل لطيفة وزوايا غامضة، غير أن لحنها لحن قديم لا يتلائم في بعض الأحيان مع الحال والمستقبل مما يدل على النقل بالمعنى والتفسير من قبل الرواة كقصة سحب السفياني بعمامته التي إن صحّت لدلت على أن السفياني من رجال الدين، لعدم لبس غيرهم العمائم هذه الأيام أو هي كما قلنا من إضافات الرواة وإنشائهم المكمل والكل محتمل.

والشيء الآخر هو قطع رأس السفياني وإتيان المهدي عليه السلام به، فهو ليس مما له عين ولا أثر في عصورنا بعد اختلاف نوع الأسلحة وكيفية القتل، مع تقدم البشر شيئاً فشيئاً مع استحالة تراجع العلم، فهو الآخر لحن قديم ولسان قديم وإن كان ممكن الوقوع لشدة غضب الناس مما يفعله السفياني.

والمهم أن هذه الروايات أشارت إلى عنصر هام في المعركة التي يدور بين السفياني والإمام المهدي عليه السلام وهو المعجزة المتمثلة في الخسف بالجيش وفوران دم المصلوبين، وقد يضاف إليهما أُمور أُخرى كالصيحة والكف الطالعة في عين الشمس توجب التلكؤ والهزة في عقائد السفياني مما يجعله يتراجع خطوة إلى الخلف، تتمثل هذه الخطوة بالنزول على حكم الإمام المهدي عليه السلام وإرسال البيعة إليه، الأمر الذي دلت عليه أخبار كثيرة منها الخبران اللذان يرويهما ابن حماد المتقدمان.

ومنها: الرواية التي يرويها المفسران العياشي والقمي وغيرهما، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لكأني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كأن قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً، أمده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حتى إذا صعد النجف وقال لأصحابه:

تعبدوا ليلتكم هذه، فيبيتون بين راكع وساجد يتضرعون إلى الله، حتى إذا أصبح قال: خذوا بنا طريق النخيلة وعلى الكوفة جند مجند، قلت: جند مجند؟ قال: اي والله حتى ينتهي إلى مسجد ابراهيم عليه السلام بالنخيلة، فيصلي فيه ركعتين، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفياني، فيقول لأصحابه استطردوا لهم، ثم يقول: كرّوا عليهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: ولا يجوز والله الخندق منهم مخبر، ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمن إلا كان فيها أو حنّ إليها، وهو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم يقول لأصحابه سيروا إلى هذا الطاغية، فيدعوه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فيعطيه السفياني من البيعة سلماً...»[1].

أضافت هذه الرواية عنصرين آخرين في تراجع السفياني، أحدهما الخوف والرعب الذي يحصل نتيجة الإمداد بالملائكة وجبرئيل وميكائيل.

والثاني دعوة الإمام ووعظه والاستدلال بكتاب الله سبحانه وسنة نبيه بلحن دعوة الأنبياء التي تكسر الصخور الصماء، حيث لا يجد السفياني بداً من الاستجابة لتلك الدعوة.

ولم تذكر الأخبار السابقة الدعوة، بل المستفاد منها تحقق بيعة طوعية ناشئة من العبرة بما يحدث، لكنها لا تنافي ما دلت عليه هذه الرواية الأوضح سنداً من سبق الدعوة.

ولا يتوقف هذا الحال على السفياني وحده، بل يشمل بعض عماله كالذي يكون على المدينة المنعوت بالجرمي، للرواية التي يرويها ابن حماد عن عبد الله بن مسعود قال: يبايع المهدي سبعة رجال علماء توجهوا إلى مكة من أُفق شتى على غير ميعاد، قد بايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٥٦ ح٤٩، تفسير القمي٢: ٢٠٥، وانظر الكافي ٨: ٣١٣ ح٤٨٧، وكتاب الغيبة للنعماني: ١٨١ ح٣٠.

عشر رجلاً فيجتمعون بمكة فيبايعونه، ويقذف الله محبته في صدور الناس، فيسير بهم وقد توجه إلى الذين بايعوا خيل السفياني عليهم رجل من جرم، فإذا خرج من مكة خلف أصحابه ومشى في إزار ورداء حتى يأتي الجرمي فيبايع له[1].

والظاهر أن الجرمي هو الذي يأتي الإمام فيبايع له، ولكن قوله له بدل قوله يبايعه قد يعني أخذ البيعة له، أي للإمام عليه السلام.

وهنا يتأتى عنصر آخر دخيل في تصميمات الرؤساء وذوي الشوكة والاقتدار يتمثل في تزلّف المتزلّفين وإظهار الأطراف والمقربين الحرص على مصلحة الرؤساء والتقرّب لهم بالإرشاد إلى صلاحهم، حيث يجيء السفياني أُولئك المقربين من رؤساء كلب وغيرهم ممن بايعه قبل ذلك ليصرفوه عن نزوله على حكم الإمام عليه السلام فيحثونه على التراجع عن تلك البيعة واستقالتها والبقاء على مصدر الحكم والرئاسة، وعدم خلع لباس الملك.

حيث جاء في آخر رواية حماد الأولى التي يرويها عن ابن عباس بعد ذكر بيعته: ثم تأتيه كلب بعد ذلك فيقولون: ماصنعت؟ انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له، فيقول: ما أصنع أسلمني الناس، فيقولون: فإنا معك، فاستقل بيعتك، فيرسل إلى الهاشمي، فيكون يومئذ من ركز رمحه على حي من كلب كانوا له، فالخائب من خاب يوم نهب كلب[2].

وعبارة أسلمني الناس تعني وجود مَن يطالب السفياني ببيعة الإمام عليه السلام ويكونون قد تركوا السفياني والتجأوا إليه حتى وجد نفسه وحيداً ملزماً

---

(١) كتاب الفتن: ٩٧.

(٢) كتاب الفتن: ٩٦، ومعنى ركز رمحه يراد القهر بالسلاح ووضع اليد والسلطة والقهر بالسلاح على أي منطقة من الشام من القواد والمقاتلين تصير له وتكون تحت رايته.

بالبيعة، فهو عنصر آخر لتراجعه وإرساله بالبيعة، وينحصر العداء في قلوب بني كلب أو خصوص رؤسائهم الذين يحثونه على نقض البيعة والقتال مع تعهدهم بعدم تركه وإسلامه كما أسلمه غيرهم، عندها يحل قتلهم ونهبهم.

وهناك استدلالان آخران على لزوم نقض البيعة يستدل بهما بنو كلب يرويه ابن حماد في ذيل روايته الثانية المتقدمة جاء فيها بعد قوله: ويؤدي إليه السفياني الطاعة: قل: «ثم يخرج حتى يلقى كلباً وهم أخواله فيعيرونه بما صنع ويقولون: كساك الله قميصاً فخلعته، فيقول: ما ترون، أستقيله البيعة؟ فيقولون: نعم، فيأتيه إلى إيليا، فيقول: أقلني، فيقول: «إني غير فاعل»، فيقول: بلى، فيقول له: «أتحب أن أُقيلك؟» فيقول: نعم، فيقيله ثم يقول: «هذا رجل قد خلع طاعتي، فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا، ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب»[1].

فالاستدلال الأول هو الشناعة والتعيير، وأن النزول على حكم رجل من بني هاشم عار وخفة، خصوصاً إذا كان النازل من بني أُمية وهو محمي الظهر وعنده من يدافع عنه من بني كلب.

والاستدلال الآخر بأن الملك هو قميص قمّصه الله سبحانه وتعالى إياه، فهو حقه، إذ لو لم يكن حقه ما قمصه إياه، ولكن النتيجه تكذب هذين الاستدلالين، والسفياني عالم بزيفهما حينما يرفض الإمام إقالته يرضى ويقول نعم، ثم يقول له تطوعاً: أتحب أن أُقيلك بعدما يرى فيه التردد والتخوف من الحالين، وسيأتي أن قتله يكون بعد قتال.

كما دلت عليه رواية التفسيرين الأوضح سنداً، فقد جاء فيها: «فيعطيه السفياني من البيعة سلماً فيقول له كلب وهم أخواله: ما هذا، ما صنعت؟ والله مانبايعك على هذا أبداً، فيقول: ماأصنع؟ فيقولون: استقله، فيستقيله

---

(١) كتاب الفتن: ٩٥.

(وفي نسخة استقبله فيستقبله) ثم يقول له القائم عليه السلام خذ حذرك، فإنني أديت إليك وأنا مقاتلك، فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويأخذ السفياني أسيراً، فينطلق به ويذبحه بيده»[١].

محل القتل وكيفيته:

اختلفت الأخبار في التعبير عن ذلك، حيث جاء في بعضها ما يفيد أنه يذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية[٢]، وفي آخر بأن المهدي عليه السلام يأمر به فيذبح على بلاطة إيليا[٣]، وفي ثالث: «إن المهدي عليه السلام وكلباً يقتتلون في بيت المقدس حين يستقيله البيعة فيؤتى بالسفياني أسيراً، فيأمر به فيذبح على باب الرحبة، ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق»[٤]، وقد تقدم في رواية عقد الدرر أن الذي يقتله رجل من الموالي اسمه صباح يذبحه ويأتي برأسه بعد ما يستعفي القائم فيتركه ثم يوكل أمره إلى أصحابه بعد إصرارهم على قتله.

وأما سائر أصحاب السفياني وخصوصاً كلب، فقد جاء في رواية عقد الدرر بيان حالهم حيث قال عليه السلام فيها: «يسبقه حتى يترك إيليا ويتابعه الآخر فرقاً منه، ثم يندم فيستقيله، ثم يأمر بقتله وقتل من أمره بالغدر»[٥]

---

(١) تفسير العياشي٢: ٥٦ ح٤٩، تفسير القمي٢: ٢٠٥، عن عبد الأعلى الحلبي قال قال أبو جعفر عليه السلام.

(٢) جامع البيان ٥١: ١٧ من رواية حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، منتخب الأنوار المضيئة: ١٩٢ عن أبي جعفر عليه السلام فيها أغصانها مدلاة في بحيرة طبرية مما يلي الشام.

(٣) كتاب الفتن: ٩٥.

(٤) كتاب الفتن: ٩٦.

(٥) عقد الدرر: ٨٤.

ولم يأمره بالغدر سوى كلب كما عرفنا.

والأكثر من ذلك ما جاء في آخر رواية التفسيرين حيث يقول: «ثم يرسل جريدة خيل إلى الروم فيستحضرون بقية بني أُمية، فإذا انتهوا إلى الروم قالوا: اخرجوا إلينا أهل ملتنا عندكم، فيأبون، ويقولون: والله لانفعل، فتقول الجريدة: والله لو أمرنا لقاتلناكم، ثم ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه، فيقول: انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم، فإن هؤلاء قد أتوا بسلطان عظيم، وهو قول الله: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ*لا تَرْكُضُوا وارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ قال: يعني الكنوز التي كنتم تكنزون ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ*فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ لايبقى منهم مخبر»[1].

وتكاد رواية «الخائب من خاب يوم نهب كلب» أن تكون متواترة.

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٦٠، تفسير القمي ٢: ٦٨، عنهما في البحار ٥٢:: ٣٤١ ـ ٣٤٥ ح ٩١، والآيات ١٢ ـ ١٥ من سورة الأنبياء.

العلامة السادسة

الخسف

خلاصة الكلام في الخسف

بعدما يخرج الإمام المهدي ومنصور ـ المظنون أنه شعيب بن صالح ـ من المدينة إلى مكة عند وصول جيش السفياني إليها ويبلغ السفياني الخبر، يقوم ببعث الجيش في أثرهما إلى مكة، حتى إذا وصلوا البيداء التي تكون على رأس ميل من ذي الحليفة ميقات أهل المدينة باتجاه مكة، وقد أدركهم المساء، فيتوقفون فيها للمبيت، إذ أقبل راعٍ ينظر إليهم ويعجب من كثرتهم وقدرتهم، فيقول: ياويح أهل مكة ماذا سيصيبهم، فبينا هم كذلك، صاح بهم صائح وهو جبرائيل فتخسف بهم الأرض حتى لا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، فلا ينجو منهم إلا اثنان أو ثلاثة، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

فيرجع ذلك الراعي فلا يرى أحداً، فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة، فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض، ويحاول أن يستخرجها فلا يتمكن من ذلك ويعلم أنه قد خسف بهم.

ثم إن الثلاثة الناجين من الخسف ينطلق منهم اثنان إلى دمشق وواحد إلى مكة ليخبروا الناس الخبر، ويبشر المنطلق إلى مكة الإمام عليه السلام وأهل مكة، وينذر الآخران السفياني بما حدث، وتكون وجوههم من هول الخسف قد صارت إلى ورائهم، مما يضطرهم إلى أن يمشوا القهقرى.

العلامة السادسة:

الخسف

الخسف بالجيش من علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام: وفي بعض الأخبار أنه من المحتوم وقد نطق بذلك الكتاب قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [1] ففي خبر مرفوع عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة... ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل عليه السلام فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فلا يبقى منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير»[2] الخبر.

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال، قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لكأني أنظر إلى القائم عليه السلام... فإذا جاء إلى البيداء

---

(١) سبأ: ٥١.

(٢) تفسير القرطبي ١٤: ٣١٤.

يخرج إليه جيش السفياني فيأمر الله عزوجل الأرض فيأخذ بأقدامهم وهو قوله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ يعني بالقائم من آل محمد ﷺ ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ - إلى قوله - وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني أن لا يعذبوا[١].

وفي مجمع البيان: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال أبو حمزة الثمالي: سمعت علي بن الحسين والحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام يقولان: «هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم»[٢].

وفي تفسير العياشي عن عبد الأعلى الجبلي قال، قال أبو جعفر عليه السلام: «... فيخرج إليه جيش السفياني فيأمر الله عزوجل الأرض فتأخذهم من تحت أقدامهم وهو قول الله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَى...﴾ ولا يبقى منهم إلا رجلان يقال لهما وتر وقيس من مراد وجوههما في أقفيتهما يمشيان القهقرى يخبران الناس بما فعل بأصحابهما»[٣].

وفي الكتاب الذي وجهه أمير المؤمنين إلى معاوية عندما يذكر جيش السفياني يقول: «ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً برياً عند أحجار الزيت، ثم يسير ذلك الجيش إلى مكة، وإني لأعلم اسم أميرهم وعدتهم وأسماءهم وسمات خيولهم، فإذا دخلوا البيداء، واستوت بهم الأرض خسف الله بهم قال الله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: من تحت أقدامهم، فلا يبقى من ذلك

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٠٥، عنه في البحار ٥٢: ٣١٥ ح ١٠ والآيات ٥١ ـ ٥٤ من سورة سبأ.

(٢) مجمع البيان ٨: ٢٢٨، وانظر تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٧٤.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٥٧.

الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه»[١].

والـذي يدل على أن الخسف بالبيداء من المحتوم ما رواه النعماني بسنده عـن أبـي عبد الله عليه السلام يقول الراوي قلنا له: السفياني من المحتوم؟ فقال: «نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم...»[٢].

وأصـل القصـة كمـا جـاء في رواية جابر المروية بعدة طرق أن السفياني يبعـث بعـثاً إلى المدينـة فيـنفر المهـدي عليه السلام مـنها إلى مكـة، فيـبلغ أمير جيش السـفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخـل مكـة خائفـاً يترقّـب عـلى سنة موسى بن عمران عليه السلام قال: فينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهـم فـلا يفلـت مـنهم إلا ثلاثـة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب...[٣].

ويـبقى الاختلاف في عدد الجيش الذي يبعثه السفياني ففي الخرائج والجـرائح «إذا ظهـر المهدي عليه السلام بمكة ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، فـنادى جبرائيل عليه السلام واجتمع إليه أصحابه من الآفاق بعث السفياني أكثر مـن عشـرين ألـف رجل يقولون: لا حاجة لنا في بني علي، فإذا بلغوا إلى البيداء خسف الله بهم الأرض، فلا يبقى إلا رجلان منهم ينصرف أحدهما

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٠٩.

(٢) كـتاب الغيبة: ٢٥٧. قال أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال حدثنا علي بن الحسن، عن يعقوب بن مؤيد، عن زياد القندي، عن غير واحد من أصحابه عن أبـي عـبد الله عليه السلام والكـل ثقـات على ما يبدو، فيبقى الذين يروي عنهم زياد القندي فهم مجهولون والرواية مرسلة إلا أن يغني تعددهم.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٩، وانظر الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٥٥.

إلى السفياني والآخر يخرج إلى مكة وقد صار قفاهما إلى موضع وجهيهما يخبران الناس بحال عسكر السفياني»[1].

فقد جعلت عدتهم أكثر من عشرين ألفاً، والنداء قبل الخسف.

وأما حديث الخسف فقد ورد تحديث الناجيين من الخسف وقولهم: فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يا بيداء أبيدي القوم الظالمين فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش، فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي[2].

والظاهر أن الصائح والمنادي إنما ينادي من السماء كما جاء في خبر جابر الجعفي؛ قال فيه: «فينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي منادٍ من السماء يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب»[3].

بل هو جبرائيل عليه السلام كما جاء في رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح وهو جبرائيل عليه السلام فلا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض، فيسألان جبرئيل عليه السلام ما أصاب الجيش، فيقول أنتما منهم؟ فيقولان: نعم، فيصيح بهما، فتتحول وجوههما القهقرى، ويمضي أحدهما إلى المدينة وهو بشير، فيبشرهم بما سلّمهم الله عزوجل منه، والآخر نذير، فيرجع إلى السفياني فيخبره بما نال الجيش عند ذلك»[4].

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٩٢٦.

(٢) البحار ٥٣: ١٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ب ٤ ح ٦٧، الاختصاص: ٢٥٥، ومثله في تفسير العياشي ١: ٢٤٤.

(٤) عقد الدرر: ٩٠.

وفي روايـة حذيفـة عن رسول الله ﷺ: «**ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم**»[١].

وأما الناجي من جيش السفياني والمخبر فقد اختلفت الروايات في عددهم، فثمة رواية سليم بن قيس تنص على بقاء واحد؛ لأن فيها: «فلا يبقى من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه»[٢]، وعن سعيد بن جبير أنه قال: «فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه»[٣]، وفي رواية العياشي عن جابر: «فلا يفلت منهم إلا مخبر»[٤].

بينما هناك روايات تدل على بقاء اثنين، ففي رواية العياشي عن عبد الأعلى الحلبي عن أبي جعفر عليه السلام: «فلا يبقى منهم إلا رجلان يقال لهما وتر ووتير من مراد وجوههما في أقفيتهما يمشيان القهقرى يخبران الناس بما فعل بأصحابهما»[٥].

وفي رواية حذيفة التي رواها في الداني: «فلا يبقى منهم إلا رجلان، فيقدمان على السفياني فيخبرانه خسف الجيش»[٦].

بينما في رواية الطبري عنه: «ولا ينفلت منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين»[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ١٤: ٣١٤.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٣١٠، عنه في البحار ٣٣: ١٥٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٤: ٣١٤.

(٤) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح١١٧.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٥٦ ح ٤٩.

(٦) الداني: ١٠٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢؛ ومثله في تفسير القرطبي ١٤: ٣١٤.

وفي رواية عقد الدرر: «فلا يبقى منهم أحد إلا خسف به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوسهما... قال: وعند جهينة الخبر اليقين، لأنهما من جهينة»[١].

وفي الروايات الأكثر اعتباراً أنهم ثلاثة وهم من كلب منها رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام المروية بعدة طرق فإن فيها: «فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ »[٢].

وهناك شاهد آخر كما جاء في الخبر عن ابن عباس يقول: يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة عريف فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب ويقول: يا ويح أهل مكة ما أصابهم، فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خسف بهم فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة، فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض، فيعالجها فلا يطيقها فيعرف أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره، فيقول صاحب مكة: الحمد لله، هذه العلامة التي كنتم تخبرون، فيسيرون إلى الشام[٣].

وهناك رواية تدل على كيفية بقاء الباقي من جيش السفياني جاء فيها:

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح ٦٧، الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٥٥، تفسير العياشي ١: ٢٤٤ ح١٤٧، والآية ٤٧ في سورة النساء.

(٣) كتاب الفتن لابن حماد: ٢٠٢.

«حتى إذا بلغ البيداء عسكر بها وهو يريد قتال ولي الله وخراب بيت الله، فبينما هم كذلك بالبيداء إذ نفر فرس لرجل من العسكر، فخرج الرجل في طلبه وبعث الله إليه جبريل فضرب الأرض برجله ضربة فيخسف الله تعالى بالسفياني وأصحابه ويرجع الرجل ويقود فرسه فيستقبله جبرئيل عليه السلام فيقول: ما هذه الضجة في العسكر؟ فيضربه جبريل عليه السلام بجناحه فيحول وجهه مكان القفا ثم يمشي القهقرى»[1].

ولكن هذا بعيد جداً لعدم وجود فرس في جيوش اليوم إلا نادراً، ولا يعلم كون هذا التفصيل رواية، وإنما هو أمر ذكره المقري، نعم روى الهندي عن علي عليه السلام مثله[2]، وكذا ابن حماد عن عبد الله بن عمرو[3].

بينما جاء في رواية عقد الدرر المفصلة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح وهو جبرئيل عليه السلام فلا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض، فيسألان جبرئيل عليه السلام ما أصاب الجيش؟ فيقول: أنتما منهم؟ فيقولان: نعم، فيصيح بهما فتتحول وجوههما القهقرى ويمضي أحدهما إلى المدينة وهو بشير، فيبشرهم بما سلمهم الله عزوجل منه، والآخر نذير فيرجع إلى السفياني فيخبره بما نال الجيش عند ذلك قال: وعند جهينة الخبر اليقين لأنهما من جهينة»[4].

وهذا أكثر معقولية من سابقه ظاهراً، فالتخلف عن الجيش معقول

---

(١) عقد الدرر: ٧٦.

(٢) كنز العمال ١١: ٢٨٤.

(٣) كتاب الفتن: ٣٠٢، وفيه: ويخرج رجل من الجيش في طلب ناقة.

(٤) عقد الدرر: ٩٠ ـ ٩٧.

ويتصـور لـه أسـبابٌ كـثيرة. ولا يبعد أن تكون صيحة جبرئيل هو صوت الخسف الذي يؤدي إلى تحول وجهيهما إلى الخلف.

ثـم إن هـذه الـرواية وغيرهـا[1] تفرضهما من جهينة، بينما الروايات الأكثر اعتباراً تخبر أنهما من كلب وهم ثلاثة كرواية جابر المارة.

فيـبقى أسماؤهمـا فبعض الأخبار تذكر بشيراً ونذيراً وهو بالصفة ألصق مـن كونهـا اسماً، بينما في رواية كنز العمال عن أبي جعفر «اسمهما وبرو وبير تحـول وجوههمـا في أقفيـتهما»[2] وفي ثالـثة مارة وتر ووتير وفي رابعة مادة وتر وقيس وإن كان احتمال التصحيف عن بشير ونذير قريباً جداً.

بقي أمران:

الأمـر الأول: عـن مسير الرجال الثلاثة الباقين من جيش الخسف، فلم تـتحدث عـنهم أخـبار الثلاثة ولكن في رواية حذيفة: «فلا يبقى منهم إلا رجلان فيقدمان على السفياني فيخبرانه خسف الجيش»[3].

لو جمع مع روايات بشير ونذير لدلت على مسير الثالث إلى مكة ليبشرهم.

بيـنما روايـة الـراعي تخبر عن انطلاق الراعي إلى صاحب مكة ليبشره، فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون[4]. ومع ذلك يجيء احتمال أن الثلاثة هم اثنان من الجيش، والثالث هو الراعي.

---

(١) كرواية حذيفة التي يرويها الطبري في تفسيره ٢٢: ٧٢، ورواية أبي حمزة الثمالي عـن علـي بـن الحسـين والحسـن بـن علي عليهما السلام كما في مجمع البيان ٨: ٢٢٨، وتفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٧٤.

(٢) كنز العمال ١١: ٢٧٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٤: ٢١٤.

(٤) رواها في كتاب الفتن: ٩٠، ٩٦ عن ابن عباس.

غير أن الرواية ذكرت أن الثلاثة هم من كلب، فيكون الراعي لو صدق خبره رابعاً.

الأمر الثاني: الكلام في البيداء، وهي الأرض التي تخسف بجيش السفياني بينها وبين ميقات أهل المدينة الذي هو ذو الحليفة ميل واحد، ما يعادل ثلث فرسخ.

وفي الخبر الصحيح عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قلت: فأين حد البيداء؟ فقال: «كان جعفر عليه السلام إذا بلغ ذات الجيش جدّ في السير ولا يصلي حتى يأتي معرس النبي صلى الله عليه وآله»، قلت: وأين ذات الجيش؟ فقال: «دون الحفيرة بثلاثة أميال»[1].

وقال البعض: البيداء اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب[2].

---

(١) الكافي ٣: ٣٨٩ ح ٧، تهذيب الأحكام ٢: ٢٧٥ ح ٩٠.

(٢) معجم البلدان ١: ٥٢٣.

العلامة السابعة

الصيحة

خلاصة الكلام في الصيحة

بينما الناس نيام بعد ما يقضي المؤمنون ليلتهم بالسهر والدعاء والذكر كما هو معتاد في كل عام ليلة ثلاث وعشرين من رمضان التي هي ليلة القدر على أقوى الاحتمالات، وبعدما ينفجر الصبح فإذا بصوت يدوي من السماء يوقظ النائم ويفزع القائم ويخرج الفتاة من خدرها وكأن هذا الصوت هو كلام يبدو غير واضح في بادئ الأمر ثم يتضح شيئاً فشيئاً، وإذا هو منشور يقرأ على الناس من السماء يصرح فيه باسم رجل، واسم أبيه، ألا أن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، وهو مهدي آل محمد ـ يسميه باسم جده رسول الله ﷺ ويكنيه وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين ـ بايعوه تهتدوا، ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون.

ويتكرر هذا النداء ثلاث مرات من الليل وبعد طلوع الفجر وبعد طلوع الشمس، فتخضع له أعناق جميع الناس ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فإذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأن على رؤوسهم الطير، عندها يفرح المؤمنون لتصديق الله سبحانه وتعالى لما يعتقدون به ويعملون عليه بعدما سفههم الناس واستهزؤا بهم طيلة القرون الغابرة، ويخسر غير المؤمن عند انكشاف بطلان ما كان يعتقد به ويعمل عليه، وأن كل ما كان يركض وراءه ليس إلا سراباً، ويتلخص ذلك أن النداء يكون رحمة للمؤمنين، وعذاباً روحياً للكافرين.

ومن صفات هذا النداء أنه يسمعه كل قوم بلسانهم ويسمعه البعيد كما يسمعه القريب، ويكون من الفضاء، ومن عين الشمس، ويكون أول النهار.

وكما قلنا فإن هذا النداء لا يبقي شكاً ولا أدنى ريب فيضطر الناس حتى بني أُمية إلى التسليم بالحق وقبوله لا عن اختيار بل هو إلجاء واضطرار وقهر.

ولما كانت الحكمة الإلهية تقضي بالامتحان على الدوام، وأن الله سبحانه وتعالى يريد للإنسان أن يختار الحق لا أن يضطر إليه فإن الله سبحان وتعالى يسمح للقوى المعادية للحق أن تتدخل وتحدث نداءاً مشابهاً من داخل الغلاف الجوي بما يمتلكونه من وسائل وأجهزة متطورة ليعلنوا أن الحق مع أعداء المهدي عليه السلام وشيعته أي السفياني وأتباعه، وأن عثمان قتل مظلوماً ليشككوا الناس.

فيرتاب عند ذلك المبطلون وتحصل في قلوبهم الشكوك والأوهام، وذلك بسبب مرضها المزمن وهو عداوة أهل البيت عليهم السلام، غير أن هذا النداء يكون في آخر النهار أو من الغد ويكون هو الثاني، ولذا أكدت الروايات على اتباع الصوت الأول، والحذر من متابعة الصوت الثاني.

العلامة السابعة:

الصيحة

الصوت الأول من السماء:

يسمى هذا الصوت بالصيحة والنداء في الأخبار والروايات العانية بعلامات الظهور الحتمية وغيرها التي تنبئ عن صوت يسمعه البشرية من السماء ألا وهو صوت جبرئيل عليه السلام ومناد ينادي بحيث يسمعه الجميع بأن الحق مع فلان تمييزاً للحق عن الباطل وتعريفاً لصاحب الحق وأهله وإيذاناً بالظهور، يمتاز بنحو من الشدة والإزعاج بحيث يوقظ النائم ويرعد القائم، وذلك في الثالث والعشرين من رمضان.

ولا ريب أنّ هذا الصوت كائن، وهو من المحتومات ومن علائم الظهور بل من مقوماته بحيث يدفع الناس لنصرة الحق ويزيل الريب والشك من الصدور، فيرتاح به المؤمنون ويكون لهم فرجاً وغوثاً وهم في شدة على أشد ما يكون.

لما جاء في بعض الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله بأن النداء هو: **«أيها الناس قد أتاكم الغوث، يسمعون النداء ثلاثاً»**[1].

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٥: ١٣٦ ح ١٩٣٢٤ عن عثمان بن أبي العاص، كتاب الفتن لابن حماد: ١٥٣، ١٦٢ عن عبد الله.

بينما تتحدث الأخبار الأخرى عن النداء باسم رجل، روى ذلك ابن أبـي شيبة بسنده عن أبي أمامة: «لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الذليل ولا يمتنع منه العزيز»[١].

وينـبغي أن يكون هذا الرجل من آل محمد صلى الله عليه وآله لما رواه ابن حماد عن أبـي رومـان عـن علي عليه السلام قال: «إذا نادى منادٍ من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره»[٢].

وأخرج ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «بعد الخسف ينادي مناد من السماء إن الحق في آل محمد، في أول النهار»[٣].

وبالتعـيين من ولد أبي طالب بل ولد فاطمة عليها السلام كما جاء في الخبر الـذي يـرويه الكلـيني والشيخ المفيد عن سيف بن عميرة قال: كنت عند أبي جعفر المنصور فقال لي ابتداءاً: يا سيف بن عميرة لابد من منادٍ ينادى مـن السـماء باسم رجل من ولد أبي طالب، فقلت: جعلت فداك يا أمير المؤمـنين تـروي هذا؟ قال: إي والذي نفسي بيده لسماع أذني له ـ إلى أن قـال ـ أما إن النداء إلى رجل من بني عمنا، فقلت: رجل من ولد فاطمة؟ فقـال: نعم يا سيف، لولا أنني سمعت من أبي جعفر محمد بن علي يحدثني به وحدثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته[٤].

ولمـا كان هذا النداء يصب في مجال هداية الناس إلى القائم عليه السلام وعلامة على ظهوره بل إيذان بذلك فمن الطبيعي يكون النداء باسمه. وإذا أضيف

---

(١) المصنف لابن أبي الشيبة ١٥: ٢٤٦ ح ١٩٦٠١.

(٢) كتاب الفتن: ٩٢، بيان الشافعي: ٥١٢.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

(٤) الكافي ٨: ٢٠٩ ح٢٥٥، الإرشاد ٢: ٣٧٠.

إلـيه شـيء فهـو الإشارة إلى ضلالة مناوئه الأول أعني السفياني، وكذا الإشارة إلى صحة مذهب المهدي وشيعته شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام ونبذ مذهب السفياني العثماني وشيعته شيعة عثمان.

ولـذا جـاءت الأخبار الذاكرة لمفاد النداء تتراوح بين علي أمير المؤمنين عليه السلام والقـائم، مـن جانـب، وبين السفياني وعثمان من جانب آخر، وتفاصيل أخرى تذكر كل طائفة من الأخبار جانباً منها، فقد يشعر بعض الأخبار أن النداء يشبه أن يكون منشوراً يقرأ في ثلاث ساعات، فقد ورد عن الإمام الباقر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال: «**الناقور هو النداء من السماء ألا إن ولـيكم فـلان بـن فـلان القـائم بـالحق ينادي به جبرئيل في ثلاث ساعات من ذلك اليوم، فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير**»[1].

وانطلاقاً من ذلك الحال يعلم أن اختلاف الروايات في مفاد النداء لم ينشأ من اشتباه أو خطأ وإنما يحكي كل واحد منها جانباً من ذلك المنشور، خصوصاً وأن منها الصحيح والمعتبر على اختلاف مفادها.

أما الروايات الدالة على النداء باسم القائم فهي متعددة.

منها ما رواه النعماني عن شرحبيل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديـث: «والنداء من السماء من المحتوم» فقلت: وأي شيء يكون النداء؟ فقال: «منادٍ ينادي من السماء باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام»[2].

وفي الخـبر الصـحيح عن عبد الله بن سنان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسـمعت رجـلاً مـن همـدان يقول له: إن هؤلاء العامة يعيروننا ويقولـون: إنكـم تـزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا

---

(١) تأويل الآيات ٢: ٧٣٢ ح٣.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٧.

الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال: «لا ترووه عني وارووه عن أبي ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أني قد سمعت أبي يقول: والله إن ذلك في كتاب الله عزوجل لبين حيث يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها، فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء ألا إن الحق في علي بن أبي طالب»[١].

وفي خبر آخر عن أبي عبد الله عليه السلام يرويه النعماني قال: «أما إن النداء الأول من السماء باسم القائم في كتاب الله لبين» فقلت أين هو أصلحك الله؟ فقال: «في طسم تلك آيات الكتاب المبين قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ قال إذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأنما على رؤوسهم الطير»[٢].

والمهم في الخبر ما قبل الأخير هو تأييد الإمام لما اشتهر بين الشيعة الإمامية من النداء باسم القائم، وأضاف له النداء باسم أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى النعماني أيضاً بسند عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة الجمعة» قلت: بم ينادى؟ قال «باسمه واسم أبيه، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء خلق الله فيه الروح إلا سمع الصيحة، فتوقظ النائم، ويخرج إلى صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها، ويخرج القائم مما يسمع، وهي صيحة جبريل عليه السلام»[٣].

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٠، البحار ٥٢: ٢٩٢ ح ٤٠، والآية في سورة الشعراء: ٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٦٣، البحار ٥٢: ٢٩٣.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٨٩، البحار ٥٢: ١١٩.

وفي رواية المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام: «ويكون هذا أول طلوع الشمس في ذلك اليوم، فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد ـ ويسميه باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله ويكنيه، وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين ـ بايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا أمره فتضلّوا»[1].

ومن هذا الحديث وأمثاله يعلم طول النداء واشتماله على ذكر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام الذي دلت على النداء بأحقيته روايات كثيرة جداً.

فقد روى الصدوق بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له في حديث: كيف يكون ذلك النداء؟ قال: «ينادي مناد من السماء ألا أن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون»[2].

وهناك طائفة أخرى فيها بدل ذلك: «ألا إن الحق مع علي وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض ألا إن الحق مع عثمان وشيعته»، رواه الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بعدة طرق[3].

وبتعبير يرويه الكليني بسند لا يخلو من اعتبار عن محمد بن علي الحلبي قال في حديث قلت لأبي عبد الله عليه السلام: وكيف النداء؟ قال: «ينادي

---

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٩٧، البحار ٥٣: ٨.

(٢) كمال الدين: ٦٥٣.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٧٠، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٥ رواها بسند فيه ابن قتيبة وهو مجروح، ورواه في ص ٤٥٤ عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام، ورواه العلامة في المستجاد: ٢٥٨ عن أبي حمزة.

منادٍ من السماء أول النهار ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي منادٍ آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون»[١].

صفة النداء:

تحدثت أكثر الأخبار عن أن النداء يكون من السماء وهو صوت جبرئيل عليه السلام ينادي بنداء من صفاته أنه يسمعه البعيد كما يسمعه القريب بدليل ما رواه النعماني عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال في حديث: «كأني به آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين»[٢].

ويسمعه كل قوم بلسانهم بدليل ما رواه النعماني أيضاً عن زرارة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: النداء حق؟ قال: «إي والله، حتى يسمعه كل قوم بلسانهم»[٣].

ويسمعه الجميع، فلا يبقى شيء خلق الله فيه الروح إلا ويسمع الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها كما جاء في الخبر الذي رواه النعماني[٤].

---

(١) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٤، البحار ٥٢: ٣٠٥.

(٢) كتاب الغيبة: ١٨٠، رواه عن محمد بن همام عن أحمد بن مابنداذ وعبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن هلال عن الحسن بن محبوب الزراد عن الرضا عليه السلام وأحمد بن مابنداذ ضعيف لا يضر ضعفه لكفاية رواية الحميري معه، فالرواية معتبرة على ما يبدو.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٤.

(٤) الغيبة: ٢٨٩ عن أبي عبد الله عليه السلام بسند فيه علي بن أبي حمزة الضعيف. وص ٢٥٢ بسند فيه تأمل.

مما يدل على شدة الصوت ونفوذه، بحيث جاء في خبر آخر يرويه الشيخ الطوسي بسند معتبر: «ينادي منادٍ باسم القائم عليه السلام فيسمع ما بين المشرق إلى المغرب، فلا يبقى راقد إلا قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين»(١).

ردود الفعل:

من الواضح أن ردود الفعل تكون متفاوتة تفاوتاً كبيراً ناشئاً من اختلاف العقائد حول الإمام المنتظر وأهل البيت عليهم السلام بين من لا يعرف الإمام ولا يعرف الظهور ولا الصيحة والنداء بحيث لا تعدو أن تكون له مفاجئة تبهته وتسكته.

وبين معتقد منتظر للنداء والظهور فيفرح بذلك ويرى تحقق أكبر آماله بل جميعها فيحصل اضطراب وتحرك باتجاه نصرة الإمام المهدي عليه السلام والخروج إليه أينما كان، كما جاء في الخبر: «أنه ينادى باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في خدرها، فتحرّض أباها وأخاها على الخروج»(٢).

وهناك من انغمس في البلاء والجوع والضعف لا يعتني بالنداء «ويقول بعضهم لبعض إن هذا الصوت لرجل شيطان» كما جاء في بعض أخبار العامة(٣).

وفي خبر آخر: «فأقوى المسلمين يومئذٍ من برك باركاً وجلس جالساً من الجوع والضعف، ويسمعون النداء: يا أيها الناس قد أتاكم الغوث»(٤).

---

(١) الغيبة: ٢٥٤ ح ٤٦١.

(٢) الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢١٦.

(٤) كتاب الفتن لابن حماد: ١٥٣، عن النبي صلى الله عليه وآله.

فيبقى أعداء الإمام المهدي ومناوؤه من بني أُمية والنواصب الذين نصبوا العداء لأهل البيت عليهم السلام من اليوم الأول، خصوصاً بعدما يسمعون الصوت الثاني الذي هو نداء إبليس أو أعوانه يشكك الناس كما سيأتي تفصيله، وقد أشير إليه في الخبر الذي رواه النعماني بسند صحيح جاء فيه: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض، ثم ينادي: ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه» قال: «فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك يتبرؤون منا ويتناولونا فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل البيت» ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عزوجل: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[1].

وهذا ما يثير التعجب والدهشة بعد رؤية الآيات من الخسف والنداء كيف يجسر أولئك الضلاّل على التمادي في أعمالهم مع كل تلك المعجزات، فهذا سؤال يطرح نفسه، وقد طرحه زرارة بن أعين قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عجبت أصلحك الله، وإني لأعجب من القائم كيف يُقاتل مع ما يرون من العجائب من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء؟ فقال: «إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله يوم العقبة»[2].

حكمة النداء

لا ريب أن هذا النداء هو أمر خارق للعادة فائق على كل الحسابات المادية فلا يكون سوى معجزة يراد بها إحداث تغيير على مستوى العالم

---

(١) الغيبة: ٢٦٠ ح ١٩. والآية في سورة القمر: ٢.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٦٤.

حتى أكثر من معجزة عصا موسى عليه السلام؛ لأن المعجزة دائماً تتبع الظروف، فإذا كان السحر والكيمياء قد بلغ الذروة في زمان النبي موسى عليه السلام كانت المعجزة هي العصا التي تفوق كل سحر ولا يقاس بها شيء منه، وإذا كان زمان الظهور هو زمان التطور العلمي والصناعي وخصوصاً حكومة الإعلام والإذاعات ووسائل الارتباط الجماعي مهما كانت، فهي تأتي قاصرة أمام نداء مثل هذا الذي ينادي به جبرئيل عليه السلام من السماء ليخضع العالم ويرغّبه في مماشاة هذا النداء وإجابة هذه الدعوة ومطاوعة هذا التغيير المطلوب.

روى النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أما إن النداء من السماء باسم القائم في كتاب الله لبين» فقلت: فأين هو أصلحك الله؟ فقال: «في طسم تلك آيات الكتاب المبين قوله ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ قال: إذا سمعوا الصوت اصبحوا وكأنما على رؤوسهم الطير»[1]. يريد بذلك الخضوع والانصياع للمهدي عليه السلام على ما يبدو.

وفي رواية يرويها ابن حماد عن علي عليه السلام يقول: «إذا نادى مناد من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره»[2].

عندها يكون النداء الثاني الذي هو نداء إبليس أو أعوانه بتدبيرهم وتكنولوجيتهم لا يزيد على تدبير السحرة الذين صنعوا حبالاً وعصياً تضمحل أمام معجزة الرب.

ولا يخلو هذا النداء من أن يكون إيذاناً للقائم بالظهور إضافة إلى الحكمة السابقة لاستشعار ذلك مما جاء في الخبر الذي رواه النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام حيث يقول: «ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف

---

(١) الغيبة: ٣٦٣ ح ٢٣، والآية في سورة الشعراء: ٤.

(٢) كتاب الفتن: ٩٢.

السماء في ليلة ثلاثة وعشرين في شهر رمضان ليلة الجمعة» قلت: بِمَ ينادى؟ قال: «باسمه واسم أبيه، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء... ويخرج القائم مما يسمع، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام»[1].

ففي قوله «لا يخرج» دلالة على توقف خروجه على النداء.

وأوضح من ذلك قوله: «ويخرج القائم مما يسمع» حيث يدل على أن سبب خروجه هو سماعه النداء.

كما سيكون النداء علامة للمؤمنين على التحرك والخروج إلى صاحب الأمر والالتفاف حوله للرواية المعروفة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اسكنوا ما سكنت السماء والأرض».

فقال عبد الله بن بكير تعليقاً على هذا الحديث: فإن كان الأمر هكذا فما من خروج وما من قائم، فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إنما عنى أبو عبد الله عليه السلام اسكنوا ما سكنت السماء من النداء والأرض من الخسف»[2].

فيعود النداء تعييناً لوقت الخروج، كما أنه سيكون مراسم لتعريف القائد وأهل الحق وتمييزهم عن أهل الباطل.

فإن هذا التمييز هذه المرة يكون حاسماً باقياً ومستمراً بحيث يمكن التعبير عن مفاده بما جاء في الخبر الذي رواه العياشي عن عجلان بن صالح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا تمضي الأيام والليالي حتى ينادي مناد من السماء: يا أهل الحق اعتزلوا، يا أهل الباطل اعتزلوا، فيعزل هؤلاء من هؤلاء، ويعزل هؤلاء من هؤلاء» قال، قلت: أصلحك الله يخالط هؤلاء وهؤلاء بعد ذلك؟ قال: «كلا إنه يقول في الكتاب: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ

---

(١) الغيبة: ٢٨٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧٧، معاني الأخبار: ٧٧.

عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾»[1]، حقيقته هو متابعة كل قوم لأحد النداءين، فأهل الحق يتبعون النداء الأول، وأهل الباطل يتبعون النداء الثاني، ولا أظن أنه يأتي بلفظ «يا أهل الباطل اعتزلوا» بل هو نفس متابعتهم وبقائهم على عقائدهم الباطلة في الساحة العملية الذي هو تعبير لهذا الكلام.

وقت النداء:

المستفاد من أكثر الأخبار وفيها المعتبرة أن الصيحة بالصفات التي ذكرناها إنما تكون في شهر رمضان فقد روى النعماني بسنده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «وفزعة في شهر رمضان توقظ النائم، وتفزع اليقظان، وتخرج الفتاة من خدرها»[2]، فهي وإن عبرّت بالفزعة دون الصيحة غير أن التطابق في الصفات يوحي إلى إرادة الصيحة منها، والمهم الدلالة على وقوعها في شهر رمضان.

وجاء التصريح في ما يرويه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إذا كانت صيحة في رمضان فإنه يكون معمعة في شوال...**»[3].

وفي خبر آخر يرويه النعماني عن الإمام الباقر عليه السلام أو قال: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه السلام»[4]، هذه الأخرى تدل على أن الصيحة إنما تكون في شهر رمضان.

---

(١) الغيبة: ٢٨٩، والآية ١٧٩ من سورة آل عمران.

(٢) الغيبة: ٢٥٢. قال أخبرنا علي بن أحمد البندنيجي قال حدثنا عبيد الله بن موسى العلوي عن يعقوب بن يزيد، عن زياد بن مروان، عن عبد الله بن سنان، ولكن علي بن أحمد البندنيجي لم يذكر في كتب الرجال.

(٣) كتاب الفتن: ٦٠.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٥٥.

وإذا جمعنا الخبرين المارين مع ما أسنده الشيخ المفيد إلى الصادق عليه السلام وقوله: «ينادى باسم القائم في ليلة ثلاث وعشرين»[١] وكذا ما رواه الفضل بن شاذان بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاثة وعشرين ويقوم في يوم عاشوراء»[٢] يكون الوقت هو ليلة ثلاثة وعشرين تكون من شهر رمضان المبارك.

يدل على هذا الجمع وهذا التوقيت مع تعيينه بليلة الجمعة الخبر الصحيح الذي يرويه الشيخ الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»[٣].

ويؤيد وقوع الصيحة في ليلة الجمعة وأنها تكون في شهر رمضان ما رواه النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان ـ إلى أن قال ـ ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة جمعة»[٤].

بينما يؤكد ذلك ويحتم وقوعها في رمضان ما رواه النعماني عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال فيه: «الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان، لأن شهر رمضان شهر الله والصيحة فيه هي صيحة جبرئيل إلى هذا الخلق...» ثم قال: «يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين فلا تشكوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا»[٥].

فقد روى الخزاز القمي: بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال سمعت رسول

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٧٩، الصراط المستقيم ٢: ٢٤٨.

(٢) المستجاد: ٢٦٢ عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن علي الكوفي، عن وهب بن حفص عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.

(٣) كمال الدين: ٦٥٠، ٦٥٢.

(٤) الغيبة: ٢٨٩.

(٥) الغيبة: ٢٥٣.

الله ﷺ يقول: «**وسيكون بعدي فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة، وذلك عند فقدان شيعتك الخامس من السابع من ولدك ـ إلى أن قال ـ كأني بهم آيس من كانوا، ثم نودي بنداء يسمعه من البعد كما يسمعه من القرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على المنافقين**» قلت: وما ذلك النداء؟ قال: «**ثلاث أصوات في رجب أولها: ألا لعنة الله على الظالمين، الثاني: أزفة الأزفة**، والثالث: ترون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: **الآن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي فيه هلاك الظالمين، عند ذلك يأتي الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم**»[1]، أورد المجلسي هذه الرواية عن كتاب النصوص لابن بابويه وذكر سند الكفاية بعينه[2].

ومع ذلك الاستدلال والتأييد والتأكيد جاء في هذا الخبر وبعض الأخبار الأخرى أن الصيحة إنما تكون في شهر رجب كرواية النعماني عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال في حديث طويل: «كأني به آيس ما كانوا، قد نودوا نداءً يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين» قلت وما ذلك النداء؟ قال: «ثلاثة أصوات في رجب أولها: ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والثالث: يرون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: «ألا إن الله قد بعث فلاناً على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنين الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم»[3].

وهي تشتمل على مطالب عالية صحيحة وثابتة في المذهب الحق آخرها ظهور القائم والنداء إلا أنها جعلته في شهر رجب على خلاف الروايات السابقة.

ولو نوقش في سندها لاشتماله على الكثير من المجاهيل ومن لم يوثق في

---

(١) كفاية الأثر: ١٥٩.

(٢) البحار ٣٦: ٣٣٧ ح٢٠٠.

(٣) الغيبة: ١٨٠.

كتب الرجال بل حتى لم يذكر، غير أن قوله «كأني بهم» هو محل الشاهد رواه النعماني وابن جرير الطبري في دلائل الإمامة بسند عن الإمام الرضا عليه السلام.

والراجح وقوع التصحيف أو الخلط فيها من الرواة لأنه جاء في بعض الأخبار: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب» قال الراوي: وما هي؟ قال: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»، رواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام [1].

وإنما جنحنا إلى هذا الجمع لضعف رواية رجب مع وجود الرواية المعتبرة بين روايات رمضان، غير أن ورود رواية رجب بلفظ واحد من طريقين متباينين متباعدين أشد البعد يريبني ويشككني في هذا الجمع والتشكيك في السند، كما ويضطرني إلى قبول نداءين أحدهما في رجب والآخر في رمضان، على مقتضى الجمع بين المثبتات، خصوصاً وأن الكثير من الروايات تقرن بين النداء ورؤية اليد أو البدن في عين الشمس كما سيأتي تفصيله وبيانه.

يبقى الكلام في وقوع النداء ليلاً أو نهاراً، تتراوح الأخبار بين وقوعه في النهار وبين وقوعه في ليلة الجمعة ثلاث وعشرين من رمضان، وفيها المعتبر من الطرفين، فقد روى الصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار ألا إن الحق في علي وشيعته» [2].

وكذا الكليني في الكافي بسند آخر معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون» [3]، وكذا غيرها من الروايات العديدة [4].

بينما يروي الصدوق نفسه بسند معتبر أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام:

---

(١) الغيبة: ٢٥٢ ح ١٠.

(٢) كمال الدين: ٦٥٢.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٢٨٤.

(٤) كمال الدين: ٦٥٠ ـ ٦٥٢.

«الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»[1]، والروايات بهذا المعنى غير عزيزة فهي الأخرى مروية بعدة طرق[2].

ولا يبعد أن تكون الصيحة بعد طلوع الفجر باعتبار أن ساعة الفجر ليست من ساعات الليل ولا من ساعات النهار كما جاء في بعض الأخبار، وبذلك صحت النسبة إلى الليل والنهار، خصوصاً وأن روايات النهار عبّرت بأول النهار.

ويؤيد ذلك الرواية الواردة في كيفية العمل عند سماع الصيحة فإن فيها: «فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة فادخلوا بيوتكم...» مع الالتفات إلى أن روايات الليل قيدت بليلة الجمعة.

نعم جاء في رواية المفضل بن عمر: «يا مفضل يسند القائم ظهره إلى كعبة البيت الحرام... فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد ـ ويسميه باسم جده رسول الله ﷺ ويكنيه وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين ـ بايعوه تهتدوا»[3] فهذه الرواية تتحدث عن صيحة بعد ظهور القائم تأمر بالبيعة، بينما النداء المتحدث عنه يحتمل قوياً كونه قبل ظهوره عليه السلام لأنه معدود من العلائم.

---

(١) كمال الدين: ٦٥٠ ح ٦، كتاب الغيبة للنعماني: ٢٨٩ ح ٦ وص ٢٩٠، وص ٢٥٣ عن أبي جعفر عليه السلام، المستجاد للعلامة: ٢٦٣.

(٢) انظر الإرشاد للمفيد ٢: ٣٧١، وكتاب الغيبة للشيخ: ٤٣٥ ح ٤٢٥، وص ٤٥٤ ح ٤٦١، والمستجاد للعلامة الحلي: ٢٥٨، الصراط المستقيم ٢: ٢٤٨، وكتاب الفتن لابن حماد: ٩٣.

(٣) الهداية الكبرى: ٣٩٧.

ولو أريد به النداء المقصود فيحتمل قوياً كونه إدامة لذلك النداء الذي يكون بعد طلوع الفجر، ومن الليل، لأنه تقدم أن النداء هو منشور يقرأ لمدة طويلة أو يتكرر في ثلاث ساعات كما جاء في الخبر، فيكون من الليل ومن الفجر وآخره بعد طلوع الشمس خصوصاً مع ملاحظة اختلاف مفاد النداء بعد طلوع الفجر وقبله.

العمل عند سماع الصيحة:

جاء في خبر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**إذا كانت صيحة في رمضان، فإنه يكون معمعة في شوال، وتمييز القبائل في ذي قعدة، وسفك الدماء في ذي الحجة، والمحرم وما المحرم يقولها ثلاثاً هيهات هيهات يقتل فيها هرجاً**» قال، قلنا: وما الصيحة يا رسول الله؟ قال: «**هذه في النصف من رمضان ليلة جمعة، فتكون هدة توقظ النائم، وتقعد القائم، وتخرج العواتق من خدورهن، في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل، فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة فادخلوا بيوتكم، واغلقوا أبوابكم، وسدوا كواكم، ودثروا أنفسكم، وسدوا آذانكم، فإذا أحسستم بالصيحة فخروا لله سجداً وقولوا: سبحان القدوس، سبحان القدوس، فإنه من فعل ذلك نجا، ومن لم يفعل ذلك هلك**»[1].

فهو يدل على أكثر المطالب السابقة لم يختلف معها سوى في يوم الصيحة، خالفت فيه الروايات الكثيرة الدالة على وقوعها في ليلة ثلاث وعشرين من رمضان، ولعل المراد بالنصف هو وسط الشهر بين أوله وآخره، وإن لم يحتمله اللفظ ولكن لضعف سندها.

---

(١) البدء والتاريخ ٢: ١٧٢..

الصوت الثاني:

لا تخلو المبادرة السماوية والتدبير الإلهي حسب الحكمة القائمة على امتحان البشر واختباره كي يستخدم عقله ويبذل بعض الجهد في الوصول إلى ربه ولا يكون الحال خالياً من الملابسات، خصوصاً مع وقوع تلك الآيات الدامغة التي تسلب الاختيار نوعاً ما من البشر، كالنداء من السماء باسم القائم واسم آبائه وتمييز أهل الحق فلا يبقى مجال للاختيار والخيار، ويكون قريباً من الإلجاء والاضطرار.

عندها تتفعل القوى المعادية للإنسان وأهل الحق وخاصة الشيطان وأتباعه لتلافي تلك الضربة القاصمة بإحداث صوت آخر يقابل الصوت الأول من أجل التمويه على الناس وإسعاف أهل الباطل الذين يختارون طريقه في صعب الظروف وسهلها.

وقد يكون التدبير لذلك مسبقاً بواسطة آلية التقدم العلمي الذي يمسك بها المعادون للحق وأهله بعد وقوفهم على نبأ النداء من السماء والصيحة التي ستتحقق يوماً ما، فهم يفكرون من اليوم الأول لمقابلتها ومجابهتها.

غير أن المستحسن إلقاء النظرة على الأحاديث والأخبار المنقولة لمعرفة حقيقة الصوت الثاني بعد التعرف على دليل ما قدمناه.

حيث يروي ابن حماد عن علي عليه السلام: «إذا نادى منادٍ من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره»[١].

فكما قلنا لا ينفك النداء الأول المعجز من ايجاد التأثير البالغ في

---

(١) كتاب الفتن: ٩٢.

نفوس البشر من دون اختصاص بطائفة دون طائفة، ولا بصقع دون صقع، بل تدل على تولّد الحب عندها في قلوب من لم يكن يعرفه ولم يكن يحبه، وهذا ما لا يرضي إبليس وحزبه، مما يجعله يسعى في التمويه على الناس وخصوصاً أهل الباطل كي لا يفلت زمام الأمور ويتهدم كل ما بناه عبر الدهور تحت اسم الحضارة المادية وغيرها.

يروي القمي في تفسيره بسند معتبر في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تخضع رقابهم يعني بني أمية، وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر»[1] فمع خضوع رقاب بني أمية الذين هم أشد أعداء بني هاشم وأهل البيت عليهم السلام يعلم حال غيرهم، كل ذلك يفسر الاضطرار الذي ذكرناه، والإلجاء الذي يحدث عقيب الصيحة على أن في الآية المذكورة المفسرة بذلك في كثير من الأخبار كفاية.

فتبقى الأسئلة المطروحة على طاولة البحث وتدور حول ثبوت خبر النداء الثاني وحتميته وعدمها ومفاده وردود الفعل وزمانه والمنادي ومكان النداء وكيفيته حسبما جاء في الأخبار والروايات.

أما أصل تحقق النداء:

فهو مما ينبغي التسليم به لوروده في أخبار متعددة وطرق متفاوتة منها ما هو معتبر يرويه الثقات، وليس لأحد التشكيك فيما يرويه الثقات.

فقد روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «إن خروج السفياني من الأمر المحتوم قال: نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس والزكية من

---

(١) تفسير القمي ٢: ١١٨.

المحتوم، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم» فقلت له: كيف يكون النداء؟ قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس ـ لعنه الله ـ في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون»[١].

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بطرق متعددة الرواية السابقة إلا أن فيها: «النداء من المحتوم... ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض ألا إن الحق في عثمان وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون»[٢].

وروى الشيخ الكليني بسند معتبر عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله أنه قال: «اختلاف بني العباس من المحتوم، والنداء من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم» قلت: وكيف النداء؟ قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار إلا أن علياً وشيعته هم الفائزون» قال: «وينادي منادٍ آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون»[٣]، وهناك روايات أخرى يأتي ذكرها فيما بعد.

ونخلص من ذلك إلى أن أصل خبر النداء الثاني ثابت وهو كما ترى مقرون بالنداء الأول مما يدعم وجدانه لأكثر خصائص النداء الأول وصفاته.

وأما حتميته:

إذا لاحظت رواية الكليني تجد أنها تخبر عن أن النداء من المحتوم وكذا رواية الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، وبعد ذلك يسأل الراوي وكيف النداء؟:

---

(١) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٤٣٥ ح ٤٢٥، الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٧١، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٥ ح ٤٢٥، وص ٤٥٤ ح ٤٦١.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٤.

فيجيب الإمام: «ينادي مناد...» ويذكر النداءين معاً مما يدل على أن المحتوم هو النداءان معاً، وبعبارة أدق فإن السؤال كيف النداء يعني كيف يكون النداء المحتوم، فيجيب الإمام بأنه ينادى أول النهار بكذا وآخر النهار بكذا، مما يدل على أن الكل من المحتوم.

فإذا سلمنا اعتبار رواية الكليني يثبت ما أردناه، ولو أمكن الخدشة فيها من جهة وقوع أبي جميلة فيها، فإن المظنون قوياً أن رواية الصدوق المعتبرة سقط منها قوله: «النداء من المحتوم» بقرينة السؤال وكيف النداء، وبقرينة مجيء كلمة «ذلك» في بعض نسخ الرواية، أي أن السؤال: وكيف ذلك النداء، مما يدل على وجود كلمة «والنداء من المحتوم» في الكلام السابق، وبقرينة باقي الروايات.

وأما مفاده:

لما استظهرنا تطابق النداء الأول والنداء الثاني في أكثر الصفات وقلنا إنّ النداء الأول وإن جاء التعبير عنه بالصيحة التي هي الصوت الواحد غير أنه يشبه أن يكون منشوراً يقرأ على الناس وتذكر فيها أُمور كثيرة، وبطبيعة الحال يكون النداء الثاني كذلك؛ لأنه يصدر كردٍ على مفاد المنشور الأول، يمكننا استفادة ذلك التشابه بين النداءين ما جاء في الكتاب الذي بعثه صاحب الأمر إلى الشيخ المفيد وقوله عليه السلام: «ستظهر لكم من السماء آية جليلة ومن الأرض مثلها بالسوية»[1].

ولذلك صارت الروايات تتخالف في مفاده بحيث تذكر كل واحدة جانباً من ذلك النداء كما تخالفت في مفاد النداء الأول.

فرواية الصدوق ذكرت النداء باسم السفياني وأحقيته، بينما تذكر الروايات التي تلتها أحقية عثمان وشيعته وفوزهم، فيحتمل إرادة عثمان

---

(١) الاحتجاج: ٤٩٥.

بـن عنبسـة أي السـفياني فتكون مطابقة للسابقة، كما يحتمل إرادة عثمان بن عفان فتكون مطابقة للروايات الذاكرة لأحقية عثمان بن عفان ومظلوميته.

كرواية النعماني المعتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال فيها بعد ذكر النداء الأول: «فـإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثـم يـنادي ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً، فاطلبوا بدمه»[١].

وبهـذا يثبـت من النداء الثاني الإعلان بأحقية السفياني وأحقية عثمان بـن عفان وشيعته وأنه قتل مظلوماً مع المطالبة بدمه كل ذلك من الأخبار المعتبرة.

وأما المنادي:

حسب الروايات المارة فهو إبليس، حيث ذكرت أنه يصعد في الهواء حـتى يتوارى عن أهل الأرض مما يدل على عدم تجاوزه الغلاف الغازي لقوله: «في الهواء» بينما يمتاز النداء الأول بأنه من عين الشمس أو جوف الفضاء.

وهكذا فإن الأخبار تؤكد على أن المنادي هو إبليس أو الشيطان ففي روايـة النعماني الأخرى: «وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس ينادي ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليشكك الناس ويفتنهم» حيث علم من الرواية المارة أن المراد بفلان هو عثمان بن عفان.

ثم يقول في آخرها: «والصوت الثاني من الأرض وهو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة»[٢].

وفي الـرواية الـتي يتعجـب فيها الراوي عن تمادي أهل الباطل في غيهم

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٠ ح ١٩.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح١٣.

رغم مشاهدتهم للآيات الباهرة يقول الإمام: «إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة»[١].

يريد نداء إبليس بعد بيعة النقباء للنبي صلى الله عليه وآله لما صرخ من رأس العقبة بأنفذ صوت: يا أهل الجباجب ـ يعني المنازل ـ هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم على ما رواه الطبري في تاريخه[٢].

ويروي الشيخ الطوسي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: تمثل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن جشعم المدلجي فقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقل: إني بريء منكم، وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: إن محمداً والصباة معه عند العقبة فادركوهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: «**لا تخافوا فإن صوته لن يعدوهم...**»[٣].

وهذا الحديث وأمثاله يشجعني على القول بأن الشيطان أو إبليس هو سبب النداء، ولا يكون هو المباشر، وإنما يكون المباشر بهيئة البشر غير أنه تابع للشيطان، فيكون النداء الثاني من تدبير الدول المتطورة المالكة للوسائل الحديثة إعلامية وغيرها، وإن كان أعقد مما نعرفه اليوم من الوسائل بأن يصدر الصوت من الفضاء ويكون سماعه بدون آلة أو معها.

فإني وجدت لذلك قرائن وشواهد بالإضافة إلى الحدس بذلك، منها الروايات التي تضيف إلى النداء باسم السفياني وعثمان، النداء باسم عيسى وآل عيسى عليه السلام بحيث يكون أرباب الديانة المسيحية وشيعة عثمان في صف واحد للدحض معجزة النداء السماوي الذي هو نداء جبرئيل بلا ريب.

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٥٠ ح٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٩٤.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ١٧٦.

فقد روى ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ينادي منادٍ من السماء ألا إن الحق في آل محمد، وينادي منادٍ من الأرض: ألا إن الحق في آل عيسى ـ أو قال العباس أنا أشك فيه ـ وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس»[١].

فإذا كان في هذا الخبر ترديد بين آل عيسى وآل العباس، فإن هناك خبراً آخر لا ترديد فيه، بل فيه دلالة واضحة يرويه ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «بعد الخسف ينادي مناد من السماء: إن الحق في آل محمد في أول النهار، ثم ينادي مناد في آخر النهار إن الحق في ولد عيسى، وذلك نخوة من الشيطان»[٢] على أن المراد بأولاد عيسى عليه السلام هم أتباعه وأولاد أصحابه.

والمهم قوله: «وذلك نخوة من الشيطان» بمعنى طلب من الشيطان، هذا غاية ما أتعقله من نداء الشيطان وإبليس، وتدبيره هو حث أولئك المالكين للوسائل على هذا العمل الشنيع الذي هو إعلان حرب أمام الرب، وهذا تأييد آخر على ارتباط حركة السفياني وغيره بالمعسكر الغربي وأساطينه والمسيحيين بصورة عامة.

وأما مكان النداء:

فالروايات بين قائلة بكونه من الأرض، ففي رواية النعماني المارة: «والصوت الثاني من الأرض» وفي رواية ابن حماد الأولى: «وينادي منادٍ من الأرض» وفي رواية النعماني الثانية: «ثم ينادي إبليس آخر النهار من الأرض» وفي التوقيع المار: «ومن الأرض مثلها بالسوية».

ولكن الرواية المعتبرة تدل على صعوده في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض، وباقي الروايات ساكتة عن محله.

---

(١) كتاب الفتن: ٩٢، الملاحم والفتن: ٦٠.

(٢) كتاب الفتن: ٩٣، الملاحم والفتن: ٦٠ ـ ٦٢.

ينبئ كل ذلك عن كونه من تدبير البشر الذي لا يتجاوز الأرض وأطرافها، أو أن مصـدره يكون من الأرض وانتشاره من الفضاء كما تفعل أجهزة اليوم، ولكني اعتقد أنه أعقد من هذا الذي نعرفه بحيث لا يعرفه حتى أهل زمانه فيكون فيه نوع مفاجئة يرتاب معه المبطلون.

ومهما يكن من ذلك فهو دون النداء الأول وأسفل منه، ولما جاء في رواية ابن حماد الأولى: «وإنما الصوت الأسفل من الشيطان».

وأما زمان النداء:

فأكثر الروايات وفيها المعتبرة تدل على أنه آخر النهار الذي يكون في أوله النداء الأول، فيكون آخر يوم الجمعة من يوم ثلاث وعشرين من رمضان.

وأما ما في رواية النعماني المارة: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء...» يراد به أن النداء الأول لما يكون شروعه ليلة الجمعة يكون غده هـو يـوم الجمعـة أو يراد ليلة غد يعني ليلة السبت وإن جاء التعبير بآخر النهار.

وأما ردود الفعل:

عـندما عرضنا لآثار النداء الأول ومدى تأثيره على النفوس بحيث يسقط جميع مـا في أيـدي المخـالفين مـزيجاً مـع استغراب شديد وعدم تصديق ببطلان عقـائدهم وأعمـالهم طـول الفـترة السـابقة، يصيرون بحالة يتشبثون فيها بكل طحلـب للنجاة من هذا الوضع المأساوي الذي أصابهم والتأسف على ما ضاع مـن أعمـارهم في متابعة الباطل، هنا يأتي النداء الثاني ليكون ذلك الطحلب والذريعة التي يقاومون بها الانخراط في صف أصحاب النداء الأول.

غير أن هذه الذريعة لما كانت ضعيفة أمام النداء الأول فهي لا تورث عـندهم سوى الشك والريب، ولذلك جاء في الروايات السابقة بعد ذكر

النداء الثاني: «فيرتاب المبطلون»، وفي رواية أخرى: «وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس».

وفي رواية ثالثة: «وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس ينادي: ألا إن فلان قتل مظلوماً ليشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاك متحير قد هوى في النار».

والنتيجة أن عداوة أهل البيت المسبقة وعداء الحق المسبق إذا أضيف إليه النداء الثاني حصل الشك في أحقية النداء الأول،كأني بالشاك وهو يقول في نفسه: نداء عارضه نداء آخر، فنحن على عقائدنا التي كنا عليها.

فيكون الزيغ والشك مختص بأهل الباطل فقط، ومن كان يُكمن العداء لأهل البيت عليهم السلام فقط، لذا ورد في الخبر المعتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه» قال: «فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق، وهو النداء الأول، ويرتاب يومئذٍ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله هو عداوتنا، فعند ذلك يتناولونا فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل البيت» ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عزوجل: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[1].

هنا تظهر الضغائن والحقد على أهل البيت فيقول الناصب المتعصب هذا سحر من سحر أهل البيت عليهم السلام.

والحقيقة أن كل ذلك يدخل في الفتنة الموعود بها المسلمون والمؤمنون في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٦٠، والآية ٢ من سورة القمر.

لا يُفْتَنُونَ﴾[1] حسب الحكمة الإلهية كما بينا، وجاءت الأخبار لتؤكد على ذلك في خبر النعماني المار: «وآخر النهار صوت إبليس... ليشكك الناس ويفتنهم»، وفي خبر آخر عن أبي جعفر ﷺ: «والصوت الثاني من الأرض وهو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة، فاتبعوا الصوت الأول، وإياكم والأخير أن تفتنوا به»[2].

وفي الأمر باتباع الصوت الأول وعدم الافتتان بالصوت الثاني في هذه الرواية وكذا تعقيبه بالقول: «فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكوا فيه إنه صوت جبرئيل وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم»[3] وكل هذا التأكيد والتحذير لدليل على شدة الفتنة والتباس الأمر حتى على غير أهل الباطل من المستضعفين في الدين، وأنه بمرتبة من التعقيد بحيث حتم كل ذلك التحذير والتوجيه.

---

(١) العنكبوت: ٢.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح١٣.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٥٤.

العلامة الثامنة

ظهور كف في السماء

خلاصة الكلام في ظهور الكف

قبل حدوث الصيحة في السماء هنالك الآية في رجب، حيث يرون بدناً في قرن الشمس يقول: إن الله قد بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا، وتظهر كف تشير هذا هذا.

يأتي هذا الحدث للترويح على المؤمنين الذين أصابهم اليأس جراء طول المدة، وتكالب الأعداء، فبينا هم آيس ما يكون، ثم ينادى من عين الشمس ألا لعنة الله على الظالمين، أزفت الآزفة، ويرون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس، أي أن ذلك البدن هو بدن رجل من الذين شاركوا في معركة بدر، ولعلها صورته.

فيبقى تعقّل ذلك الحدث، وكيف يرون صورة ذلك البدن، وهل هو ممكن أو معقول، فإني أذهب إلى أن السماء لاتنفك من ظهور بعض الأُمور غير المعتادة والمألوفة، فيومٌ يطلع علينا الكوكب المذنب المعروف بهالي، ويوم تظهر حمرة تغطّي السماء كما شاهدناه يوم انفجار المفاعل النووي في الاتحاد السوفياتي (جرنوبيل).

فليس من العجيب ظهور صورة بدن في السماء، والعجيب هو إنكار ذلك بعد تقدم العلم وحصول التطور الصناعي وصناعة الطائرات والصواريخ ووسائل الارتباط الجماعي التي لو حدثنا أرباب القرون السالفة بشيء منها لأنكرها أشد الإنكار، على أن إنكار السابقين لم يغير من الواقع شيئاً، ولم يمنع البشر من صناعة تلك العجائب.

فكيف يمنع إنكار بعض الكتّاب لمثل هذا الحدث وتسميته بالمضحكات المبكيات من تحقق مثل ذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فما قدّروا الله حق

قدره.

وكيف يعجب هؤلاء وأن إحداث مثل تلك الصورة في الفضاء مما لا تعجز عنها بعض الطائرات الحربية النفاثة التي ترسم الخطوط الدخانية التي تظل لمدة طويلة.

العلامة الثامنة:

كف تطلع في السماء

جاءت أخبار متعددة دالة على طلوع شيء في السماء في عين الشمس، غير أنها تخالفت في الطالع وحقيقته، حتى جاء في بعضها: «يرون بدناً بارزاً في عين الشمس»[1] وفي آخر «بدرياً بارزاً»[2] وفي ثالث: «بدن يظهر في قرن الشمس»[3] وفي رابع: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»[4] وفي خامس: «وتطلع كف تشير»[5]، وفي سادس: «ترون كفاً معلقة في السماء»[6] وفي سابع: «كفاً من السماء مدلاة»[7]، وفي ثامن «وكف تقول هذا هذا»[8].

وقد تضمّنت المعتبرة منها جملة «بدن يرى في قرن الشمس يقول...»

---

(١) رواه الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام في كتاب الغيبة: ٤٣٩، الخرائج والجرائح ٢: ١١٦٨، وانظر دلائل الإمامة للطبري: ٢٤٥، وكتاب مختصر بصائر الدرجات: ٣٨، ٢١٤.

(٢) رواه عن النبي ﷺ في كفاية الأثر: ١٥٦.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٩، وإثبات الوصية للشيخ الصدوق: ٢٢٧.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٢.

(٥) كتاب الفتن لابن حماد: ٩٣.

(٦) رواه ابن حماد في كتاب الفتن: ٣٩ عن النبي ﷺ.

(٧) رواه ابن حماد في كتاب الفتن: ٩٣ عن أسماء بنت عميس.

(٨) دلائل الإمامة: ٢٦١.

فقد روى الشيخ الطوسي بسنده، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن علي الزيتوني وعبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن هلال العبرتائي، عن الحسن بن المحبوب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال فيه: «ينادون في رجب ثلاثة أصوات... والصوت الثالث ـ يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس ـ هذا أمير المؤمنين قد كرّ في هلاك الظالمين» وفي نقل الحميري: «والصوت الثالث: بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله قد بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا»[1].

والمعتبر منهما هي رواية الحميري لأن الرواية الأولى هي رواية الحسن بن علي الزيتوني الذي ذكره النجاشي وذكر كتابه ولم يوثقه.

فالثابت هو قوله: «والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله..» دون قوله: «يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير..» ولا يثبت القول الثاني بهذا الخبر.

ولما كان مثل «بدناً بارزاً» و «بدرياً بارزاً» قريبة من البعض بحسب الكتابة احتمل التصحيف عند كتابة النصوص، وكذا يداً بارزة، ولكن مثل «يرون كفاً معلقة من السماء» أو «كفاً من السماء مدلاة» أو «كف تقول هذا هذا» فهي لا تحتمل التصحيف، ولكن كلمة بدناً أو بدرياً تشبه كلمة يداً، يحتمل فيها التصحيف، ويكون الصحيح كلمة «يداً» وهي متصورة فتجتمع أكثر الروايات، سوى رواية «وجه يطلع في القمر ويد بارزة» فهي تضيف إلى طلوع اليد طلوع الوجه، ومعه يقوى احتمال عدم تصحيف رواية البدن.

ومهما يكن من ذلك فإن الروايات متفقة في رؤية طلوع الكف ـ ولو باعتبار أنها جزء البدن ـ واختلافها في الأكثر من ذلك، فبعضها يضيف الوجه وآخر بضيف جميع البدن، وإذا كانت الإشارة إلى صاحب

---

(١) الغيبة: ٤٣٩.

الأمر هي المقصودة يكون التوجه إلى الكف أكثر من غيره، وتكون هي المدار ومحط الأنظار.

واستظهر البعض أن هذا البدن هو بدن أمير المؤمنين عليه السلام، ولعله اعتمد على رواية الشيخ الطوسي المارة: «والصوت الثالث يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس يقول هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين» وهي رواية الزيتوني الذي لم يوثق، بينما رواية الحميري الثقة تقول: «والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول إن الله قد بعث فلاناً...».

ولو تم سند الرواية الأولى فهي تدل على أن البدن ليس هو بدن أمير المؤمنين؛ لأن البدن فيها يقول: «هذا أمير المؤمنين..» وهو عليه السلام لا يشير إلى نفسه عادة.

ويمكن تأييد إرادة علي عليه السلام برواية الكفاية: «والثالث يرون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي إن الله قد بعث فلاناً حتى ينسبه إلى علي» فالبدري هو من شارك في معركة بدر، ولا يكون إلا علياً عليه السلام، غير أن ذيلها وقوله: «حتى ينسبه إلى علي» يؤيد أن المنادي غير علي عليه السلام ويتقوى احتمال تصحيف كلمة بدناً حتى صارت بدرياً.

كما يدعم إرادة الإمام علي عليه السلام كل الروايات الدالة على تواجده في العصور السابقة لتنفيذ المهام الخطيرة كرواية البيان ورواية سلمان وغيرها.

ولكن لا يعدّ شيء من ذلك دليلاً حاسماً في المقام، خصوصاً مع خلو الرواية المعتبرة عن ذكر ذلك.

بقي أن أكثر الروايات دالة على أن البدن يرى في عين الشمس أو مع قرن الشمس على اختلاف التعابير، بينما جاء في رواية النعماني القمر بدل الشمس قال: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب» قلت وما هي؟

قال: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»[١].

وهناك رواية لم تذكر الشمس ولا القمر، وتكتفي بذكر السماء، ولكنها لا تنافي أن يكون في عين الشمس أو القمر، والروايات الأكثر دالة على بروزه في عين الشمس أو نحو عين الشمس أو في قرن الشمس على أن الأخير هو الوارد في الرواية المعتبرة كما مر.

وإذا تعين إرادة البروز في عين الشمس فهو يشبه أن يكون المراد حدوث ظل في عين الشمس على صورة إنسان تشبه حالة سقوط ظل القمر عليها مما يعبر عنه بالكسوف بقرينة قولهم يرون بدناً في عين الشمس إذ مع بقاء وهج الشمس لاتتيسر الرؤية إلا إذا أُريد الرؤية بوسيلة وجهاز أو من وراء عدسة ملونة وهو خلاف الظاهر، خصوصاً والمستفاد أن الرؤية ستكون عمومية.

وأما زمان البروز:

فالروايات الذاكرة للزمان تحدده بشهر رجب، غير أنها تدل على وقوع النداء والأصوات الثلاثة فيه، وتكون رؤية البدن في الصوت الثالث، بينما بينا أن النداء والصوت إنما يكون في رمضان، للروايات الكثيرة المعتبرة، فلابد من الالتزام بوقوع الصوت مرتين: مرة في رجب وهو صوت البدن البارز، وأخرى في رمضان وهو صوت جبرئيل، والفرق بينهما الأهمية والأظهرية، فالأهمية في رجب لبروز البدن، بينما تكون الأهمية في رمضان للصيحة والصوت الذي يفزع الناس من دون ظهور شيء تراه العين، ولذا عبرت بعض الروايات: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب» قلت: وما هي؟ قال: «وجه يطلع في القمر، ويد بارزة»[٢] فقد جمعت بين الحدثين وعبرت عما يحدث في رجب بالآية ثم فسرته بطلوع وجه وبروز يد من دون ذكر النداء.

---

(١) الغيبة: ٢٥٢.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح١٠.

وأما حتمية بروز البدن:

فقد دلت عليه بعض الروايات، كرواية النعماني بسنده عن زياد القندي، عن غير واحد من أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال، قلنا له: السفياني من المحتوم؟ فقال: «نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم، وكف تطلع من المحتوم، والنداء من السماء من المحتوم»[1].

وروايته الأخرى بسنده عن زياد بن مروان القندي، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «النداء من المحتوم... وكف تطلع من السماء من المحتوم»[2].

فهاتان الروايتان وإن كانت دلالتهما على حتمية طلوع كف من السماء واضحة، غير أن سنديهما مخدوشان؛ لأن زياد ضعيف، وهو من الواقفة المستبدين بأموال أبي الحسن موسى عليه السلام.

فلا يمكن إثبات حتمية بروز كف أو بدن في السماء، غير أن أصل الحدث ثابت لوروده في الخبر المعتبر، وإنما يكون تحققه وعدم تحققه تابع لمشيئة الله.

مفاد النداء:

أما النداء الذي يصاحب طلوع البدن أو الكف على اختلاف الروايات فالأغلب أنه يكون ثلاث أصوات تكون في شهر رجب، ويكون مفاد الصوت الأول أن لعنة الله على الظالمين، والصوت الثاني أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثالث فيه اختلاف فبعض الروايات عبرت بأن البدن هو الذي ينادي ومفاده «أن الله قد بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا»[3]،

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح٥١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح١١.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ٣٨.

وفي رواية أخرى: «ألا إن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي عليه السلام فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم»[١].

وفي رواية ثالثة: «الثالث يرون بدناً بارزاً مع قرن الشمس ينادي ألا إن الله قد بعث فلاناً على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنين الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم»[٢].

بينما اكتفت بعض الأخبار بالقول: «ينادي منادٍ من السماء: عليكم بفلان، وتطلع كف تشير»[٣] وحتى اقتصر في بعضها على قول: «وكف تقول هذا هذا»[٤]،كل ذلك يشير إلى أن المقصود بالآية في رجب هو الرؤية دون الكلام، وإنما يكون الكلام في شهر رمضان.

وتبقى حكمة طلوع البدن أو الكف:

فالمستشم من الأخبار هو نوع من الترويح والتخفيف المنبئ عن اجتياز أهل الحق لمرحلة عصيبة جداً حيث اليأس والقنوط من الفرج وخيبة جميع الآمال بتكالب الأمم عليهم وغلظة حكام الجور والظلم ليكون هذا النداء نوعاً من التنفس والبرزخ، لذا نجد في أكثر الأخبار الدالة على هذه الآية ما مفاده: «فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم».

بل جاء في خبر الكفاية: «كأني بهم آيس من كانوا ثم نودي بنداء يسمع من البعد كما يسمع من القرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على

---

(١) كفاية الأثر: ١٥٩، البحار ٥١: ١٠٩، مختصر بصائر الدرجات: ٣٨.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ١٨١ ح ٢٨.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

(٤) دلائل الإمامة: ٢٦١.

المنافقين»، قلنا وما ذاك النداء؟ قال: «ثلاثة أصوات في رجب، أولها ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: أزفت الآزفة، والثالث: ترون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي ألا إن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم»[١].

وفي رواية الشيخ الطوسي المعتبرة: «وكم من مؤمن متأسف حرّان حزين عند فقد الماء المعين كأني بهم أسر ما يكونون وقد نودوا نداء يسمعه ـ إلى أن قال ـ والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول إن الله بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا، فعند ذلك يأتي الناس الفرج وتودّ الناس لو كانوا أحياء ويشفي الله صدور قوم مؤمنين»[٢].

فهكذا نجد التأكيد على سرور المؤمنين بهذه الآية بعد شدة المحن والأياس والتأسف والحزن، فهو شفاء لصدورهم بعد تصديق الله سبحانه لاعتقادهم وتصحيحه لعملهم أعني الانتظار المر.

وأما إن هذا النداء فيه هلاك للظالمين فلأجل سماعهم بما ينافي عقائدهم ويبطل أعمالهم، إذ لم تكن في طريق الصواب، كما أنه يخبر ذوي الشوكة بأن الأمر ليس كما يتصورون وليست أمور الدنيا لهم سلماً كما يريدون، وليس لهم أن يفعلوا كل ما يريدون ويرغبون، بل هناك مدبر آخر سيقهرهم ويشتتهم، فلا يمكنهم الاعتماد على جميع تقدمهم العلمي وامتلاكهم الآلة القاهرة.

كل ذلك بالإضافة إلى كون هذه الآية هي تمهيد للآية الأخرى أعني الصيحة في رمضان ومن ثم ظهور المهدي عليه السلام في الحرم على ما سيأتي،

---

(١) كفاية الأثر: ١٥٩.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٣.

ليكون المؤمنون على أهبة الاستعداد لمواكبة التغيير القادم.

العلامة التاسعة

قتل النفس الزكية

خلاصة الكلام في قتل النفس الزكية

لعل آخر العلائم العشر هو قتل النفس الزكية، وهو من العلائم الحتمية، واسمه محمد بن الحسن، بينما النفس الزكية هو لقبه.

ومهما يكن من ذلك فهو من آل محمد ﷺ، ومن ولد الإمام الحسين عليه السلام على ما يبدو، يقتل هو وأخوه في مكة ضيعة، على أنه أول طلائع الإمام المهدي عليه السلام وأول مستشهد معه وله قصة.

ومن قصته أن أصحاب الإمام عليه السلام يصرون عليه، ويطلبون منه الخروج، فيقول لهم: «ياقوم إنّ أهل مكة لا يريدونني، ولكني أُرسل إليهم لاحتج عليهم» فيدعو محمد بن الحسن المذكور ويقول له: «امض إلى أهل مكة وقل لهم: أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا، وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا».

فيجيء ذلك الفتى وينقل إليهم هذا الكلام، وكما هو المعلوم من حال أكثر أهل مكة وجفاءهم لأهل بيت النبي ﷺ وشيعتهم، فإنهم لا يتركون قتل من يتكلم بمثل هذا الكلام، فيجيئون إليه ويذبحونه، فإذا بلغ الإمام ذلك الخبر قال لأصحابه: «ألا أخبرتكم أن أهل مكة لايريدوننا» وكما هو واضح فإن قتل هذا الشخص من دون سبب ولا جرم اجترمه سيكون سبباً لغضب الله سبحانه وتعالى عليهم، ويتلوه غضب كل من في السماء الأرض لغضب الله سبحانه وتعالى، وعندها يكون الفرج إن شاء الله.

العلامة التاسعة:

قتل النفس الزكية

تتحدث الأخبار عن أن المهدي عليه السلام لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فيسير المهدي سبباً لنقمة الله سبحانه وتعالى على أن هذا القتل هو آخر أعمال الظلمة ليس بينه وبين خروج القائم سوى برهة وجيزة وأيام قليلة قد لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، وهو من آخر العلامات على خروجه عليه السلام على ما يبدو، بل هو أول طلائعه الذين يبعثهم في مهامه، وأول مستشهد من أصحابه، غير أن هناك بعض الغموض حول محل قتله.

وأما ثبوت أصل الواقعة فقد دلت عليه أخبار كثيرة:

روى ابن حماد بسنده عن ابن مسعود قال: يبعث جيش إلى المدينة فيخسف بهم بين الجماوين وتقتل النفس الزكية [1].

وعن كعب قال: تستباح المدينة حينئذ وتقتل النفس الزكية [2].

وفي الخبر عن عمار بن ياسر: إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية [3].

---

(١) كتاب الفتن: ٩٠، والجماوان هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة.

(٢) كتاب الفتن: ٨٨.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

وروى النعماني بسند عن محمد بن الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال: «بلى» قلت: وما هي؟ قال: «هلاك العباسي، وخروج السفياني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء»[١].

وفي خبر آخر عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: جعلت فداك، متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمد إنا أهل بيت لا نوقت...، يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولا هن النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[٢].

وروى الشيخ الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: ظهور السفياني، واليماني والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[٣] والسند معتبر على ما يبدو.

حتمية قتل النفس الزكية:

فحتمية قتل النفس الزكية هي الأخرى دلت عليها الأخبار الكثيرة وفيها المعتبر الذي يرويه الشيخ الصدوق عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٢ ح ٢١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٨٩ ح ٦.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٣ ورواه الصدوق بسند آخر في كمال الدين ٦٤٩ ح ١، والخصال: ٣٠٣ ح ٨٢، وكذا النعماني في كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ٩.

بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر كان يقول: «إن خروج السفياني من المحتوم» قال لي: «نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم»[1].

ورواه النعماني بطريق آخر[2]، وكذا الشيخ المفيد في الإرشاد[3].

ويؤكد ذلك ما رواه النعماني أيضاً عن أحمد بن محمد بن سعيد بإسناده عن هارون بن مسلم عن أبي خالد القماط، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من المحتوم الذي لابد منه قبل قيام القائم خروج السفياني وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، ومنادي من السماء»[4].

وروى النعماني أيضاً بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف تطلع من السماء من المحتوم...»[5].

وفي حديث عمار بن ياسر ما يؤكد ذلك أيضاً إذ جاء فيه: «إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية»[6].

والنتيجة أن أصل خبر قتل النفس الزكية ثابت مروي بطرق معتبرة

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٥٢ ح ١٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح ١٥.

(٣) الإرشاد: ٣٥٨. رواه عن الفضل بن شاذان عمن رواه عن أبي حمزة الثمالي.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٦٤ ح ٢٦.

(٥) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ١١، عن علي بن أحمد البندنيجي، عن عبيد الله بن موسى العلوي، عن يعقوب، عن زياد بن مروان، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله. وهو يشتمل على الضعاف.

(٦) كتاب الفتن: ٩٣.

ومتكثرة من طرق العامة والخاصة، وحتميته هي الأخرى ثابتة بالروايات المعتبرة والمتكثرة من الفريقين.

اسمه ونسبه:

جاء في خبرٍ رواه الفضل بن شاذان في كتاب الرجعة عن صفوان بن يحيى، عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام، قال ابن حمران قيل له: يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ـ إلى أن قال ـ وخروج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن، ولقبه النفس الزكية...»[1].

وروى الصدوق عن محمد بن محمد بن عصام، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن القاسم بن العلاء، عن إسماعيل بن علي القزويني، عن علي بن إسماعيل، عن عاصم بن حميد الحناط، عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «خروج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف البيداء، وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية»[2].

والرواية الأخيرة وإن كانت مشتملة على بعض المجاهيل فالرواية الأولى معتبرة ويرويها الفضل بسند آخر عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن مسلم الثقفي، ويتم الخبر إذا صحت النسبة إلى كتاب إثبات الرجعة.

وأما نسبه: فقد دلت رواية الفضل على أنه من أهل البيت؛ لأن فيها: «وقتل غلام من آل محمد» كما يقتضيه قول الصادق عليه السلام لأبي جعفر

---

(١) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦ ح ١٨.

(٢) كمال الدين: ٣٣٠ ح ١٦.

المنصور: «حتى تصيبوا منا دما حراماً...» كما سيأتي.

بـل في روايـة يـرويها ابن حماد عن سعيد أبي عثمان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «ثم يظهر السفياني الملعون فيظفر بهما جميعاً وترفع قـبل ذلـك اثنـتا عشر راية بالكوفة معروفة، ويقتل رجل من ولد الحسن يدعـو إلى أبـيه»[1] فهـي تدل على أن المقتول من ولد الحسن عليه السلام إذا كان المراد به النفس الزكية، فإن السياق يقتضي أنه مقتول في الكوفة من أجل دعوته لأبيه ولا ربط له بالنفس الزكية المتحدث عنه.

نعم روى العياشي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في كلام يذكر فيه صفات القائم عليه السلام: «ما أشكل عليكم، فلم يشكل عليكم عهـد نـبي الله صلى الله عليه وآله ورايـته وسلاحه، والنفس الزكية من ولد الحسين، فإن أشكل عليكم فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره..»[2].

مقتل النفس الزكية:

يـبدو أن قتل النفس الزكية إنما يكون في الحرم بمكة، جاء ذلك فيما رواه الشـيخ الطوسـي بسـنده عن عمار بن ياسر حيث قل: إذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة، فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخـوه بمكـة ضيعة، فيـنادي مـن السماء: إن أميركم فلان، وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا[3].

بـل تعيـنه الأخـبار المارة في البحث عن اسم النفس الزكية بوقوعه بين الـركن والمقـام، ويزيده تأكيداً ما رواه الكليني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام

---

(١) كتاب الفتن: ٧٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح ١١٧.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٨.

أنه قال في حديث للمنصور الدوانيقي: «لا تزالون في مهلة من أمركم وفسحة من دنياكم حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام»[1].

وهناك روايات أخرى تدل على قتل غلام، أو غلام وأخته في المدينة ويصلب فقد روى ابن حماد بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله بعدما يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش، فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمائة رجل، ويبقر البطون، ويقتل الولدان، ويقتل أخوين من قريش، رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة»[2].

وتزداد المسألة تعقيداً عندما يروي الكليني بسندين أحدهما معتبر عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له في حديث: «يا زرارة لابد من قتل غلام بالمدينة» قلت: جعلت فداك، أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: «لا ولكن يقتله جيش آل بني فلان، يجيء حتى يدخل المدينة فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله»[3].

وتتشعب عندما تضيف إليها رواية عقد الدرر القائلة في أصحاب السفياني: «فيصيرون ثلاث فرق، فرقة تسير نحو الري، وفرقة تبقى في الكوفة، وفرقة تأتي المدينة، وعليهم رجل من بني زهرة فيحاصرون أهل المدينة، فيقبلون جميعاً، فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة حتى يبلغ الدم الرأس المقطوع، ويقتل رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وامرأة واسم الرجل محمد

---

(١) الكافي ٨: ٣٧ ح ٧.

(٢) كتاب الفتن: ٨٨.

(٣) الكافي ١: ٣٣٨ ح ٩، وص ٣٣٧ ح ٥.

ويقال اسمه علي والمرأة فاطمة، فيصلبونهما عراة، فعند ذلك يشتد غضب الله تعالى عليهم، ويبلغ الخبر ولي الله تعالى فيخرج من قرية من قرى جرش...»[١].

غير أن هذه الروايات الدالة على قتل غلام في المدينة ليس فيها أن الغلام هو النفس الزكية فلعله غلام آخر وإن تشابه مع النفس الزكية في حلول غضب الله سبحانه بقتله.

على أن الرواية الأخيرة لم تصرح بأن قتله يكون في المدينة وإن كان المستفاد بحسب سياق الكلام ذلك، ولذلك لم نستدل على قتل النفس الزكية بالمدينة بمثل رواية ابن مسعود المارة: «يبعث جيش إلى المدينة فيخسف بهم بين الحماوين، وتقتل النفس الزكية» لأنها ليس فيها تقتل النفس الزكية في المدينة، فلا تنافي الروايات الدالة على قتله بمكة.

وهناك شخص آخر يعرف بالحسني يقتل قبيل ظهور القائم يحتمل كونه النفس الزكية سيأتي الكلام عنه.

كما جاء في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام أولها: «الا أيها الناس سلوني قبل أن تشرع برجلها فتنة شرقية ـ إلى أن قال ـ ولذلك آيات وعلامات أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق وتحريق الزوايا في سكك الكوفة وتعطيل المساجد أربعين ليلة، وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى، القاتل والمقتول في النار، وقتل كثير وموت ذريع وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين، والمذبوح بين الركن والمقام»[٢].

فهي كما هو واضح تتكلم عن نفس زكية أخرى تقتل في الكوفة مع سبعين من الصالحين، لا تنافي الروايات التي تدل وتعبّر عن النفس الزكية

---

(١) عقد الدرر: ٧٦.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

المبحوث عنها وهو المذبوح بين الركن والمقام.

زمان قتل النفس الزكية:

يبدو أن زمان قتل النفس الزكية متاخمٌ لظهور الإمام المهدي عليه السلام بحيث جاء في خبر يرويه الشيخ المفيد عن ثعلبة بن ميمون، عن شعيب الحذاء، عن صالح بن ميثم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس بين قيام القائم عليه السلام وبين قتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»[1].

وفي خبر آخر يرويه الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي بسنديهما عن صالح قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة»[2].

ومع ذلك فإن مقتضى رواية «حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام» كونه في الأشهر الحرم.

وإذا جمعناه مع ما دل على أن المهدي عليه السلام يظهر في العاشر من محرم وأن النفس الزكية تقتل قبله بخمس عشرة ليلة يكون قتله ليلة الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من ذي الحجة الحرام.

قصة النفس الزكية:

لم تخلُ العصور التي خلت والسنوات التي مضت من قتل المؤمنين على أيدي الظالمين بشتى أساليب القتل بعد إيصال الأذى إليهم أو سجنهم وتعذيبهم مهما كان ورعهم وإيمانهم وتقواهم وفيهم النفوس الزكية والراضية المرضية ولكن لم يكن واحد منهم علامة لظهور المهدي عليه السلام ولا خرج المهدي

---

(١) الإرشاد: ٣٦٠.

(٢) كمال الدين: ٤٦٩ ح ٢، غيبة الطوسي: ٢٧١.

بعده، فلابد من إرادة نفس زكية خاصة لها قصة خاصة ترتبط بنفس المهدي عليه السلام وحركته وقيامه، وهذا أمر لابد منه، وإن لم تذكره الأخبار المعتبرة.

نعم جاء في حديث ينقله المجلسي عن السيد علي بن عبد الحميد الذي يرفعه بدوره إلى أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال فيه: «يقول القائم عليه السلام لأصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني مُرسِل إليهم لاحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم، فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا؟!»[1].

فهي تدل على أن قاتل النفس الزكية هم أهل مكة وليس السفياني لعدم وصوله مكة.

ولعل هذا أمر طبيعي يصدّقه كل من دخل مكة وعاشر أهلها فإنه يتحسس جفاء الكثيرين منهم لأهل البيت عليهم السلام وأنهم لا يترددون في قتل كل من يتفوه بهذه الكلمات وأمثالها كما أنهم لم يترددوا في محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله عندما دبروا له ليلة الهجرة، ألا تعساً وبُعداً للقوم الظالمين.

قتل النفس الزكية سبب لغضب الله سبحانه:

لقد بانَ من الحديث السابق أن النفس الزكية من أصحاب المهدي عليه السلام يبعثه من أجل امتحان أهل مكة واختبارهم، إذ يقتلونه بغير سبب ولا

---

(١) البحار ٥٢: ٣٠٧ ح ٨١.

جـرم اجترمـه غير أنه بلّغ عن المهدي عليه السلام بأنهم أهل بيت اضطهدوا وقهروا وهـم أهـل بيـت الرحمة فقد جاء التعبير عن قتله في رواية عمار بن ياسر بأنه ضـيعة قـال: «إذا قـتل الـنفس الزكـية وأخـوه يقتل بمكة ضيعة، نادى منادٍ من السماء إن أميركم فلان، وذلك المهدي الذي يملأ الأرض حقاً وعدلاً»[1].

وكذا جاء في الخبر الذي يرويه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر: «وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة، فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة»[2].

وبذلـك يغضب الله سبحانه وتعالى عليهم كما جاء في الخبر الذي يرويه ابـن حـماد بسـنده عن عمار بن ياسر أيضاً قال: «إن المهدي لا يخرج حتى تقتل الـنفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فجاء الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس...»[3].

ولا يقع هذا الغضب على أهل مكة فقط، بل يقع على كل ظالم إما بقتله أو تنحيته من منصبه حتى يتسنى للمهدي عليه السلام إقامة العدل. كما أن قـتل الـنفس الزكـية لـيس هو السـبب الوحيد، ولعله آخر الأسباب فقد تقـدم أن قـتل الغـلام وأخـته في المديـنة هو الآخر يكون سبباً لغضب الله سبحانه، فقد جاء في الخبر الذي يذكر قتله: «فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله».

قتل النفس الزكية وأخيه:

تضـمنت روايـات عمـار بن ياسر قتل النفس الزكية وأخيه بينما روايات الغـلام الذي يقتل في المدينة تضمنت قتله وقتل أخته وهما محمد وفاطمة

---

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ٩٣.

(٢) الغيبة: ٢٧٨.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

مما يؤيد تغاير المقتولين كما أنّ المستشم من مجموع الروايات تباعد زمان القتلين؛ لأنه جاء في رواية الغلام المدني: «فعند ذلك توقع الفرج» الذي يتناسب مع طول المدة كما بينا في المقدمة، بينما رواية النفس الزكية تدل على مباشرة الظهور، وحددته بعض الأخبار بخمسة عشر يوماً.

الحسني والنفس الزكية:

جاءت رواية في كتاب الكافي تتكلم عن تحرك شخص حسني يبادر إلى الخروج قبل صاحب الأمر ليمسك بزمام الأمور عند سماعه بعزم الإمام عليه السلام على الخروج، ولكن يكون خروجه هو حتفه إذ يقتله أهل مكة.

فقد روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم؟ قال: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته، وظهر الشامي، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولامته وسرجه حتى ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده، ويلبس الدرع، وينشر الراية والبردة والعمامة، ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره، فيطّلع على ذلك بعض مواليه، فيأتي الحسني فيخبره الخبر، فيبتدر الحسني إلى الخروج فيثب عليه أهل مكة فيقتلونه ويبعثون برأسه إلى الشامي، فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه»[1].

---

(١) الكافي ٨: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ح ٢٨٥، ورواه النعماني بسند عن يعقوب السراج كتاب الغيبة: ٢٧٠ ح ٤٣، البحار ٥٢: ٢٤٢.

فهل إن هذا الحسني هو النفس الزكية الذي تحدثنا عنه، أو هذا قتيل آخر، يظل مفتاح الحل كامناً في قوله عليه السلام: «فيبتدر الحسني إلى الخروج» هل إن ابتداره سباق مع صاحب الأمر لاستلام السلطة، أو مبادرة لنصرته والتهيئة له، فإذا كان الأول اختلف مع محمد بن الحسن النفس الزكية الممدوح أو المبعوث من قبل صاحب الأمر.

وإن كان الثاني فلا استبعاد في اتحاده، غير أن هذه الرواية تدل على أن خروجه لم يكن بأمر من الإمام بل من نفسه، على خلاف ما دلت عليه الرواية التي أوردناها في قصة خروج النفس الزكية وهو الأنسب.

العلامة العاشرة

كسوف الشمس

خلاصة الكلام في كسوف الشمس

لعل من الثوابت عند علماء النجوم أن الكسوف إنما يتحقق في آخر الشهر ولايكون في وسط الشهر، كما أن خسوف القمر يكون في وسط الشهر ولا يكون في آخره، وذلك لأن الكسوف يتحقق بتوسط القمر بين الشمس والأرض ولا يتفق ذلك إلا في آخر الشهر، لأن الشمس والقمر يجتمعان في درجة واحدة.

فمن الأُمور التي ستتحقق قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام هو كسوف الشمس في وسط الشهر وخسوف القمر في آخره، عندها يسقط حسب المنجمين ويكون آية من آيات الله التي لم تتحقق منذ هبط آدم.

بل إن بعض الأخبار تدل على تكرر الكسوف في يومين متتاليين، وهو مما لم يحدث إلى الآن أيضاً، آية أُخرى عل عدم وفاء علوم البشر رغم التقدم العلمي، على أنها علائم ومؤشرات على حدوث تغييرات غير منتظرة، ولا سابقة، وهي العولمة المهدوية، وانفضاض جميع النظم والتقسيمات البشرية والجغرافية.

العلامة العاشرة:

كسوف الشمس

آخر ما نبحث فيه مما نصت الأخبار على أنه علامة على خروج القائم عليه السلام هو كسوف الشمس في شهر رمضان بكيفية خاصة وزمان مخصوص يميزه من بين الكسوفات الأُخرى التي يمكن أن تقع في كل شهر.

والميزة الأُولى: هي تكرر وقوعه حتى ورد أنه تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين.

مما لم يعهد عادة ولا هو داخل في حساب المنجمين وعلماء النجوم.

والميزة الثانية: هي وقوع الكسوف في وسط الشهر مما لايمكن عادة بحسب حساب المنجمين أيضاً.

والميزة الثالثة: تعقيبه؛ بالخسوف في آخر الشهر والذي هو الآخر مما لا يمكن ولا يتصور.

أما أصل الكسوف في شهر رمضان فقد دلت عليه أخبار عديدة كخبر الشيخ الصدوق الذي يرويه بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تنكسف الشمس لخمس مضين من شهر رمضان قبل قيام القائم عليه السلام»[1] وظاهر

---

(١) كمال الدين: ٦٥٥ ح٢٨، البحار٥٢: ٢٠٧ ح٤٣، ورواه العاملي عن كمال الدين في اثبات الهداة ٣: ٧٢٣ ح٣٧، ولكن فيه: لخمس بقين. وقال المجلسي في البحار: يحتمل وقوعهما معاً فلا تنافي ولعله سقط.

الكلام عن علامات القائم.

ويدل على أنه علامة على ظهور القائم مارواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة وأربع عشرة منه»[١].

فهي صرحت بأنه علامة على خروج المهدي عليه السلام، ولكن في سندها ضعف، وتؤيدها رواية الصدوق بسنده عن ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «اثنان بين يدي هذا الأمر خسوف القمر لخمس، وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين»[٢].

ولعل قوله «بين يدي هذا الأمر» دلالة على قرب وقوعه من ظهور القائم الملازم لكونه علامة عليه.

كما دلت الرواية السابقة على التعدد أيضاً مع تعيين زمان الكسوف الأول باليوم الثالث عشر منه والثاني في يوم الرابع عشر.

ويبقى الدليل على وقوعه في وسط الشهر وتعقيبه بخسوف القمر في آخر الشهر الرواية التي يرويها الشيخ الكليني والشيخ الطوسي بسنديهما عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأزدي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «آيتان تكونان قبل قيام القائم لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره» فقال رجل: يا ابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف، فقال أبو جعفر عليه السلام: «إني أعلم ما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام»[٣]

كأن هذا المعترض ظن أن الإمام قد أخطأ وسها حينما قال ذلك،

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٢ ح٤٧.

(٢) كمال الدين: ٦٥٥ ح٢٥.

(٣) الكافي ٨: ٢١٢ ح٢٥٨، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٤ ح٤٣٩.

فأراد أن يصلح كلامه، أو أراد أن يسأل الإمام عن كيفية تحقق ذلك مع أن الكسوف لايكون إلا في آخر الشهر والخسوف في وسطه، فأجاب الإمام عليه السلام بأن ذلك آية ومعجزة لم تكن منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، قد يستفاد منه وقوعها قبل هبوطه كعلامة على فناء أهل الأرض من النسناس في ذلك الوقت، وروى ذلك الشيخ المفيد عن ثعلبة الأزدي عن أبي جعفر عليه السلام، إلا أن فيه: «أنا أعلم بما قلت»[1].

ورواه النعماني بسنده كما في الكافي إلا أن فيه: فقال له رجل: يا ابن رسول الله لا، بل الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف فقال أبو جعفر عليه السلام: «إني أعلم بالذي أقول، إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم»[2]، ورواه الصدوق بسند آخر عن أبي جعفر عليه السلام [3].

والمهم أن الروايات الدالة على أصل تحقق الكسوف والخسوف كثيرة وطرقها متعددة مما ينفي الريب والشك عن أصل تحققه إن كان في علائميته تأمل.

فلا يبقى سوى زمان وقوع الكسوف والخسوف الذي اختلفت فيه الأخبار، فقد دلت الرواية الأُولى المعتبرة التي يرويها الصدوق على وقوع الكسوف لخمس مضين بينما يروي العاملي عن الصدوق لخمس بقين مما يدل على اختلاف نسخ كتاب كمال الدين مما يفقدنا الاعتماد على روايته من ناحية تعيين الوقت، بعد تأكيد الروايات على وقوع الكسوف في وسط الشهر وأنه آية من آيات الله لم تكن منذ هبط آدم، وإلا فالكسوف لخمس بقين أمر ممكن وواقع، ولعل الرواية في أصل النقل هي كسوف الشمس في وسط

---

(١) الإرشاد٢: ٣٧٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧١ ح٤٥.

(٣) كمال الدين: ٦٥٥ ح٢٥.

الشهر وخسوف القمر لخمس بقين أو شيء من هذا القبيل.

وروى الراوندي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «آيتان تكونان قبل قيام القائم لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين»[1].

وقد جاء التعبير بسقوط حساب المنجمين في رواية الصدوق المارة، وذلك لأن الكسوف يتحقق بتوسط جرم القمر بين الشمس وبين الناظرين، ولا يتحقق التوسط إلا في آخر الشهر لأن الشمس والقمر في آخر الشهر يجتمعان في درجة واحدة.

وعليه فإن كسوف الشمس في وسط الشهر كما دلت عليه أكثر الروايات أو في أول الشهر كما دلت عليه روايتا الصدوق ـ رحمه الله ـ تكون آية ومعجزة على خلاف حساب المنجمين.

مع أن النسخ في رواية الصدوق المعتبرة مختلفة كما بينا بين خمس مضين وخمس بقين، فلا يتعين منها وقوعه في أول الشهر ولا آخره، فتبقى روايات النصف المتعددة بلا معارض.

وأما خسوف القمر فالمعروف أنه لا يكون إلا في وسط الشهر، فوقوعه في آخر الشهر كما عليه أكثر الأخبار أو خمس مضين، كما جاء في رواية الصدوق الأولى حيث قال: «خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة» التي يحتمل سقوط كلمة تبقى، فتكون مثل رواية النعماني عن ورد ـ أخ الكميت ـ عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمس تبقى، والشمس لخمس عشرة، وذلك في شهر رمضان، وعنده يسقط حساب المنجمين»[2].

---

(١) الخرائج والجرائح٣: ١١٥٨.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٢.

فلم يبق إلا حديث تعدد الكسوف وعدمه، حيث دلت رواية النعماني المارة الدالة على وقوعه في اليومين الثالث عشر والرابع عشر من رمضان بمقتضى العطف بالواو، وتؤيده رواية ابن حماد عن شريك: قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين[1]، غير أن أكثر الروايات دلت على وقوعه في النصف الذي يعني الخامس عشر إلا أن نلتزم بإرادة وسط الشهر من النصف بقرينة قوله والقمر في آخره، وتفسره رواية النعماني بالثالث عشر والرابع عشر، ولكن رواية الصدوق الأُولى ورواية النعماني الأخيرة صرحت بأنه في الخامس عشر.

فيحتمل أن تكون رواية النعماني معطوفة بأو في أصل النقل يعني الثالث عشر أو الرابع عشر، ومعه لايكون فيها قدرة على منازعة روايات النصف التي هي الأكثر، خصوصاً مع الالتفات إلى ضعف رواية النعماني ورواية المرتين، وورود رواية النصف في الكتب المعتبرة ويرويها المشايخ الثلاثة بالإضافة إلى النعماني نفسه، فيكون الترجيح لها.

---

(١) كتاب الفتن: ٦١.

الأحداث

التي تسبق ظهور القائم

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام

هي الأمور التي دلت الأخبار على وقوعها قبل قيام القائم عليه السلام من دون تصريح بأنها علامة على خروج القائم، ولكن القرائن والشواهد تحكي قرب زمانها من زمانه، أو أن الروايات دلت على أنها علامة ولكن من المسلسلات التي بين أولها وآخرها فترة ليست بالقليلة، مثل اختلاف بني فلان، وخروج الكوكب ذي الذنب، وبثق الفرات وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وحدث بين الحرمين وركود الشمس، والقتل وغيرها.

وعندما كان من الصعب جداً إثبات الترتيب الزماني فيما بينها وكذا لحاظ الأهمية عدلنا إلى الحصر المكاني وعلائم كل نلحية وكل صقع، فتكون المباحث كالآتي.

١ ـ أحداث السماء.

٢ ـ أحداث العراق.

٣ ـ أحداث الحجاز.

٤ ـ أحداث الشام.

٥ ـ أحداث إيران.

٦ ـ العلائم الأخلاقية.

أحداث السماء

نار وحمرة في السماء:

تتحدث الأخبار عن ظهور نار في مواضع مختلفة وبصفات متمايزة مرة من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، ومرة بأرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، ومرة من المشرق وأُخرى من المغرب تقيل مع الناس إذا قالوا وتبيت معهم إذا باتوا وتأكل من تخلّف، ومرة نار تنتهي إلى الكناسة في الكوفة كناسة بني أسد حتى تمرّ بثقيف لا تدع وتراً لآل محمد إلا أحرقته، وغير ذلك.

ولعل ذلك جميعه غير العنوان الذي نتحدث عنه والنار التي نبغي الكلام عنها هي نار وحمرة تظهر في السماء ليالي معدودة فيها أعمدة كأعمدة اللجين تزجر الناس عن معاصيهم، فلا هي الخارجة من قعر عدن ولا في أودية الحجاز ولا الظاهرة من المشرق أو المغرب.

بل هي علامة تخرج في السماء.

فقد روى النعماني بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «إذا رأيتم ناراً من قبل المشرق شبه الهردي العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله عز وجل إن الله عزيز حكيم»[1].

ولعل الكثير من المطالعين لهذا الخبر يفهمون منه متاخمة زمان طلوع تلك النار لزمان ظهور القائم عليه السلام؛ لأن قوله «فرج آل محمد عليهم السلام» لايكون

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح١٣، وص٢٣٣ ح١٩.

إلا بظهوره عليه السلام، غير أني ذكرت مسبقاً عدم إمكان استفادة ذلك منها، لأنها دلت على توقع الفرج فقط، وهو يعني مرور زمان غير يسير قد يأتي على عمر المنتظر أو المنتظرين. وكذا فإن فرج آل محمد الذي يعني ذريته وشيعتهم قد يراد به ارتفاع الخوف والبلاء الشديد الذي أصابهم للفترة التي سبقت طلوع النار.

ومهما يكن من ذلك فالرواية حددت موضع النار قبل المشرق ووصفتها بأنها تشبه الهروي، وهو عيدان صفراء تطحن وتستعمل في الطعام تسمى الروائح أو الكركم.

فإذا دلت الرواية السابقة على توقع الفرج عند رؤية النار، فقد دلت رواية أُخرى على أنها علامة يرويها النعماني أيضاً بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي فعندها فرج الناس، وهي قدام القائم بقليل»[1] أكدت أن هذا الحدث يكون قدام القائم بقليل، مما يدل على قرب زمان تحققها من زمان ظهوره بأكثر مما تدل عليه رواية الأمر بتوقع الفرج.

والذي يصرفني عن التزام كونها من العلامات المتاخمة على ظهوره عليه السلام أمران، أحدهما عدم عدّها من العلامات على ظهوره في الأخبار، ولا التصريح بأن الحكمة فيها هي الظهور أو التمهيد له، بل دلت الأخبار أن الحكمة فيها هو ردع الناس عن معاصيهم.

فقد روى الشيخ المفيد بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلل السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلد البصرة، ودماء تسفك بها، وخراب دورها، وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار»[2].

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٧ ح٣٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٧٨.

والأمر الآخر: دلالة هذا الخبر على وقوع حوادث كثيرة بعد طلوع النار تطول مدة بعضها وهو شمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار، فليس هو خوف يوم واحد ولا سنة، بل هو خوف دائم لا يكون لهم معه قرار.

ولما قرنت هذه الرواية بين ظهور النار في السماء وظهور حمرة تجلل السماء، أمكن استفادة عدم متاخمتها من رواية ابن مهزيار التي يرويها عن صاحب الأمر عليه السلام وهي محاورة يسأله فيها الإمام عليه السلام: «يابن مهزيار كيف خلّفت إخوانك، بالعراق؟» فيجيب قلت: في ضنك عيش وهناة، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان، فقال: «قاتلهم الله أنى يؤفكون، كأني بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمر ربهم ليلاً ونهاراً» فقلت: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لاخلاق لهم والله ورسوله منهم براء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً، ويخرج السروسي من أرمينية وآذربايجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبل طالقان فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير، ويهرم منها الكبير ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات...»[1]، وتستمر الوقائع.

فأنت ترى أن رؤية الحمرة التي يراد بها النار المتكلم عنها بقرينة الرواية السابقة والتعبير بالظهور في السماء وكلمة ليالي والأعمدة، هذه الحمرة هي حدث يكون بعده أحداث طويلة منها حرب السروسي الذي يحتمل تصحيفه من كلمة الروسي لتقاربهما بالكتابة، لترك النساخ أسنان السين عامة فتتشابهان، كما ذكرت هذه الحرب يشيب فيها الصغير، وعندك الخبر، حتى لو أُريد بها الكناية عن ضراوتها.

---

(١) كمال الدين: ٤٦٥ ح٢٣.

على أن السؤال عن آخر بني الشيصبان الذين هم بنو العباس، وليس عن ظهور القائم عليه السلام.

بقي سؤال:

هل إن هذه النار من المعاجز السماوية، أو هي من صنع البشر وتدبيرهم؟

الجواب: أنها من صنع البشر على ما يبدو، لعدم التعبير في الأخبار بأنها آية أو معجزة كما جاء في الكسوف والخسوف في شهر رمضان وكذا الصيحة والخسف بالبيداء والآية في رجب وغيرها.

وهو أمر مقدور يمكن أن يكون من آثار بعض الأسلحة الستراتيجية والصواريخ، خصوصاً بعد التعبير بالأعمدة وما شابهه يُستمر ارسالها أيام، والحمرة هي الحادثة من الانفجارات التي تجلل السماء فهو ملحوظ في الحروب، كما يمكن أن يكون من انفجار بعض المصانع والمفاعلات النووية.

والذي يشجعني على هذا الزعم رواية الكناسة التي يرويها النعماني بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: «تأويلها فيما يأتي عذاب يقع في الثوية - يعني نار - حتى ينتهي إلى الكناسة كناسة بني أسد حتى تمر بثقيف لا تدع وتراً لآل محمد إلا أحرقته، وذلك قبل خروج القائم عليه السلام»[1].

وأوضح منها رواية الشجري قال قال ابن قلاويه: آية الحدث في رمضان نار تكون في السماء شبيها بأعناق النجب أو كأعمدة الحديد، فإذا رأيتها فأعد لأهلك طعام سنة قال، وربما قال: نار تطلع من السماء[2]، هذا عن النار، وهناك رواية في خصوص الحمرة تدلل على أنه أمر سماوي غيبي، وهي

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٢ ح ٤٨ والآية: ١ من سورة المعارج.

(٢) أمالي الشجري٢: ٢٧.

الـرواية التي يرويها النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا تقوم القيامة حتى تفقأ عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض»[١].

وأحد معاني العين هو الشمس وتفقأ أي تعوّر، فهو يعني حدوث شيء في الشمس يذهب به نورها ويصير الفضاء أحمر، والسبب في ذلك مهما كان التعبير عنه في العلوم الحديثة فهو دموع حملة العرش من الملائكة وغيرهم، أو أن الحمرة نفسها هي دموع حملة العرش التي تجري دماً على أهل الأرض من أجل ما يصيبهم، ويخلص من جميع ذلك ظهور الحمرة في السماء.

ونذكر بأن الأخبار التي اعتمدنا عليها واردة في كتب معتبرة ومتعددة، غير أن أسنادها مما لا تخلو من الخدشة.

فلا يمكننا سوى تسليم أصل ظهور النار دون باقي تفاصليها.

طلوع الشمس من مغربها:

هذا أمر مشهور معروف حتى بين عامة الناس كعلامة على ظهور القائم، وصرح به جماعة من العلماء كالشيخ المفيد[٢]، والشيخ الطبرسي[٣]، والعلامة الحلي[٤]، والشيخ عباس القمي[٥]، بل قال السيد نعمة الله الجزائري: استفاض في

---

(١) كتاب الغيبة: ١٤٧ ح٥.

(٢) الإرشاد ٢ : ٣٦٨.

(٣) تاج المواليد: ٧٠.

(٤) المستجاد من الإرشاد للعلامة الحلي: ٢٥٨.

(٥) الأنوار البهية: ٣٧٦.

الروايات أن طلوع الشمس من مغربها من علامات ظهور صاحب الدار عليه السلام [(١)].

وقد حققنا أن الروايات الذاكرة لطلوع الشمس من مغربها كثيرة منقولة بطرق مختلفة، يرويها العامة والخاصة، غير أنها لاتدل على أنها علامة على ظهور القائم، والمستفاد منها أنها تتحقق بعد ظهوره عليه السلام.

نعم هي علامة على الساعة ومن الأمور التي لا تقبل التوبة عند تحققها حيث لاينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وهي الوقت المعلوم الموعود به الشيطان.

وهناك اختلاف في حقيقتها وكنهها وتفسيرها، وهل تطلع الشمس من المغرب حقيقة أو هو كناية عن ظهور القائم عليه السلام أو شيء آخر؟ تحتاج الإجابة على ذلك إلى استعراض الأخبار الواردة في هذا المجال.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن حذيفة بن أُسيد الغفاري قال: كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في غرفة فاطلع علينا فقال: «فيم أنتم؟» فقلنا: نتحدث، قال: «عم ذا؟» قلنا: عن الساعة، فقال: «**إنكم لاترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وثلاثة خسوف في الأرض: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون آخر نار تخرج من اليمن**»[(٢)].

فلعل هذه الرواية تدل على أن طلوع الشمس قبل ظهور القائم عليه السلام بقرينة قوله بعد ذلك «وخسف بجزيرة العرب» الذي هو الخسف بجيش السفياني قبل ظهوره، وهو من العلامات على الظهور كما مر.

---

(١) نور البراهين ٢: ٧٩.

(٢) الخصال: ٤٤٩ وص٤٣١، وانظر روضة الواعظين: ٤٨٤، الحكم والمواعظ: ٣٤٣، سنن أبي داود٢: ٣١٧ ح٤٣١١.

ولكن الترتيب الذكري في الأخبار لا يمكن الاعتماد عليه؛ لاختلاف الروايات فيما بينها في التقديم والتأخير، فواحدة تقدم طلوع الشمس وأخرى تقدم الخسف وهكذا.

كما جاء في الخبر الذي يرويه علي بن يونس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: «**عشرة قبل الساعة لابد منها: السفياني، والدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر**»(١).

فالملاحظ أن هذه الأخيرة قدمت الدجال والدابة على طلوع الشمس من مغربها، بينما الرواية السابقة قدمت طلوع الشمس عليهما.

وروى الراوندي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**عشر علامات قبل الساعة لابد منها: السفياني والدجال والدخان والدابة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر**»(٢).

فقد اختلفت في التقديم والتأخير مع الروايات السابقة، وجعلت طلوع الشمس من مغربها بعد خروج القائم عليه السلام.

فإذا كانت الرواية الأُولى أوضح سنداً من هذه الأخيرة فهنالك رواية يرويها الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سأل رجل أبي صلوات الله عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان السائل من محبينا، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم في ذلك اليوم، فيومئذ لا ينفع نفس إيمانها لم

---

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٩.

(٢) الخرائج والجرائح ٣: ١١٤٨ ح٥٧.

تكن آمنت من قبل»[١].

ومعلوم أن الحروب لا تضع أوزارها إلا بعد ظهور القائم وانتشار العدل، فهي تدل على أن طلوع الشمس بعد أن تضع الحرب أوزارها بعد ظهور القائم عليه السلام.

بل هي في آخر الزمان كما جاء في الخبر المروي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ قال: «وسيريكم في آخر الزمان آيات، منها دابة الأرض، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها»[٢]، وما نزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج الدابة إلا بعد ظهور القائم عليه السلام كما سيأتي الكلام فيه، فيكون طلوع الشمس كذلك، ويكون المراد آخر الزمان الذي لا يكون بعده آخر.

ويؤيد ذلك ما رواه ابن حماد بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«إذا نزل عيسى بن مريم وقتل الدجال تمتعوا حتى تجيء ليلة طلوع الشمس من مغربها، وحتى تتمتعوا بعد خروج الدابة أربعين سنة لايموت أحد ولا يمرض، ويقول الرجل لغنمه ودوابه: اذهبوا فارعوا كذا في مكان كذا وكذا وتعالوا ساعة كذا كذا...»**[٣]، مما ظاهره أن تحقق ذلك بعد ظهور القائم وبسط العدل.

بل هو آخر الأمور عند نهاية الخلق كما جاء في الخبر الذي يرويه ابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«ثم إن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمّن المسلمون، فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق العراق حتى تنتن الأرض من**

---

(١) الكافي٥: ١٠ ح٢.

(٢) تفسير القمي١: ١٩٨ في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، والآية ٣٧ في سورة الأنعام.

(٣) كتاب الفتن: ١٦٣، الملاحم والفتن: ٩٧.

جيفهم، ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الأرض من جيفهم ونتنهم، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها»[١].

نعم هناك رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تدل على بقاء الناس بعد طلوع الشمس لفترة نسل واحد يرويها في عقد الدرر عنه عليه السلام أنه قال: «**ألا وتكون الناس بعد طلوع الشمس من مغربها كيومهم هذا، يطلبون النسل والولد، يلقى الرجل الرجل فيقول: متى ولدت؟ فيقول: من طلوع الشمس من المغرب، وترفع التوبة، فلا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، هو التوبة**»[٢]، وقد دلت رواية ابن حماد على أنها أربعون سنة من يوم خروج الدابة، وخروج الدابة مقارب لطلوع الشمس من مغربها للخبر الذي يرويه الطيالسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، أو خروج الدابة على الناس ضحى... فأيتها كانت قبل صاحبتها فالأُخرى على أثرها قريباً**»[٣].

ولا أدري من أين أتى القائلون بأن طلوع الشمس من مغربها من علائم ظهور القائم عليه السلام بذلك، فإني لم أجد على ذلك دليلاً، وليس ما يدل عليه سوى شهرته، ورب مشهور لا أصل له.

وأما عدم قبول التوبة عند طلوع الشمس من مغربها فقد دلت عليه عدة روايات كرواية الكليني السابقة ورواية ابن أبي شيبة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ثلاث إذا خرجن لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة**»[٤].

---

(١) جامع البيان١٧: ٦٩.

(٢) عقد الدرر: ٣٢٦.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي٩: ٢٩٧ ح٢٢٤٨.

(٤) المصنف١٥: ١٧٨ ح١٩٤٤٢، مسند أحمد٢: ٤٤٥، سنن الترمذي٥: ٢٦٤ ح٣٠٧٢.

ورواية الطيالسي عن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة**»[1].

ورواية الطيالسي الأُخرى عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2] ويبسط يده بمعنى أن الله يفتح باب التوبة في الليل ليتوب على من أذنب في النهار وبالعكس.

وفي رواية يرويها أحمد بن حنبل عن رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لاينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل**»[3].

فهي تدل على حتمية طلوع الشمس من مغربها، كما دلت عليه بعض روايات العلامات العشر المتقدمة؛ لأنه قال في بعضها: «إنكم لا ترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات» وفي رواية أُخرى «عشرة قبل الساعة لابد منها».

بالإضافة إلى الرواية المصرحة بذلك وهي رواية الشيخ المفيد بسنده عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام خروج السفياني من المحتوم؟ قال: «نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها محتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد محتوم»[4].

---

(١) مسند أبي داود: ٣٣٢.

(٢) مسند أبي داود: ٦٦.

(٣) مسند أحمد ٢: ٢٢١ و٣١٣ و٥٣٠.

(٤) الإرشاد ٢: ٣٧١، عن الفضل بن شاذان عمّن رواه عن أبي حمزة، ونقله العلاّمة الحلّي في المستجاد: ٢٥٨ بنفس السند.

وأما الدليل على أن طلوع الشمس من مغربها هو الوقت المعلوم فهو رواية الطبراني عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إذا طلعت الشمس من مغربها يخر إبليس ساجداً ينادي إلهي مرني أن أسجد لمن شئت، فتجتمع إليه زبانيته فيقولون: ياسيدهم ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا، فأول خطوة تضعها بأنطاكية، ثم تأتي إبليس فتلطمه»[1].

طلوع الشمس من مغربها حقيقة أو كناية؟

فالدلالات من الطرفين موجودة، طائفة من الروايات تدل على أنها حقيقة وتفصّل كيفية ذلك، وأُخرى تدل على أن ذلك مجرد كناية.

ومن الطائفة الأُولى رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله قال فيها:

«وطلوع الشمس من مغربها، يكون طول تلك الليلة ثلاث ليال لايعرفها إلا الموحدون أهل القرآن، يقوم أحدهم جزءه فيقول: قد عجلت الليلة، فيضع رأسه فيرقد ثم يهب من نومه، فيسير بعضهم إلى بعض فيقولون: هل أنكرتم ما أنكرنا؟ فيقول بعضهم لبعض: غداً تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها فعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[2].

فهي تدل على أن طلوع الشمس من مغربها أمر حقيقي وواقعي يكون ذلك على أثر ليلة طويلة تزيد على ثلاثين ساعة.

ومنها رواية المناوي عن ابن عباس: «طلوع الفجر أمان لأُمتي من

---

(١) المعجم الأوسط ١: ٩٨ ح٩٤.

(٢) الداني: ١١٢ ـ ١١٣، جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

طلوع الشمس من مغربها، فما دام يطلع، فالشمس لا تطلع من مغربها، فإذا لم يطلع طلعت ذلك اليوم من المغرب؛ فإن الفجر هو مبادئ شعاعها عند قربها من الأفق»[1]، فهي تتكلم عن أمور حقيقية هي طلوع الفجر كل يوم وعدم طلوعه ليلة طلوع الشمس من مغربها.

ومنها رواية عبد الله بن عمرو قال: إن الشمس تطلع من حيث يطلع الفجر، فإذا أرادت أن تطلع تقاعست حتى تضرب بالعمد وتقول: يارب إني إذا طلعت عبدت من دونك، فتطلع على ولد آدم فتجري حيث تأتي المغرب فتسلم فيرد عليها وتسجد فينظر إليها ثم تستأذن فيؤذن لها فتجري إلى المشرق والقمر كذلك، حتى يأتي عليها يوم تغرب فيه فتسلم فلا يرد عليها وتسجد فلا ينظر إليها، ثم تستأذن فلا يؤذن لها، فتحبس حتى يجيء القمر ويسلم فلا يرد عليه ويسجد فلا ينظر إليه ثم يستأذن فلا يؤذن له، ثم يقال لهما ارجعا من حيث جئتما، فيطلعان من المغرب، كالبعيرين المقترنين، فذاك قوله عزوجل ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[2].

وأظن أن هذه الأخيرة هي من نسيج خيال بعض السوداويين لا أكثر.

وأما الطائفة الثانية الدالة على أن طلوع الشمس من مغربها مجرد كناية عن أمر عظيم، فهي روايات، منها رواية الشيخ الصدوق بسنده عن النزال بن سبرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أمر الدجال ويقول في آخره: «لا تسألوني عما يكون بعد هذا؛ فإنه عهد إليّ حبيبي عليه السلام أن لا أُخبر به غير عترتي»، قال النزال بن سبرة: فقلت لصعصعة بن صوحان: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟ فقال صعصعة: يا ابن سبرة إن الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد

---

(١) فيض القدير ٤ : ٣٥٨.

(٢) الداني: ١٤٧ والآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

الحسين بن علي عليهما السلام، وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ويضع الميزان بالقسط فلا يظلم أحداً أحداً، فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام أن حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة»[1].

فهي تدل بوضوح على أن طلوع الشمس من مغربها مجرد كناية عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام من غير الجهة التي يترقب الناس خروجه منها، كما أن طلوع الشمس من مغربها هو طلوعها من غير الجهة المترقبة كطلوعه من الكوفة التي هي مستقره النهائي حسب ما هو مشهور ومترقب، أو حتى الروم الذي هو آخر ما يقصده ويصل إليه وهم أخواله فيكون قد ظهر في أخواله، أو من محل غيبته وغروبه، ولكن الرواية نفسها صرحت بظهوره بين الركن والمقام، فلعل المراد هو مغرب الجزيرة العربية مكة، كما يحتمل قوياً أن يكون له ظهوران واحد في الكوفة والآخر في مكة كما بينا ذلك في عنوان شعيب بن صالح.

ولا يثبت شيء من الطرفين، لا حقيقة طلوع الشمس من مغربها ولا كونه كناية عن ظهور القائم عليه السلام بهذه الروايات الضعيفة السند، بل لا يثبت جميع ما تقدم حتى أصل طلوع الشمس من مغربها لضعف جميع الروايات إلا أن تكتفي بالشهرة وتكرر نقلها في الأخبار.

طلوع النجم المذنب:

لما كان النجم المذنب لا يطلع إلا في فترات خاصة من عمر الأرض أمكن أن يكون طلوعه من العلائم الواضحة على مقارناته وما يعقبه ويخلفه من الحوادث، التي منها ظهور القائم عليه السلام وقد صرّحت الأخبار بعلائميته على ذلك من دون التصريح بمتاخمته، بل يستفاد منه العكس من ذلك؛ لما رواه

---

(١) كمال الدين: ٥٢٧، مستدرك السفينة٣: ٢٥٠، وج٦: ٥٣.

الخزاز بسنده عن علقمة بن قيس قال: خطبنا أمير المؤمنين على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيها: «وإني ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب فارتقبوا الفتنة الأُموية والمملكة الكسروية، وإماتة ما أحياه الله وإحياء ما أماته الله، واتخذوا صوامعكم بيوتكم وعضوا على مثل جمر الغضا، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فذكره أكبر لو كنتم تعلمون، ثم قال: وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل.

ثم يذكر حكام بني العباس ويقول: وتعمل القبة الغبراء ذات القلادة الحمراء في عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب الدرية، ألا وإن لخروجه علامات عشراً: أولها طلوع الكوكب ذي الذنب ويقارب من الحاوي ويقع فيه هرج ومرج وشغب، وتلك علامات الخصب، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا انقضت العلامات العشر إذ ذاك يظهر بنا القمر الأزهر وتمت كلمة الإخلاص لله على التوحيد...»[1].

فقد دلت هذه الرواية على أن طلوع الكوكب المذنب هو أول العلامات العشر التي يكون بين العلامة منها إلى العلامة الأُخرى عجب، مما يعني عدم متاخمته لظهور القائم عليه السلام الذي يظهر بعد تحقق العلامات العشر.

ولقد شوهد الكوكب المذنب عام ١٩١٠م، ثم شوهد أُخرى عام ١٩٨٥م. إذا كان المراد هو الجرم السماوي الذي يدور حول الشمس له نواة صغيرة تحيط بها هالة غازية يمتد منها ذنب غازي طويل جداً بما عرف بـ«هالي».

مما يؤيد إرادة ذلك تسميته بالكوكب المذنب في رواية البرسي الذي يروي عن الأصبغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته وذكر الخطبة السابقة إلا أن فيها: «ألا وإن لخروجه علامات أولها: تحريف الرايات في أزقة الكوفة، وتعطيل المساجد، وانقطاع الحاج، وخسف وقذف

(١) كفاية الأثر: ٢١٣.

بخراسان، وطلوع الكوكب المذنب، واقتران النجوم، وهرج ومرج، وقتل ونهب فتلك علامات عشر، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تمت العلامات قام قائمنا قائم الحق»[١].

وهي أكثر معقولية من سابقتها من ناحية مجموع العلامات العشر التي لم تذكر الرواية الأُولى منها سوى خمس علامات مع شدّة إجمالها بعد عدم وجود مرجع معين لضمائرها، واختلاف النسخ التي في بعضها الحادي بدل الحاوي وفي البعض الآخر الجاري، والجميع لا يتصور له معنى محصل.

ولكن هناك رواية تذكر انعطافه جاء فيها: «يطلع نجم بالمشرق يضيىء كما يضيىء القمر ينعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد»[٢]، مما يُحدث الترديد في إرادة الكوكب المذنب المذكور، فإنه وإن كان فيه بعض الإنعطاف ولكن ليس بذلك الحد، وكذا ما هو مضيىء بمقدار إضاءة القمر، الذي تؤكده رواية ابن طاووس التي جاء فيها: «يطلع نجم بالمشرق له ذنب يضيىء لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر»[٣].

فلو صحّت هذه الرواية لدلت على إرادة مذنّب آخر لم يطلع بعد، غير أن ابن طاووس يرويها عن ابن حماد، والموجود من رواية ابن حماد التي يرويها عن كعب أنه قال: «يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذناب»[٤].

وفي رواية أُخرى عن ابن مسعود قال: «تكون علامة في صفر، ويبتدأ نجم له ذناب»[٥].

---

(١) مشارق البرسي: ١٦٤.

(٢) فرائد فوائد الفكر: ٦.

(٣) الملاحم والفتن: ٤٦

(٤) كتاب الفتن: ٦١.

(٥) كتاب الفتن: ٥٩.

فهي تبدو أكثر معقولية من غيرها، وأكثر مطابقة لما يعرف بالكوكب المذنب هالي الذي ذكرناه.

ولولا توافق هذه الروايات الأخيرة في تحديد طلوعه من المشرق، لما كان من البعيد إرادة الوسائل الحديثة التي تطير في السماء كالطائرات الحربية التي لها ذنب من الدخان أو ما يشبه الأقمار الصناعية التي سيصنعها البشر فيما بعد. غير أن تقييد خروجه من المشرق يبعد ذلك عن الأذهان.

ثم إن بعض الأخبار تذكر ذلك بنحو آخر، منها الخبر الذي يرويه النعماني بسنده عن كعب الأخبار جاء فيه: «إن القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهي الري.. وخسف المزورة وهي بغداد و...»[1].

فهي تصفه أنه أحمر، كما أن النجم المذنب هالي أحمر اللون، ولكن الرواية نفسها يرويها عنه المجلسي وفيها النجم الآخر، بدل النجم الأحمر، ولكن لا معنى له.

والذي يهوّن الخطب عدم صحة أسناد الروايات التي ذكرناها، مما يجعلنا في فسحة من الالتزام بشيء من ذلك، إلا أن يثبت من مجموعها أصل الكوكب المذنب فقط.

الأمطار الغزيرة:

بينما تتحدث بعض الأخبار العامية عن شحة ماء الفرات وخروج جبل من ذهب، تتحدث أخبارنا عن سنة غيداقة كثيرة المطر قبل ظهور القائم عليه السلام بل هي نفس سنة ظهوره على ما جاء في بعض الأخبار، يرتفع

---

(١) كتاب الغيبة: ١٤٦.

على أثرها منسوب ماء الفرات ويحصل فيه بثق فيدخل أزقة الكوفة على ما سيأتي في الحديث عن أحداث العراق.

روى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بسنديهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قدام القائم عليه السلام لسنة غيداقة يفسد فيها الثمار والتمر في النخل، فلا تشكّوا في ذلك»[1].

دلت على كثرة المطر بحيث يؤدي إلىفساد الثمار والتمر وهي في الشجر من كثرة الماء والرطوبة العالية، وتكون لتلك السنة أو السنوات ميزة يعرف فرقها عن باقي السنين جميع سكان العالم، بحيث لايبقى شك لدى المنتظرين من أن هذه السنة أو السنوات هي الموعود بها: كعلامة على ظهور القائم عليه السلام، فلا مجال مع وقوع ذلك من التشكيك رغم اليأس من ظهوره عليه السلام واستبعاده.

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي أيضاً عن سعيد بن جبير أنه قال: إن السنة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة ترى آثارها وبركاتها[2].

فإن الرواية الأُولى وإن ذكرت فساد الثمر والتمر من جراء كثرة المطر ولكن لايعني ذلك فقدان هذا المطر للبركة من ناحية أُخرى كازدياد الخضرة ونبات الأرض والمرعى بحيث تُشهد بركات ذلك المطر كما جاء في الرواية الثانية في أكثر ربوع العالم.

وهناك أخبار أُخرى تتحدث عن كثرة المطر قبل الساعة ولكنها تصفه بأنه عديم البركة كالذي يرويه الحاكم بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي نفسي بيده لاتقوم الساعة على رجل يقول لاإله**

---

(١) الإرشاد: ٣٦١، الغيبة: ٢٧٢.

(٢) الإرشاد٢: ٣٧٣، الغيبة: ٤٤٣ ح٤٣٥.

إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ إلى أن قال ـ وحتى تمطر السماء ولا تنبت الأرض»[١].

وفي رواية أُخرى عن أنس بن مالك يقول: من اقتراب الساعة ظهور المعادن وكثرة المطر وقلة النبات[٢].

وفي ثالثة يرويها ابن حماد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً لايكنّ منه بيوت المدر، لايكنّ منه إلا بيوت الشعر»**[٣] ويكن بمعنى يحفظ.

فلعل هذا مطر آخر غير الذي تحدثنا عنه أولاً، لأن المراد بالساعة هي ساعة القيامة.

---

(١) مستدرك الحاكم٤: ٤٩٥.

(٢) كتاب الفتن: ٣٩٣.

(٣) كتاب الفتن: ٣٩٢.

أحداث العراق

أحداث بغداد

تنبأ النبي ﷺ وأمير المؤمنين ببناء مدينة الزوراء بغداد الحالية بأورع بناء وأحدثه مع التشاؤم من ملوكها الجبابرة الذين يحكمون فيها من بني العباس وغيرهم يؤثرون أنواع الظلم والغدر، ونزوع أهلها إلى الفساد وارتكاب الذنوب واللهو والفجور.

فقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيلة والفرات فلو رأيتموها مشيدة بالجص والآجر مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستسقا والمرمر والرخام وأبواب العاج والأبنوس والخيم والقباب والشارات وقد علّيت بالساج والمرمر والصنوبر والخشب وشيّدت بالقصور وتوالت عليها ملوك بني الشيصبان أربعة وعشرون...»[1].

وفي نقل آخر: «ملعون من سكنها، منها تخرج طينة الجبارين تعلى فيها القصور، وتسبل الستور، ويتعلّون بالمكر والفجور، فيتداولها بنو العباس (٤٢) ملكاً على عدد سنيّ الملك، ثم الفتنة الغبراء، والقلادة الحمراء في عنقها قائم الحق»[2].

وأقبح ما ينقل من الأُمور التي تحدث فيها هو ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام لحباب الراهب الذي بنى مسجد براثا المعروف قال له:

---

(١) كفاية الأثر: ٢١٣.

(٢) مشارق البرسي: ١٦٤.

«يا حباب ستبنى إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء، حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدّوا على مسجدك بفطوة...»[١].

ولما لاحظنا مجموع الأخبار الناقلة للحوادث التي تحدث في بغداد وجدنا أهم ما فيها هو حكومة بني العباس الطويلة العريضة تنتهي باختلاف يحدث فيما بينهم ويسلط الله عليهم علجاً من حيث بدأ ملكهم، أي المشرق، فتزول دولتهم.

والأخبار متوالية متواترة على أن أول علامات الفرج هو اختلاف بني فلان أو بني العباس وزوال ملكهم، فأول مانبحثه من الأحداث هو اختلاف بني فلان ثم نعطف على باقي الأحداث والوقائع إلى دخول السفياني الذي تكلمنا عنه مسبقاً.

اختلاف بني فلان:

لايخلو شيء من بلدان العالم خصوصاً منطقة الشرق الأوسط من الحركات السياسية والعسكرية والانقلابات وتقلبات الأوضاع الحاكمة، وما من دولة قامت ولا من نظام سادَ إلا وله مناوؤه والخارجون عليه.

ومعه لا يكون مثل حركة اليماني والسفياني والخراساني من العلامات الواضحة التي يصلح أن تكون علامة على ظهور الإمام عليه السلام يعتمد عليها المنتظرون؛ لأن الحركة في اليمن وخروج رجل من اليمن قد يتكرر على مر التاريخ، وكذا الخارج في خراسان أو الشام الموسوم بالسفياني.

فكان هذا التصوّر يغلب على الناس عند نشوء كل تحرك في اليمن أو الشام أو خراسان بأن الخارج هو اليماني أو الخراساني، بل قد يستغل

---

(١) اليقين: ١٥٦.

السياسيون والقادة الناهضون في كل صقع من تلك المصطلحات التي عرفها الناس واشتاقوا إليها كمصطلح اليماني والخراساني واسم المهدي في مجال انجاح ثوراتهم وتحركاتهم السياسية والنظامية.

فكان هذا الأمر يحدث حتى في زمان الأئمة لما خرج طالب الحق قيل لأبي عبد الله عليه السلام نرجو أن يكون هذا اليماني، فقال: «لا، اليماني يتوالى علياً وهذا يبرأ منه»[1].

ولذا جاء التأكيد في الأخبار على زوال دولة العباسيين أولاً وقبل كل العلائم بياناً لماهية كل تحرك في البلدان التي ينتظر المنتظرون حصول التحرك فيها كعلامة لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وبعد هذا التأكيد يعلم أن كل خارج من هذه البلدان قبل زوال دولة العباسيين ليس هو الموعود به ولا هو من العلائم.

وقد نجح هذا التأكيد للفترة التي استدام بها ملك بني العباس أعني القرن السابع الهجري، فلما زالت هذه الدولة عادت التوهمات من جديد حتى تمكن البعض من إيهام المنتظرين في مجال تمشية أغراضهم السياسية مهما كانت نواياهم ومقاصدهم، خيّرة وصادقة.

فلا محيص عن استعراض الأخبار الواردة في ذلك لكي نقف على الحقيقة في هذا التعتيم، ونستنير الطريق الأصوب في متاهات الأيام وحوالك الدهور.

فالذي يدل على أن اختلاف بني العباس من العلامات معتبرة جابر بن يزيد الجعفي قال، قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها، أولها: اختلاف بني العباس وما أراك تدرك ذلك ولكن حدّث به من بعدي

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٦١ ح١٣٧٥.

عني، ومناد ينادي من السماء ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح...»[1].

فهي وإن دلت على أن اختلاف بني العباس من العلامات، ولكن ليست هي العلامات على خروج الإمام المهدي عليه السلام وإنما هي علامات ترك لزوم الأرض، ولو كانت هي علامات ظهور القائم فهي من المسلسلات التي تذكر أحداثاً تحدث متتالية قد يفصل بينها قرون تنتهي بظهور القائم، يريد: لا تحرك ساكناً حتى تتم كل تلك العلامات ويظهر القائم عليه السلام.

ورواها الشيخ الطوسي إلا أن فيها: «اختلاف بني فلان» بدل اختلاف «بني العباس»[2].

وروى النعماني بسنده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «لابد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا وهذا من هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما»[3].

بينما الوارد في رواية النعماني الأخرى: «لابد لبني فلان من أن يملكوا» بدل لابد أن يملك بنو العباس[4]، والمهم أن خروج السفياني والخراساني عليهم دليل على أن اختلافهم وهلاكهم هو من علامات ظهور القائم عليه السلام.

وفي رواية ثالثة يرويها النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ملك بني العباس يسر لا عسر فيه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لن يزيلوه، ولا يزالون في غضارة من ملكهم حتى يشذّ

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩.

(٢) الغيبة: ٤٤١.

(٣) الغيبة: ٢٥٩ ح١٨.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح١٣.

عنهم مواليهم وأصحاب دولتهم، ويسلط الله عليهم علجاً من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا هدّها، ولا نعمة إلا أزالها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به»[1].

ودلالة هذه الرواية على خروج الخراساني الذي يدفعها إلى الشخص الذي يقول بالحق ويعمل به ـ أي الإمام المهدي عليه السلام ـ لدليل على أن هلاكهم علامة من علامات الظهور.

وفي رواية رابعة يرويها عن يعقوب السراج قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم؟ قال: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع، وخلعت العرب أعنتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته، وظهر السفياني، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني خرج صاحب هذا الأمر»[2].

فهي تذكر عدة علامات منها اختلاف ولد العباس وضعف حكومتهم.

وفي رواية خامسة يرويها النعماني عن ابن أبي يعفور قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «امسك بيدك هلاك الفلاني ـ اسم رجل من بني العباس ـ وخروج السفياني، وقتل النفس، وجيش الخسف، والصوت».

ثم قال: «الفرج كله هلاك الفلاني، من بني العباس»[3].

ولا يعني قوله الفرج كله هلاك العباسي الذي هو آخر ملوك بني العباس سوى أنه علامة على ظهور القائم عليه السلام.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٩، والعلج هو الرجل الأعجمي.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٨.

وفي رواية سادسة هي رواية المفضل: «إن للقائم من ولد علي عليه السلام غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى عليه السلام بن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء، وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد، وخروج السفياني وحرب ولد العباس مع فتيان ارمينية وآذربايجان، تلك حرب يقتل فيها أُلوف وألوف كل يقبض على سيف محلى تخفق عليه رايات سود، تلك حرب يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأغبر»[1].

فخروجه عليه السلام مع حرب بني العباس وفي زمانها لدليل على بقاء ملكهم إلى ظهوره عليه السلام.

وفي رواية سابعة عن سلمان الفارسي قال: أتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خالياً فقلت: يا أمير المؤمنين متى القائم من ولدك؟ فتنفس الصعداء وذكر كلاماً قال فيه: «فإذا قُتلت ملوك بني العباس أُولي العمى والالتباس.. وخربت البصرة هناك يقوم القائم من ولد الحسين عليه السلام»[2].

وهناك روايات أُخرى دالة على علائمية اختلاف بني العباس وانقراض ملكهم على ظهور القائم عليه السلام نعرض لها بالتدريج.

وإذا كان اختلافهم علامة فهل هو من المحتوم أو ليس من العلامات الحتمية؟ دلت الأخبار المعتبرة وغيرها على أنه من المحتوم، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر كان يقول: «إن خروج السفياني من الأمر المحتوم؟» قال لي: «نعم واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم...»[3].

---

(١) كتاب الغيبة: ١٤٧.

(٢) العدد القوية: ٧٥ ح١٢٦ مرسلاً.

(٣) كمال الدين: ٦٥٢ ح١٤.

ورواه الكليني بسند معتبر والشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد[1]، وكذا الشيخ الطوسي إلا أن فيه «واختلاف بني فلان من المحتوم»[2].

ومهما يكن من ذلك فالأخبار كما ترى دالة على أن اختلاف بني العباس من العلائم على ظهور القائم بل هو من العلائم الحتمية دون الموقوفة.

وإنما أوردنا كل تلك الأخبار لتتأكد من العلائمية ثم الحتمية وتستيقن منه.

ولكن الخبير قد يلاحظ على هذه الأخبار والاستدلال بها بعض الملاحظات نذكرها كما يلي:

١ ـ عدم تصريح الأخبار بأن اختلاف بني العباس وهلاكهم من العلائم على خروج الإمام المهدي عليه السلام، غاية ذلك صرّحت الرواية الأُولى بترك التحرك ولزوم الأرض حتى ترى علامات منها اختلاف ولد العباس، ولو كان من العلامات على ظهوره فهو من المسلسلات التي بين العلامة والتي تليها زمان لايمكن تحديده، وقد يفصل بينهما قرون كما بينا، وذلك بقرينة قوله: أولها اختلاف بني العباس.

وباقي الروايات بين أن تذكر أنه من علامات الفرج الذي يمكن أن يراد به رفع الخناق عن الشيعة، أوتذكر حوادث تطول بعد اختلافهم وهلاكهم قبل ظهور القائم عليه السلام.

٢ ـ يروي جميع هذه الأخبار رجل واحد وهو النعماني، مع أن غيره إذا روى قال «بني فلان» ولم يقل «بني العباس»، فلعل تغيير بني فلان إلى كلمة بني العباس اجتهاد من النعماني.

---

(١) الكافي٨: ٣١٠ ح٤٨٤، الإرشاد: ٣٥٨.

(٢) الغيبة: ٢٦٦.

٣ ـ أكثر هذه الروايات التي أوردناها هناك روايات تقابلها جاء فيها «بنو فلان» بدل بني العباس حتى من نفس النعماني.

٤ ـ كيف يكون اختلاف بني العباس من العلائم وقد انقضى ملكهم من يوم استولى هولاكو على بغداد، مما يمضي عليه أكثر من سبعة قرون.

فلابد في هذه المرحلة من صرف النظر عن بني العباس وتسليط الضوء على «بني فلان» كعلامة مستقلة، لنرى مدى علائميتها وحتميتها ثم نرجع للجمع بين العلامتين أو التفريق والبت في حال بني العباس.

فالروايات الدالة على علائمية اختلاف بني فلان أكثر من روايات بني العباس ولها مصادر وطرق متفاوتة جاء بعضها عند سرد روايات بني العباس محاولة منا لتقريب الوحدة بين الكلمتين، أعني بني العباس وبني فلان، ونضيف هنا روايات أُخرى تذكر علائمية اختلاف بني فلان وغيرها.

منها: الرواية التي يرويها الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرقت الكلمة وخرج السفياني»[1].

ومنها: رواية قرب الإسناد يقول الرواي قلت له: جعلت فداك، إنك قلت لي في عامنا الأول ـ حكيت عن أبيك ـ أن انقضاء ملك آل فلان على رأس فلان وفلان، ليس لبني فلان سلطان بعدهما؟ قال: «قد قلت ذاك لك»، فقلت: أصلحك الله إذا انقضى ملكهم يملك أحد من قريش يستقيم عليه الأمر؟ قال: «لا» قلت: يكون ماذا؟ قال: «يكون الذي تقول أنت وأصحابك»، قلت: تعني خروج السفياني؟ فقال: «لا» فقلت: قيام القائم؟ قال: «يفعل الله ما يشاء...»[2].

---

(١) الكافي ٨: ٨٠٩ ح٢٥٤.

(٢) قرب الإسناد: ٣٧٠ ح١٣٢٦.

فهي تدل على أن ملك بني فلان إذا انقضى يكون قيام القائم عليه السلام، وإن كان في قوله عليه السلام يفعل الله ما يشاء» تأمل كما مر في رواية سابقة حينما يسأله الراوي عن قيام القائم في السنة القادمة فأجابه «يفعل الله مايشاء» التي كان معناها إلى حد الآن أكثر من اثني عشر قرناً!

ومنها: رواية النعماني بسنده عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام كان أبو جعفر يقول: «القائم آل محمد عليه وعليهم السلام غيبتان طويلة والأُخرى قصيرة» قال، فقال لي: «نعم يا أبا بصير أحدهما أطول من الأُخرى، ثم لايكون ذلك حتى يختلف ولد فلان وتضيق الحلقة ويظهر السفياني ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل ويلجئون إلى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

ومنها: رواية الطبري عن أبي عبد الله عليه السلام قل: «نزلت في بني فلان ثلاث آيات، قوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ يعني القائم بالسيف..»[2].

فهي تدل على أن قوله تعالى ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ يراد به بنو العباس يأتيهم أمر الله سبحانه الذي هو القائم عليه السلام، فكيف لايكون هلاكهم علامة على ظهوره.

ومنها: رواية النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ١٧٢.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٦٨ والآية ٢٤ من سورة يونس.

رمضـان وخروج القائم عليه السلام، إن الله يفعل مايشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون مـا تحـبون حـتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلفـت الكـلمة وخرج السفياني» وقال: «لابد لبني فلان من أن يملكوا، فإذا ملكـوا ثـم اخـتلفوا تفرق ملكهـم وتشـتت أمـرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسـفياني هـذا مـن المشـرق، وهـذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهـان هـذا من هنا، وهذا من هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما إنهم لايبقون منهم أحداً» ثم قال عليه السلام: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد»[1].

وماذا بعد كل هذا التأكيد على اختلاف بني فلان وخروج السفياني والخراسـاني عليهم من دليل على متاخمة اختلافهم وتشتت أمرهـم لظهور القائم عليه السلام، وكيف لا يكون علامة على ذلك؟!

ومـنها: رواية الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يكون فساد ملك بني فلان حتى يختلف سيفا بني فلان، فإذا اختلفا كان عند ذلك فساد ملكهم»[2].

والنتيجة أن هذه الأخبار لم تصرّح بأن اختلاف بني فلان علامة على خـروج القائم، غايته رواية جابر التي فيها الزم الأرض حتى ترى علامات أولهـا اخـتلاف بـني فـلان كما رواه الشيخ المفيد[3]، وقد تقدم رده، ولكن تستفاد العلائمية من مجموع الروايات بوضوح، حتى لو أمكن المناقشة في دلالـة بعضـها أو أكـثرها عـلى ذلـك فلا يمكن إنكار دلالة مجموعها على المتاخمة، وفيها المعتبر سنداً.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٥ ح١٣.

(٢) الغيبة: ٢٧١.

(٣) الاختصاص: ٢٥٥.

بقيت حتمية اختلاف بني فلان وعدمها، فقد دلت عليه رواية الشيخ الطوسي؛ لأن فيها «واختلاف بني فلان من المحتوم» على خلاف باقي المصادر التي فيها «بني العباس» كما مر، وسند الشيخ معتبر على ما يبدو.

سائر أعمال بني فلان:

لابأس من سرد باقي أعمال بني فلان المروية في هذا الموضع لتأكيد ما سبق.

منها: ضلوعهم في الفتنة التي تكون بين الحرمين واستمرارهم بالقتل والظلم على مايرويه الشيخ المفيد بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال في حديث: «إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين المسجدين، ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً من العرب»[1] وسيأتي الكلام عن الحدث الذي يكون بين الحرمين.

ومنها: قتلهم النفس الزكية يرويه الكليني عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال فيه: «يا زرارة لابد من قتل غلام بالمدينة، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: لا، ولكن يقتله جيش آل بني فلان، يجيء حتى يدخل المدينة، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لايمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله»[2]، ويؤكده ما رواه النعماني عن علي عليه السلام أنه قال في حديث: «ألا أُخبركم بآخر ملك بني فلان»؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: «قتل نفس حرام، في يوم حرام، في بلد حرام عن قوم من قريش، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة مالهم ملك بعده غير خمس عشرة ليلة»[3]، وقد ذكرت الأخبار أن بين قتل النفس الزكية وظهور

---

(١) الإرشاد٢: ٣٧٥.

(٢) الكافي١: ٣٣٧ ح٥.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٨.

القائم خمس عشرة ليلة، فيكون هلاك بني فلان هو ظهور القائم عليه السلام.

ومنها: شمول الناس خوفاً وجوعاً في آخر سلطانهم، لرواية الشيخ الصدوق والنعماني بسند معتبر عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قدام القائم علامات تكون من الله عزوجل للمؤمنين قلت: ما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عزوجل ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ - يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام - بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال، قال: كساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس قال: موت ذريع، ونقص من الثمرات قال: قلة ريع ما يزرع، وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام»[1].

وقد جعلت هذه الرواية الخوف من بني فلان من العلامات التي قدام القائم عليه السلام.

ومنها: أن ذهاب ملكهم بغتة حين لا يحتسب ذلك، فقد روى النعماني بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال في حديث: «إن ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت، فقال حين سقطت: هاه - شبه الفزع - فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابهم وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: إن الله عز وجل ذكره قدّر فيما قدّر وقضى وحتم بأنه كائن لابد منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة، وأنه يأخذ بني فلان بغتة، وقال عليه السلام: لابد من رحى تطحن، فإذا قامت على قطبها وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عنيفاً خاملاً أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة

(١) كمال الدين: ٦٤٩ ح٣، كتاب الغيبة: ٢٥٠ ح٥، والآية ١٥٥ من سورة البقرة.

شعورهم، أصحاب السبل، سود ثيابهم، أصحاب رايات سود، ويل لمن ناواهم يقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطىء الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا وما ربك بظلام للعبيد»[1].

ومنها: أن هلاكهم من حيث بدأ ملكهم يعني من خراسان رواه الشيخ الطوسي، بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال: إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان، ولها أمارات، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء أماراتها، فإذا استثارت عليكم الروم والترك وجهزت الجيوش، ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح فيخلع بعد سنين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ..»[2]، فهي لم تذكر بني فلان وإنما ذكرت ضمير «هم» الذي لايقل في المرتبة عن كلمة بني فلان، ولكن تقدم في روايات بني العباس «ويسلط الله عليهم علجاً من حيث بدأ ملكهم..» فيكون الضمير راجعاً إليهم.

من هم بنو فلان؟

هل هم بنو العباس كما يقتضيه تطابق بعض روايات الاسمين مثل رواية جابر ورواية الأمور الحتمية، ورواية لابد من أن يملك بنو فلان أو بنو العباس، ورواية خروج الخراساني والسفياني عليهم.

ويساعده الجو الحاكم عند صدور هذه الأخبار وتدوينها من حكومة بني العباس وقسوتهم، مما يحتم عدم التصريح باسمهم خصوصاً عند الكلام عن مصيرهم ونهايتهم وخروج حسيني عليهم، كل ذلك من المخالفات السياسية.

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٦ ح١٣.

(٢) الغيبة: ٤٦٣ ح٤٧٩.

فهل ترى أن الإمام الصادق عليه السلام أو الإمام الكاظم عليه السلام يقول: إن القائم من أولاد الحسين عليه السلام يقضي على بني العباس، أو الخراساني الذي هو من قواده كذا، لاتظنن ذلك، وخصوصاً عند تدوين هذه الكتب التي نروي منها ككتاب الكافي وكتب الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والنعماني الذين هم عاشوا الفترة القاسية من حكومة بني العباس، فلا محيص عن التعبير عنهم ببني فلان أو بني الشيصبان على ما جاء في بعض الأخبار التي منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن علي بن مهزيار يقول في حديث مشاهدته صاحب الزمان عليه السلام في غيبته جاء فيه: ياابن مهزيار كيف خلفت إخوانك في العراق؟ قلت: في ضنك عيش وهناة، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان، فقال: قاتلهم الله أنى يؤفكون، كأني بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمر ربهم ليلاً ونهاراً، فقلت متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لاخلاق لهم والله ورسوله منهم براء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً، فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً..»[1].

ومعلوم أن الحكام في العراق أيام ابن مهزيار هم بنو العباس، لكنه عبر عنهم ببني الشيصبان تقية وخوفاً، بقرينة قوله: قد تواترت عليهم سيوفهم، أترى أنه يقول بني العباس قاتلهم الله وسيوفهم متواترة. فالعقل السليم والتقية المأمور بها تقضي بعدم التصريح باسمهم لعنهم الله.

ولكن ذهاب ملكهم في القرن السابع الهجري على يد المغول الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وآله كما جاء في روايات المجان المطرقة وغيرها، لايسمح لقبول إرادة بني العباس من بني فلان ولعلهم قوم آخرون يكونون قبيل ظهور القائم، أو نلتزم بتجدد ملك بني العباس من جديد.

---

(١) كمال الدين: ٤٦٥ ح٢٣.

فنحن بين أن نلتزم بتجدد ملك بني العباس من جديد ونتوخى له الأدلة وبين أن نثبت إرادة غير بني العباس من بني فلان ولحمل الروايات المتضمنة لبني العباس على محامل.

فالذي يدل على عدم إرادتهم وقبل كل شيء هو الوجدان، فإنا وجدنا ملوك بني العباس قد انقرضوا وذهب ملكهم مع البت والقطع بعدم سماح العالم بتجدد ملكهم كدولة عباسية تحكم البلاد الإسلامية برمتها بهذا الاسم وبهذا العنوان، فهو من المستحيلات الوقوعية وجمع المتضادات، ومن ناحية أُخرى فالروايات التي دلت على علائمية اختلافهم تدل على بقاء ملكهم وطول مدته وليس تجدده وعوده بعد الانقراض، فراجع.

والذي يريبني أربعة أُمور:

الأمر الأول: عدم ورود الروايات الدالة على علائمية اختلاف بني العباس بهذا الاسم في كتاب سوى كتاب النعماني، بينما الشيخ الطوسي والكليني وغيرهما ذكروا بني فلان ولم يذكروا بني العباس، فلعل ذلك كما ذكرنا سابقاً اجتهاد منه.

الأمر الثاني: الروايات الدالة على وقوع حوادث متعددة في الفترة بين انقراض بني العباس وبين ظهور القائم عليه السلام، مثل رواية النعماني: «إذا اختلف بنو أُمية وذهب ملكهم ثم يملك بنو العباس، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب، نعم وأهل القبلة ويلقى الناس جهد شديد مما يمرّ بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء، فإذا نادى فالنفير النفير فوالله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس..»[1].

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٢.

فهـي تفـرض ذهـاب ملكهـم أولاً، ثم اختلاف أهل مشرق الأرض ومغـربها ولـيس شـرق الدولـة العباسية أو الإسلامية ومغربها الذي هو كـناية عـن الشـام وايـران، بقرينة قوله نعم وأهل القبلة يعني المسلمين، فاخـتلاف المسـلمين يـأتي في المرحلة الثالثة أو متزامنا مع اختلاف الشرق والغـرب وحلـول الجهـد والخـوف الـذي يطول بقرينة قوله: «فلا يزالون بتلك الحال» حتى ينادي مناد من السماء.

وهو الواقع الذي شاهدناه ويمكن أن نشاهده بعد الحال من اختلاف الشـرق والغـرب، واختلاف المسلمين الذي تحقق وسيتحقق في المستقبل، عـلى أنه لم يذكر حكومة المغول ولا الحكومة العثمانية، أعني الأتراك التي دلت عليه روايات أُخرى.

والـرواية الأُخـرى هـي التي يرويها النعماني أيضاً عن يعقوب السراج قـال قلـت لأبـي عـبد الله عليه السلام مـتى فرج شيعتكم؟ قال: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع، وخعلت العرب أعنـتها ورفـع كـل ذي صيصـية صيصيته، وظهر السفياني وأقبل اليماني وتحرك الحسني، خرج صاحب هذا الأمر..»[1].

وقد وهى سلطان بني العباس بعد اختلافهم وطمع فيهم من لم يكن يطمـع كـالمغول والعثمانيين الذين كانوا مستعبَدين لهم، والمستفاد من الرواية إلقـاء الأعـنة ـ الـتي هـي جمـع عنان ـ في رقاب العرب التي تعني تسييرها وقـيادها مـن قـبل غير العرب، ثم ترفع ليحكم العرب أنفسهم من دون تسيير أجنبي عندما يحصل الانفلات السياسي الذي تحدثنا عنه مسبقاً أو ما يشابهه، ورفع كل ذي صيصية ـ أي شوكة وما يمتنع به ـ صيصيته واستقل عن الآخـرين الـذي يعـني التقسـيم والتشـتت حتى يظهر السفياني، فهذا حديث

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٠ ح٤٢، ٤٣.

معقول ومقبول في الجملة.

الأمر الثالث: إن جعل اختلاف بني العباس من العلائم من الموهمات جداً، لأنهم اختلفوا من يوم موت الرشيد حتى قتل المأمون الأمين بعدما عزل الأمين المأمون كل ذلك حدث على رأس القرن الثالث ونحن اليوم في القرن الخامس عشر.

ولو فرضنا إرادة اختلافهم الذي فيه هلاكهم فقد حدث هذا الآخر عندما صار يقتل الابن أباه والأخ أخاه حتى ضعفوا وتغلب عليهم المغول، وهذا الحدث يمر عليه أكثر من سبعة قرون فكيف يكون هو العلامة.

وإذا كان المراد هو الاختلاف بعد تجدد الملك فهذا ما لا يحدث بسرعة عادة بعد تجدد ملكهم ويحتاج إلى عشرة قرون أُخرى، لأن التاريخ وما جرى على بني العباس في السابق أعطاهم الدروس الكافية، بحيث تجعلهم يتحذرون من الفرقة والاختلاف، فهم اليوم أخبَرُ منهم في الفترة السابقة.

والأمر الرابع: الذي أشرنا إليه في الكلام عن السفياني صدور أكثر الروايات عن الإمام الباقر عليه السلام قبل حكمهم بقرينة قوله: «لابد لبني العباس أن يملكوا» وغيره، ومن يعيش في تلك الفترة لايهمه سوى حكومة بني العباس وزوال حكمهم، وهو أهم ما ينتظره الناس من العلائم، فليس هو عليه السلام في صدد بيان ما يحدث بعده، وإنما يريد القول عند السؤال عن الفرج إن أول ذلك اختلاف بني العباس وذهاب ملكهم، هذا أهم ما تنتظرون في تلك الفترة وتليه علامات أُخرى لمن أدرك انقراضهم ينتظرونها وهكذا.

ومقتضى هذه الأدلة أن بني فلان هم غير بني العباس، وأُولئك الغير يكون اختلافهم علامة على ظهور القائم عليه السلام وهم ممن يحكم العراق والحجاز والشام من الحكام، ولا يتجدد ملكهم كل هذا مما يؤيد الاحتمال الأول.

وأما الاحتمال الآخر، أعني إرادة بني العباس من قولهم بني فلان والبت

في تجدد ملكهم وبقائه إلى زمان خروج السفياني والخراساني ليكون اختلافهم عندها من العلائم على ظهور المهدي عليه السلام فيدل عليه أدلة كثيرة مستحكمة.

منها: جميع الروايات الدالة على بقاء ملكهم وطول فترة حكمهم حتى يخرج عليهم السفياني والخراساني ويكون هلاكهم على أيديهما، والأخبار الدالة على أن هلاكهم يكون من حيث بدأ ملكهم ويسلط الله عليهم علجاً من هناك يدفعها إلى المهدي عليه السلام والأخبار الدالة على أن إحدى العلائم هي الخوف والجوع من بني فلان في آخر حكمهم ويكون زوالهم بقيام القائم، وغيرها من الأخبار التي مرت وتأتي الإشارة إليها إذا جمعت مع العلم بزوال ملك بني العباس وعلى أيدي التتر، فالنتيجة هي عود ملكهم من جديد لتصدق كل تلك الأخبار ويكون هلاكهم في المرة الثانية على يد السفياني والخراساني وحتى نفس الإمام المهدي عليه السلام كما دلت عليه الأخبار.

ومنها: الخبر الذي يرويه النعماني بسنده عن الحسن بن الجهم، قال قلت للرضا عليه السلام: أصلحك الله، إنهم يتحدثون أن السفياني يقوم وقد ذهب سلطان بني العباس، فقال: «كذبوا إنه ليقوم وإن سلطانهم لقائم»[1]، ولو صح سندها لأغنتنا في المقام وما عدلنا عن الالتزام بتجدد ملكهم، فهي تدل على قيام السفياني والحال أن سلطان بني العباس موجود، فإذا جمع مع علمنا بزوال ملكهم على أيدي التتر يعطي نتيجة هي تجدد حكمهم من جديد، ليصدق قوله: إنه ـ يعني السفياني ـ ليقوم وإن سلطانهم لقائم.

ومنها: ما رواه النعماني بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٣ ح١١، البحار٥٢: ٢٥٠ ح١٣٧.

عنهم النصر، ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض: اشبعي من لحوم الجبارين ثم يخرج السفياني»(١)، وتقدم أن المرواني من علامات ظهور المهدي عليه السلام المتاخمة، فحربهم معه دليل على عود ملكهم وحكمهم عند تحقق العلائم.

ومنها: الرواية التي يرويها الشيخ الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم فقال: «إني سرت مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه وهو على فرس وبين يديه خيل ومن خلفه خيل وأنا على حمار إلى جانبه ـ إلى أن قال ـ فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ فقلت: نعم، طويل عريض شديد، فلا تزالون في مهلة من أمركم، وفسحة من دنياكم حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام؟ فعرفت أنه قد حفظ الحديث..»(٢)، وليس في سند الحديث ما يتوقف في شأنه سوى محمد بن أبي حمزة الذي وثّقه الكشي والعلامة وضعّفه الآخرون.

ومهما يكن من ذلك فهي تدل على بقاء ملك بني العباس إلى قتل النفس الزكية الذي هو من العلائم القريبة من الظهور ليس بينه وبين القائم سوى خمس عشرة ليلة، وقد تقدمت الرواية القائلة بأن النفس الزكية ممن يقتله جيش آل بني فلان، مما يدل على أن بني فلان هم بنو العباس، وقتلهم النفس الزكية مع ذهاب ملكهم على يد التتر آية تجدده.

ومنها: ما رواه ابن طاووس عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه سئل عن ظهور قائم أهل البيت عليهم السلام فتنهد وبكى ثم قال: «يالها طامة إذا حكمت في الدولة الخصيان والسودان، وأحدث الأمارة الشبان والصبيان، وخرب جامع الكوفة من العمران، وانعقد الجسران، فذلك الوقت زوال ملك بني العباس، وظهر قائمنا أهل البيت»(٣).

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٣ ح١٢، البحار٥٢: ٢٥١ ح١٤٠.

(٢) الكافي٨: ٣٧. ح٧.

(٣) الملاحم والفتن: ١٩٨.

ومنها: رواية ابن مهزيار عن القائم عليه السلام جاء فيها: «يابن مهزيار - ومد يده إليّ - انبئك الخبر أنه إذا فقد الصيني، وتحرك المغربي، وسار العباسي، وبويع السفياني يؤذن لولي الله فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر، فأجيء إلى الكوفة فاهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة..»[1].

غير أن هذه الرواية فيها اختلاف في نسخها ففي بعض النسخ «إذا قعد الصبي.. وسار العماني»[2] بدل إذا فقد الصيني...وسار العباسي.

فلا تكون دالة على محل البحث، بينما على النقل الأول تكون دالة على أن سير العباسي مهما كان المراد منه علامة على ظهور القائم والإذن له، فيكون دليلاً على حكمهم قبيل ظهوره عليه السلام.

ومنها: رواية النعماني بسنده عن جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفياني، فقال: «وأنى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء، فيقتل، وفدكم فتوقعوا بعد ذلك السفياني، وخروج القائم عليه السلام»[3]، والمراد بالشيصباني هو العباسي بقرينة رواية ابن مهزيار عندما يسأله القائم عن حال إخوته في العراق فقال: قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان كما مر، إذا كان المراد بالشيصباني رجل من بني العباس يظهر قبل السفياني بقليل، ولما كانت الرواية مروية عن الإمام الباقر عليه السلام قبل خروج العباسيين يحتمل إرادة خروجهم الأول، ويكون المراد جنس الشيصباني وليس شخصاً معيناً، ولكن الخصوصيات المذكورة في الرواية كقوله يقتل وفدكم قد لا تنطبق على ذلك

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٧٦.

(٢) دلائل الإمامة: ٥٤٢.

(٣) كتاب الغيبة: ٣٠٢ ح٨.

ويكون قرينة على إرادة عباسي في آخر الزمان.

وإذا لم تصرح هذه الروايات بعود ملكهم وتجدده بعد الانقراض فقد صرحت به رواية النعماني عن علي بن أبي حمزة البطائني قال: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام من مكة إلى المدينة فقال يوماً لي: «لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت الأرض دماءهم حتى يخرج السفياني» قلت: ياسيدي أمره من المحتوم؟ قال: «من المحتوم» ثم أطرق، ثم رفع رأسه وقال: «ملك بني العباس مكر وخدع يذهب حتى لم يبق منه شيء، ويتجدد حتى يقال: ما مر به شيء»[1].

فقد دلت بوضوح على تجدد ملك بني العباس وبقائه إلى خروج السفياني.

ولو صح سندها لكفتنا عن كل البحوث التي مرت وتأتي في علائمية اختلاف بني العباس على ظهور القائم.

ويؤيدها رواية ابن حماد عن كعب قال: إذا خلع من بني العباس رجلان وهما الفرعان وقع بينهما الاختلاف الأول، ثم يتبعه الاختلاف الآخر الذي فيه الفناء، وخروج السفياني عند اختلافهم الثاني[2].

ولا أظن أنها تتكلم عن مطلق الاختلاف، بل هو الاختلاف الذي ينجر إلى هلاكهم في كل مرة، فهي تتكلم عن الاختلاف الثاني الذي ينجر إلى هلاكهم وانقراض حكمهم مرة أُخرى عند خروج السفياني.

مناقشة هذه الأدلة:

ويمكن مناقشة هذه الأدلة بأن الروايات التي دلت على طول ملكهم وبقاءه معارضة بالروايات الدالة على وقوع حوادث كثيرة بعد اختلافهم الذي

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٢ ح٩، البحار٥٢: ٢٥٠ ح١٣٧.

(٢) كتاب الفتن: ٥٧.

يكون علامة على ظهور القائم عليه السلام تقدم بعضها ونضيف هنا رواية جابر المعتبرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها، أولها: اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدّث به من بعدي عني، ومناد ينادي من السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق، وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وستقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض المغرب أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني..»[1].

فكم هي من الحوادث والوقائع والأُمور التي تعقب اختلاف بني العباس الذي هو العلامة، فلا يزيد اختلافهم على أنه أول العلامات المتسلسلة التي قد يفصل بين أولها وآخرها قرون عديدة.

وأما رواية خروج السفياني والخراساني على بني العباس، فهي معارضة برواية حذيفة بن اليمان: أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فقال: **«فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس»** فهي تدل على أن السفياني إنما يخرج على أهل المشرق والمغرب دون العباسيين.

وأما الروايات الدالة على تجدد ملكهم وبقائهم فمنشؤها ما كان شائعاً في تلك الأزمنة بين العامة أو عامة الناس من أن بني العباس يحكمون مرتين ولهم رايتان، فقد روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الفضيل، عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال، قلت له: جعلت فداك بلغنا أن لآل جعفر راية، ولآل العباس رايتين، فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟ قال: «أما آل جعفر

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٩.

فليس بشيء ولا إلى شيء، وأما آل العباس فإن ملكهم مبطئاً يقربون البعيد ويباعدون فيه القريب، وسلطانهم عسير ليس فيه يسير، حتى إذا أمنوا مكر الله وأمنوا عقابه صيح فيهم صيحة لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم، وهو قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ الآية[1]».

ورواه النعماني بسنده عن محمد بن الحنفية إلا ان فيه آل مرداس بدل آل عباس[2].

فهاتان الروايتان تدلان على وجود شائعة وخبر غير صادق ينقل بين الناس يدل على حكومة بني العباس مرتين بالإضافة إلى حكومة آل جعفر، حتى عبّر عنه السائل بقوله «بلغنا»، ودفع الإمام عليه السلام تلك الشائعة وفندها بانكار قيام دولة بني جعفر أساساً، وأعرض عن الكلام في تجدد ملك العباسيين واستعاض عنه ببيان طول مدة حكمهم وظلمهم.

فهاتان الروايتان تدلان على المطلوب من ناحيتين، الأُولى: عدم ذكر الإمام تجدد ملك بني العباس بعدما أنكر أن يكون لآل جعفر دولة، مع أنه بيّن حال دولة العباسيين من ابتدائها إلى انتهائها.

والثانية: قوله عليه السلام: «لايبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم» فكيف تتجدد دولتهم أو تبقى مع عدم بقاء من يجمعهم ولا من يسمعهم.

ونكرر أن أكثر الأخبار الذاكرة لبقاء بني العباس إلى زمان السفياني صادرة من الإمام الباقر عليه السلام قبل تحقق دولة بني العباس القوية، فكلامه في الحقيقة ناظر بالدرجة الأُولى إلى ما يجول في أذهان الناس من كيفية ظهور القائم عليه السلام مع تحقق هذه الدولة وطول بقائها، دون التفصيل فيما يحدث

---

(١) تفسير القمي١: ٣١٠، وعنه في البحار ٥٢: ١٨٤، والآية٢٤ من سورة يونس.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٩١.

عقيب زوالها.

مع أن الروايات الواردة في زمانهم وبعد تسلطهم وظلمهم لا تعكس أكثر من رؤية الناس الفرج بزوال دولة بني العباس القوية، ولذا عدّت إحدى علامات الظهور هو اختلاف بني العباس، وبعده ظهور السفياني من دون التفات إلى الفترة الدقيقة والحال القائمة بين العلامتين.

الاحتمالات المطروحة:

بعد الالتفات إلى كثرة الروايات الدالة على بقاء بني العباس إلى زمان السفياني وعلائمية اختلافهم كما تقدم ودلالة روايات بني فلان على ذلك بشكل آكد وأدق مع قوة الظن بإرادة بني العباس من بني فلان لتطابق الكثير من الأخبار ومساعدة الظروف كما مر، وبعد زوال دولة بني العباس وعدم الدليل المعتبر على تجددها تبقى المسألة غامضة ذات احتمالات.

الاحتمال الأول: كون الملوك الذين حكموا الدول الإسلامية ـ وخصوصاً العراق والشام والحجاز بعد زوال الدولة العثمانية وخروج الاستعمار البريطاني وغيره ـ جميعهم من بني العباس وإن لم يشتهر ذلك ولم يعرفه الناس، وليس ذلك مستبعداً، لتواجد بني العباس في هذه البلدان، ووجود داعية الملك والسيطرة موروثة في أنفسهم، فكيف لا يطمعون في ذلك، وجدّهم القائل الملك عقيم، فهم يركضون وراءها مهما كلف الثمن، وحتى لو اقتضى التعاون مع الأجانب والمستعمرين الطامعين.

الاحتمال الثاني: تجدد ملكهم في المستقبل وظهور دعوتهم من جديد بعنوان بني العباس وحكمهم لجميع البلاد الإسلامية، وهو بعيد، نعم قد يحكمون بعض البلاد الإسلامية.

الاحتمال الثالث: الالتزام بعدم عود ملكهم وإنما زال وتشتت وتفرق أمر السلطة في العراق وغيره إلى ظهور السفياني والقائم.

والمعقول المقبول من هذه الاحتمالات بعد استعراض الأدلة من الطرفين هو الاحتمال الثاني لا بمعنى حكمهم على جميع الدول الإسلامية كدولة عباسية بهذا العنوان، بل بمعنى حكومتهم لبعض البلاد الإسلامية التي سيتم تعيينها بعد متابعة الأخبار الواردة في ذلك.

فمن تلك البلاد الشام أو بعضها على الأقل، للمروي عن كعب الأحبار أنه قال: إذا ملك رجل من بني العباس يقال له عبد الله، وهو ذو العين بها افتتحوا وبها يختمون، وهو مفتاح البلاء وسيف الفناء، فإذا قرئ له كتاب بالشام من عبد الله أمير المؤمنين لم تلبثوا أن يبلغكم أن كتاباً قرئ على منبر مصر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين[1].

وقد تطبق هذه الرواية على المستعصم آخر ملوك بني العباس، إلا أن التفاصيل الأُخرى المذكورة في هذه الرواية لم تتحقق عندها، فيكون المراد هو عبد الله آخر غير المستعصم يحكم بالشام كدولة مستقلة لها دولة مناوئة في مصر.

وإن صدق هذا الحديث فهو يدل على قيام دول إسلامية في المنطقة مطابقاً لميول الناس التي تزحف بذلك الاتجاه هذه الأيام؛ لعدم مأنوسية التعبير بكلمة أمير المؤمنين في الأنظمة العلمانية التي تحكم البلاد الإسلامية في العصور المتأخرة.

وجاء في رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تختلف ثلاث رايات: راية بالمغرب ويل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام».

إلى أن قال: «ثم يخرج السفياني إلى الغوطة فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، وتتلاحق به أهل الضغائن فيكون في خمسين ألفاً، ثم يبعث

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٩.

إلى كلب فيأتيه مثل السيل والليل، ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفياني في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات، رجال ولد العباس هم الترك والعجم وراياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفياني حمراء فيقتتلون ببطن الأردن قتالاً شديداً»[(١)].

فهذه الأُخرى تدل على أن الشام أو بعض بلاده ستكون بيد ولد العباس يوم خروج السفياني، وهم مدعومون من قبل الترك والعجم، كناية عن القوات غير العربية عامة.

وفي رواية ثالثة يرويها ابن حماد في خروج السفياني جاء فيها: «فيخرج فيهم ويتبعه ناس من قريات وادي اليابس، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم، ووالي دمشق يومئذ وال لبني العباس»[(٢)].

فلو صدقت وما أظن لدلت على أن دمشق يومها إحدى ولايات أو محافظات الدولة العباسية القائمة في الشام أو العراق.

ومهما يكن من ذلك فالروايات الثلاثة وغيرها تدل على أن الشام أو بعضها ستكون محكومة لولد العباس.

العراق:

ويدل على حكم بني العباس عندها على العراق الروايات الدالة على خروج السفياني والخراساني عليهم، فإن فيها: «فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا وهذا من

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الفتن: ٧٥.

هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما»[١].

وكذا الأخبار الدالة على دخول السفياني بغداد والكوفة، فإن فيها: «حتى ينزل بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة ـ يعني بغداد ـ فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس» والكبش يقال لكبير الغنم يكنى به عمن له السلطة والسيطرة، فيدل الخبر على حكمهم العراق عند دخول السفياني، لصعوبة تصور جمع ثلاثمائة من بني العباس وقتلهم إذا لم يكونوا هم الحكام المعروفين.

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يذهب ملك هؤلاء حتى يستعرضوا الناس بالكوفة يوم الجمعة، لكأني أنظر إلى رؤوس تندر فيما بين المسجد وأصحاب الصابون»[٢].

ومعلوم أن الإمام الصادق عليه السلام في دولة العباسيين لايشير إلا إليهم ولأن المعهود في الأذهان هم الحكام الفعليون في زمانه، يؤكّده ما رواه الشيخ المفيد بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن لولد فلاني عند مسجدكم ـ يعني مسجد الكوفة ـ لوقعة في يوم عروبة يقتل فيها أربعة آلاف من باب الفيل إلى أصحاب الصابون، فإياكم وهذا الطريق فاجتنبوه، وأحسنهم حالاً من أخذ في درب الأنصار»[٣].

وأما الحجاز:

فيدل على حكمهم فيه، رواية قتلهم النفس الزكية المارة، وقول الصادق عليه السلام للمنصور: «حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام» والمروي أنه يقتله جيش آل بني فلان، ومع تواجد جيشهم في الحجاز

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٩ ح١٨.

(٢) الغيبة: ٤٤٨.

(٣) الإرشاد٢: ٣٧٧.

لا محيص من التزام حكمهم عليه.

وبهذا يتأيّد حكمهم على العراق والشام والحجاز في الفترة التي تسبق ظهور القائم (عليه السلام) وأن حكمهم سيتجدد فيها من جديد بعد تسليم تجدد ملكهم في الجملة، ولا يثبت حكمهم على سائر الدول الإسلامية حينها ولا تجدده بعد تسليم تجدد ملكهم في الجملة.

نهاية بني فلان:

ثم إن الظاهر من الأخبار هلاكهم في العراق وزوال ملكهم على يد الخراساني والسفياني وفي الشام على يد السفياني وفي الحجاز على يد القائم (عليه السلام).

أما الخراساني فيدل عليه ما رواه النعماني بسنده عن أبي جعفر (عليه السلام) قال، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) على منبر الكوفة: «إن الله عزوجل ذكره قدّر وقضى وحتم بأنه كائن لابد منه أنه يأخذ بني أُمية بالسيف جهرة، وأنه يأخذ بني فلان بغتة، وقال (عليه السلام): لابد من رحى تطحن، فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عنيفاً خاملاً أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم، أصحاب السبال، سود ثيابهم، أصحاب رايات سود، ويل لمن ناواهم يقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية، جزاءاً بما عملوا، وما ربك بظلام للعبيد»[1]، وإن كان المحتمل إرادة الترك فإن بعض هذه الأوصاف كطول الشعر وكونهم أصحاب السبال فهي من صفاتهم، ولا يبعد أن تكون راياتهم سوداء أيضاً، ومدينتهم سامراء لا تعد معقلاً للحكم، ولاهي محل اجتماع بني العباس.

ولكن هناك رواية تؤيد إرادة الخراساني يرويها النعماني بسنده عن

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح١٣.

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ملك بني العباس يسر لا عسر فيه ـ إلى أن قال ـ ويسلط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا هدها، ولا نعمة إلا أزالها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به»[1].

وأما حال السفياني فهو معلوم مما مر ويأتي وكيف دخوله دمشق لخلع العباسي الذي فيها، وكيف دخوله بغداد لقتله ثلاثمائة كبش من بني العباس.

وأما القائم عليه السلام فيستفاد ذلك من رواية قتل بني فلان للنفس الزكية التي فيها أنهم لايمهلون سوى خمس عشرة ليلة إذا جمع مع الرواية القائلة بأنه ما بين القائم وقتل النفس الزكية سوى خمس عشرة ليلة، ولكن قد يكون مجرد خلع وتسليم من دون قتال.

علامات زوال ملكهم:

ذكرت الأخبار بعض العلامات التي أولها بنيانهم مدينة على شاطىء الفرات، فقد روى الراوندي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إذا بنى بنو العباس مدينة على شاطىء الفرات كان بقاؤهم بعدها سنة»[2].

هذا إذا أمكننا دفع احتمال إرادة زوال ملكهم على يد التتر بعد بناء سر من رأى، تمسكاً بإطلاق الكلام الدال على الذهاب المطلق الذي لا عودة فيه وهو الذهاب الثاني، وإن كان الإطلاق في هذه الموارد لا يغير من الواقع شيئاً، خصوصاً واحتمال بناء مدينة جديدة هذه الأيام أبعد منه في تلك

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٩ ح٤.

(٢) الخرائج والجرائح٣: ١١٥٦.

الأيام، أعني حين الاختلاف الأول.

ومهما يكن من ذلك فالعلامة الثانية هي هدم مسجد الكوفة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة مؤخره مما يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك بني فلان، أما إن هادمه لا يبنيه»[١].

وفي رواية الشيخ المفيد عن أبي جعفر عليه السلام: «فعند ذلك زوال ملك القوم، وعند زواله خروج القائم»[٢].

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٦ ح٤٤٢.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد٢: ٣٧٥.

الجبابرة في العراق

الخليفة المتنقل :

ينزل العراق ملك وينصره أهله، فيخرجون معه إلى الشام لمواجهة عدو، ثم إنه يبقى في الشام ليكون ملكهم ويترك العراق، فيطالبه أهل العراق بالرجوع إليهم وهو يأبى عليهم، فينصبون عليهم خليفة آخر، ويحاربون ذلك النازح ويقع القتل بينهما.

فقد روى ابن حماد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: ينزل العراق ملك يكره أهل الشام على بيعته، فيكون ما كان، ثم يبلغه أن عدوه قد سار إليه فلا يجد من المسير إليه بداً، فيسير إليه بالشام، فيلقاه فيهزمه ويقتله، ثم يقول لأهل نصرته من أهل العراق: هذه بلادي، وهذه أرضي ووطني، ارجعوا إلى بلادكم، فقد استغنيت عنكم، فيرجعون إلى بلادهم.

إلى هنا تتحدث هذه الرواية عن كيفية انتقاله من العراق إلى الشام، وخروجه منه بهدف لقاء العدو ودفعه، وتتحدث أنه بعدما يدخل الشام ويدفع العدو يحلو له المقام فيها، فيخبر من جاء معه من العراق من المحاربين بما عقد عليه النية وباستغنائه عنهم ويأمرهم بالرجوع، فيرجعون إلى العراق مع الإحساس بنوع من الخيبة والمهانة المستفادة من كلامهم الذي تحكيه هذه الرواية التي جاء فيها:

«فيقولون: نحن ملّكناه، ونحن نصرناه، ونحن قتلنا الناس دونه ثم اختار

علـى بلادنـا بـلاداً غيرها، هلموا حتى نجمع له فنقاتله، فيسيرون إليه وجمعهم يومـئذ أخـال ثلاثمائـة ألـف حـتى يلتقلوا بالحص فيقتتلون فيه، فيكون بينهم ملحمة لم يكـن بـين العرب مثلها، يلقى عليهم الصبر، ويرفع عنهم النصر، حتى أن الـرجل لـيقوم ينظر إلى الصفين، فلو يشاء أن يحصيهم أحصاهم لقلة من بقي منهم»[1].

ويـروي ابن حماد هذه القصة مع نوع من الاضطراب بسند آخر عن ثوبـان مـولى رسـول الله صلى الله عليه وآله ويلقـي فـيها اللائمة على الناس وأنهم هم الذين يقصرون في بيعته فقال: «سيكون خليفة تقصر عن بيعته الناس ثم يكـون نائـبة مـن عدو، فلا يجد بداً من أن يسير بنفسه فيظهر على عدوه فيريـده أهـل العـراق على الرجوع إلى عراقهم، فيأبى ويقول: هذه أرض الجهـاد، فيخلعونه ويولون عليهم رجلاً، فيسيرون إليه حتى يلقوه بالحص جـبل خناصـرة لـو[2] فيبعـث إلى أهـل الشام فيجتمعون له على قلب رجل واحد، فيقتلهم بهم قتالاً شديداً، حتى أن الرجل ليتوم على ركائبه فيكاد يعـد رجـال الفريقين، ثم ينهزم أهل العراق، فيطلبونهم حتى يدخلونهم الكوفـة فيقـتلونهم بكـل من أطاق حمل السلاح منهم، فيهزمهم ويقتلون من جرت عليه المواسي».

وقـيل لأبـي أسمـاء الـراوي عن ثوبان: ممن سمعه ثوبان، أمن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قـال: فمن إذن؟! قال الوليد: فأخبرني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام، قال: يقتتلون هناك قتالاً شديداً فبينا هم كذلك إذا ثار بهم السفياني فيهزم الفريقين حتى يدخلهم الله الكوفة، فيكون أول النهار له وآخره عليه»[3].

---

(١) كتاب الفتن: ١٨١.

(٢) كذا.

(٣) كتاب الفتن: ١٨٠.

والمهم في هذا الخبر الأخير هو الدلالة على اتصال زمان الخليفة المشار إليه بزمان السفياني، الأمر الذي يجعله من العلائم.

الخليفة براق الثنايا :

فقد جاء في الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**فإذا قتل الخليفة بالعراق، خرج عليهم رجل مربوع القامة، كث اللحية، أسود الشعر، براق الثنايا، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق، ثم يخرج المهدي منا أهل البيت**»[1]، من هو ذلك الخليفة المقتول في العراق، وهل سيوجد خليفة بعنوان خليفة في العراق، أو يراد به من يشغل منصب الخليفة وإن كان اسمه رئيس الجمهورية مثلاً، ومن سيكون ذاك المربوع القامة البراق الثنايا الذي له أصحاب مارقين من الدين يذيقون أهل العراق الويل والثبور؟

والمهم في البين اتصال زمانه بزمان القائم عليه السلام، فيمكن تطبيقه مع كل من يكون في ذلك الزمان من الطغاة ممن تذكرهم الأخبار.

طاغوت من الأشرار :

جاء في الكتاب الذي بعثه صاحب الأمر إلى الشيخ المفيد بعد ذكر طائفة من علائم الظهور: «**ويغلب على العراق طوائف عن الإسلام مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق، ثم تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت من الأشرار، يسر بهلاكه المتقون والأخيار، ويتفق لمريدي الحج من الآفاق ما يأملونه على توفير غلبة منهم واتفاق، ولنا في تسيير حجهم على الاختيار منهم والوفاق، شأن يظهر على نظام واتساق، فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا وليتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة**

---

(١) عقد الدرر: ٤٥.

فجأة، حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته»[١].

يتحدث عليه السلام عن الأحزاب والطوائف التي تحكم العراق عند اقتراب موعد حركته، وما يصيب أهله من الأزمة الاقتصادية وضيق الأرزاق بسبب فعال أولئك الأحزاب الخارجة عن الدين وبسبب أعمالهم السيئة التي لا تخلو من الظلم على أهله وعلى أهل البلاد المجاورة والبعيدة، ويؤخذ عليهم الطريق التجاري ويقاطعهم العالَم فتضيق عليهم الأرزاق، حتى روي عن حذيفة أنه قال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم درهم ولا قفيز، يمنعهم من ذلك العجم، ويوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مد، يمنعهم من ذلك الروم[٢].

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله عليه السلام قال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مد، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم يمنعون ذاك[٣]، ويمكن أن نفسّر هذه الرواية بالمقاطعة الاقتصادية المعمولة في هذا العصر.

وأما ظلم تلك الطوائف على أهل العراق وعلى بعضهم البعض فتشير إليه الرواية التي يرويها جابر عن أمير المؤمنين يذكر فيها صفات آخر الزمان، ثم يقول: «فحينئذ تصير السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة لا قيمة لها» قال جابر، قلت: ومتى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: «إذا عمرت الزوراء ـ إلى أن قال ـ

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٢.

(٢) كتاب الفتن: ٤١٦.

(٣) كتاب الفتن: ٣١٧.

فحينئذ يظهر في آخر الزمان أقوام، وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، سفاكون للدماء، أمثال الذئاب الضواري، إن تابعتهم عابوك، وإن غبت عنهم اغتابوك، فالحليم فيهم غاو، والغاوي فيهم حليم»[1].

ويبدو من الخبر أن مدة هؤلاء طويلة ليست بيسيرة لأنه قال في الكتاب الذي بعثه الإمام المهدي عليه السلام إلى الشيخ المفيد: «ثم تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت الأشرار» يدل على ذلك كلمة «من بعد» التي تعني تمادي المدة وطول الفترة.

ومعلوم أن طول تلك الحال واستمرار ذلك الظلم والقتل والجور يورث السأم والملل والهم والغم والضيم الذي عبّر الإمام عن نهايتها بانفراج الغمة، وهي نهاية طاغوت تلك العصابة وبواره، وزوال ملكه، ومن بعدها هلاكه الذي يظهر في الموت الطبيعي أو القتل المكتوم، يفرح بهلاكه المتقون والأخيار، ويكون الفرج عاماً واضحاً يعلم به الجميع، ويكون له صدى في أرجاء العالم.

ويتيسر على أثر ذلك الحج عبر الأراضي العراقية لمريدي الحج من البلاد المجاورة، ويكون الحج عنده أكثر نظماً ويمارس الشيعة أعمالهم بحرّية أكثر، ونظم أدق، ببركة ولي الله الأعظم عجل الله فرجه.

والمهم أن هذا الطاغوت يشترك مع ذاك البراق الثنايا في خروج أصحابه عن الدين ومرقهم كما يمرق السهم، وكذا قسوتهم على أهل العراق وفعالهم القبيحة المنفورة، ولكن لم تصرح باتصال زمانه بزمان القائم عليه السلام وإن كان الكلام فيها عن أقرب العلائم.

الرجل الحاقد

روى ابن المنادي بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٣٧٨.

بالكوفة فكان فيما قال: «ويح الفراخ فراخ آل محمد من خليفة جبار عتريف مترف مستخف بخلفي وخلف الخلف، وبالله لقد علمت تأويل الرسالات، وإنجاز العدات، وتمام الكلمات، وليكونن من أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله قوي يحكم بحكم الله، وذلك بعد زمان مكلح مفضح يشتد فيه البلاء، وينقطع فيه الرجاء ويقبل فيه الرشا».

إلى هنا تحدث عن السفياني العتريف المتستخف بالخلف الصالح المهدي المنتظر عليه السلام وعن الإمام المهدي عليه السلام الذي يحكم بحكم الله سبحانه.

ثم ذكر ما يسبق خروج السفياني وظهور القائم عليه السلام من الزمان المكلح المفضح والبلاء الدائم وانقطاع الرجاء وقال بعد ذلك: «فعند ذلك يبعث الله رجلاً من شاطئ دجلة لأمر حزبه، يحمله الحقد على سفك الدماء، قد كان في ستر وغطاء، فيقتل قوماً هو عليهم غضبان، شديد الحقد حران، في سنّة بخت نصّر، يسومهم خسفاً، ويسقيهم كأساً مصبرة سوط عذاب وسيف دمار، ثم يكون بعده هنات وأمور مشتبهات، ألا إن من شط الفرات إلى النجفات باباً إلى القطقطانيات في آيات وآفات متواليات».

إلى أن قال: «ألا إن العجب كل العجب بعد جمادي ورجب، جمع أشتات وبعث أموات، وحديثات هونات هونات بينهن موتات، رافعة ذيلها، داعية عولها، معلنة قولها، بدجلة أو حولها»[1].

يصف في آخر كلامه المعارك والمناوشات بالأسلحة الحديثة الهونات التي أظن أنها الهاونات بينهن يقع القتلى والموتات، ورافعة ذيلها هي الدبابات والصواريخ والآليات العسكرية، سمى فوهات مدافعها بالذيول، وعبر عن أصواتها التي هي حكاية عن القتل والدمار بالداعية عولها، والمعلنة قولها بدجلة أو حولها.

---

(١) الملاحم لابن المنادي: ٦٤.

والمهم أن هذا الحاكم الحاقد يشترك مع صاحبيه في القسوة والظلم على أهل العراق وقرب زمانه من زمان الظهور، وإن لم يصرّح بذلك.

السفاح :

روى ابن حماد عن كعب قال: يجتمع للسفاح ظلمة أهل ذلك الزمان، حتى إذا كانوا ينظرون إلى عدوهم، وظنوا أنهم مواقعوا بلادهم أقبل رأس طاغيتهم لم يعرف قبل ذلك، وهو رجل ربعة جعد الشعر، غائر العينين، مشرف الحاجبين، مصفار، حتى إذا نظر إلى المنصور في آخر تلك السنة التي يجتمع فيها ظلمة أهل ذلك الزمان للسفاح يموت المنصور، وهم مفترقون في غير بلدة واحدة، فإذا انتهى إليهم الخبر ضربوا حيث كانوا، فيبايعون لعبد الله، ويرجع السفياني فيدعوا إلى نفسه بجماعة أهل المغرب، فيجتمعون ما لم يجتمعوا لأحد قط...»[1].

فهي تتحدث عن سفاح يجتمع له ظلمة العالم من أهل ذلك الزمان، وليس ظلمة بلد واحد.

وتتحدث عن إقبال رأس الطغيان إقبالاً غير معلن، وهي تصفه بأنه رجل ربعة جعد الشعر غائر العينين إلى آخره.

ثم تضطرب الرواية بعد ذلك ولا يعلم المراد بالناظر إلى المنصور في آخر تلك السنة يموت المنصور، والظلمة مفترقون في غير بلدة واحدة، فإذا انتهى إليهم الخبر ضربوا من تلك البلدان وحيث كانوا، ويبايعون لعبد الله الرجل العباسي الأصل على ما يبدو، فالرواية مضطربة لا يمكن الاستفادة منها أكثر من حصول ضوضاء في العراق تتصل بزمان السفياني، وعن سفاح حاكم أو قادم، وعلى فرض حكومته فهو يشترك مع سابقيه بالظلم، عندها يتجلى

---

(١) كتاب الفتن: ١٧٢.

الفرض المتلجلج في ذهني من رجوع العناوين السابقة واللاحقة جميعها إلى رجل واحد متميز بالظلم والقسوة بحيث لم يشهد له العالم نظيراً.

الجبابرة في بغداد:

يحكم في بغداد ملوك جبابرة على مر العصور، وخصوصاً في العصور المتأخرة، هم حكام العراق أيضاً، لكن نصّت الأخبار على حكومتهم في بغداد، وقد ذكرهم أمير المؤمنين عليه السلام عندما قاتل أهل النهروان نزل براثا وكان راهب اسمه حباب فدار بينهما الكلام، فكان فيما قال له عليه السلام: «يا حباب ستبنى إلى جنب مسجدك هذا مدينة تكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدّوا على مسجدك بفطوة ثم وابنه بنين، ثمّ وابنه لا يهدمه إلا كافر ثم بيتاً»[1].

القتال الجبار:

روى السليلي بسنده أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لابن عباس: «يا ابن عباس قد سمعت أشياء مختلفة، ولكن حدّث أنت رضي الله عنك» قال: نعم، قل: «أول فتنة من المائتين إمارة الصبيان، وتجارات كثيرة، وربح قليل، ثم موت العلماء الصالحين، ثم قحط شديد، ثم الجور وقتل أهل بيتي الظماء بالزوراء، الشقاق ونفاق الملوك وملك العجم.

فإذا ملكتكم الترك فعليكم بأطراف البلاد وسواحل البحار، والهرب الهرب... ثم يولى عليكم خليفة فظ غليظ، يسمّى في السماء القتال، وفي الأرض الجبّار، فيسفك الدماء، ثم يمزج الدماء بالماء، فلا يقدر على شربه، ويهجم عليهم الأعراب، وعند هجوم الأعراب يقتل الخليفة، فيفشو الجور

---

(١) اليقين: ١٥٦.

والفجور بين الناس، وتجيئكم رايات متتابعات كأنهن منظومات انقطعن فتتابعن.

فإذا قتل الخليفة الذي عليكم فتوقعوا خروج آل أبي سفيان، وإمارته عند هلاك مصر، وعند هلاك مصر خسف بالبصرة...»[1].

وهل حدث إلى حدّ الآن اختلاط الدماء بالماء بحيث لا يقدر على شربه رغم كل المآسي التي عاناها الناس في العراق وغيره، أو هو مجرد مثل، وأي ماء هذا الذي يتحدث عنه؟ لابد أنه ماء ظاهر جارٍ كالأنهار التي يكون اختلاطه بالدماء حدث عجيب.

وهل يكون بعد اليوم من يسمى خليفة؟ أو يراد به من يعمل عمل الخليفة وإن كان اسمه رئيس الجمهورية وما شابه ذلك؟.

والرواية تدل على توقع خروج آل أبي سفيان بعد قتل هذا الخليفة ومجيء الرايات المتتابعات كأنهن منظومات في دلالة على انضباط عسكري أو توالي رايات مختلفة تنقطع وتتابع.

والمهم أن هذا العنوان يشترك مع العناوين السابقة لحاكم العراق في الظلم وقرب زمانه من زمان السفياني، فيجيء الاحتمال في كونه عنواناً لذلك الواحد الفارد الذي أُضيف إلى مجموع صفاته ومقارناته مجيء الرايات المتتابعة من جميع العالم بعد زواله.

رجل من أهل السفح :

جاء فيما قاله أمير المؤمنين ﷺ لحباب الراهب بعد الكلام المار: «فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين، واحترقت خضرهم، وسلط الله عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم

---

(١) الملاحم والفتن: ١٢٤.

ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد، ثم يعود عليهم، ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها»[١].

والسفح يتردد بين إراقة الدماء، وبين سفح الجبل الذي هو أسفله وأصله، فيكون المراد هو من يقطن قريباً من المناطق الجبلية، كما ويحتمل إرادة أهل المناطق الجبلية.

والرواية تدل على عوده مرتين وحكمه ثلاث مرات، ويأخذهم القحط ثلاث سنين في فترة الحكم الثانية، ولا يكون همه في المرة الثالثة سوى الدمار خصوصاً في مدينة البصرة.

ويبدو أن دخوله في المرة الثالثة من مدينة البصرة ويسير منها إلى واسط ويكون دخوله بغداد عفواً بدون مقاومة. لأن الإمام عليه السلام يقول بعد ذكر دخوله البصرة وإخضاعها بالقوة: «ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط، فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه نحو بغداد فيدخلها عفواً، ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة، ولا يكون بلد من الكوفة إلا تشوش له الأمر»[٢] وهو حصول الاضطراب في جميع مدن الفرات الأوسط.

ويبدو أن هناك من يسند هذا الداخل ويسدده، فيتفقان على المسير إلى النجف لنبش قبر أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه قال بعد ذلك: «ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فليقاهما السفياني فيهزمهما ثم يقتلهما، ويتوجه جيش نحو الكوفة فيستعبد بعض أهلها، ويجيء رجل من أهل الكوفة فيلجئهم إلى سور، فمن لجأ إليها أمن، ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة...»[٣].

---

(١) اليقين: ٤٢٢ ـ ٤٢٣، وعنه البحار ٥٢: ٢١٧ ـ ٢١٩ ح ٨٠.

(٢) اليقين: ٤٢٣، عنه البحار ٥٢: ٢١٩ ح ٨٠.

(٣) اليقين: ١٥٦.

فالرواية تدل على أن هذا الرجل سيدخل المرة الثالثة في زمان خروج السفياني وإبان دخوله إلى العراق حتى يكون جيش السفياني هو الرادع له عن الوصول إلى النجف ونبش القبر الشريف. وهذا الآخر يشترك مع العناوين السابقة بالظلم والقسوة واتصال زمانه بزمان السفياني، فلا يزيد على أن يكون ذاك الواحد الذي تحدثنا عنه في العناوين السابقة.

الكاهن الساحر:

هذا الآخر يكون هو الحاكم عند دخول السفياني العراق،جاء ذلك في الخطبة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام والمسماة بالمخزون في معرض الحديث عن السفياني: «ويبعث السفياني مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة فينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسى عليهما السلام بالقادسية، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له الكاهن الساحر فيخرج من مدينة يقال لها الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجسام، ويسبي من الكوفة أبكاراً لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في المحامل يزلف بهن الثوبة وهي الغريين، ثم يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق حتى يضربوا دمشق لا يصدهم عنها صاد، وهي إرم ذات العماد، وتقبل رايات شرقي الأرض...»[1].

فلعل هذا الكاهن الساحر هو الذي تقدم الكلام عنه في العناوين السابقة لاتصال زمانه بزمان السفياني.

وقد نخلص من جميع تلك العناوين والروايات المارة إلى أن الحاكم على العراق الذي يعود ليحكمه مرتين أو أكثر هو ظالم متميز ومتفنن بالظلم

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

بحيث تنطبق عليه جميع العناوين المارة ويشتهر ظلمه وقسوته في جميع أرجاء العالم.

ولا شك أن جميع تلك الأوصاف ربما تنطبق على الجائر المجرم صدام الذي حكم العراق وأذاق أهله الويلات والدمار والجوع، وأجرى من القسوة والشدة والتعدي على العرب والعجم والأكراد بما لم يشهد له العالم مثيلاً، ولا يقاس به الحجاج وهتلر وغيره بما لا يحتاج إلى مزيد بيان أو مؤونة تعريف، غير أن الجزم بانطباق ذلك عليه لا يزيد على كونه مقامرة ومجرد احتمال.

الخسف ببغداد:

وخسف المكان في اللغة هو ذهاب ما عليه في الأرض والغرق، ولكن إذا جاء ما يدل على خسف بغداد مع وجود القرائن على بقاء بغداد بعد ذلك، فلا يدل على أكثر من حصول الخسف ببعض دورها أو بعض مناطقها، وليس ذهاب كل المدينة وما عليها في الأرض.

أما أصل الخسف فقد دلت عليه رواية النعماني بسنده عن كعب الأحبار أنه قال في حديث طويل: «إنّ القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد وخروج السفياني»[1].

فهي وإن أطلقت الزوراء على الري والمزورة على بغداد، لكن يبدو إرادة الصفة دون الاسم، فإن الصفة الحقيقية للري هي الزوراء والصفة الحقيقية لبغداد هي المزورة وإن كان اسمها الزوراء، فالزوراء هي المدينة المعوجة.

والمزورة من قول الزور أي الكذب والباطل والشرك بالله ويقال لمجلس الغناء واللذة والطعام.

---

(١) كتاب الغيبة: ١٤٦ ح٤.

ويدل على بقاء بغداد قوله: «وخروج السفياني» بعد ذكر الخسف ببغداد وقد تقدم أن السفياني يدخل بغداد ويفعل فيها الأفاعيل ويخربها، فلابد من إرادة الخسف ببعض دورها ومناطقها.

ويؤكد هذا المعنى الروايات المفصلة لخبر الخسف، كرواية ابن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«ليكونن من هذه الأمة قوم قردة وقوم خنازير، وليصبحن فيقال خسف بدار بني فلان، ودار بني فلان، وبينما الرجلان يمشيان يخسف بأحدهما، قالوا: يا رسول الله، وبم ذلك، قال: بشرب الخمور، ولباس الحرير، والضرب بالمعازف والزمارة»**[1].

وفي رواية أخرى يرويها الحاكم عنه صلى الله عليه وآله: **«ليكونن قوم من هذه الأمة على طعام وشراب، فيصبحون وقد مسخوا، وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا: خسف الليلة ببني فلان، خسف الليلة بدار بني فلان، وأرسلت عليهم حصبه حجارة...»**[2].

وأفضل ما ورد في حديث الخسف من حيث السند ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء، فسيروا وجنبوا عنها، فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة»[3] وظاهر الكلام هو إرادة جميع مدينة بغداد، ولعله خصوص بغداد التي كانت في ذلك الزمان لا تتجاوز قرية صغيرة، ولذا نزل في مسجد براثا كما جاء في آخر هذه الرواية، كما يمكن إرادة الخسف ببعض بقاعها دون الجميع بمعنى أنه يمكن أن يخسف أي جانب من جوانبها، أو أي نقطة فيها وليس جميعها.

---

(١) كتاب الفتن: ١٧٢.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٥١٥.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ١٩٩ ح ٣٤٠.

غير أنها دلت على أن الخسف ليس هو ما تفعله الأسلحة، وإنما هو خسف طبيعي يحتمل وقوعه حتى في زمانه عليه السلام الذي لا يتصور فيه إلا الخسف الطبيعي.

ويشارك هذه الرواية في الدلالة على سرعة خراب الزوراء وإرادة ذهابها في الأرض الخبر الذي يرويه ابن المنادي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«تبنى مدينة بين دجلة ودجيل والصراة وقطربل، تجبا إليها كنوز الأرض، يخسف بها، فلهي أسرع ذهاباً في الأرض من الحديدة المحماة في الأرض الخوارة»(١) أي السهلة اللينة.

فليس المراد ما يفعله القصف الجوي والأسلحة الحديثة، بل هو الخسف الطبيعي والذهاب في الأرض.

ولعل سرعة ذلك يعني حصول الخسف حين لا يحتمل ذلك أحد، وإلا فالزوراء يمر عليها اليوم أكثر من أربعة عشر قرناً ولم نسمع بالخسف ولا أماراته، فكيف يتوقعه أمير المؤمنين عليه السلام في زمانه ويجنب جيشه عنها؟!

وما ذاك إلا للترسيخ في الأذهان، أو لأنه لا يدخل أرضاً ملعونة أصابها الدمار أو سيصيبها، ويكره الصلاة فيها، لأن النبي صلى الله عليه وآله لعنها فقال في معرض الحديث عن السفياني على ما يرويه الطبري:

«حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس»(٢).

---

(١) ملاحم ابن المنادي: ٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٤٨١.

خراب بغداد:

هذا ما أكّدت عليه الأخبار واشتهر بين العامة من أن الزوراء ستخرب ويصيبها الدمار على مر العصور من الفتن والوقائع التي تمر عليها حتى يأتي يوم لا يبقى منها شيء يذكر، فيمر المار ويقول: ههنا مدينة كانت تسمى الزوراء.

وقد سأل المفضل أبا عبد الله الصادق ﷺ بعدما دار الكلام بينهما عن القائم ﷺ وعلائمه فقال: يا سيدي كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت؟ قال: «في لعنة الله وسخطه تخربها الفتن وتتركها جماء، فالويل لها ولمن بها من الرايات الصفر، ورايات المغرب، ومن كلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد، والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أول الدهر إلى آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله، ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف، فالويل لمن اتخذ بها مسكناً، فإن المقيم بها يبقى بشقائه، والخارج منها برحمة الله، والله ليبقى من أهلها في الدنيا حتى يقال: إنها هي الدنيا، وإن دورها وقصورها هي الجنة، وإن بناتها هن الحور العين، وإن ولدانها هم الولدان، وليظنن أن الله لم يقسم رزق العباد إلا بها، وليظهرن من الافتراء على الله وعلى رسوله ﷺ والحكم بغير كتاب الله من شهادات الزور وشرب الخمور والفجور وأكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها إلا دونه، ثم ليخربها الله تعالى بتلك الفتن وتلك الرايات حتى لو مرّ علينا مار لقال ههنا كانت الزوراء»[1].

فقد بدأ ﷺ كلامه وجوابه عن سؤال ذلك السائل بذكر الخراب، وختم كلامه أيضاً بذلك، وهو يذكر بينهما العلل والأسباب المباشرة وغير المباشرة، فجعل المباشرة هي الرايات وغيرها بينما غير المباشرة ما يجنح إليه

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٨، الهداية الكبرى: ٤٠٢.

أهلها من الإقبال على الدنيا والاجتراء على فعل القبائح وارتكاب المحرمات.

ولو لاحظ الملاحظ وتأمل في كيفية وصف الإمام عليه السلام لما يكون في هذه المدينة وما يحدث فيها وكيف تبنى وتعمر وتزدهر وما يظن بها الناس، وما ينزل بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، لا ينقضي تعجبه، إذ لا يتأتى هذا الوصف إلا ممن عاش فيها على مر الدهور ولاحظ ما كان وما يكون فيها بدقة، مما يؤكد تخوفي المار عن إعادة فلم البشرية.

هذا وقد أشارت الرواية إلى الفتن والرايات المتسببة في خراب الزوراء من الرايات الصفر وغيرها التي يأتي الكلام عنها، ولكن لم تذكر السبب في خرابها النهائي وعلى يد من سيكون، بينما تذكر ذلك رواية أخرى يرويها الخطيب جاء فيها: «سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة أمتي، أما إن هلاكها على يد السفياني، كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها»[1].

---

(١) تاريخ بغداد ١: ٣٨.

الرايات والفتن

ذكرت رواية المفضل المارة الرايات التي تتسبب في خراب بغداد جاء فيها: «فالويل لها ولمن بها من الرايات الصفر، ورايات المغرب، ومن كلب الجزيرة، ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد»، ونحن نذكرها بالترتيب:

الرايات الصفر:

لا تزال كلمة الرايات الصفر مجملة لا يمكن تحديدها بالدقة، وغاية ما عرفنا عنها أنها تقبل من المغرب فتنزل الاسكندرية من مصر ويخلفهم الروم في أرضهم، ثم يدخلون سرة الشام همهم الأول هو مقاتلة الرايات السود القادمة من المشرق فيلتقون في القنطرة التي جاء التعبير عنها في بعض الأخبار بأنها قنطرة أهل مصر، ثم تستقر ما بين الأردن وفلسطين، ثم تنزل بعدها إلى الجزيرة وتشارك في معركة قرقيسياء، فينكسر أمامها الرايات السود وتتراجع إلى الكوفة.

وتدل هذه الرواية على دخولهم بغداد وتخريبهم إياها إذا كانوا هم المقصودين، ثم يدال عليهم السفياني ويكون له أكثر من ثلاث معارك معهم، فيموت رئيسهم في هذا الحال، ويتفرقون عندما يبلغهم الخبر ثلاث فرق، فرقة ترجع من حيث أتت، وفرقة تحج، وفرقة تظل تقاتل، ينتصر عليهم السفياني.

هذا إذا كان المراد من الرايات الصفر في هذه الرواية هذا المعنى وإن كان بعيداً مع وجود ما يستشم منه ذلك في غير هذا الخبر، مما يبدو أن المراد

منهم هم أهل المغرب العربي أوغرب أفريقية من الزنج الذين يدفعهم الروم والاستعمار لصد الرايات السود القادمة من المشرق، لمجيء التعبير بالبربر عنهم، وستأتي الروايات الدالة على ذلك في معرض الحديث عن أحداث الشام.

رايات المغرب:

وما عطف رايات المغرب على الرايات الصفر إلا وهو دليل على عدم إرادة المغرب العربي، ويكون المراد رايات الشام التي يقودها السفياني تدخل بغداد وتفعل الأفاعيل، أو هي رايات مغرب العالم، ولكن يبعد التعبير عنها بالراية.

كلب الجزيرة:

والجزيرة هي جزيرة أقور كما مر مراراً، والمراد بها المنطقة التي تقع بين دجلة والفرات في شمال غرب العراق، والنقل مختلف بين «كلب الجزيرة»، وبين «من يجلب الجزيرة» وما كلب الجزيرة إلا عبارة عن أفعال أهلها التي تعني التعدي والظلم والقسوة مما يلازم الدمار والعبث ببغداد وأهلها.

ويحتمل إرادة رجل واحد يعبث ببغداد وعامة أهل العراق يتسبب في خراب بغداد وغيرها من المدن.

ولو كان النقل هو «من يجلب الجزيرة» فهو يعني ما يتسببه أفعال أهل الجزيرة من الحروب ومجيء قوات وجيوش تحدث الخراب من بغداد وغيرها من مدن العراق والجميع بمعنى واحد.

الرايات من بلدان مختلفة:

عبّرت عنها الرواية بالرايات التي تسير إلى بغداد من كل قريب وبعيد من بلدان العالم، تجتمع في العراق وبالأخص بغداد تتسبب في خرابها وحدوث الدمار فيها.

هدم مسجد براثا:

ففـي روايـة يرويها الشيخ المفيد عن سدير الصيرفي قال: كنت عند أبـي عـبد الله جعفـر بـن محمد عليهما السلام وعنده جماعة من أهل الكوفة، فأقبل عليهم وقال لهم: «حجوا قبل أن لا تحجوا، حجوا قبل أن يمنع البر جانبه، حجـوا قـبل هـدم مسجد بالعراقين بين نخل وأنهار، حجوا قبل أن تقطع سـدرة بالـزوراء نبتـت عـلى عسـل عروق النخلة التي اجتنت منها مريم عليها السلام رطباً جنياً، فعند ذلك تمنعون الحج...»[1].

وهـدم المـنافقون مسـجداً بالمدينة ليلاً فاستعظم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تنكروا ذلك فإن هذا المسجد يعمر، ولكن إذا هـدم مسـجد براثا بطل الحج**» قيل له: وأين مسجد براثا هذا؟ قل: «**في غربي الـزوراء من أرض العراق، صلى فيه سبعون نبياً ووصياً، وآخر من يصلي فيه هذا**» وأشار بيده إلى مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

وذلك لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان نزل براثا وكان بهـا راهب اسمه الحباب فأمره ببناء مسجد وتسميته باسم بانيه، فبناه رجل اسمه براثا فسمى المسجد ببراثا، ثم قال عليه السلام للراهب في معرض كلامه: «ستبنى إلى جنب مسجدك هذا مدينة، وتكثر الجبابرة فيها، ويعظم البلاء، حتى أنه ليركب فـيها كـل لـيلة جمعـة سـبعون ألـف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدّوا على مسـجدك بفطوة، ثم وابنه بنين، ثم وابنه لا يهدمه إلا كافر ثم بيتا، فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين واحترقت خضرهم، وسلط عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله»[3].

---

(١) الأمالي: ٦٤.

(٢) الملاحم والفتن: ١٣٠.

(٣) اليقين: ١٥٦.

ولم تذكر الروايتان الأُوليان مدة المنع من الحج والحال أن الذي يبدو من الرواية الثانية طول المدة مما يلائم التعبير ببطلان الحج، ولكن الرواية الأخيرة حددته بثلاث سنين.

أحداث الكوفة

إحصار الكوفة :

قام أمير المؤمنين عليه السلام خطيباً فقال: «ألا أيها الناس سلوني قبل أن تشرع برجلها فتنة شرقية، وتطأ في خطاتها بعد موت وحياة، أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض، ورافعة ذيلها تدعو يا ويلها بدجلة أو مثلها، فإذا استدار الفلك قلت مات أو هلك، بأي واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ ولذلك آيات وعلامات وأولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق، وتحريق الزوايا في سلك الكوفة، وتعطيل المساجد أربعين ليلة، وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى، القاتل والمقتول في النار، وقتل كثير وموت ذريع، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين»[1].

فقد دلت هذه الرواية على شروع الفتنة من المشرق، أو حصول فتنة في المشرق الذي يراد به في الغالب أرض خراسان التي تشمل أرض إيران وأفغانستان وبعض دول القفقاز كما يحتمل أن يكون المراد شرق الأرض بصورة كلية.

واختلفت الكتب في بعض كلمات الخطبة مثل خطانها أو خطامها،

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٨.

وأضيف أنا إليها خطاتها بقرينة كلمة «تطأ» وتشابهها في الرسم مع المثبت في الكتب، وهذا يعني سريان هذه الفتنة وعدم توقفها في بلد معين، ولكن التعبير بخطاتها يعني أنها تطأ أرضاً ولا تطأ أرضاً لأن الخاطي يجعل فاصلة بين موضع القدمين.

فهي شرقية المنشأ سارية المفعول تحدث اضطرابات وتغييرات في بلدان العالم المختلفة وأما حديث النار فسيأتي الكلام عنها.

والذي عنونا له البحث هو إحصار الكوفة الذي يعني منع الناس من السفر والخروج منها بواسطة الرصد الذي هو أخذ الطريق على الناس، ويأتي الرصد بمعنى الحرس الذي يرصد الطريق، والخندق هو حفير حول المدينة، ولا أظن إرادة أكثر من المواضع التي يحفرها الجنود ويتخندقون فيها.

والمهم أن هذه الرواية جعلت هذا الإحصار أول العلامات، ولعلها أول العلامات لأهل الكوفة.

تخريق الروايا:

اختلف النقل وضبط هاتين الكلمتين وتراوح بين «تحريق الزوايا في سكك الكوفة»[1] و «تخريق الروايا»[2] وفي نقل ثالث «تحريف الرايات في أزقة الكوفة»[3].

يقال: قتلنا الروايا وأبحنا الزوايا أي قتلنا السادة وأبحنا البيوت، فالروايا سادة القوم والزوايا هي البيوت[4] والنقلان الأولان هنا يشيران إلى حرق البيوت وقتل السادة، ولعل النقل الأخير كناية عن هزيمة الرايات المرفوعة

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

(٢) البحار ٥٢: ٢٧٣.

(٣) مشارق البرسي: ١٦٤.

(٤) انظر لسان العرب ١٤: ٣٤٧ «روى».

في تلك الأيام ورميها بالانحراف والضلال كقولنا «تكفير القوم» أي رميهم بالكفر.

ويكـون هـذا الـتحريف عاماً وشاملاً بحيث يدخل الحديث عنه جميع النوادي والسكك.

تعطيل المساجد:

فقـد جـاء في الخطبة المارة: «وتعطيل المساجد أربعين ليلة» يشبه أن يكون نتـيجة لأجـل الحروب التي تدور والاشتباكات، التي يكون كل أطرافها أو بعضـها هم عمار المساجد والقائمين عليها، يؤدي دخولهم في ذلك النزاع إلى تعطيلها، أو يكون التعطيل والإغلاق من قبل الظلمة الحاكمين.

رايات ثلاث:

ذكـر أمـير المؤمـنين عليه السلام هذه الرايات في الخطبة السابقة فقل: «وتخفق رايات ثـلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى» مما يدل على اختلاف الناس وانقسامهم إلى ثلاثة أقسام وثلاث رايات وأحزاب من صفة هذه الرايات أنهن «يشبهن بـالهدى»، ويـتردد معناه بين الشباهة بالهدى وبين الاشتباه بالهدى، والثاني أبلغ ويتبع التشديد والتخفيف.

ويسـتفاد مـن هـذا الخبر حصول قتال بين هذه الرايات، ولذا قال عليه السلام بعد ذلك: «القاتل والمقتول في النار».

والأهـم مـن ذلك أن هذه الرايات قوية لها أتباعها تبقى حتى بعد دخول السـفياني الكوفة وخروجه منها ودخول القائم عليه السلام لأنه جاء في خبر آخر أن القـائم عليه السلام: «يدخـل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت، فتصفو له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء»[1].

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٦٢، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٠.

قتل كثير :

فالقتل إنما يكون من الفتن والحروب، وقد أشارت الروايات إلى موارد عديدة وأسباب مختلفة منها القتل الذي يكون بين الحيرة والكوفة، فقد روى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن أبي جعفر عليه السلام: «أنى يكون هذا الأمر ولما يكثر القتل بين الحيرة والكوفة»[١].

وفي رواية يرويها النعماني بسند معتبر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه، ويكون قتل بين الكوفة والحيرة، قتلاهم على سواء...»[٢]، فلم تذكر هذه الرواية سوى القتل وأن القتلى على سواء، ولم تذكر هل هو نتيجة الاشتباك بين أصحاب الرايات الثلاث، الذي يؤيده ما مر في الكلام عن الرايات من أن القاتل والمقتول في النار، وهنا تقول «قتلاهم سواء» إذا كان المقصود هو التساوي في الخسران ودخول النار، وقيل: المعنى على سواء الطريق، أي على الطريق.

كما يحتمل إرادة المعارك التي تدور بين السفياني وحكام العراق والقوى المتواجدة فيه، وهذا أيضاً له شواهد من الأخبار، روى ابن مهزيار عن صاحب الأمر عليه السلام أنه ذكر نهاية بني العباس فقيل له: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله قال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لاخلاق لهم - إلى أن قال - ويخرج السروسي من أرمينية وآذربايجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبل طالقان، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات،

---

(١) الإرشاد: ٣٦٠، الغيبة: ٢٧١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩.

ثم يوافي واسط العراق فيقيم بها سنة أو دونها، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري، وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفتنتين، وعلى الله حصاد الباقين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ فقلت: سيدي يا ابن رسول الله ما الأمر؟ قال: «نحن أمر الله وجنوده»[1].

ومن هو المتوقع خروجه إلى الزوراء في هذه الرواية؟ هل هو السروسي الخارج من أرمينية وآذربايجان؟

ومن هو السروسي، هل هو تصحيف كلمة الروسي، أو أن السروسي يريد به رئيس المغول والتتر الذين كانت نهاية بني العباس على أيديهم، فيكون جميع الكلام في هذا الخبر عن نهاية بني العباس على أيدي التتر الذي حدث في سالف الدهر.

ولكن الرواية تتكلم عن أحداث تكون قريباً من ظهور القائم عليه السلام كظهور الحمرة في السماء، والحيلولة دون سبيل الكعبة، فلابد من وقوع سقط في هذه الرواية، ولعل الساقط هو الحديث عن السفياني، فيكون هو مرجع الضمير والحرب المشار إليها هي حربه مع حكام العراق.

وهناك رواية أخرى تتحدث عن قتل آخر غير القتل بين الحيرة والكوفة، وهو القتل في نفس مدينة الكوفة، فقد أسند إلى الصادق عليه السلام: «أن لولد فلان عند مسجد الكوفة لوقعة في يوم عروبة يقتل فيها أربعة آلاف، بين باب الفيل وأصحاب الصابون، فإياكم وهذا الطريق فاجتنبوه، وأحسنهم حالاً من يأخذ في درب الأنصار»[2].

---

(١) كمال الدين: ٤٦٥ ح ٢٣، والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩.

فالذي أفهمه من هذا الخبر هو إرادة بني العباس لما تقدم في بحث «اختلاف بني فلان» وإنما يكون ذلك في زمان يكون فيه أصحاب الصابون ودرب الأنصار باقية على حالها، وإن أمكن إرادة مواضعها، ولكنه بعيد عن المتفاهم، فلعل هذا وأمثاله تحقق قبل زوال الدولة العباسية، وليس في الرواية دلالة على قربه من ظهور القائم عليه السلام، بخلاف القتل بين الحيرة والكوفة.

وفي رواية ثالثة عن أبي جعفر عليه السلام: «إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم فالهرب من الشام، فإن القتل بها والفتنة» قلت: إلى أي البلاد؟ فقال: إلى مكة، فإنها خير بلاد يهرب الناس إليها، قلت: فالكوفة؟ قال: «الكوفة ماذا يلقون! بقتل الرجال إلا شامي، ولكن الويل لمن كان في أطرافها، ماذا يمر عليهم من أذى بهم، وتسبى بها رجال ونساء، وأحسنهم حالاً من يعبر الفرات، ومن لا يكون شاهداً بها» قال: فما ترى في سكان سوادها؟ فقال بيده يعني لا، ثم قال: «الخروج منها خير من المقام فيها» قلت: كم يكون ذلك؟ قال: ساعة واحدة من نهار، قلت: ما حال ما يؤخذ منهم؟ قال: «ليس عليهم بأس، أما إنهم سينقذهم أقوام مالهم عند أهل الكوفة يومئذ قدر، أما لا يجوزون بهم الكوفة»[1].

والظاهر أن هذه الرواية تتحدث عن دخول السفياني الكوفة، لأن شروع الكلام كان عن الاختلاف في الشام، فهي ترشد إلى الخروج من الكوفة عند ذلك وعبور الفرات على الأقل حتى تنجلي الغبرة، ويأتي الأقوام الذين مالهم عند أهل الكوفة مقدار، وهي رايات خراسان على ما يبدو.

موت ذريع :

لا يكون ذلك إلا من تردي الحالة الصحية على أثر الاضطرابات والفتن التي تجر إلى عدم اعتناء الناس بمقومات الصحة من النظافة والتلقيح الطبي،

---

(١) البحار ٥٢: ٢٧١.

بالإضافة إلى كثرة الهموم والغموم والاستياء وتدهور الحالة النفسية عند غالب الناس.

قتل النفس الزكية :

إن قتل النفس الزكية (العلامة) يكون بين الركن والمقام كما مر، ولكن هذه الرواية تتحدث عن نفسٍ زكية أُخرى تقتل في ظهر الكوفة، وهو النجف على ما يبدو، وذلك مع سبعين من الصالحين.

ومن هو النفس الزكية هذا، ومن هم أولئك الصالحون، وهل يقتل غيرهم معهم؟ هذه أسئلة لم تجب عليها الأخبار.

خروج الشيصباني:

روى النعماني بسنده عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفياني، فقال: «وأنى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني، يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء، فيقتل وفدكم، فتوقعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم عليه السلام»[١].

والشيصباني على ما مر سابقاً هو العباسي، فيمكن أن يكون المراد هو أبو العباس السفاح.

ولكن القرائن والشواهد الموجودة في هذه الرواية تتحدث عن شيصباني يخرج قرب زمان القائم عليه السلام.

والتعبير بأنه ينبع كما ينبع الماء، يراد به الخفاء والتدرج الذي لا يسمع له صوت ولا حسيس.

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٢ ح ٨.

عصابة رديئة :

روى النعماني بسنده عن عمرو بن سعد قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقوم القيامة حتى تفقأ عين الدنيا، وتظهر الحمرة في السماء، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض، حتى يظهر فيهم عصابة لا خلاق لهم، يدعون لولدي وهم براء من ولدي، تلك عصابة رديئة لاخلاق لهم، على الأشرار مسلطة، وللجبابرة مفتنة، وللملوك مبيرة، تظهر في سواد الكوفة، يقدمهم رجل أسود اللون والقلب، رث الدين، لاخلاق له، مهجن زنيم عتل، تداولته أيدي العواهر»[1].

وإنني لفي حيرة من أمر هذه العصابة إذا كانت هي وقائدها من أهل الكوفة، ويدعون لأهل البيت عليهم السلام وهم منهم براء مما يحكي عن نفاق وفقدان للأخلاق الإسلامية، يضاف إليه التسلط على الأشرار بمعنى السيطرة عليهم وتسخيرهم والاستفادة منهم، وهم فتنة للجبابرة بتقويتهم ومتابعتهم فيجد الجبار نفسه متمكناً من كل ما يريد، وعلى يد هؤلاء يكون بوار الملكية، وظهور الجبابرة.

وأغلب هذه العصابة تكون من قرى الكوفة وسوادها الشامل للفرات الأوسط برمته.

وأما الذي يقدمهم بتلك الأوصاف السيئة إذا كان هو الآخر يدعو لأولاد أمير المؤمنين، فلم يظهر إلى حد الآن هكذا شخص، له دعوة إلى أهل البيت عليهم السلام وقد تداولته أيدي العواهر عتل زنيم.

والأهم من جميع ذلك فإن الرواية لا تذكر أنه قبل قيام القائم عليه السلام، بل جعلته قبل قيام القيامة ولكن القرائن والشواهد تحكي عن كونه قبل قيام القائم عليه السلام لأنّها تذكر الملوك والجبابرة، ومن البعيد تجدد الملكية بعد قيامه عليه السلام.

---

(١) كتاب الغيبة: ١٤٧ ح ٥.

هدم حائط مسجد الكوفة:

روى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة من مؤخره مما يلي دار ابن مسعود، فعند ذلك زوال ملك بني فلان، أما إن هادمه لا يبنيه»[(١)].

المستفاد من هذا الخبر أن الهدم يكون بقصد البناء، ولكن هادمه الذي لا يكون سوى أحد الحكام أو المسؤولين على ما يبدو لا يتوفق لبنائه بأن يموت أو يعزل من منصبه، والظاهر أن سبب ذلك يعود إلى الاضطراب السياسي الذي يعقبه زوال ملك بني فلان المقصود بهم بنو العباس بعد تجدد ملكهم على العراق، لأن الهدم يكون قرب ظهور القائم عليه السلام.

وإن لم تدل هذه الرواية على حدوث ذلك قرب ظهور القائم عليه السلام، فقد دلت عليه رواية أخرى يرويها علي بن يونس العاملي قائلاً: أسند إلى الصادق عليه السلام: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار عبد الله ابن مسعود، زال ملك القوم، وعند زواله خروج القائم»[(٢)].

خراب الكوفة:

هناك أخبار تتنبأ بخراب الكوفة، والمقصود به الخراب الجزئي دون العام والشامل، ولكن الروايات ضعيفة لا يمكن التعويل عليها.

روى ابن حماد عن الوليد بن مسلم قال: «إذا غلبت قضاعة وظهرت على المغرب، فأتى صاحبهم بني العباس فيدخل ابن اختهم الكوفة مع من معه فيخربها، ثم تصيبه بها قرحة ويخرج منها يريد الشام فيهلك بين العراق

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٧، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٦ ح ٤٤٢، الخرائج والجرائح ٣: ١١٦٢.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٤٩.

والشام، ثم يولون عليهم رجلاً من أهل بيته فهو الذي يفعل بالناس الأفاعيل ويظهر أمره وهو السفياني...»[1].

فهي تدل على أن الحركة التي تكون في المغرب وتطال مصر والشام وتتصارع مع بني العباس الحاكمين على الشام، ستدخل العراق بقيادة رجل أمه من قضاعة وأبوه من بني أمية هو الحاكم على الشام، فيأتي إلى الكوفة فيخربها، ثم تصيبه بها قرحة فيخرج إلى الشام ويعاجله الموت، ثم يولّي أهل الشام عليهم السفياني، فلعل هذا الداخل هو المرواني الذي تحدثنا عنه في العلامة الرابعة.

ولما تقدم أن حركة المغرب تبدأ بدخول مصر وتخريبها ثم تدخل الشام والعراق، فلا يكون خراب الكوفة إلا بعد خراب مصر، وتدل عليه الرواية التي يرويها الحاكم بسنده عن كعب قال: «الجزيرة آمنة حتى تخرب أرمينية، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة، والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر، ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة، ولا تفتح مدينة الكفر حتى تكون الملحمة، ولا يخرج الدجل حتى تفتح مدينة الكفر»[2]، والمراد بالملحمة هي ملحمة السفياني أو معركة قرقيسياء التي يكون السفياني فيها أحد الأطراف.

بثق الفرات:

هذه حادثة تحدث قرب ظهور القائم عليه السلام وذلك بعد شحة الماء في العالم وتوالي سنين الجدب يكون قبل قيام القائم عليه السلام سنة غيداقة يكثر فيها المطر حتى روي أنه يمطر الناس أربعة وعشرين مطرة، يمتلئ على أثرها الفرات ويرتفع منسوب الماء فيحصل فيه بثق ويدخل الماء أزقة

---

(١) كتاب الفتن: ٧٩.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٤٦٢.

الكوفة وسككها.

ولعل هذه العلامة من العلامات المتاخمة لظهوره عليه السلام ومن أقرب الحوادث التي تسبقه؛ لأن ابن عباس سأل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين ما أقرب الحوادث الدالة على ظهوره؟ فدمعت عيناه وقال: «إذا فتق بثق في الفرات، فبلغ أزقة الكوفة، فليتهيأ شيعتنا للقاء القائم»[١].

وما دمعت عيناه إلا ليقارن هذا الخبر ظرف حاد، فيبقى في الأذهان ولا ينسى، وما دمعت عيناه إلا كناية عن طول المدة وسوء حال الشيعة، وما دمعت عيناه إلا شوقاً لتلك الطلعة ومحبة لذلك الظهور المبارك.

فالذي يبدو أن هذه العلامة قريبة جداً وهي أقرب العلائم، بل في بعض الأخبار أنها تكون في سنة الظهور، يروي ذلك الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عام أو سنة الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة»[٢]، ورواه الشيخ المفيد بتفاوت يسير[٣].

---

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٢٥٨، عن كتاب عبد الله بن بشار رضيع الحسين عليه السلام.

(٢) الغيبة: ٢٧٣، الخرائج والجرائح ٣ : ١١٦٤، البحار ٥٢ : ٢١٧.

(٣) الأرشاد ٢ : ٣٧٧.

أحداث البصرة

تتحدث الأخبار عن حوادث متشتتة تقع في مدينة البصرة يصعب حصرها تحت عناوين كلية وخطوط عريضة مشخصة الاتجاه والغاية، ولا يمكن معرفة زمان تلك الحوادث وحدود إبانها وهل هي قبل ظهور القائم عليه السلام أو بعده، وإذا كانت قبله فهل هي قريبة من زمان الظهور أو بعيدة.

فهي تتحدث عن خراب البصرة وعن قتلى شهداء كشهداء بدر وتتحدث عن جيوش تحل فيها من أقوام مختلفين ونواحي عديدة، وخسف وقذف ومسخ آخرها الغرق حتى لا يرى منها سوى شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير، ونحن نستعرض تلك الأخبار ونحاول الاستفادة منها.

أما اسمها :

فقد ورد أن لها أسماء متعددة عبر التاريخ كلها توحي إلى الخراب والدمار كما جاء في الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين فقال فيها: «يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأولى لا يعلمها إلا العلماء منها الخريبة، ومنها تدمر، ومنها المؤتفكة»[1] والمؤتفكة المنقلبة بأهلها.

مما يبدو أن هذه التسميات باعتبار خرابها المتكرر في العصور السالفة أو باعتبار تنبؤ الأنبياء بخرابها على مر الدهور وفي آخر المطاف.

وكيف لا تكون كذلك وقد شهدت البصرة في زماننا غضون عشرين عاماً أربعة أصناف من الحروب والدمار: حرب العراق وإيران، حرب

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩.

الحلفاء مع العراق، وهجوم جيش الطغاة في العراق عليها بعد حصول الانتفاضة الشعبية فيها، وآخرها حرب أمريكا مع العراق التي شرعت من حدود البصرة، فكان فيها أضرى المعارك، مما يبدو تكرر هذه الأحوال في العصور السابقة التي منها دخول البريطانيين لغزو العراق ودخول الزنج وغيرهم.

المعركة بين البصرة والابلة :

فقد جاء في الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد فتح البصرة أنه سأل فقال: «كم بينكم وبين الابلة؟» فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي وامي أربعة فراسخ.

قال له: «صدقت، فوالذي بعث محمداً وأكرمه بالنبوة وخصه بالرسالة وعجل بروحه إلى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال: يا علي هل علمت أن بين التي تسمى بالبصرة والتي تسمى الابلة أربعة فراسخ، وقد يكون في التي تسمى الابلة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون ألفاً، شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر» فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فداك أبي وامي؟

قال: يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنهم الشياطين سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم قليل سلبهم، طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان، مجهولون في الأرض معروفون في السماء، تبكي السماء عليهم وسكانها، والأرض وسكانها، ثم هملت عيناه بالبكاء»[1].

فهذه الرواية تتكلّم عن معركة تكون في موضع أصحاب العشور

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩.

بين البصرة والأبلة،على أن الابلة هي مدينة كبيرة كانت على شط العرب وهي ميناء تجاري ترسو فيه السفن القادمة من جميع البلدان.

ولعل موضع أصحاب العشور هو منطقة العشار اليوم لما روي «إن الله يبعث يوم القيامة من مسجد العشار قوماً شهداء وهي بالابلة»[1].

ويكون طرفا الصراع في هذه المعركة هو قوم من أمة محمد ﷺ من جانب لأن النبي ﷺ عبر عن ذلك بأنه يقتل من أمتي سبعون ألفاً، مما يدلّ على أن صفتهم الأولى هي الإسلام، وصفتهم الثانية أنهم في منافرة مع جبابرة الزمان المتكبرين، بمعنى الحكام وذوي الشوكة، والمسيطرين على العالم، لأنه عبّر عنهم بالمتكبرين من أهل ذلك الزمان، ولم يقل هم متكبروا البلد الفلاني أو القوم الفلانيون أو الأمة الفلانية، لا بل متكبروا ذلك الزمان على الإطلاق من دون تحديد ببلد.

والمنافرة بينهم ليست مجرد بغض وكراهة ولا الدخول في صراع مع جماعة من المتكبرين، وإنما هو استعباد وقهر وغلبة حيث عبرت بأنهم أذلة عند المتكبرين، وقد يراد أنهم قوم لا يعبؤ بهم عند المتكبرين ولا يقام لهم أي وزن، لضعفهم وفقرهم.

والصفة الثالثة أنهم مجهولون في الأرض، بأي سبب كان، إما لعدم إمساكهم بزمام الأمور في يوم من الأيام، وليس لهم موضع في الساحة السياسية، ولا يحسب لهم أي حساب، أو لقلتهم وتشتتهم وضعفهم.

والصفة الرابعة: هي أنهم معروفون في السماء، ولا يكون ذلك إلا لإيمانهم الصادق، وعقائدهم الحقة وهم أهل ذكر ودعاء يبلغ أنينهم ونجواهم السماوات، حتى صاروا معروفين فيها، وبعبارة أخرى هم المؤمنون الذي لا يكونون سوى الشيعة الإمامية.

---

(١) تاريخ البخاري: ١: ٢٩٣ ح ٩٤٣.

والصفة الخامسة: أنهم يقتلون ظلماً وعدواناً، فهم مظلومون بأشد أنواع الظلم وأبشعه لحد أن السماء وأهلها والأرض وأهلها يبكون عليهم والتي هي عبارة أخرى عن شدة مظلوميتهم وانقهارهم.

والصفة السادسة: أنهم شهداء مما يدل على أن جهادهم حق وعدل وليس هو مجرد دفاع على ما يبدو؛ لأن الرواية عبرت بالنفر للجهاد.

وأما الطرف الآخر للصراع في هذه المعركة، فهو قوة قوية قاهرة تمتلك من الأسلحة الفتاكة والعدد القوية.

والمهم أنّ هذه الرواية عبّرت عنهم بأنهم إخوان الجن على نقل ابن ميثم والمجلسي في موضع من البحار[1]، وفي موضع آخر لم يذكر كلمة الجن، وذكر أنهم إخوان فقط[2]، فعلى النقل الأخير يمكن استفادة أنهم مسلمون أيضاً، ولكن على النقل الأول تشكل معرفتهم ومعرفة ما هو المراد من كلمة إخوان الجن، فإن الجن من استقر واستجن وخفي، فيكونون إخوانهم باعتبار بُعد مناطقهم وخفائهم وعدم معرفتهم، أو أنهم يسكنون الوديان والمناطق الجبلية كالجن.

والصفة الأخرى وصفهم بأنهم جيل كأنهم الشياطين، فهم صنف خاص من البشر، متميزون عن غيرهم، يشبهون الشياطين في فعالهم وأشكالهم.

أما الفعال فبإيرادهم الضرر على الناس من طرف خفي مع شدة عداوتهم لهم. وأما الشكل فإن المتأتي في الأذهان من كلمة الشيطان هو القبح والنفرة.

والصفة الثالثة سواد ألوانهم، الذي يظهر في إرادة سواد الجلد،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩، البحار ٣٢: ٢٥٣.

(٢) البحار ٥٧: ٢٥.

فيقرب إرادة العبيد والزنج، إلا أن يكون سوادهم كناية عن سوء فعالهم أو المراد سواد ألبستهم.

والصفة الرابعة أن أرواحهم منتنة، مما يدل على خبث باطن وأفعال تعكس ذلك الخبث.

والصفة الخامسة شدة كلبهم وقلة سلبهم، مما يعني كثرة رهجهم وشدة تحركهم إلا أن توفيقهم قليل إذا قيس إلى ضراوتهم وقدرتهم.

فمن الممكن أن يراد بهم الزنج الذين اتبعوا علي بن محمد صاحب الزنج المنتسب كذباً إلى زيد بن علي وهو في الحقيقة من الأزارقة، خرج على الدولة العباسية سنة ٢٥٥ هـ في أطراف البصرة ودخلها بعد سنة من خروجه بعد مقاومة شديدة من أهلها، فأقبل يقتل الناس ويحرق المنازل والأسواق، فاستأمنه أهل البصرة فأمنهم ثم نادى بهم للاجتماع، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بأخذ السكك والطرق عليهم وغدر بهم، وأمر الزنوج بوضع السيف فيهم فقتل كل من شهد ذلك المشهد، ثم قيل للزنج دونكم الناس فاقتلوهم ولا تبقوا منهم أحداً، فأخذ الناس السيف وانتشر الزنج في سكك البصرة وشوارعها يقتلون من وجدوا وأحرقوا المسجد أولاً ثم الدور والأسواق فأخذت النار كل ما مرت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع[1].

فإذا صح هذا النقل الذي نقله ابن أبي الحديد وغيره فمن الضروري جداً تنبيه الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام على ذلك كي لا ينخدع الناس من أجل ذلك الانتساب إلى بعض أولاد زيد وإلى البيت النبوي، ولا تنسب إليهم تلك المجازر والغدر الذي لم يشهد له مثيل.

فيكون تحديث الرسول صلى الله عليه وآله وتنبيه أمير المؤمنين عليه السلام الناس عند دخوله

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة ٨: ١٤٥ ـ ١٤٨.

البصرة على ذلك وكذا باقي الأئمة من أجل ذلك الإيهام والالتباس، حتى جاء التصريح في رواية الطبري التي يرويها عن سلمان الفارسي قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يظهر القائم حتى يكون أمر الصبيان... وخربت البصرة وظهرت العشرة» قال سلمان، قلت: وما العشرة يا أمير المؤمنين؟ قال: «منها خروج الزنج»[1] ، ووقائع بالعراق.

ولكن حديث شهداء البصرة لم يتوقف عند تلك الخطبة وله روايات أخرى لا يستفاد منها إرادة خروج صاحب الزنج وفعله الأفاعيل بالناس، والرواية تدل على أن المعركة في الابلة بينما القتل الذي وصفته في نفس البصرة.

كيف وقد جاء في نفس هذه الخطبة ما يشعر بذلك، فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام غرق البصرة قبل ذلك الكلام فقام إليه الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك؟ قال: «يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان، وإن بينك وبينه لقروناً، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً وآجامها قصوراً فالهرب الهرب فإنه لا بصيرة لكم يومئذ، ثم التفت عن يمينه فقال كم بينكم وبين الأبلة...» وذكر الكلام السابق.

مما يشعر بأن الحديث عن أمور تحدث بعد قرون، بينما ثورة صاحب الزنج كانت بعد قرنين تقريباً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد حديث معركة الأبلة: «ويحك يا بصرة، ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس» قال له: المنذر: يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل؟ فقال: «هما بابان، فالويح باب الرحمة، والويل باب العذاب، يا ابن الجارود نعم، ثارات عظيمة، منها عصبة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال، وقتل رجال وسبي

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٧٤.

نساء يذبحن ذبحاً، يا ويل أمرهن حديث عجب، منها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقة، ناتئ الحدقة كهيئة حب العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدة من قتل الأبلة من الشهداء، أناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف...»[1].

فإذا كان هناك شبه بما صنع صاحب الزنج فهو حديث الفتنة التي يكون بها خراب منازل وخراب ديار و... وأما حديث الأبلة والشهداء فيها يتقوى فيه قربه من زمان خروج الدجال لأنه عليه السلام قال: «يتبعه من أهلها عدة من قتل بالأبلة من الشهداء» وإن كان مجرد إشعار من دون دلالة.

ويؤكّد ذلك المعنى وذاك الكلام الحديث الدال على خروج صاحب الزنج وخراب البصرة يخاطب فيه أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس ويقول فيه: «ثم تكون في سنة خمسين ومائتين وخمس، ثلاث فتن البلاد، فتنة بمصر الويل لمصر، والثانية بالكوفة، والثالثة بالبصرة، وهلاك البصرة من رجل ينتدب لها لا أصل له ولا فرع، فيصير الناس فرقتين، فرقة معه وفرقة عليه، فيمكث فيدوم عليهم سنين»[2] فإذا كان هلاك البصرة تفسيراً للفتنة الثالثة فمن المعلوم أن الذي حدث في سنة ٢٥٥ هـ هو خروج صاحب الزنج، وهو ممن لا أصل له، لعدم معلومية نسبه فمرة ينتسب إلى أحمد بن زيد ومرة أخرى إلى محمد بن زيد، وثالثة إلى يحيى بن زيد في كل مرة ينتسب إلى أحد كما جاء في كتب التاريخ[3]، ولا فرع له؛ لأنه لم يتبعه أحد ممن يعرف من بيوت الإسلام، ولا بيوت العرب، وإنما اتبعه الزنج من الموالي والعبيد وكل من لا أصل له ولا نسب.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩.

(٢) الملاحم والفتن: ١٢٤ عن فتن السليلي.

(٣) تاريخ الطبري ١١: ١٨٧ ـ ٢٢٢.

والمهم أنّ هذا الحديث لم يذكر شهداء الأبلة، وليس فيه مدح ولا قدح لواحد من الطرفين المتنازعين بل سبق التعبير عنه بالفتنة التي يغلب أن يكون الجانبان فيها من الظلمة الذين لا يصح اتباعهم ومؤازرتهم. والأمر في فتنة البصرة كذلك؛ فإنّ كلاً من العباسيين وصاحب الزنج هم من الظلمة الذين لا يهمهم سوى السلطة وبسط السيطرة على رقاب المسلمين، يخسر متبعهم ولا يكون من الشهداء الذين هم كشهداء بدر كما تصفهم الرواية، نعم أولئك الأبرياء الذين داستهم أرجل الفتنة ووطأتهم سنابك خيولها يمكن أن يكونوا بمنزلة الشهداء، وليسوا هم الشهداء الحقيقيين؛ لأن الشهيد من قتل بين الصفين.

فيبقى الحاجة إلى معرفة الطرف الآخر في معركة الأبلة أو غيرها ومن يكون القاتل لأولئك الشهداء الذين هم كشهداء بدر.

جاء التعبير في بعض الأخبار ببني قنطوراء، فقد روى ابن المنادي بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن أناساً من أمتي سينزلون حائطاً يقال له البصرة وعنده نهر له يقال له دجلة وتكون من أمصار المهاجرين، إذا كان في آخر الزمان جله بنو قنطورا قوم عراض الوجوه صغار الأعين فيفترق أهلها على ثلاث فرق، فأما فرقة فيأخذون بأذناب الإبل والبرية فيهلكون، وفرقة آخذون لأنفسهم وهلكوا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون، وهم شهداء»**[1]، وفي نقل آخر: **«وفرقة فيأخذونه لأنفسهم وكفروا»**[2].

يؤيد هذا النقل الأخير وأصل الخبر ما رواه الراوندي وابن شهر آشوب عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«وذكر أرضاً يقال لها البصرة إلى جنبها**

---

(١) الملاحم لابن المنادي: ١٣٨.

(٢) الملاحم لابن المنادي: ١٣٩.

نهـر يقـال لـه دجلة ذو نخل ينزل بها بنو قنطورا يتفرق الناس فيه ثلاث فـرق، ففرقة تلحق بأهلها فيهلكون، وفرقة تأخذ على أنفسها فيكفرون، وفـرقة تجعـل ذراريهـم خلف ظهورهم يقاتلون، قتلاهم شهداء يفتح الله على بقيتهم»[١].

وتتجـلى مـدى أحقـية المدافعين أمام بني قنطورا من الحديث المروي عـن حذيفـة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**يوشك بنو قنطورا أن يخرجوا أهل العراق من عراقهم**» ويروى «أهل البصرة منها ـ كأني بهم خنس الأنوف، خرز العيون، عراض الوجوه»[٢] والخَنَس تأخُّر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة[٣].

فإن دفاعاً مثل هذا الذي يذكره الخبر سيكون حقاً لا محالة؛ فهو دفاع عـن الأرض والأمـوال، وهـو مقاومـة للإجـلاء من الوطن،فمن الطبيعي يكـون القتـلى فيه شهداء، خصوصاً إذا كان بنو قنطورا من الكفار الذين يخاف منهم على بلاد الإسلام.

ولكن من هم بنو قنطورا؟

قـيل: إن قنطورا كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام ولدت له أولاداً مـنهم الـترك والصين[٤]، وبعدما كانت كلمة الترك غامضة جداً يمكن أن تعني المغول التتر، وكل من تفرع عنهم.

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ٦٩ ح ١٢٨، المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٢١ عن جبير بن عبد الله، البحار ١٨: ١١٣.

(٢) البحار ١٨: ١١٤.

(٣) لسان العرب ٦: ٧٢، القاموس المحيط ٢: ٢١٢.

(٤) مستدرك سفينة البحار ٨: ٦١٤.

والمهـم أن المسلمين هم الذي ينتصرون في نهاية المطاف لأنه جاء في رواية حذيفة «وفرقة تجعل ذراريهم خلف ظهورهم يقاتلون، قتلاهم شهداء يفتح الله على بقيتهم».

والنتـيجة لـنا أن نتسـاءل هـل أننا تمكّنا من التوفيق بين ما جاء في خطـبة أمـير المؤمنين عليه السلام في معرض الكلام عن معركة الأبلة التي تصف الهـاجمين بـأنهم إخـوان الجن سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم قليل سلبهم، وبين أحاديث بني قنطورا؟ لا أظن ذلك؛ لأن بني قنطورا أياً كانوا من الترك أو الصين أو غيرهما فليسـوا هم من السودان، وإن كانت كلمة إخوان الجن قد تتطابق معهم.

ومهمـا يكن من ذلك فإن المراد ببني قنطورا هم المغول والتتر لما دل على قدومهم إلى العراق من ناحية خراسان وسجستان كما يرويه ابن حماد بسـنده عـن سلامة بن مليح عن عبد الله بن عمرو قال أتيناه، فقال: ممن أنـتم؟ فقلنا من أهل العراق قال: والله الذي لا إله إلا هو ليسوقنكم بنو قنطورا من خراسان وسجستان سوقاً عنيفاً حتى ينزلوا بالأبلة، فلا يدعوا نخلـة إلا ربطـوا بهـا فرساً، ثم يبعثون إلى أهل البصرة إما أن تخرجوا من بلادنـا وإما ننزل عليكم، قال: فيفترقون ثلاث فرق، فرقة تلحق الكوفة، وفـرقة بالحجـاز، وفـرقة بـأرض العـرب الـبادية، ثـم يدخلـون البصـرة، فيمكثون بها سنة ثم يبعثون إلى الكوفة إما أن ترحلوا عن بلادنا وإما أن ننزل عليكم، فيفترقون ثلاث فرق فرقة تلحق بالشام وفرقة بالحجاز وفرقة بالـبادية أرض العـرب، وتـبقى العراق لا يجد أحد فيها قفيزاً ولا درهماً، قال: وذلك إذا كانت إمارة الصبيان فوالله لتكون رددها ثلاث مرات[1].

فهي وإن ذكرت الأبلة ولكن لم تذكر وقوع المعركة فيها، بل لم تذكر

---

(١) كتاب الفتن: ٤١٥.

أي معركة وإنما هو مجرد إنذار وتهديد يفر معه الناس، ولعل جميع ذلك قد تحقق عند دخول التتر العراق.

ولكن مع جميع ما ذكرناه وعرفناه من القرائن والشواهد على أن بني قنطورا هم المغول والتتر يشكل جمعه مع ما في رواية ابن المنادي المارة التي فيها «فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطورا» وهل يمكن أن يكون العهد الذي جاء فيه المغول والتتر في القرن السابع الهجري هو آخر الزمان؟! كلا لا أظن ذلك، فلعل بنو قنطورا هم المغول أو الترك أيا كانوا سيأتون في آخر المطاف، أو يجيء التتر مرة أخرى.

وينبغي أن أريح القارئ بأن الأخبار الواردة في معركة الأبلة وأحاديث بني قنطورا كلها ضعيفة السند وليس هناك ما يعول عليه وتركن إليه النفس، فليس لها سند سوى تحققها إذا كان المراد بمعركة الأبلة هي مقاومة صاحب الزنج، والمراد ببني قنطورا هم المغول والتتر، أو الأتراك الذين حكموا الدول الإسلامية أو سيتحقق في المستقبل غير الذي عرفناه، بأن يأتي قوم عراض الوجوه صغار الأعين أو خرز الأعين خنس الأنوف فيسوقون المسلمين من خراسان وسجستان حتى ينزلوا بالأبلة فتقاومهم طائفة من الناس قتلاهم شهداء.

وتكون معركة في الأبلة أي موضع أصحاب العشور منها معركة مع قوم سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم قليل سلبهم يكون كل من يقتلونه من الشهداء كشهداء بدر، هذا غاية ما تقتضيه النصوص بحسب ألفاظها، لكن لا يثبت شيء من ذلك لعدم تحقق أسنادها.

خراب البصرة :

لعل من العلائم على ظهور القائم عليه السلام هو حصول حرب أهلية وفتنة يليها خراب البصرة، فإن لم تكن من العلائم المتاخمة والقريبة من زمان الظهور فهي من العلائم غير القريبة ومن الأمور التي تسبق ظهوره كما جاء في

الأخبار التي منها الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين ﷺ بعد فتح البصرة فقال فيها: «يا ابن الجارود نعم تارات عظيمة، منها عصبة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحاً يا ويل أمرهن حديث عجب» والعصبة هم الجماعة يقتل بعضهم البعض، وهو الفتنة الأولى ثم تليها الفتنة التي هي اختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال هذه المرة ويكون فيها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال، ولعله هو خراب البصرة الذي عنونا به البحث.

والذي يهمنا أن هذا الخراب يحصل قبل قيام القائم ﷺ وكما دلت عليه الرواية التي يرويها الشيخ المفيد عن أبي عبد الله ﷺ قال: «يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة، ودماء تسفك بها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار»[1].

أشارت إلى عدّة نقاط حساسة منها نزوع الناس إلى المعاصي وارتكاب الذنوب، وهذا أمر طبيعي متحقق في كل زمان، ولكن ينبغي إرادة المبالغة في ذلك أكثر من أي وقت مضى، ويشمل أكثر الذنوب والمعاصي ولا يقتصر على جانب منها من أكل الناس بعضهم بعضاً وأكل المال الحرام وشيوع الزنا والفساد والفحشاء، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتهاون في الصلاة والصيام وسائر العبادات، بحيث لو استمر الأمر على هذا الحال قد لا تتحقق الأرضية المناسبة لظهور القائم ﷺ أبداً.

ولكن التدبير الإلهي يفوق ذلك الحال فيأتي بالمروعات التي تزجر

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٦١ مرسلاً عن الحسين بن سعيد، عن منذر الجوزي عن أبي عبد الله ﷺ، وفي ص ٧٤٢ ح ١٢٤ الرواية عن منذر الخوزي وفيها: «وخسف بمنارة البصرة».

الناس عن تلك المعاصي وتتهيأ الأرضية الصالحة لذلك التغيير الشامل.

ويكون نصيب البصرة أكثر من غيرها من المدن إما لاستفحال ذلك الداء فيها أو وجود المشوقات للتمادي في المعاصي مع أنهم من المحبين للإمام المهدي عليه السلام فلابد من استنقاذهم مهما كلف الثمن، ومهما كان باهضاً.

وهو كذلك لأن الرواية عبّرت أولاً بالخسف الذي يمكن تفسيره بأنحاء مختلفة ولكني لا أذهب إلى أكثر مما تعمله الأسلحة الحديثة، فليس هو انهيار الأرض تحت أقدام الناس ودخول الدور والناس والأسواق فيها، بل هو حفرة وهدم توجده الأسلحة الجديدة لا يسع الإمام التعبير عنه يومها إلا بالخسف، وإذا أمعن قائلهم عليهم السلام في وصف ما تفعله الأسلحة الحديثة والحروب قال: «ثم رجف ثم قذف، ثم خسف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر» كما جاء في خطبة البصرة المارة.

فهو أكبر تصوير لما تحدثه أصوات الانفجارات من الهزائز وتعبيرهم عليهم السلام عنه بالرجف، وعن قذف القلاذفات بالقذف وحصول التخريب في الأرض والدور بالخسف، وفعل الأسلحة الكيماوية وما يشابهها من التشويه بالمسخ، وما يفعله الحصار وقصف المخازن من الجوع الأغبر، وما هو حصيلة تبادل إطلاق النار وشظايا القصف من الموت الأحمر.

والأمر الآخر هي الدماء التي تسفك على وجه الأرض سببها الحرب الأهلية أو قتل الناس بعضهم بعضاً، وإن كان سبب ذلك الاختلاف وقتل الناس بعضهم بعضاً هو عمل الحكام الظالمين، وخروج الأمر من يد أهل الحلم والتؤدة ووقوعه بيد الشباب الطائشين، ويؤكد ذلك خطبة التطنجية التي جاء فيها: «واضطربت البصرة وصبا كل قوم إلى قوم»[1]، لأن كلمة صبا تعني الميل إلى جهلة الصبيان.

(١) مشارق البرسي: ١٦٦.

والأمر الثالث هو خراب الدور الذي يحدث من جراء الحروب، والدمار الذي يخلّفه استعمال الأسلحة الحديثة.

وأخيرها الفناء الذي يقع في أهلها بحصول القتل الجماعي.

فإذا بدأ ذلك ببغداد والبصرة فإنه سيشمل عامة أهل العراق في نهاية المطاف ويدوم الخوف والرعب بحيث لا يكون معه استقرار ولا قرار.

فإن هذه الرواية ومن خلال هذا البيان تشعر بأن ذلك يحصل قرب ظهور القائم عليه السلام ويدخل في التمهيد لحكومته وبسط العدل.

وهناك روايات أخرى تدل على أن ذلك علامة على ظهوره عليه السلام فارغاً عن كونه سبباً للتمهيد وحصول الاستعداد لاستقباله، منها الرواية التي يرويها الطبري بسنده عن سلمان الفارسي قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «لا يظهر القائم حتى يكون أمور الصبيان وتضييع حقوق الرحمن، ويتغنى بالقرآن بالتطريب والألحان، فإذا قتلت ملوك بني العباس أولي الخمار والالتباس أصحاب الرمي عن الأقواس بوجوه كالتراس، وخربت البصرة ... هنالك يقوم المهدي من ولد الحسين لا ابن مثله لا ابن»[1].

فقد جعلت هذه الرواية خراب البصرة من العلامات ولكن ليست المتاخمة، بل هي من الشرطيات التي أشرنا إليها في التمهيد، ومن المسلسلات لأنها ذكرت الكثير من الأحداث بعد ذكر خراب البصرة، ولكن في كتاب العدد القوية جعل خراب البصرة آخر الأحداث[2].

ويبقى تفصيل السبب المباشر في حصول ذلك الدمار وذلك القتل، فقد أشرنا إلى أن السبب هم الحكام الظالمون الذين يوقعون الفتنة بين الجماعات من أجل مطامع سياسية وغيرها.

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٥٣.

(٢) العدد القوية: ٧٥ ح ١٢٦، وعنه في البحار ٥٢: ٢٧٥ ح ١٦٨.

فقد جاء في الكلام الذي خاطب به أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس: «وهلاك البصرة من رجل ينتدب لها لا أصل له ولا فرع، فيصير الناس فرقتين، فرقة معه وفرقة عليه، فيمكث فيدوم عليهم سنين، ثم يولّى عليكم خليفة فظ غليظ يسمى في السماء القتال، وفي الأرض الجبار، فيسفك الدماء، ثم يمزج الدماء بالماء فلا يقدر على شربه، ويهجم عليهم الأعراب، وعند هجوم الأعراب يقتل الخليفة، فيفشو الجور والفجور بين الناس، وتجيئكم رايات متتابعات كأنهن نظام منظومات انقطعن فتتابعن؛ فإذا قتل الخليفة الذي عليكم فتوقعوا خروج آل أبي سفيان وإمارته عند هلاك مصر، وعند هلاك مصر خسف بالبصرة، خسف بكلاها وبأرجاها»[1].

فهي تدل على أن سبب خراب البصرة الأول هو رجل يدعى لأمر البصرة فيجيب أو يتصدى بنفسه لذلك لا أصل له لأنه ليس من بيوت المسلمين المعروفة، ولا فرع له لأن أمره ليس إلى شيء، فلا يكون له شجرة معروفة ولا ثمر ولا فرع، وليس عمله سوى الدمار وإيقاع الفتنة بين الناس حتى تكون فرقة معه وفرقة عليه يتسلط عليهم بذلك ويدوم عليهم مدة طويلة وإن جاء في الخبر سنين، ولكن سنين هذه الأخبار وأمثالها تعني طول المدة.

وأما حديث الخليفة الذي يولّى على الناس لا يراد به حاكم البصرة بل هو حاكم المسلمين أو لا أقل الحاكم على العراق برمته، ويكون في بغداد لأن الخلافة فيها.

وأظن أن الرواية وإمارته عند هلاك مصر، فيكون المراد هو هلاكها بدخول المغربي إليها كما مر، وعند هلاك مصر خسف بالبصرة، خسف بكلاها يعني مرعاها وأرجاها يعني أواخرها وأطرافها.

---

(١) الملاحم والفتن: ١٢٤ عن فتن السليلي.

وكان فيما قال أمير المؤمنين عليه السلام لحباب الراهب ببراثا بعد إخباره ببناء مدينة إلى جنب مسجده تكثر فيها الجبابرة إلى أن قال: «وسلط عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد، ثم يعود عليهم، ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها، وذلك إذا عمرت الخربة، وبني فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك أهل البصرة، ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط، فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه نحو بغداد فيدخلها عفواً...»[1].

ومن يكون أهل السفح، والحال أن السفح تستعمل في سفك الدماء وتستعمل في أسفل الجبل الذي يسفح أي ينصب فيه الماء[2]، أي المنطقة القريبة من الجبل وليس نفس المنطقة الجبلية وإلا قال من أهل الجبل.

ومن يكون ذلك الحاكم من أهل السفح الذي يحكم العراق فيخلع ثم يعود عليهم، ثم يخلع ثم يعود ثالثة، ثم يدخل البصرة.

ولكن لا أظن أن الذي يدخل البصرة هو ذلك الرجل من أهل السفح لأنه إذا كان من أهل السفح كيف يدخل البصرة أولاً ثم يذهب إلى واسط وبعدها يدخل بغداد بلا مقاومة إلا إذا كان دخوله عن طريق الخليج، فهو يدخل مرة، ثم يعود عليهم أخرى، وفي المرة الثالثة يفعل الأفاعيل ولا يدع قائمة يستند عليها إلا أغضبها وأهلكها وأهلك أهلها.

عند ذلك يكون هلاك أهل البصرة بنشوب الحرب الأهلية، وتجيء كل التحذيرات إذا عمرت البصرة وتحولت أكواخها دوراً ومجمع القصب فيها قصوراً، وبني المسجد الجامع.

---

(١) اليقين: ١٥٦ عن جابر الأنصاري، عن أنس بن مالك.

(٢) أنظر لسان العرب ٢: ٤٨٥، تاج العروس ٢: ١٦٤.

فقد قال أمير المؤمنين في خطبة البصرة المروية: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً وآجامها قصوراً فالهرب الهرب، فإنه لا بصيرة لكم يومئذٍ»[١].

وفي تذكرة أخيرة نشير إلى أن الخراب الذي يطال البصرة ليس هو الخراب الشامل الذي يؤدي إلى تعطيل المدينة، وإنما يخرب بعض أطرافها لأنه جاء في الخطبة: يا منذر والذي فلق الحبة وبرئ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة...» إذا كان المراد عرصات البصرة لا عرصات الدنيا، والأخير أنسب.

الخسف والقذف والمسخ :

تقدم الكلام في حقيقة الخسف والقذف والرجف والمسخ المذكور في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام واستقربنا أنه من فعل الأسلحة الحديثة، وليس هو الخسف بمعنى انهيار الأرض ولا القذف هو القذف بالحجارة السماوية والشهب والصواعق ولا الرجفة هي الزلزلة ولا المسخ هو تغيير الصورة إلى صورة حيوان كما كان يحدث في بني إسرائيل.

نعم هناك رواية تدل على ذلك رواها أبو داود عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال «**يا أنس، إن الناس يمصرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلاها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها؛ فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير**»[٢] فهي رواية ضعيفة السند، واهية المضمون، فكيف يتصور تعطيل مدينة لأجل حدث،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٩٠.

(٢) سنن أبي داود ٤: ١١٣ ح ٤٣٠٧.

يكون بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام على الأقل.

نعم لما كانت البصرة منتهى مجاري المياه التي تشرع من آفاق بعيدة تحمل معها الأوساخ والأقذار مع كثرة المياه فيها ورطوبة الجو الكثيفة وارتفاع درجة الحرارة، فهي موبوءة ومنتنة كثيرة الداء.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن جبرئيل عليه السلام أخبره أنه طويله الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء، وأبعدها من السماء، وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال، المقيم فيها مذنب، والخارج منها متدارك برحمة، وقد ائتفكت بأهلها مرتين وعلى الله تمام الثالثة»[1].

السفياني والبصرة :

لم تذكر الأخبار دخول السفياني البصرة ولا ما يفعل بأهلها، وغاية ما ورد هي رواية فيها ترديد واضطراب جاء فيها: «ويرجع السفياني فيدعو إلى نفسه بجماعة أهل المغرب فيجتمعون ما لم يجتمعوا لأحد قط لما سبق في علم الله تعالى.

ثم يقطع بعثاً من الكوفة، فإن يكن البعث من البصرة فعند ذلك تهلك عامتهم من الحرق والغرق، ويكون حينئذ بالكوفة خسف، وإن يكن البعث من قبل المغرب كانت الوقعة الصغرى...»[2].

فما معنى أنه يقطع بعثاً من الكوفة ثم الترديد بأنه إن يكن البعث من البصرة كذا وإن يكن من المغرب كذا، ولا دلالة في قطع البعث من البصرة على دخوله فيها وفتحها، إلا أن نلتزم بأن إسقاط بغداد هو إسقاط لجميع العراق كما هو القاعدة في احتلال الدول.

---

(١) تفسير القمي: ٢: ٣٣٩.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٧ عن كعب ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله.

الدجال والبصرة :

عـندما ذكـر أمير المؤمنين عليه السلام ما يصيب البصرة من الغرق وغيره وقال: «ويحك يا بصرة، ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس، قال له المنذر يا أمـير المؤمـنين: ومـا الـذي يصـيبهم مـن قـبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويـل؟ فقـال: همـا بابـان، فـالويح باب الرحمة، والويل باب العذاب، يا ابن الجـارود نعم تارت عظيمة منها عصبة...، ومنها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعـور الممسوح العين اليمنى، والأُخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقـة، ناتئ الحدقة، كهيئة حبة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدة، من قتل بالأبلة من الشهداء، أناجيلهم في صدروهم يقتل من يقتل ويهرب من يهـرب، ثم رجف، ثم قذف، ثم خسف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق»[1].

فـأوّل مـا تـدلّ عليه هذه الرواية هو تعدد الدجال وأنه هناك دجّال أكبر والآخر أصغر، ثم يبدو أن الدجل المذكور مسيحي الديانة، ولذا يصف أتباعه بأن أناجيلهم في صدورهم.

فيـبقى وصـفه وخصوصـاً عينيه إحداهما ممسوحة والأخرى كالعلقة وحدقة عينه ناتئة كحبة العنب الطافية، ويندر وجود إنسان بهذا الوصف، أي لـه عين واحدة حمرتها كحمرة الدم وفي نفس الوقت هي كحبة العنب الطافية على الماء.

ومـا أظنه سوى الكناية عن النظر بعين واحدة وهو النظر إلى الدنيا والمنافع والأغراض الدنيوية ليس بعين عادية بل بعين حمراء لا ينطبع فيها إلا الدم والدمار ولا تعرف أي معنى للرحمة.

وهـناك روايـة تدل على أن الدجال أول ما يرد من البلاد هو الجبل

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩.

المشرف على البصرة الموسوم بجبل سنام وأول ماء يرده هو الماء الكثير الذي إلى جانب الجبل.

فقد روى ابن حماد عن كعب قل: «أول ما يرده الدجال سنام، جبل مشرف على البصرة وماء إلى جانبه، كثير الساف يعني الرمل هو أول ما يرده الدجل»[١].

وفي نقل آخر: «أول ماء يرده الدجال من مياه العرب إلى جنبه جبل مشرف على البصرة يقال له سنام»[٢].

وقال كعب لأبي عثمان الهندي: إلى جانبكم جبل مشرف على البصرة يقال له سنام؟ فقال: نعم، قال فهل إلى جانبه ماء كثير السافي؟ قل: نعم، قل: فإنه أول ماء يرده الدجال من مياه العرب[٣].

وسيأتي الكلام عن الدجال وفعاله، لا نرغب في التوسع فيه في هذا الموضع لضعف الأخبار.

غرق البصرة :

آخر بلاء يصيب البصرة هو الغرق بكيفية خاصة منعوتة في خطبة البصرة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام قال فيها مخاطباً أهل البصرة: «كأني أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر» فقام إليه الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك؟ قال: «يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان، وإن بينك وبينه لقروناً، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً، وآجامها

---

(١) كتاب الفتن: ١٥٠.

(٢) حلية الأولياء ٦: ١٣.

(٣) الفائق للزمخشري ٢: ١٨٥.

قصوراً، فالهرب الهرب فإنه لا بصيرة لكم يومئذ»[١].

ولعل قوله عليه السلام في هذه الخطبة وغيرها: «ويحك يا بصرة، ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس» هو تعبير آخر عن الغرق وشمول الماء جميع البصرة بهدوء حتى أنهم يستيقظون وقد غطى جميع المدينة، وليس له حالة السيل؛ لأنه لم يعبر بالسيل، غير أن في خطبة البصرة: ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق» والصحيح ثم الغرق، فأين الغرق من الموت الأحمر الذي هو كناية عن القتل بالسيف.

والمهم معرفة أن ذلك قبل قيام القائم أو بعده، فالروايات لم تصرح بذلك وليس هناك ما يدل على شيء من ذلك سوى رواية واحدة تدل على أن الغرق بأمره عليه السلام، وهي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي تسمى بالمخزون جاء فيها: «ويسير الصديق الأكبر براية الهدى والسيف ذو الفقار والمخصرة حتى ينزل أرض الهجرة مرتين وهي الكوفة فيهدم مسجدها ويبنيه على بنائه الأول ويهدم ما دونه من دور الجبابرة، ويسير إلى البصرة حتى ليشرف على بحرها ومعه التابوت وعصا موسى فيعزم عليه فيزفر زفرة بالبصرة فتصير بحراً لجياً فيغرقها لا يبقى فيها غير مسجدها كجؤجؤ السفينة على ظهر الماء»[٢].

هذه الروايات أيضاً ضعيفة السند لا يمكن التعويل عليها في إثبات شيء من ذلك، ولكن هناك مؤيدات تدل على تأخر الغرق إلى زمان ظهور القائم أو بعده كالرواية الدالة على أن القائم يحارب أهل البصرة رواها النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاث عشرة مدينة وطائفة يحارب أهلها ويحاربونه أهل مكة... وأهل البصرة»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ١: ٣٨٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٥١٩.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٩٩ ح ٦.

أحداث الحجاز

حدث بين الحرمين:

هناك همس في الأخبار عن حدوث حادثة بين الحرمين تكون علامة على ظهور القائم عليه السلام على ما يبدو متاخمة، غير أن الأخبار لم تذكر فيها التفاصيل، ولم تتعرض سوى لوقوع قتل من دون التعريف بالقاتل ولا المقتول، ولا السبب والعلة في ذلك، فهو أمر يمكن أن يحدث في كل زمان، وبهذا يفقد هذا الحدث علائميته، ولكن إلقاء النظر على الخبر الدال على ذلك قد يوصلنا إلى بعض النتائج.

روى الحميري بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال في معرض الحديث عن قيام القائم وقد سأله الراوي، فأنت هو؟ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وقال: «إن قدام هذا الأمر علامات، حدث يكون بين الحرمين» قال الراوي: ما الحدث؟ قال: «عصبة تكون ويقتل فلان من آل فلان خمسة عشر رجلاً»[1].

ومعلوم أن المراد من هذا الأمر هو قيام القائم عليه السلام كما تقتضيه القرائن والشواهد وقرينة المقام.

والعصبة هي الجماعة، وكلمة فلان تستعمل في بعض بني العباس في الغالب، وقد يراد بها غيرهم كما قلنا سابقاً.

وروى الشيخ المفيد بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن من

---

(١) قرب الإسناد: ٣٧١.

علامات الفرج حدثاً بين المسجدين ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً من العرب»[1] ورواه الشيخ الطوسي بدون كلمة من العرب[2] مما يقوي احتمال إرادة جماعة من الرؤساء المعروفين؛ لأن الكبش هو سيد القوم، فالذي يمتاز به هذا الحدث هو كونه حدثاً سياسياً يلفت أنظار العالم وتتناقله وسائل الإعلام.

مع أن قيد من العرب يضعف احتمال إرادة بني العباس.

وتظل كلمة عصبة فاقدة لدورها في هذا الحادث، إلا إذا كانت تعني حركة سياسية أو ظاهرة اجتماعية.

نعم روى الراوندي هذا الخبر كما في قرب الإسناد غير أن فيه عصبية بدل عصبة[3]، والعصبية هي شدة ارتباط المرء بجماعته وعصبته، وجدّه في نصرتها والتعصب لمبادئها.

والتعصّب للمبادئ هو أمر دخل الساحة السياسية من القديم وصار له دور أكبر حينما تبدّلت سياسة السياسيين إلى السعي في الاستفادة من كل عصبية في سبيل تحقيق مطامع وأهداف دنيوية، بعدما كانت سياستهم هو صدّها وإحباطها، حتى كان آخرها هو الاستفادة من الفكر الشيعي وقدراته لتحقيق مطامع عظيمة وتحديد حركات ومعتقدات معادية ناشطة.

روى الكليني بسند معتبر عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين، فيأرز العلم كما تأرز الحية في حجرها، واختلفت الشيعة...»[4] دلّ هذا الخبر على أن هذه البطشة

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٦٠.

(٢) الغيبة: ٢٧٣

(٣) الخرائج والجرائح ٣: ١١٧٠.

(٤) الكافي ١: ٣٤٠ ح ١٧، رواه النعماني في كتاب الغيبة: ١٥٩ ح ٧ إلا أن فيه السبطة بدل البطشة.

إنما تكون في مصدر العلم، لأنها رتبت عليها غياب العلم واختفاء أهله، يـتقوى معه احتمال إرادة وقوع البطشة في المسجدين، وليس في الحد الفاصل بينهما.

وغاية ما ورد التعبير عن ذلك في الأحاديث النبوية أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: **«يا علي عشر خصال قبل يوم القيامة ألا تسألني عنها؟ قلت: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: اختلاف وقتل أهل الحرمين، والرايات السود...»**[1].

فهـو يقوي الاحتمال الأخير، غير أنه لا يتماشى مع الرواية الدالة على قتل فلان خمسة عشر رجلاً، فليس هذا قتل أهل الحرمين، فلعل النبي صلى الله عليه وآله يتحدث عن شيء آخر.

وغايـة مـا يمكـن فهمـه من هذه الأخبار بمجموعها هو وقوع النقمة على رجال الدين والعلماء وحتى السياسيين في مكة والمدينة من قبل رجل ينـبغي أن يكون هو الحاكم على البلاد، فيأمر بقتلهم من دون تمييز، وهو المعنى التي تعطيه كلمة البطشة.

نار الحجاز :

لـولا كـلمة الحجاز لكان فهمنا لهذه النار التي تتحدث عنها الأخبار أوسع وأفضل؛ بيد أن الحجاز يعني غرب الجزيرة العربية، وإنما يطلق على عامة الجزيرة بالمسامحة والأهمية.

فالـروايات تـتحدث عن نار تخرج من أرض الحجاز لابد من ذلك، ولها صفات عجيبة غير متواجدة في النار المألوفة نعرض لها بالتدريج.

أمـا أصـل خـروج النار فقد دل عليه الخبر الذي يرويه البخاري عن

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ح ٥٣.

رسـول الله ﷺ قـال: **«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»**[١].

وكـيف يمكـن أن تضيء النار التي تخرج في الحجاز أعناق الإبل في مدينة بصرى الـتي هـي في أقاصي الشام؟! فهذه هي إحدى الصفات غير المألوفة في النار

وهـناك روايـات يـرويها محدثو المذهب السني تعين خروج النار من جبل الـوراق بالـيمن أو «حـبس سيل» مكان قريب من المدينة المنورة، أو في وادٍ من أودية بني سليم التي بين نجد والحجاز[٢]، أو من رومان أو ركوبة.

وقـد وقـع التعبير عن هذه النار في روايات المذهب الشيعي بنحو آخر، فقد أُسند إلى الصادق إلى آبائه عليهم السلام أنّ علياً عليه السلام قال: «إذا وقعت النار في حجازكم، وجرى الماء بنجفكم فتوقعوا ظهور قائمكم»[٣].

والمهم أن هذه النار فارغاً عن طبيعتها هي علامة على ظهور القائم عليه السلام تحدث قريباً من زمانه، ولكن الرواية مجملة جداً، لأنها أشارت إلى وقوعها مـن دون الإشارة إلى مكان وقوعها ولاكيف تقع، وهل أن وقوعها كوقوع المرض الذي يعني الانتشار والتفشي والانتقال، أو كوقوع الواقعة؟!

نعـم هـناك روايـات قـد تعكس طابعاً عن تلك النار منها رواية الفردوس: «لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء أعناق الإبل ببصرى»[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٨: ١٠٠.

(٢) أنظر مسند أحمد ٣: ٤٤٣، ومستدرك الحاكم ٤: ٤٤٢، ومجمع الزوائد ٨: ١٢ و١٣، وكنز العمال ١٤: ٣٤٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٢: ١٣٢.

(٣) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٨.

(٤) الفردوس ٥: ٨١ح ٧٥٥١ مرسلاً.

فهي تتحدث عن نارٍ غير طبيعية مبدؤها الحجاز ويبلغ نورها أقصى نقاط العالم، التي منها مدينة بصرى الواقعة في أقاصي الشام ويضرب بها المثل لكل بعيد في ذلك الزمان.

وكيف يسيل وادٍ من أودية الحجاز مع العلم بأن النار لا تسيل، وإنما يسيل المائع والسائل الذي ينبغي أن يكون هو وقودها في الحقيقة، ويكون بلوغ نورها كناية عن نقل ذلك السائل إلى أقصى نقاط العالم والاستنارة به.

فلولا كلمة الحجاز لقلنا إن المراد هو النفط الذي تم اكتشافه في شرق الجزيرة وليس في الحجاز الذي يعني الغرب، إلا إذا التزمنا بإرادة عامة الجزيرة من كلمة الحجاز ولو بضرب من المجاز.

كما ويحتمل إرادة شيء آخر غير البترول يُكتشف بعد حين في الحجاز قرب المدينة أو في جبل الوراق ووادي بني سليم وغيرها، ولكنه بعيد لعدم وجود الشهامة في العرب إلى هذا الحد وغيرهم من البلدان الصناعية يحرم عليهم دخول هذه البلاد.

ويؤيد إرادة مثل البترول المروي عن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وآله: «**أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»[1] والحشر هو الجمع، فكيف يعقل جمع الناس من المشرق إلى المغرب غير إرادة خصوصيات الجمع وما يحدث في كل اجتماع من الأمور التي منها رؤية بعضهم البعض وسماع كلام البعض، وهذا ما فعله البترول إلى حد صار العالم بأجمعه كقرية واحدة، المعبر عنها بالقرية العالمية.

ولما كانت جميع الروايات الواردة في حديث النار ضعيفة السند موهونة الدلالة، لا يمكن التزام شيء أكثر مما تحقق إلى يومنا هذا.

---

(١) صحيح البخاري ٨: ١٠٠.

موت خليفة (عبد الله):

يبدو أن كل الأمور معطوفة على موت خليفة بنوع من الغموض والإبهام تتوالى على أثر موته الأحداث حتى تنتهي بظهور القائم عليه السلام. كما تؤكد الأخبار على موت عبد الله الذي يكون بموته فرج الناس وحصول البشارة بظهور القائم عليه السلام، فلعل ذلك الخليفة المذكور في الطائفة الأولى هو عبد الله المشار إليه في الطائفة الثانية من الأخبار.

ولم تعين الأخبار محل خلافته وهل هو في العراق أو الشام أو الحجاز، غير أن المؤشرات تشير إلى أنه في الحجاز، كما أن بعض الأخبار تنسبه إلى بني العباس وأنه آخر خلفائهم على الإطلاق، أي بعد تجدّد ملكهم، لأنهم بدؤا بذي العين وبها يختمون.

ولكن ببالي أني قرأت رواية في كتاب قديم مفاده «أنه يكون خليفة اسمه اسم حيوان يليه عبد الله، عبد الله ضعيف لا يستقيم الأمر عنه إلى القائم» فيتقوى معه احتمال إرادة الخليفة في الحجاز.

ويزداد قوة إذا أضيف إليه الخبر الدال على مجيء رجل في عرفات يخبر الناس بموت خليفة يحدث على أثر ذلك اضطراب شديد فيقتل هذا المخبر، ولعلنا سنورد الأخبار الدالة على ذلك بالتدريج.

روى عبد الرزاق عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام**»[1].

ونحن بانتظار موت خليفة يكون على أثر موته اختلاف يطول أو لا يطول ثم يكون خروج القائم عليه السلام.

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٧١ ح ٢٠٧٦٩.

ولم تذكر هذه الرواية أكثر من موت الخليفة وحصول الاختلاف من دون تعيين لصفاته ومحل خلافته ولا اسمه ونسبه.

وهناك رواية أخرى أخص من تلك الرواية يرويها الشيخ الطوسي بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:«من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم، إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتناهَ هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين، ويصير ملك الشهور والأيام» فقلت: يطول ذلك؟ قال: «كلا»[1] وفي سند الرواية درست بن أبي منصور الذي لم يرد فيه سوى التوثيق الإجمالي؛ لأن الشيخ قال: إن علي بن الحسن الطاطري يروي عن الروات الموثوق بهم، ومن أولئك الذين يروي عنهم الطاطري هو درست المبحوث عنه، ولوروده في تفسير القمي، فلعل هذا المقدار يكفي في محل البحث.

ولكن أبا بصير مشترك بين الضعيف والثقة ولا يتميز برواية عمار بن مروان الراوي عنه، إلا إذا حمل الإطلاق على المرادي الثقة وهو مشكوك فيه.

وأما مفادها وما انطوت عليه من المعاني التي تظهر بعد التشريح فهي أمور أولها علائمية موت عبد الله على ظهور القائم عليه السلام من دون استفادة المباشرة منها، لأن الرواية دلت على وصول غير عبد الله من الملوك بعد موته إلى الحكم، ولكن لا يطول ملك أحدهم ولا يتجاوز الشهور والأيام.

كما أنها تدل على حصول التشتت وعدم اجتماع الناس بعده على أحد فيحصل الانقسام والاختلاف وحتى تقسيم السلطة كما تدل عليه روايات الاضطرابات الحاصلة في مكة والمدينة القاضي باستقلالية كل من مكة والمدينة في السلطة والحكومة وعدم خضوعهم لحكومة مركزية، وإنما

---

(١) الغيبة: ٢٧١.

يكون لهم نحو مماشاة مع حكومة السفياني في الشام.

كما يستفاد منها استدامة ذلك الاختلاف والتشتت إلى ظهور الإمام عليه السلام.

وأما حديث المخبر الذي يخبر الناس بعرفات فقد رواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعبلة يخبرهم بموت خليفة يكون عند موته فرج آل محمد صلى الله عليه وآله وفرج الناس جميعاً»[1].

ولما كانت الذعبلة هي السريعة، فقد يوحي الرواية إلى مبادرته وإفشائه لخبر موت ذلك الخليفة بنوع من الفرح والسرور، الأمر الذي يكون سبباً لحصول اضطراب بين مريديه ومناوئيه.

يستفاد ذلك من الرواية التي يرويها النعماني أيضاً بسنده عن أبي الطفيل قال: سأل ابن الكواء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الغضب، فقال: «هيهات الغضب هيهات، موتات بينهن موتات، وراكب الذعبلة، وما راكب الذعبلة، مختلط جوفها بوضينها، يخبرهم بخبر فيقتلونه، ثم الغضب عند ذلك»[2].

وما قتل المخبر إلا علامة على أنه جاء مستبشراً بالخبر، مع وجود من يؤلمه الخبر بحيث يدعوه إلى قتل ذلك المخبر، وإن كان المستشعر من الرواية قيام السلطة وأعوان الحكام بذلك، ولكن قوله ثم الغضب يدل على انقسام الناس أنفسهم إلى قسمين، طائفة له وطائفة عليه، بحيث تحصل فوضى واضطراب وقتل وملحمة عظمى هي المعبر عنها بملحمة منى على

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٧ ح ٣٧.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٦٨ ح والوضين مما يشد به الرحل، ومختلط جوفها بوضينها يعني أن الوضين وما يشد به السرج يكون داخل الجوف، لعله كناية عن الوسائط النقلية الحديثة، أو يكون كناية عن سرعة السير.

ما يبدو، يرويها ابن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «في ذي القعدة تحارب القبائل، وعامئذ ينهب الحاج، فتكون ملحمة بمنى، فيكثر فيها القتلى، وتسفك فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة، حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره»[1].

ولكن بيّنا أن حدث الإخبار بموت الخليفة لا يكون قريباً من ظهور القائم بهذا الحد.

ومهما يكن من ذلك فلنا وقفة هنا مع هذه الأخبار حول محل خلافة الخليفة المقتول وهل هو خليفة الحجاز أو خليفة آخر.

ليس في الأخبار ما يدل على ذلك أو ينفيه، وليس فيها سوى ذياع الخبر في الحجاز، وهذا لا يعني أن الخليفة هو خليفة الحجاز، نعم إذا تم الخبر الذي كنت رأيته في بعض الكتب القديمة ولم أعثر عليه بعد ذلك في شيء من المصادر المعروفة فيترجح إرادة خليفة الحجاز، لحكومة من اسمه اسم حيوان، وولي عهده عبد الله، وهو ضعيف بدت أمارات ضعفه وصارت تظهر للعيان، وأخيراً نذكّر على أن جميع الروايات ضعيفة السند لا يمكن إثبات شيء من ذلك إلا بتحققه.

ملحمة منى :

تقدمت الرواية الدالة على وقوع الملحمة بمنى ومدى شدتها والدماء السائلة فيها، مع احتمال تسبيب ذلك الخبر في حدوثها، ينضاف إليه كلب الناس الناشئ من الضلال والتيه الذي أصاب الأمة الإسلامية إذ لا إمام يجمعهم ولا راع يرعاهم.

كما هو مستفاد ومستشعر من الرواية التي يرويها الحاكم عن عبد

---

(١) كتاب الفتن: ٣٩.

الله بـن عمـر قال: يحج الناس معاً، ويعرّفون معاً على غير إمام، فبينا هم نـزول بمنى إذ أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضها إلى بعض واقتتلوا حـتى تسـيل العقبة دماءً، فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي، كأني أنظر إلى دموعه، فيقولون: هلم فلنبايعك، فيقول: «ويحكـم كـم عهـد قد نقضتموه، وكم دم قد سفكتموه» فيبايع كرهاً، فإذا أدركتموه فبايعوه، فإنه المهدي في الأرض، والمهدي في السماء[1].

معركة الطائف:

هـي معـركة بني هاشم مع حكام مكة والمدينة بعد وقوع النقاش بين بني هاشم وحاكم مكة بينهم وإقدام حاكم مكة على قتل رجل من الهاشميين.

لما رواه ابـن حماد بسـنده عـن ابـن عباس قال: «سيكون خليفة من بني هاشـم بالمديـنة فـيخرج نـاس منهم إلى مكة، فإذا قدموها أرسل إليهم صاحب مكة: ما جاء بكم، أعندنا تظنون أن تجدوا الفرج؟»[2].

ولعـل المـراد مـن بني هاشم في هذا الخبر هم بنو العباس بقرينة أن الرواية عن ابن عباس الذي يروي عما يصير إليه أولاده وبنوه غالباً، وإن كان الكلام مطلقاً يحتمل فيه إرادة أي غصن من بني هاشم، ولكن تصوّر حكومـة غيرهم من بني هاشم كالطالبيين أو بني جعفر في العصور المتأخرة وفي آخر الزمان بعيد جداً، ولكن لا يعني عدم إمكانه مع وجود الحكام من الحسـنيين في الأردن والمغـرب وحتى في السعودية قبل صعود آل سعود إلى مقاعد الحكم.

ومهما يكن من ذلك فالرواية تتكلم عن هاشمي يحكم المدينة أو هو والٍ عليها ولكن الرواية عبّرت بالخليفة.

---

(١) المستدرك ٤: ٥٠٣ ح ٥٠٤.

(٢) كتاب الفتن: ٢٠٠

وقد يكون لذلك الخليفة مجرد حضور فيها من دون أن يكون له سلطة ولكن يحتاج إلى إثبات.

والأغمض من ذلك هو خروج ناس من بني هاشم إلى مكة حيث لم تذكر الرواية دليله سوى ما يتراءى من كلام حاكم مكة أن خروجهم من أجل شدّةٍ أصابتهم بخصوصهم، أو من أجل تأمل حصول الفرج، فيقول لهم: ما جاء بكم؟ أعندنا تظنون أن تجدوا الفرج؟! أي لسنا ممن يرجى حصول الفرج على يديه، ولا يرجى الفرج عند أهل مكة المعروفين بهجرهم لبني هاشم وقلايتهم من يوم بعثة النبي صلى الله عليه وآله وخصوصاً في العصور المتأخرة، ألا بعداً لهم وسحقاً، وإن كان هذا الكلام يعني في عرفنا مجرد الاستعفاء تخوفاً من سطوة الحاكم الجائر.

ثم تذكر هذه الرواية باقي الحدث فتقول: «فيراجعه رجل من بني هاشم فيغلظ عليه، فيغضب صاحب مكة فيأمر به فيقتل» مما يدل على إظهار حاكم مكة ما أطمع هؤلاء النفر في استجابته لهم ومساعدتهم على تحقيق مآربهم، ولكن واقعه ليس كما يظهر ويعلن، وأنه كالحية لين الملمس وفي جوفه السم القاتل، فيبادر إلى قتل ذلك الرجل من بني هاشم من دون أن يراعي فيه قرابته من النبي صلى الله عليه وآله.

وعندما تقف هذه الجماعة على حقيقة ذلك المجرم القاتل يقول الخبر: «فإذا كان من الغد جاءه رجل منهم قد اشتمل بثوبه على سيفه، فيقول: من حملك على قتل صاحبنا؟ فيقول: أغضبني، فيقول: اشهدوا يا معشر المسلمين أنه إنما قتله لأنه أغضبه فيخترط سيفه فيضربه به، ثم ينحازون نحو الطائف».

فعملية الثّأر هذه واضحة، والكلام المتبادل يدل على وجود نوع من الحرية في ذلك البلد أو قوة تلك الجماعة من الهاشميين بحيث لا يتمكن صاحب مكة من الاستهانة بهم.

ومهما يكن من ذلك فالكلام اللاحق في صيرورتهم إلى الطائف دون

المدينة التي هي معقلهم الأول وعليها خليفة من بني هاشم، يرسم بعض الغموض في المسألة.

بعدها تتكلم الرواية عن الدواعي النهائية والحجج الدافعة لتحقق معركة الطائف حيث تقول: «فيقول أهل مكة: والله لئن تركنا هؤلاء حتى يبلغ خبرهم الخليفة ليهلكنا، قال: فيسيرون إليهم» فيا ترى من هذا الخليفة الذي يخافون سطوته هل هو الخليفة في الرياض أو في الشام أو غيره لم تتعرض الرواية لذلك، وإن جاء في خبر آخر أنه الخليفة في الشام، أعني السفياني.

نرجع إلى الهاشميين وردود الفعل التي تبدو منهم بعد مسير أهل مكة إليهم تذكرها الرواية وتقول: «فيناشدهم الهاشميون الله الله في دمائنا ودمائكم، قد علمتم أنه قتل صاحبنا ظلماً» وتخوفهم على دماء الطرفين دليل على قوة الهاشميين وعدم رغبتهم في نشوب القتال بين أهل مكة وبين الهاشميين لأنه لا يحقق شيئاً من الأهداف الرئيسية، ولكن اللجاجة المعروفة عند أكثر أهل مكة وكرههم لبني هاشم يجعلهم يصرّون على القتال، فتقول الرواية: «فلا يرجعون عنهم حتى يقاتلوهم، فيهزموهم ويستولون على مكة» فلا يستطيع أهل مكة بتعنتهم أن يكسبوا رضا الخليفة ولا حتى احتفظوا ببلدهم.

ويقول بعدها: «ويبلغ صاحب المدينة أمرهم فيقولون: والله لئن تركناهم لنلقين من الخليفة بلاءاً، فيبعث إليهم صاحب المدينة جيشاً فيهزمونهم، فإذا بعث الخليفة إليهم بعثاً فهم الذي يباد بهم»[1].

فقد ذكرت هذه الرواية ما يصنع حاكم المدينة، وذكرت بعث الخليفة الذي اتضح أنه السفياني بعثاً إلى المدينة ويباد بهم بالخسف بالبيداء على الظاهر.

---

(١) كتاب الفتن: ٨٩.

وهناك رواية أخرى تذكر ماذا يصنع حاكم المدينة وحاكم الشام وكيف يباد بهم يرويها ابن حماد أيضاً عن ابن عباس جاء فيها: «يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهزمونهم، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة عريف، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راع ينظر إليهم ويتعجب ويقول: يا ويح أهل مكة، ما أصابهم فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خسف بهم»[1].

فقد رفعت هذه الرواية الكثير من الملابسات والغموض الذي كان في الرواية الأولى، حيث بينت أن الخليفة الذي يخافون سطوته هو السفياني في الشام، وحددت إبادة الجيش بالخسف.

فلا يبقى سوى شيء واحد، وهو تعيين ذلك الخليفة الهاشمي الذي يكون بالمدينة، وكذا الهاشميين من أصحابه، فالظاهر هو الإمام المهدي عليه السلام عبر عنه بالخليفة لأنه الخليفة الحقيقي ـ وإن لم يكن له سلطة فعلية، وتكون السلطة الفعلية لرجل يبعث جيشاً لقتال الهاشميين في مكة ـ لما تقدم عند الكلام عن شعيب بن صالح والسفياني من العلامات، من أن جيش الشام إنما يبعث إلى المدينة لأجل تواجد الإمام وشعيب فيها فيخرجان منها إلى مكة قبل وصوله إليها، ثم يخرج الجيش في تعقيبهما وهم الذين يخسف بهم.

ولعل المراد بأصحابه هم الثلاثمائة وبضعة عشر الذين يجتمعون إليه من البلدان المختلفة والتسمية بالهاشميين للتغليب، كما يغلب الظن أن ذلك، المقتول في مكة هو النفس الزكية.

والذي يستشم من هذين الخبرين هو تشتت الأمور في الجزيرة العربية ويكون لكل بلد منه حاكم مستقل من دون توفر حكومة مركزية تحكم البلاد، أو تكون حكومة ضعيفة يفلت من يدها زمام الأمور.

---

(١) كتاب الفتن: ٩٠.

ويؤيد جميع ذلك ما رواه عبد الرزاق عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم..**»[1].

(١) المصنف ١١: ٣٧١ ح ٢٠٧٦٩، وانظر كتاب الفتن لابن حماد: ٩٩، ومصنف ابن أبي شيبة ١٥: ٤٥ ح ١٩٠٧٠، ومسند أحمد ٦: ٣١٦.

أحداث الشام

الصوت من ناحية دمشق :

تتحدّث الأنباء عن مجيء صوت من ناحية دمشق، لا تترك أن تسرده في جملة العلامات على ظهور القائم عليه السلام كالرواية التي يقول فيها الإمام الباقر عليه السلام لجابر: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك وما أراك تدركها: اختلاف بني فلان، ومنادٍ ينادي من السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق...»[1].

والخبر معتبر على ما يبدو أو يتشبث بالاعتبار، غير أنه لا يدل على أكثر من مجيء الصوت من ناحية دمشق من دون التعرّض لمنشأ الصوت ومفاده وعلله وأسبابه ولا حدوده ومنبعه ولا الغاية منه والهدف، فلابد من أن نلتمس ذلك من أدلة أخرى.

فهناك روايات تدل على أن فيه بشارة ويكون كالمفلجئة، كالرواية التي يرويها النعماني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «توقعوا الصوت يأتيكم بغتة من قبل دمشق، فيه لكم فرج عظيم»[2].

فقد أضافت عنصرين إلى الرواية السابقة، أهمهما البشارة بالفرج، وقد يكون في نفس الصوت فرج للشيعة الإمامية وبشارة، بعد تعيين موضع

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح٦٧، الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٧٢، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤١ ح٤٣٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ح ٦٦.

الصوت وتحديده بأنه من مدينة دمشق، مع الإشارة إلى أن هذه البشارة ستكون مفاجئة في زمان لا يحتملها أحد، أو حتى في زمان اليأس والقنوط من حصول الفرج، وهو العنصر الثاني.

وهناك نقل آخر لرواية جابر المتقدمة يحدد تلك البشارة ويبينها بالجملة، حيث جاء فيه: «ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح»[١].

دلت على أن ذاك الفرج هو من نوع الفتح والغلبة العسكرية، وهل هو فتح مدينة أو فتح دولة، أو هو مجرد بشارة بالفتح وإخبار بما سيتحقق في المستقبل، مما يدلل على أن الصوت من نوع الكلام والبشارة بالفتح، وإلا فالصوت المحض لا يكون فتحاً ولا هو بشارة بالفتح.

والذي يدل على أنه من نوع البشارة بالفتح المستقبلي وأنه من جنس الكلام ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: «ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي منادٍ من سور دمشق: ويل لأهل الأرض من شرٍ قد اقترب»[٢].

ولعل هذا النداء يرتبط بالاختلاف الذي يكون بين الترك والروم، والحروب التي تدور فيما بينهم، يبشر صاحب الصوت الناس بهلاك الظالمين أو تخلّيهم عن بيت المقدس فيفتحه المؤمنون أو شيء من هذا القبيل، ولعله أكثر من مسألة بيت المقدس وفلسطين، وإنما هو هلاك الظالمين.

والمهم أن هذه الرواية تحدد مكان الصوت ومحل نداء المنادي، وهو سور دمشق، ولما لا يكون لدمشق سور، فلابد من إرادة أطراف دمشق وحواليها.

ولا مانع من أن يكون سماع ذلك النداء وذلك الصوت وحتى رؤية

---

(١) الغيبة: ٤٤٢ ح ٤٣٤.

(٢) الغيبة: ٤٦٣ ح ٤٧٩.

ذلـك المتكـلم المبشّر والناقل للخبر عبر أجهزة الراديو والتلفزة وما شاكلها مما سيكتشـفه العلم الحديث، ولا يلزم أن يكون بنحو المعجزة، إنما هو غريب ومعجزة لأهـل زمـان صـدور الخـبر ونقله وتدوينه في الكتب، ولا غرابة ولا إعجاز في مثل ذلك اليوم.

نعم يكون معجزة إذ الم يكن المنادي وصاحب الصوت من البشر، وكان من الملائكة مثلاً، وهناك رواية تدل على أنه صوت جبرائيل عليه السلام، فهو المنادي على سور دمشق[1]، ومعه لا حاجة للوسائل الحديثة.

اختلاف أهل الشام:

هـذا مـا أكـدت علـيه الـروايات وذكـرت بعض جوانبه وأحواله، وهو علامـة عـلى الفـرج وظهـور القـائم عليه السلام، روى ذلك النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ فقـال: «انـتظروا الفـرج مـن ثـلاث» فقيل: يا أمير المؤمنين وما هن؟ فقـال: «اخـتلاف أهـل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان...»[2].

حيث جعلت اختلاف أهل الشام إحدى الأمور التي ينتظر عندها الفرج، مما يشعر بقرب شروع هذا الاختلاف أو نهايته من ظهور القائم عليه السلام.

وليس هذا الاختلاف هو اختلاف سياسي ولفظي وإنّما هو اختلاف فيه قـتل وظلم وتعدٍ لما روي عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً: «إذا سمعتم باختلاف الشام فـيما بيـنهم، فالهـرب مـن الشام، فإنّ القتل بها والفتنة» قلت: إلى أي البلاد؟ فقال: «إلى مكة، فإنها خير بلاد يهرب الناس إليها»[3].

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥١ ح ٨، والآية ٣٧ من سورة مريم.

(٣) البحار ٥٢: ٢٧١ ح ١٦٤.

وإنما تنصح بالهروب من الشام إمّا لشدة الفتنة والقتل أو لطولها واستمرارها بحيث لا يعود العيش في الشام مصلحة.

ويدل على طول مدة ذلك الاختلاف وتلك الفتنة رواية جابر المعتبرة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الناس بالشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه»[1].

فهذه حكاية عن طول المدة وتمادي الفتنة حتى تصل إلى طريق مسدود لا مخلص منه ولا مخرج بحيث يكون أفضل سبيل للمؤمن هو الهرب من الشام عند شروعها. كما أكدت هذه الرواية على قرب ذلك من زمان القائم عليه السلام.

ثم إن المستفاد من الرواية أن الاختلاف والفتنة يكون بين أهل الشام أنفسهم دون أن تكون مواجهة عدو خارجي، مما يحثنا على معرفة الأطراف المتنازعة فيها، وزمان ذلك الاختلاف وعلاماته.

قد نستفيد بعض تلك المبهمات من رواية جابر المعتبرة عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني...»[2] وقد تقدم الكلام في الرايات الثلاث وفي كيفية الصراع القائم فيما بينهم.

وهناك رواية أخرى تقترب إلى واقعنا أكثر مما عداها يرويها المجلسي بسنده عن سدير قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير الزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه وأسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغ أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك» قلت: جعلت فداك هل قبل ذلك شيء؟ قال: «نعم» وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقال: «ثلاث رايات: راية

---

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥ ح ١٦.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٨٠.

حسنية، وراية أموية، وراية قيسية، فبينا هم على ذلك، إذ قد خرج السفياني، فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط»[١].

والذي يقرب ذلك إلى الذهن أكثر من غيره هو وجود اسم عبد الله بين أصحاب الرايات حسب ما جاء في رواية ابن حماد عن كعب قال: يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتتلون على الأموال، فيقتل من كل سبعة تسعة، وذلك بعد الهدة والواهية في شهر رمضان، وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك بنفسه، فيهم رجل اسمه عبد الله[٢].

فإذا جمعنا عبد الله مع الحسني في الرواية السابقة، يكون أحد ملوك الشام هو عبد الله الحسني السلالة.

وأما مدة هذا الاختلاف فهناك ما يدل على أنها سنة، أعني رواية عقد الدرر، جاء فيها: «تختلف ثلاث رايات، راية بالمغرب، ويل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام»[٣].

هذا على فرض تطابق الفتنة المذكورة في الخبر مع الاختلاف المبحوث عنه، وفي هذه الرواية دلالة على سر الأخبار الدالة على خروج السفياني على بني العباس، حيث دلت على أن الحاكم بعد تلك الرايات إنما يكون من بني العباس ويلي بعده السفياني.

كما أن هناك رواية تذكر عدد القتلى يرويها العاملي عن حذيفة قال: تبنى مدينة مما يلي المشرق، يكون فيها وقعة لم يسمع أهل ذلك الزمان بمثلها،

---

(١) البحار ٥٢: ٢٧٠.

(٢) عقد الدرر: ٥٨.

(٣) عقد الدرر: ٩٠.

ثـم تنجلي هي والواقعة التي قبلها في أهل الشام عن أربعمائة قتيل، ثم يخرج المهدي[١].

حيـث أحصـت عدد القتلى الذين يقتلون في العراق والشام بأربعمائة من دون تحديد عدد القتلى في كل قطر.

وتؤكـد ضراوة تلك الصراعات رواية ابن حماد عن ابن مسعود قال: كل فتنة شوى حتى تكون بالشام، فإذا كانت بالشام فهي الصيلم وهي المظلمة[٢]، والشوى تعني الهينة.

وفي روايـة أخـرى عن أبي العالية، قال: أيها الناس لا تعدوا الفتن شيئاً حتى تـأتي مـن قبل الشام وهي العمياء[٣]، لكنها تكلمت عن فتنة مقبلة من الشام وليست في نفس الشام.

ولمـا ذكـرنا تمـادي تلـك الفتنة وعدم تناهيها، صرنا نطلب العلامة على نهايـتها وانجلائهـا مـن رواية النعماني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال، قال أمير المؤمـنين عليه السلام: «إذا اخـتلف الـرمحان بالشـام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله» قـيل: ومـا هـي يا أمير المؤمنين؟ قال: «رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف..»[٤].

ولكـن الاخـتلاف والنزاع لا يكون بمستوى واحد، بل يشتد ويضعف، فمـرة يستعر حتى يكون كلهيب النار، ومرة يضعف حتى يخمد، جاء ذلك في الخـبر الذي لم أكن أرغب في نقله في هذا الموضع انتظر به الحديث عن فلسـطين، جاء فيه: «تكون فتنة بالشام، كأن أولها لعب الصبيان تطفو من

---

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٧.

(٢) كتاب الفتن: ١٣٦.

(٣) كتاب الفتن: ١٣٧.

(٤) كتاب الغيبة: ٣٠٥.

جانب، وتسكن من جانب، فلا تتناهى حتى ينادي منادٍ أن الأمير فلان»[١].

وأظرف ما هو منقول عن هذا الاختلاف وهذه الفتنة هو كونها منعطفاً تسقط عنه كل الستائر، ويظهر الحال بعد فترة طويلة من التدليس والاستعمار المبطن؛ لأننا نعرف أن الاستعمار والسياسة العالمية كانت سياسة معلنة تتمثل بغزو القوى العظمى لبلدان العالم المختلفة للتسلط على مقدراتها ونهب خيراتها، ثم تحولت إلى سياسية مبطنة بحكومة الجماعات التي تدّعي الوطنية والحال أنها مسيّرة من قبل تلك القوى لا تعدو أن تكون مجرد أيدي منفذة.

ولكن إذا وقعت الفتنة بالشام عادت السياسة المعلنة والغزو الواضح من جديد، أو ينكشف زيف الحكام وخداعهم وتسترهم بالوطنية من خلال فتنة الشام قد نستلهم ذلك مما رواه ابن حماد عن كعب قال: لا تزال الفتنة مؤامر بها ما لم تبدو من الشام[٢].

والأهم أن هذا الاختلاف وطوله وتماديه واختلاف ثلاث رايات وقربه من ظهور القائم عليه السلام مما جاءت به الروايات المعتبرة، فلا يمكن إنكار شيء منه، عدا سائر التفاصيل التي لا يمكن البت فيها؛ لضعف أسناد رواياتها، ولكن كثرتها قد تعطينا انطباعاً عن شدة ذلك الاختلاف وضراوته.

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ١١: ٣٦١ ح ٢٠٧٤٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٣٧.

القتال مع بني الأصفر (الروم):

روى ابن حماد بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة: أولهن موتي»** فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يسكتني ثم قال: **«قل إحدى، والثانية: فتح بيت المقدس، قل اثنتين، والثالثة: موتان يكون في أمتي كقعاص الغنم، قل ثلاثاً، والرابعة فتنة تكون في أمتي - قال: وعظّمها - قل أربعاً، والخامسة: يفيض المال فيكم حتى يعطى الرجل المائة الدينار فيتسخطها، قل خمساً، والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، ثم يسيرون إليكم فيقاتلونكم، والمسلمون يومئذٍ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق»**[1].

فهي دلت في المرحلة الأولى عن الهدنة التي تكون بين المسلمين وبين بني الأصفر بمعنى ترك الحرب إلى مدة من أجل وضع شروط الصلح، أو يكون هو نفس المصالحة والسكون من دون منازعة، لم يخصصها بطائفة خاصة من المسلمين ولا ببلد خاص وإن كانت الهدنة في الغالب في خطوط التماس.

والطرف الآخر هم بنو الأصفر، وهم الروم يقال لهم ذلك لأن أباهم الأول كان أصفر اللون ويقال: هو روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم[2]، وهم اليوم أكثر سكان غربي العالم، لأنه لم يكن حينها سوى الفرس في الشرق والروم في الغرب.

وقد بدأت الهدنة مع بني الأصفر بعد ما تحررت الدول الإسلامية بحسب الظاهر من حكم المستعمرين ولم تحدث بعدها حرب بل حل محلها الصلح الظاهر، وكثر المسلمون في بلاد الروم والوافدون من تلك البلاد إلى البلاد الإسلامية، وقد يتزايد الوفاق والاشتراك في تحقيق بعض المنافع المشتركة حتى

---

(١) كتاب الفتن: ٧.

(٢) انظر البحار ١٠: ١٣٦، مجمع البحرين ٢: ٦١٦.

أنهم سيغزون ويقاتلون معاً كما جاء في بعض الأخبار.

وتتكلم هذه الرواية عما بعد الهدنة وما سيحدث عند حصول الاختلاف من جديد، عندما يجتمع المسلمون في الشام من دون التعرض لسبب اجتماعهم، وقد تكرر ذلك في الأخبار والمباحث السابقة.

والمهم عودة الاشتباكات بالشام كما كانت عليه في السابق قد نستطيع التعبير عنها بتجدد الحروب الصليبية أو شيء من هذا القبيل.

مما يبدو أن المعارك هذه المرة أضرى من السابق، والآليات والعُدد المستعملة فيها أكثر من السابق بكثير، حتى أنه جاء في خبر آخر يفصل تلك الحرب:

«فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً في البحر، ويقول لهم صاحبهم: إذا رسيتم بسواحل الشام فاحرقوا المراكب، لتقاتلوا عن أنفسكم، فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعتق، ويخربون بيت المقدس» قال، وقال ابن مسعود: وكم تسع دمشق من المسلمين؟ قال، فقال النبي صلى الله عليه وآله **«والذي نفسي بيده لتتسعن على من يأتيها من المسلمين كما يتسع الرحم على الولد»**.

قال، قلت: وما المعتق يا نبي الله؟ قال: **«جبل بأرض الشام من حمص على نهر يقال له الأرنط، فيكون ذراري المسلمين في أعلى المعتق، والمسلمون على نهر الأرنط، والمشركون خلف نهر الأرنط، يقاتلونهم صباحاً ومساءاً، فإذا أبصر ذلك صاحب القسطنطينية وجه في البر إلى قنسرين ستمائة ألف حتى تجيئهم مادة اليمن سبعين ألفاً، ألّف الله قلوبهم بالإيمان، معهم أربعون ألفاً من حمير، حتى يأتوا بيت المقدس...»** [1].

---

(١) كتاب الفتن: ١١٦.

فهـذا الخبر وإن تضمن ما لا يتصور في معارك اليوم والمستقبل من حرق المراكـب كمـا فعـل طارق بن زياد، مع وجود الجسور الجوية وما شاكلها، لكنه ذكر بعض التفاصيل والتوضيحات الكاشفة عن ضراوة تلك المعارك.

ويؤكـد تحقق هذه المعارك الرواية الثالثة التي يرويها الطيالسي عن جابر عن ابن مسعود أنه قال:

عدو للمسلمين يجمع لهم وأومى بيده، قال قلت لأبي: الشام يعني؟ قـال: نعـم قـال: ويكـون القـتال عـند ذلـك ردة شـديدة، قال: ويستحرّ المسلمون بعضهم بعضاً، فيلتقون ويقتتلون قتالاً شديداً[1].

الرايات السود بالشام:

تشـير الأخـبار إلى تواجد الرايات السود في الشام تواجداً يتحسس ثقله أهل الشام لدواعي سياسية أو غيرها.

ونحـن نـدرس منشأ هذه الرايات التي يجيء التعبير عنها بالمشرقية، وهل هي رايات بني العباس بعد تجدد ملكهم وحكومتهم على العراق والشام، أو هـي الـرايات الخراسانية المهدية، ثم ندرس سبب تراجعها وخروجها، بعد تسليط الضوء على تحركاتهم وأعمالهم في الشام.

روى في عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تختلف ثلاث رايات، رايـة بالمغـرب، وويـل لمصـر ومـا يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام، تـدوم الفتـنة بيـنهم سـنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى تكون مـنهم مسـيرة ليلـتين فـيقول أهـل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة».

إلى هـنا تـتحدث هـذه الـرواية عـن خـروج رجـل من ولد العباس

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ٥١ ح٣٩٢.

بالشـام، مما يعني خروجاً مجدداً من دون أن يكون سببه فتح بلاد الشام من قبل دولة عباسية مركزية تحكم في العراق أو غيره، وإنما هو الوصول إلى كرسي الحكم بأي وسيلة ممكنة.

كمـا دلت الرواية على ضعف هذه الدولة مقابل جيوش المغرب القادمة إلى الشـام حيـث يعـبر عـنهم أهل المغرب بأنهم حفلة عراة كناية عن الفقر المادي، وأصحاب أهواء مختلفة حكاية عن التشتت الفكري.

ثم تستعرض هذه الرواية الطويلة العريضة حركة السفياني من أولها إلى آخـرها إلى أن تقـول: «ثـم يخرج إلى الغوطة، فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، وتـتلاحق بـه أهـل الضغائن، فيكون في خمسين ألفاً، ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولـد العـباس، فيفلجـنهم السـفياني في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايـات: رجـال ولد العباس هم الترك والعجم، وراياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفياني حمراء، فيقتتلون ببطن الأردن قتالاً شديداً»[1].

وأهـم مـا يلفت انتباهي من هذا الخبر هو تمييز الرايات السود التي في الشـام ونسـبتها إلى بني العباس، مما يخرجنا عن بعض الارتباك السابق عـند الكـلام عن الخراساني وشعيب بن صالح ودلالة بعض الأخبار على تواجـد الـرايات السود وأهل المشرق في الشام، وكذا اشتباكها الخاسر مع الرايات الصفر مرة ومع السفياني مرة أخرى..

فليست هذه الرايات السود هي الرايات الثانية التي تذكرها الرواية الـتي يـرويها ابـن حماد بسنده عن سعيد بن المسيب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم تمكث ما شاء الله، ثم تخرج رايـات سـود صـغار عـلى رجـل مـن ولـد أبي سفيان وأصحابه من قبل**

---

(١) عقد الدرر: ٩٠.

المشرق»[١]، إذ لعل هذه الثانية هي الرايات الخراسانية المهدية.

ومن المسلم الواضح أن تلك الرايات ليست هي الرايات التي تذكرها الرواية التي يرويها ابن حماد بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاءاً وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من ههنا من نحو المشرق أصحاب رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً على الثلج، فإنه المهدي**»[٢].

والذي يورث الوهم مثل الرواية التي يرويها ابن حماد بسنده عن ربيعة بن سيف تبيع قال: تخرج الرايات السود من خراسان معه قوم ضعفاء يجتمعون يؤيدهم الله بنصره ثم يخرج أهل المغرب على أثر ذلك.

فهي توهم أن الرايات السود التي تشتبك مع رايات المغرب في الشام هي الرايات السود المؤيدة بالنصر.

أو مثل الروايات التي يجيء فيها مثل قول النبي ﷺ: «**تخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنصب بإيليا، يعني بيت المقدس**»[٣]، مما يوهم تواجد الرايات السود الممدوحة في الشام.

والتعبير بالإيهام لأجل أنا لو تأملنا في الخبرين لوجدنا أن النصر لا يعني المدح لأن النصر يكون للمؤمن وغيره، يؤيد الله بنصره من يشاء ولذا ورد: لا تزال الرايات السود التي تخرج من خراسان في أسنتها النصر حتى

---

(١) كتاب الفتن: ١١٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٨٨.

(٣) كتاب الفتن: ١٢٢.

يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا فيما بينهم رفعت ثلاث رايات بالشام[١].

ومعلوم أن الاختلاف إنما يكون في رايات بني العباس السود.

ومهما يكن من ذلك، فقد روى ابن حماد عن الزهري قال: إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً ثم تكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلوا الرملة[٢].

فقد دلت على أن الانكسار في صفوف الرايات السود ينشأ من الاختلاف بالإضافة إلى الفقر وقلة العدد.

وفي رواية أخرى عنه قال: يلتقي أصحاب الرايات السود وأصحاب الرايات الصفر عند القنطرة حتى يأتوا فلسطين، فيخرج على أهل المشرق السفياني...

مما يدل على أن الرملة تكون في فلسطين.

والموهم في هذين الحديثين هو التعبير بأهل المشرق عن الرايات السود، لأنه يحدث تصوراً بأن الرايات السود التي في الشام إنما قدمت من المشرق من خراسان أو العراق، ولكن التأمل يوصلنا إلى أن المراد في هذه الرواية الشام؛ لأنه مشرق المغرب الذي تأتي منه الرايات الصفر.

نعم هناك رواية تدل على تواجد قوات من المشرق من غير أهل الشام يرويها ابن حماد عن أرطأة قل: يجيء البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والأردن، فتسير إليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية، فهي تدل على أن المراد من جموع المشرق غير جموع الشام.

---

(١) كتاب الفتن: ١٢٤.

(٢) كتاب الفتن: ١٦٠.

ويستمر هذا الحديث ليذكر في آخره مراحل انكسار أهل المشرق فيقول: ويكون بين أهل المغرب وأهل المشرق بقنطرة الفسطاط سبعة أيام فيلتقون بالعريش تكون الدبرة على أهل المشرق حتى يبلغوا الأردن ثم يخرج عليهم السفياني بعد...

وفيها بعد ذكر معارك السفياني مع أهل المغرب يقول: ثم يعطف إلى جموع المشرق والشام فيلقاهم فيدال عليهم ما بين الجابية والخربة حتى تخوض الخيل في الدماء، ويقتل أهل الشام رئيسهم وينحازون إلى الصخري فيدخل دمشق فيمثل بها، وتخرج رايات من المشرق مسودة فتنزل الكوفة فيتوارى رئيسهم فيها فلا يدرى موضعه فيتحير ذلك الجيش، ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته، فيسير بجنود المشرق نحو الشام، ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه فيلتقون بجبل الحصى، فيهلك بينهما عالم كثير، ويولي المشرقي منصرفاً، ويتبعه الصخري فيدركه بقرقيسياء»[1] ثم يذكر معركة قرقيسياء.

وأوضح من ذلك في الدلالة على تواجد قوات مشرقية في الشام ما يرويه ابن حماد عن عبد الله بن عمر قال: إذا أقبلت الرايات السود من المشرق والرايات الصفر من المغرب حتى يلتقوا في سرة الشام يعني دمشق فهنالك البلاء فهنالك البلاء[2].

بل ما رواه عن محمد بن الحنفية عن أهل المغرب قال: ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق[3]، وكلمة الرد تعني أنهم إنما جاؤا من العراق، مع احتمال

---

(١) كتاب الفتن: ٧٣.

(٢) كتاب الفتن: ١١٦.

(٣) كتاب الفتن: ٧١.

مجيئهم من خراسان والرد يكون إلى العراق.

والـذي يهون الخطب بعد تعقيد هذه الوقائع هو ضعف جميع الروايات مـن جهة السند فلا يثبت بها تواجد الرايات السود في الشام ولا تلك المعارك إلا أن تعاضدها روايات أخرى معتبرة.

الرايات الصفر بالشام:

نحـن بانـتظار حركة تبدأ من المغرب لها رأس متبوع وأعوان وأنصار وفي نفـس الوقـت هـي مدعومـة من قبل القوى العظمى، وقد يكون لها شعاراتها الـبراقة وأهداف معلنة وغير معلنة، تشكل جيوشاً قوية بعُدد حديثة ومعدات حربـية ضخمة حتى يأتوا مصر فالويل لمصر وما يحل بها منهم، ويكون دخولهم مصـر هـو علامـة حـركة أهـل المغـرب القريبة من ظهور القائم عليه السلام وعلامة ظهور السفياني كما مر.

ولعـل أكبر دور تلعبه هذه الحركة المغربية في الشام هي مواجهة الرايات السـود وإن كـان هـناك أخبار تتحدث عن دخولهم حتى بغداد بعد نزولهم إلى الجزيرة.

ولقـد كـان لهـذه الحركة التي يجيء التعبير عنها في الأخبار بالرايات الصـفر مـرة وبالـبربر أخـرى وبأهل المغرب ثالثة الصدى الكبير والذكر الممتد حتى ما قبل الإسلام بحيث كان الروم الذين كانوا بحمص يتخوفون علـيها الـبربر ويقولـون: ويلك يا تمرة من بربر[1]، ولما سأل بعض الملوك سطيح عما يحدث على مر العصور، فذكر الكوكب المذنب وما يحدث عند ظهوره من قلة الأمطار وغيرها قال: ثم تقبل البربر بالرايات الصفر على الـبراذين السـبر حـتى يـنزلوا مصر، فيخرج رجل من ولد صخر، فيبدل

(١) كتاب الفتن: ٧٣.

الرايات السود بالحمر فيبيح المحرمات[١]...

وظني أن الملاحظ لجميع الأخبار الواردة في ذلك يجد من الدقة في هذا الكلام أعلى مرتبة، بحيث يجمع فيه الكثير من الوقائع والتغييرات خلال كلمات وجمل محدودة سنشير إليها بنحو من التفصيل مشفوعة بأدلتها.

أما عناوين هذه الحركة، فأشهر عنوان لها هو الرايات الصفر، ثم أهل المغرب، ثم عنوان البربر.

روى ابن حماد عن كعب قال تكون ثلاث فتن كأمسكم الذاهب: فتنة تكون بالشام، ثم الشرقية هلاك الملوك، ثم تتبعها الغربية، وذكر الرايات الصفر قال: والغربية هي العمياء[٢].

وروي أيضاً عن كعب قال: ثلاث فتن تكون بالشام: فتنة إهراقة الدماء، وفتنة قطع الأرحام ونهب الأموال، ثم يليها فتنة المغرب وهي العمياء[٣].

وقد تقدم في رواية يرويها ابن حماد: إذا أقبلت الرايات السود من المشرق والصفر من المغرب حتى يلتقوا في سرة الشام يعني دمشق فهنالك البلاء[٤].

ذكرت هذه الأحاديث الرايات الصفر من المغرب والفتنة الغربية وأما عنوان البربر فقد رواه ابن حماد عن كعب أنه قال في حديث: يخرج البربر إلى سرة الشام فهو علامة خروج المهدي[٥].

---

(١) البحار ٥١: ١٦٢.

(٢) كتاب الفتن: ٣٠.

(٣) كتاب الفتن: ١٠.

(٤) كتاب الفتن: ١٦١.

(٥) كتاب الفتن: ١٩٠.

والتفاصيل الواردة في حديث الرايات الصفر كثيرة جداً نشير إليها باختصار لضعف جميع رواياتها.

فمن تلك التفاصيل اسم رئيسهم الذي يتراوح في الأخبار بين عبد الله بن عبد الرحمن وبين عبد الرحمن.

روى ابن حماد عن أبي قبيل أنه قال في حديث عن اختلاف الرايات بالشام: فإذا قرئ بمصر من عبد الله أمير المؤمنين لم يلبث أن يقرأ عليهم كتاب آخر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين وهو صاحب المغرب وهو شر من ملك وهم يخربون مصر والشام[1].

وفي رواية أخرى يرويها ابن حماد عن حذيفة أنه قال لأهل مصر: إذا جاءكم عبد الله بن عبد الرحمن من المغرب اقتتلتم أنتم وهم عند القنطرة، فيكون بينكم سبعون ألفاً من القتلى، وليخرجنكم من أرض مصر وأرض الشام كفراً كفراً ولتباعن المرأة العربية على درج دمشق بخمسة وعشرين درهماً، ثم يدخلون أرض حمص فيقيمون ثمانية عشر شهراً يقتسمون فيها الأموال، ويقتلون فيها الذكر والأنثى، ثم يخرج عليهم رجل شر من أظلته السماء فيقتلهم فيهزمهم حتى يدخلهم أرض مصر. وفي رواية أخرى يملك ستة عشر شهراً[2].

حيث جاء في الرواية الأولى أن اسم رئيس المغاربة الغازين هو عبد الرحمن والثانية عبد الله بن عبد الرحمن والأول أصح، لأن عبد الله هو الحاكم على الشام الذي يقرأ له كتاب في مصر، والحاكم المغربي إنما هو عبد الرحمن، فحصل التصحيف بإضافة كلمة «ابن».

وقد أشارت هاتان الروايتان إلى ما يصنعه المغاربة بمصر والشام من

---

(١) كتاب الفتن: ١١٩.

(٢) كتاب الفتن: ١٥٨.

الفضائح والقتل والسلب والدمار.

ولما كان المستفاد من الأخبار أن الشام ترزخ عندها لحكم العباسيين والرايات السود مع وجود النقمة الشعبية من ذلك الحكم وحصول الاختلاف بين أصحاب الرايات السود أنفسهم وظهور ثلاث رايات تتصارع على الملك، يكون قدوم أهل المغرب بذريعة استنقاذ أهل الشام من سيطرة الرايات السود وبحجة تخليصهم من ظلمهم.

يستفاد ذلك مما رواه ابن حماد عن الزهري قال: إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً ثم تكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلوا الرملة، فيقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيء، فيغضب أهل المغرب فيقولون: إنا جئنا لننصركم ثم يفعلون ما يفعلون، والله ليخلين بينكم وبين أهل المشرق فينهبونكم لقلة أهل الشام يومئذ في أعينهم، ثم يخرج السفياني ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهل المشرق[1].

والنتيجة أن الأحداث التي تكون في مصر والشام والاضطراب الحاصل من جراء الأوضاع السياسية يجعل القوى العظمى تفكر في الاستفادة من ذلك الجو الحاكم للسيطرة على تلك البلدان وإخماد نائرة الاضطرابات التي تكون فيها، وذلك بتحريك من يدعو إلى استنقاذ الوضع الراهن وإنقاذ أهل مصر والشام من الحكام الذين لم يعد بقاءهم نافعاً ومستحكماً، فيدفعون بذلك المغربي ليخرج كمنقذ، على أن يوجد تغييراً مفاجئاً.

يستفاد ذلك من الرواية التي يرويها ابن حماد عن الوليد في حديث عن الخارج من المدينة الطاهرة إلى أن يقول: ثم يأتيه الخبر أن ملكاً بالمغرب قد ثار، فيبعث إليه جنوداً ينهزم عنهم، حتى ينزل بمن معه الشام، فينادي مناد

---

(١) كتاب الفتن: ١٦٠.

من السماء: الويل لبلد حمص العين السنجة[١]، فيحتمل كل ذات بعل بعلها، وكل ذات ابن ابنها[٢]...

وهكذا فإن الروايات تؤكد على حمص وحصول البطشة فيها، لموافقتهم للرايات السود حتى ورد أن أسعد أهل الشام بخروج الرايات السود أهل حمص[٣]، فتكون النقمة من الرايات الصفر عليهم بخلاف أهل دمشق حيث ورد أن أسلم أهل الشام وأسعد أجنادها بالرايات الصفر أهل دمشق، وأشقى أهل الشام وأجنادها أهل حمص، وأنهم ليغمرن الشام كما يغمر الماء القربة[٤].

وعلى أهل حمص في تلك الأيام أن لا يخرجوا من بيوتهم لما ورد أنه يكون بحمص صيحة، فليلبث أحدكم في بيته فلا يخرج ثلاث ساعات[٥].

ولكن البطشة الأولى ستشمل جميع الشام وإن كان التركيز في المرحلة الثانية على حمص، روى ابن حماد عن تبيع قال: إذا دخلت الرايات الصفر مصر فغلبوا عليها وقعدوا على منبرها فليحفر أهل الشام أسراباً في الأرض، فإنه البلاء.

والذي يدهشنا هو الأمر بحفر الأسراب التي تكون ضرورية في معارك اليوم والمستقبل للوقاية من القصف الأرضي والجوي، خصوصاً وأن الروايات تصف أهل المغرب بأنهم أهل براذين صفر، جاء ذلك في الخبر الذي يرويه النعماني بسنده عن أبي جعفر، أنه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام وذكر الرجفة التي تكون بالشام قال: «فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب

---

(١) جاء في تاج العروس ٢: ٦١: السنجة هي الرقطة ولا يعلم المراد به هنا.

(٢) كتاب الفتن: ١٧٩.

(٣) كتاب الفتن: ١٢١.

(٤) كتاب الفتن: ١٦٠.

(٥) كتاب الفتن: ٢٥٦.

البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر...»[1] مما يؤيد وجود النقمة الشعبية التي ذكرناها آنفاً.

على أن البراذين الصفر أو البراذين السبر كما جاء في حديث سطيح، وسواء كانت جميعها صفر، أو سبر بمعنى أنها لا تُعلم سعتها أو هي نوع من الجوارح، لا تخلو أن تكون كناية عن الآليات العسكرية الحديثة التي تكون في ذلك الزمان، وإن كان البرذون يعني البغل.

وهناك تحذير أنه جاء في الرواية التي يرويها ابن حماد عن حسان قال: يقال إذا بلغت الرايات الصفر مصر فاهرب في الأرض جهدك هرباً، فإذا بلغك أنهم نزلوا الشام وهي السرة فإن استطعت أن تلتمس سلماً في السماء أو نفقاً في الأرض فافعل[2] وما سلم السماء إلا الطائرات.

ولابد من أن نرعي انتباه القارئ أن الرايات الصفر لم تذكر في شيء من أحاديثنا سوى الرواية المارة التي يرويها النعماني بسنده عن المغيرة بن سعيد الكذاب الوضاع والرواية التي يرويها الشيخ بسنده عن عمار بن ياسر جاء فيها: ويخرج أهل المغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياني[3]، وهي ضعيفة السند مرسلة، فلا يثبت شيء من تلك التفاصيل ولا حتى أصل الرايات الصفر، ولكن لما شرعنا البحث، فسنختمه بعاقبة عبد الرحمن المغربي الغازي.

وذلك أن جميع القوى المتواجدة في الشام ستتحد على ذلك المغربي، أعني الرايات السود والرايات الثلاث المتصارعة على الملك، لما جاء في

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥.

(٢) كتاب الفتن: ١٦٠.

(٣) الغيبة: ٤٦٣.

تتمة رواية ابن حماد عن أبي قبيل المارة: فإذا كثف أمرهم بالشام اجتمعت الرايات السود وأصحاب الرايات الثلاث، وينقطع أمر البربر، ثم يقاتلون أصحاب الرايات السود حتى ينقطع أمرهم[١].

ولكن السابق في ذاك القتال مع أهل المغرب هو السفياني من بين الرايات الثلاث لما تقدم في أكثر من خبر أنه يقتلهم ويهزمهم حتى يدخلهم أرض مصر.

وهناك رواية تجعل السبب في تراجعهم وانكسارهم هو موت أميرهم يرويها ابن حماد عن أرطأة قال:

«يجيء البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والأردن، فتسير إليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية، ويخرج رجل من ولد صخر في ضعف، فيلقى جيوش المغرب على ثنية بيسان فيردعهم عنها، ثم يلقاهم من الغد فيردعهم عنها، فينحازون وراءها ثم يلقاهم في اليوم الثالث فيردعهم إلى عين الريح، فيأتيهم موت رئيسهم، فيفترقون ثلاث فرق، فرقة ترتد على أعقابها، وفرقة تلحق بالحجاز، وفرقة تلحق بالصخري، فيسير إلى بقية جموعهم حتى يأتي ثنية فيق، فيلتقون عليها فيدال عليهم الصخري، ثم يعطف إلى جموع المشرق والشام»[٢].

ويظهر من هذا الخبر الذاكر لالتحاق فرقة منهم بالحجاز، ومن الأخبار الدالة على أن اسم رئيسهم هو عبد الرحمن أو عبد الله أن أهل المغرب من المسلمين، من دون إمكان تحديد مركزهم ومنشأ حركتهم هل هو داخل الوطن العربي أو خارجه لأن البربر هم قوم من أفريقيا، ويطلق هذا الاسم على الزنج والحبش أيضاً أو المتوحش والهمجي.

---

(١) كتاب الفتن: ١١٩.

(٢) كتاب الفتن: ٧٣.

حرب مصر والشام:

روى ابـن حمـاد بسـنده عـن كعب قال: إذا ملك رجل الشام، وآخر مصـر، فاقتتل الشامي والمصري، وسبا أهل الشام قبائل من مصر، وأقبل رجـل مـن المشرق برايات سود صغار قبل صاحب الشام، فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي[1].

تلـك هـي حـرب السـفياني مع المصريين التي تقدم الكلام عنها في بحث السفياني، ولعلها هي حربه مع الرايات الصفر.

رجفة بالشام:

فقـد تقـدم في رواية أمير المؤمنين عليه السلام أن نهاية الاختلاف في الشام هـو حـدوث رجفة، لأن فيها: «إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلا عن آيـة مـن آيات الله قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلـك فـيها أكـثر مـن مائـة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين».

ومن الصعب جداً التعرف على طبيعة تلك الرجفة وهل هي زلزلة وكارثة طبيعية، أو هي انفجار هائل من فعل الأسلحة الحديثة.

وكيف تكون رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، وهل هناك مائة ألـف كافـر في الشـام يجمعهم مكان واحد تقع فيه الرجفة والزلزلة سوى أرض فلسـطين التي يجتمع فيها اليهود. أم سيدخل الكفار الشام بعد هذا ويجتمعون في مكان تصيبهم الرجفة فيموت ذلك العدد منهم.

هـذا وقـد روى الشيخ الطوسي تلك الرواية بسند آخر عن معاوية بـن سـعيد عـن أبـي جعفـر عليه السلام فهو أقل ضعفا من النقل السابق الذي

---

(١) كتاب الفتن: ٨٥.

يـرويه النعماني بسنده عن المغيرة بن سعيد المعروف بالكذب والدس في أحاديث المسلمين.

نعـم هناك بعض المؤيدات لحصول تلك الرجفة مثل رواية ابن حماد جـاء فـيها: «يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق، فبينا هم ينظرون في أعاجيـبه، إذا رجفـت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لهـا حرسـتا...»[1]، ولم تذكـر هـلاك مائـة ألف ولا كونها رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين.

ومهمـا يكـن من ذلك فلا يمكن إثبات تحقق شيء من تلك الوقائع بهذه الأخبار الضعيفة، وإن كنا نرغب في تحقق ما هو رحمة للمؤمنين.

خسف الجابية:

جـاء ذلـك في الـرواية الـتي تتشبث بالاعتبار، أعني رواية جابر عن أبي جعفـر عليه السلام قـال: «يا جابر ألزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات ـ إلى أن قـال ـ وتخسـف قـرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن...»[2].

خسف حرستا

قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ، روى النعماني بسنده عن المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «قال عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا اختلف الرمحان بالشـام لم تـنجل إلا عـن آية من آيات الله» قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟

---

(١) كتاب الفتن: ٧١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ح ٦٧، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٢ ح ٤٣٤.

قال: «رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد...».

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن معاوية بن سعيد الرواية بعينها[1]، والمغيرة راوي الرواية الأولى كذاب وضاع ضعيف جداً، والرواية الثانية تتطابق مع الأولى في أكثر السند وتختلف في الراوي الأول حيث جعلته معاوية بن سعيد بدل المغيرة بن سعيد، فيحتمل فيه الاشتباه في النقل، مع ضعف معاوية لو لم يكن هناك اشتباه في النقل.

على أن في بعض نسخ الكتابين خرشنة بدل حرستا، وخرشنة بلد قريب ملطية من بلاد الروم، والأقرب هو حرستا؛ لأنه قال: «قرية من دمشق».

ومهما يكن من ذلك فالروايتان تدلان على أن الخسف إنما يكون بعد دخول أهل المغرب الشام وتصرّح بذلك رواية ابن حماد عن محمد بن الحنفية قال: يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق فبينا هم ينظرون في أعاجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفياني»[2].

وقد دلت على ثلاثة أحداث: رجفة بالشام، وانقعار مسجد دمشق، وخسف قرية حرستا عند دخول أهل المغرب.

وفي كنز العمال عن علي عليه السلام قال: «إذا اختلف أصحاب الرايات

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥ ح ١٦، وانظر الغيبة للطوسي: ٤٦١ ح٤٧٦.

(٢) كتاب الفتن: ٧١.

السود فيما بينهم كان خسف قرية بإرم يقال لها حرستا وخروج الرايات الثلاث بالشام عندها»[1].

فهي تدل على أسبقية اختلاف الرايات السود، ويليه الخسف وخروج الرايات الثلاث ولكن الروايات جميعها ضعيفة السند لا يثبت منها شيء من ذلك، فليقر أهل قرية حرستا عيناً، ويعيشوا عيشة رغداً.

انتقال الأخيار إلى الشام:

روى ابن حماد بسنده عن أبي أمامة قال: «لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، وشرار أهل الشام إلى العراق» وقال النبي صلى الله عليه وآله: «عليكم بالشام»[2]، فقد علمنا الماضي أن البطشة حينما تقع في العراق يهرب خيار أهل العراق إلى الشام كما حدث عند حكومة صدام وقسوته على الشيعة في العراق، كما أن شرار أهل الشام حينما يفكرون في التحرك والانتقام يدخلون العراق للقيام بعمليات تفجيرية يروح ضحيتها الأبرياء وغافلو المارة في الطرقات، وحينما بعثوا مثل عفلق وأعوانه لتدمير العراق وأهله ومحو الدين من صفحات اعتقاد المسلمين لتستمر هذه العملية إلى قيام القائم عليه السلام.

خراب الشام

سيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، تتحدث رواية جابر المعتبرة عن هذا الحدث وقد تقدم الكلام فيه، ثم تعقبه بالقول: «فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون

---

(١) كنز العمال ١١: ٢٨٣ ح٣١٥٣١.

(٢) كتاب الفتن: ٢٨٣.

على ثلاث رايات...»[١].

مما يبدو أن الخراب لا يقتصر على الشام، ولكن الشام هي أول البلدان خراباً وينشأ ذلك الخراب بسبب الاختلاف والحروب التي يكون المحرك لها المغرب، سواء كان مغرب الأرض أو مغرب الدولة الإسلامية والرايات الصفر، أو حتى مغرب الشام، والأول أظهر.

ويؤكد تسبيب المعارك في خراب الشام الرواية عن أمير المؤمنين يذكر فيها خراب كل بلد حتى يبلغ الشام فيقول: «تخرب... بعض الشام بسنابك الخيل والقتل»[٢] ومعلوم أن المراد بسنابك الخيل ليس الخيل المعروفة وإنما هي الآليات التي استعيض بها عن الخيل في الحروب في هذا الزمان، ما سيتجدد في المستقبل.

ويدل على أن خراب الشام هو علامة على شروع الفتن والخراب في سائر البلدان ما رواه ابن حماد عن كعب قال: لا يزال للناس مدة حتى يقرع الرأس، فإذا قرع الرأس يعني الشام هلك الناس، قيل لكعب: وما قرع الرأس؟ قال: الشام يخرب[٣].

كنز الفرات:

يتحدثون عن وجود كنز تحت الفرات ويرويه بعض المذاهب عن النبي ﷺ، وأن ماء الفرات ينضب في يوم من الأيام فيحسر الماء عنه، ويظهر ذلك الكنز، فتقبل إليه الناس من الأطراف، فيقول أهله والذين عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبون به ولا يبقى منه شيء

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح ٦٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٠.

(٣) كتاب الفتن: ١٣٨.

فيقتتلون مع القادمين من الأطراف حتى يقتل من كل مائة تسعون أو قال من كل مائة تسعة وتسعون لا ينجو إلا واحد والحال أن كل واحد منهم يرى أنه سينجو، أو يرجو أن يكون ذلك الناجي.

واختلفت الروايات في ماهية ذلك الكنز، فمنها يقول إنه تل من ذهب والأكثر يبالغ ويقول هو جبل من ذهب، بينما يتحدث بعض تلك الأخبار عن جبل من ذهب وفضة.

وهي لا تترك أن توصي المخاطب ممن يدرك ذلك الزمان بأن لا يكون ممن يقاتل عليه، ومحذّر كل من حضره من أن يأخذ منه شيئاً، لأنه لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا قتل.

وحدد بعض الأخبار خروجه عند انجلاء الفتنة الرابعة، فقد روي عن أبي هريرة: أن الفتنة الرابعة عمياء مظلمة تمور مور البحر لا يبقى بيت من العرب والعجم إلا ملأته ذلاً وخوفاً، تطيف بالشام وتغشى بالعراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها تعرك الأمة فيها عرك الأديم، ويشتد فيها البلاء حتى ينكر فيها المعروف، ويعرف فيها المنكر لا يستطيع أحد أن يقول مه، ولا يرقعونها من ناحية إلا تفتقت من ناحية، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، لا ينجو منها إلا من دعا كدعاء الغرق في البحر تدوم أثنا عشر عاماً، تنجلي وقد انحسرت الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليها حتى يقتل من كل تسعة سبعة[1].

هذا عن زمانه، وأما مكانه، فالروايات تحدده عند حدود الشام والعراق؛ لأنه جاء فيما يرويه ابن حماد عن كعب: يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتتلون على الأموال، فيقتل من كل تسعة سبعة، وذاك بعد الهدة والواهية في شهر رمضان، وبعد

---

(١) كتاب الفتن: ١٣٩.

افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه فيهم رجل اسمه عبد الله[١].

فقد دل هذا الخبر على مكانه وزمانه أيضاً، إذ جعله بعد الهدة والصيحة التي تكون في شهر رمضان، ولعله في شوال الذي يكون فيه قتال القبائل.

كما دل على أن القتال يدور بين ثلاث رايات، ومن الطبيعي أنه يدور بين ثلاث رؤوس يتنازعون عليه أو على الملك بصورة كلية أو عليها معاً كما جاء في رواية كعب، والمهم أنهم ثلاثة، لذا روى الشافعي وقال: يقتتل عند كنزكم ثلاثة ثم يجيء خليفة الله المهدي»[٢] بينما هناك رواية تقول هم أبناء الخلفاء يرويها ابن ماجة جاء فيها: يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم[٣].

ذكرت رواية ابن حماد عن كعب أن فيهم رجل اسمه عبد الله، فإذا أُضيفت إليها رواية ابن حماد الأخرى التي فيها: «فيتبع عبد الله عبد الله فتلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر فيكون قتال عظيم»[٤] أمكن استشعار أن معركة قرقيسيا هي معركة الكنز وإن كان مجرد استشعار.

ولكن لم يثبت عندي من تلك الروايات على كثرتها شيء مما ذكرنا؛ لأنها فاقدة للاعتبار، موهونة، وهي التي جاءت بمن جاء إلى المنطقة من الغزاة.

---

(١) كتاب الفتن: ٩٢.

(٢) بيان الشافعي: ٤٨٩.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٧ ح ٤٠٨٤.

(٤) كتاب الفتن: ٨٢.

تحرير فلسطين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ والفساد في الأرض هو قتلهم الناس ظلماً، وتغلبهم على أموالهم قهراً، وإخراب ديارهم بغياً، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [١].

فقد دلت هذه الآيات على جميع ما فعله اليهود إلى حد الآن من الفساد والقتل والظلم والتغلّب على الأموال وإخراب الديار والمنازل بحيث لا يحتاج إلى بيان.

وجاء قوله تعالى ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ قرينة على أن تلك الأعمال هي في أطراف المسجد الأقصى والبقاع التي تحيط به.

وأضافت إلى جميع ذلك أن الذين يسلطون عليهم ويسؤا وجوههم ليسوا من العرب، بل هم عباد لله ومطيعون، وهو قوم يبعثهم الله سبحانه وتعالى قبل خروج القائم عليه السلام كما جاء في الخبر الذي يرويه الكليني وغيره [٢].

وينبغي أن يكون الكلام في قضية فلسطين عن مدة إفساد بني اسرائيل وعبثهم في المرحلة الأولى، وعن نهايتهم كيف ومتى تتحقق وعلى يد من تتحرر فلسطين في المرحلة الثانية.

---

(١) الأسراء: ٤ ـ ٥، ٧.

(٢) الكافي ٨: ٢٠٦ ح٢٥٠، تفسير العياشي ٢: ٢٨١.

أما مدة الإفساد والقتل فقد دلّت الأخبار على طولها وتماديها، فقد جاء في الرواية المعتبرة عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه»(١).

فإذا كانت هذه الرواية تتكلم عن كل الشام بقرينة كلمة «يشمل» فهناك رواية أُخرى فاقدة للتعميم يرويها النعماني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين»(٢).

وأما نهاية الفتنة فإن كل القرائن والشواهد تحكي عن دخول رجل من بني هاشم يخرج من المشرق، فقد روى ابن حماد بسنده عن كعب قال: ينزل رجل من بني هاشم ببيت المقدس حرسه اثنا عشر ألفاً، وعلى كل طريق لبيت المقدس اثنا عشر ألفاً (٣).

وليس ذلك النازل هو الإمام المهدي عليه السلام لأن ابن حماد روى عن محمد بن الحنفية قال: ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس يملأ الأرض عدلاً يبني بيت المقدس بناء لم يبن مثله، ويملك أربعين سنة تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته، ثم يغدرون به، ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غماً، ثم يلي بعده رجل من بني هاشم ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه، ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنوزها ومائدة سليمان بن داود عليهما السلام، ثم يرجع إلى بيت المقدس

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح٦٥.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٥ ح١٦.

(٣) كتاب الفتن: ١٠٦.

فينزلها، ويخرج الدجال في زمانه، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه[١].

ومن هذا الحديث يعلم أن الخليفة الأول الذي ينزل بيت المقدس ليس هو الإمام المهدي عليه السلام لأن الأول يموت غماً ويأتي الرجل الثاني من بني هاشم، وهو الإمام المهدي عليه السلام بقرينة قوله يصلى عيسى بن مريم عليه السلام خلفه.

فمَن هو ذلك الهاشمي الذي ينزل بيت المقدس؟ ومن أي بلد يكون؟

الجواب هو من إيران، لما رواه ابن حماد عن عن محمد بن الحنفية قل: تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس[٢].

ولكن هذه الرواية تدل على نزوله بيت المقدس بعد انهزام السفياني، وهذا إنما يكون بعد ظهور الإمام عليه السلام، وبهذا تكون أخبار العامة متضاربة متخالفة.

ويزيد ذلك التضارب خبر آخر يرويه ابن حماد عن علي عليه السلام قال في حديث: «ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس ـ إلى أن يقول ـ ويخرج قبله رجل من أهل بيته بأهل المشرق، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس، فلا يبلغه حتى يموت»[٣].

ومهما تضاربت هذه الأخبار فهي متفقة في أن الداخل لبيت المقدس هو الخارج من الشرق من بني هاشم.

والمهم في هذه الرواية أنها لا تدل على فتنة عامة تشمل جميع الشام

---

(١) كتاب الفتن: ١١٠.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤.

(٣) كتا ب الفتن: ٩٦.

بل دلت على وقوع اختلافٍ وقتل في الشام، ويمكن أن يكون في أي منطقة من مناطقه، ولكن قوله عليه السلام «عذاباً على الكافرين» قرينة على إرادة منطقة يجتمع فيها الكافرون بأعداد كبيرة بحيث يهلك منهم مائة ألف في رجفة واحدة، فيترجح أن تكون تلك المنطقة هي فلسطين.

ولكن الرواية ليس فيها أكثر من إشعار بطول المدة، لأنه عليه السلام قال: «لا تنجلي إلا عن آية» ونفي الإنجلاء يدل على طول المدة، وكذا تحقق الآية لا يكون سريعاً عادة.

فإذا كان في هذه الرواية كلام، فهناك رواية تنسجم مع الواقع الموجود يرويها عبد الرزاق عن ابن المسيب قال: تكون فتنة بالشام كأن أولها لعب الصبيان تطفو من جانب وتسكن من جانب فلا تتناهى حتى ينادي مناد إن الأمير فلان[1].

ولكن مع كل ذلك الاستدلال فلا يعلم أن المراد من هذه الفتنة أو ذاك الاختلاف هو الذي حدث في فلسطين؛ إذ لعل المراد به هو اختلاف الرايات الثلاث أو الرايات السود.

ولكن أصل الفتنة كما هو واضح واقعة وحاصلة نسمع أخبارها كل يوم ولا تحتاج إلى دليل، والذي نحتاج إلى دليله هو انتهاء تلك الفتنة.

والمسلّم أنّ دولة الصهاينة ستزول في يوم من الأيام كما هو مستفاد من الآيات المارة، ومن الروايات الكثيرة الدالة على دخول الإمام المهدي عليه السلام بيت المقدس وقتاله السفياني في تلك الأرض.

ولكن لا يعلم أن زوال تلك الدولة المشؤومة هل هو قبل ظهوره عليه السلام أو بعده؟

فالمستفاد من مجموع الأخبار هو تحقق ذلك قبل ظهور القائم عليه السلام

---

(١) المصنف ١١: ٣٦١ ح٢٠٧٤٦.

للـروايات الدالـة على تواجد السفياني في فلسطين قبل خروجه وبعد خروجه ويكون قتله فيها وقد تقدمت في الكلام عن السفياني وغيره.

وكـذا الـروايات الدالة على تواجد الرايات السود في فلسطين، والروايات الدالة على دخول الرايات الصفر فيها؛ وغير ذلك.

ويـبقى الكـلام في سبب زوال تلك الدولة والفاتح لبيت المقدس، ومـن هـؤلاء القـوم من غير العرب الذين يبعثهم الله على اليهود ويسيئ وجوههم والأفضل أن نعود إلى الآية وتفسيرها، فقد دلت على دخول قوم ليسوا من العرب، بينما تعيّنه الرواية التي يرويها القمي قال روى بعض أصـحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ جالساً إذ قرأ هذه الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾ فقلـنا: جعلـنا فداك من هؤلاء؟ فقال: ثلاث مرات: «هم والله أهل قم»[1].

ولكـن هـذه الـرواية وغيرها من الروايات التي يستفاد منها أن المحررين هـم الإيرانـيون ضـعيفة السند، ضعيفة الدلالة فلا نستفيد منها أكثر من الأمل.

وهـذا هـو الأمل الوحيد الذي يجب أن يتأمله الفلسطينيون، ولا يتأملوا مـثل صـدام الذي خان شعبه ووطنه ولا واحد من العرب المتخاذلين إن كانوا يريدون النصر.

وعـندها يـتحقق ما رواه عبد الرزاق عن رسول الله ﷺ: «**يقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**»[2]

---

(١) البحار٧٥: ٢١٦ ح٤٠.

(٢) المصنف١١: ٣٩٩ ح٢٠٨٣٧.

أحداث إيران

الانعطافات التاريخية التي شهدها هذا الصقع من البلاد الإسلامية قد سمح للأخبار التي تناولت أحداث هذا البلد أن تبلغ مبالغها من دون أن يحيل التعصب المذهبي والمخاوف الداعية للكتمان والتحريف من وصول تلك الأخبار وانتشارها.

بيد أن إيران كانت سنية المذهب ومتعصبة لذلك، بل كان جمع الجامع الحديثية السنية المهمة والمعتبرة بيد أهلها من الفرس كصحيح مسلم وجوامع الطبراني وسنن البيهقي، وكتاب الفتن وحتى مثل صحيح البخاري لأن بخارا كانت ضمن بلاد فارس آنذاك ثم اقتطعها الروس من إيران.

فلا يجد أولئك المحدثين أي حرج في نقل أخبار الخارج من خراسان أو شعيب بن صالح والرايات السود الثانية التي تبلغ الشام وبيت المقدس.

ولما حدث ذلك الانعطاف التاريخي وتشيعت إيران أدى إلى حرص المحدثين الشيعة على نقل الأخبار المتضمنة لأحداث إيران كخروج الخراساني وشعيب بن صالح والرايات السود وغيرها التي تقدم ويأتي الكلام عنها، بالإضافة إلى جمع الجامع الحديثية الشيعية قبل ذلك الانعطاف بيد الفرس مثل الكتب الأربعة، التي كتبها الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي، مما ساهم في حفظ تلك الأخبار ووصولها.

فلا ممانع من دعوى الانتشار والشمولية في أخبار إيران مع نوع من التوافق والتصادق بعيداً عن تأثيرات التعصبات المذهبية والقومية.

وقد جعل هذا التوافق أرباب المذهب السني أمام نوع من الإحراج

والتعسف في ميدان التعامل مع الأخبار المصححة للحركة الخراسانية والرايات السود التي تأمر الأخبار السنية بإتيانها ولو حبواً على الثلج.

والظريف أن أنباء إيران جاءت بأحداث تتأرجح بين خروج مثل الدجال وبين خروج شعيب بن صالح وزيراً للمهدي عليه السلام، وبين الزنديق الخارج بقزوين وبين الخارج من قم يدعو إلى الحق وهكذا.

القتل في الري:

الري مدينة في وسط إيران لصيقة بالعاصمة طهران حتى يكاد أن تكونا مدينة واحدة والمظنون أن الحديث عن الري والقتل والدماء والفتن التي تكون فيها إنما يراد به فتن العاصمة طهران، التي لم يكن لها وقتذاك عين ولا أثر في قوي الظن، ويظهر ذلك بأدنى تأمل في مجموع الأخبار.

روى الكليني بسنده عن معاوية بن وهب قال تمثل أبو عبد الله عليه السلام ببيت شعر لابن أبي عقب:

وينحر بالزوراء منهم لدى الضحى ثمانون ألفاً مثل ما تنحر البدن

وروى غيره البزل بدل البدن، ثم قال لي: «تعرف الزوراء؟» قال، قلت: جعلت فداك يقولون: إنها بغداد، قال: «لا» ثم قال عليه السلام: «دخلت الري؟» قلت: نعم، قال: «أتيت سوق الدواب؟» قلت: نعم، قال: «رأيت الجبل الأسود عن يمين الطريق؟ تلك الزوراء يقتل فيها ثمانون ألفاً، منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان كلهم يصلح للخلافة» قلت: ومن يقتلهم جعلت فداك؟ قال: «يقتلهم أولاد العجم»[1].

ومعلوم أن الكلام ليس عن الري وإنما هو عن مدينة تقع إلى جانب

---

(١) الكافي ٨: ١٧٧ ح١٩٨، والبزل تعني الإبل إذا انشقّ لحمها عن الناب.

الري سماها الزوراء التي تعني التزوير والخداع والانحراف.

غير أن الرواية لم تذكر زمان ذلك الحدث ولا تبين المقتول والقاتل، ومن هم الثمانون رجل الذي عبرّ عنهم بـ «ولد فلان» هل هم ولد العباس كما عرفنا إرادتهم في الغالب وعدم التصريح ببني العباس لدواعي الخوف والتقية، وقد يكونون أولاد غير العباس من حكام طهران والري يقتلهم ولد العجم، وهو يعني الشباب والفتيان، وإلا لقال العجم.

والذي يؤيد إرادة طهران من الزوراء المتكلّم عنها، الرواية التي يرويها المجلسي في منتخب التواريخ عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا مفضل أتدري أينما وقعت الزوراء؟» قال، قلت: الله وحجته أعلم فقال: «اعلم يا مفضّل أن في حوالي الري جبلاً أسود يبتنى في ذيله بلدة تسمى بالطهران وهي دار الزوراء التي تكون قصورها كقصور الجنة ونسوانها كحور العين، وأعلم يا مفضل أنهن يتلبسن بلباس الكفار، ويتزين بزي الجبابرة، ويركبن السروج، ولا يتمكن لأزواجهن، ولا تفي مكاسب الأزواج لهن، فيطلبن الطلاق منهم، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، فإنك إن ترد أن تحفظ دينك فلا تسكن في هذه البلدة، ولا تتخذها مسكناً، لأنها محل الفتنة، وفرّ منها إلى قلة جبال، ومن الحجر إلى الحجر كالثعلب بأشباله»[1].

ولما كانت العجمة واضحة في هذا الخبر، فهو يشبه أن يكون عبارة عن مضامين مجموعة من الأخبار مع نوع من الاستظهار والإضافة.

وهناك رواية تبالغ في عدد القتلى وتبين المراد من بني فلان في الخبر المار يرويها في الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: «وأما الري فهي مدينة افتتنت بأهلها، وبها الفتنة الصمّاء مقيمة، ولا يكون خرابها إلا

---

(١) حكاه المجلسي النمازي في مستدرك سفينة البحار ٤: ٢٧٠.

على يد الديلم في آخر الزمان، وليقتلن بالري على باب الجبل في آخر الزمان خلق كثير لا يحصيهم إلا من خلقهم.

وليصيبن على باب الجبل ثمانية من كبراء بني هاشم كل يدعي الخلافة، وليحاصرن بالري رجل عظيم اسمه على اسم نبي، فيبقى في الحصار أربعين يوماً ثم يؤخذ بعد ذلك فيقتل»[1].

والمهم أنها ذكرت أن ذلك يحدث في آخر الزمان، وأن بني فلان هم بنو هاشم، أي من السادة والذرية على ما يبدو، لعدم تواجد بني العباس فيها إلا أن يحدث تغيير غير مترقب.

ومهما يكن من ذلك فإن طهران بطبيعتها مهددة بعد ابتعاد أهلها عن الدين، شيئاً فشيئاً، وصارت تتشكل فيها الأحزاب السياسية، على أثر اختلاف المناحي الفكرية وحتى الاعتقادية فيها، ولكن تبقى الفتنة فيها صماء كما جاء في صدر الخبر حتى يملك رجل اسمه اسم النبي عندها تحدث الفتن والاضطرابات والقتل المنعوت في الأخبار.

ولكن الذي يهوّن الخطب هو ضعف الروايات من حيث السند حتى رواية الكافي، لوقوع محمد بن سنان وسهل بن زياد في طريقها، وإن قلنا إن الأمر فيهما سهل، فإن راويها معاوية بن وهب لم يوثّق.

هروب أهل الري:

روى الحسن بن محمد القمي في كتاب تاريخ قم بسنده عن عبد الله بن سنان سئل أبو عبد الله عليه السلام: أين بلاد الجبل؟ فإنا قد روينا أنه إذا رد إليكم الأمر يخسف ببعضها فقال: «إن فيها موضعاً يقال له بحر، ويسمى بقم، وهو معدن شيعتنا، فأما الري فويل له من جناحيه، وإن الأمن فيه من

---

(١) حكاه الكوراني في معجم أحاديث المهدي ٣: ٨٢ ـ ٨٣ عن الفتوح.

جهة قم وأهله» قيل: ما جناحاه؟ قال عليه السلام: «أحدهما بغداد، والآخر خراسان، فإنه تلتقي فيه سيوف الخراسانيين وسيوف البغداديين فيعجل الله عقوبتهم ويهلكهم، فيأوي أهل الري إلى قم فيؤوهم أهله ثم ينتقلون منه إلى موضع يقال له أردستان»[1] فهي تتحدث عن سبب آخر لهلاك أهل الري وقتلهم وتضيف إليه الهروب منها بل حتى التحول عنها إلى أردستان الذي يستشعر منه تغيير موضع العاصمة.

ويبقى الكلام في فصل خراسان عن الري في التصميمات والأعمال ولعله حكاية عن تقسيم إيران.

والرواية معتبرة على ما يبدو.

وقعة صيلمانية:

جاء في الخبر الذي يرويه ابن مهزيار عن صاحب الأمر عندما دار الكلام عن بني العباس وقسوتهم فأخبره عليه السلام بنهايتهم وعلاماتها، حتى قال: «ويخرج السروسي من أرمينية وآذربايجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبال الطالقان، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير، ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات، ثم يوافي واسط العراق فيقيم بها سنة أو دونها، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفئتين، وعلى الله حصاد الباقين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ فقلت: سيدي يا

(١) البحار ٥٧: ٢١٢ ح ٢٠.

ابن رسول الله ما الأمر؟ قال: «نحن»[1].

فالسروسي يريد وراء الري، وما بعدها المنطقة القريبة من الجبل، أو المحصورة بالجبال الملتصقة بجبال الطالقان التي يغلب الظن في إرادة طهران وما والاها، بحيث لم تكن موجودة في ذلك الزمان وإلا لسماها له.

ويقع القتال بين السروسي الخارج من أرض أرمينية وآذربايجان الذي هو الروسي بحسب الظاهر، وبين المروزي الذي هو من أهل مرو.

وهناك رواية تجمع بين القتل المذكور في العنوان السابق وبين حرب القادمين من أرمينية وآذربايجان يرويها النعماني بسنده عن كعب قال فيها: «إن القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى ابن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد، وخروج السفياني، وحرب ولد العباس مع فتيان أرمينية وآذربايجان، تلك حرب يقتل فيه ألوف وألوف، كل يقبض على سيف محلى تخفق عليه رايات سود، تلك حرب يشوبها الموت الأحمر، والطاعون الأغبر»[2].

فقد أشارت إلى أمور نحن بحاجة إليها، أحدها: مقارنة هذه الأحداث لظهور القائم عليه السلام لأنه قال: يظهر مع طلوع النجم الأحمر... وحرب ولد العباس.

والثاني تعيين الطرف الآخر لتلك الحرب والوقعة وقد جاء التعبير عن رئيسهم بالمروزي وهم بنو العباس.

والثالث: اشتراك الرايات السود في هذه الحرب، على أن المراد منها

---

(١) كمال الدين: ٤٦٩، والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٢) كتاب الغيبة: ١٤٧ ح٤.

السود العباسية.

فيأتي الحديث السابق عن بقاء ملك بني العباس إلى قيام القائم عليه السلام أو تجدده، لتكون هذه الرواية شاهداً على حكومتهم على إيران أيضاً أو لا أقل جزء منها، ويكون المروزي من بني العباس أو عاملاً لهم، بعدما ذكر في بحث اختلاف بني فلان الشواهد على حكمهم على العراق والشام والحجاز، فلو صدقت هذه الشواهد لأمكن القول: إن دخول المستعمرين في المنطقة هذه الأيام قد ينجر إلى الإطاحة بالأنظمة الحاكمة فيها والاستعاضة بحكام عباسيين كانوا قد نزحوا إلى الغرب كي يتوصلوا بمعونتهم إلى مركز الحكم في مختلف البلدان الإسلامية من جديد، وإن لم يعلن ذلك ولا هم يعرفون بهذا الاسم، ولكن روحية السلطة والحكومة موروثة في أنفسهم تدعوهم وتحفزهم إلى ذلك، وإن كان يبدو مستبعداً للغاية وفيه تكلف واضح إلى النهاية.

خراب الري:

تقول الرواية السابقة: إن القائم يظهر مقارناً لحدوث أمور منها خراب الزوراء وهي الري، ولعل سبب خرابها هو الحروب والخارجين في أطرافها، كالخارج من الديلم لما جاء في رواية الفتوح المارة من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما الري فإنها مدينة افتتنت بأهلها، وبها الفتنة الصماء مقيمة، ولا يكون خرابها إلا على يد الديلم في آخر الزمان».

حرب شيعة علي:

جاء في الرواية التي يرويها عمرو بن سعد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن لبني العباس يوماً كيوم الطموح، ولهم فيها صرخة كصرخة الحبلى، الويل لشيعة ولد العباس من الحرب التي سنح بين نهاوند والدينور، تلك

حرب صعاليك شيعة علي، يقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله، منعوت موصوف باعتدال الخلق، وحسن الخلق، ونضارة اللون، له في صوته صحاح، وفي أشفاره وطف، وفي عنقه سطح، أفرق الشعر، مفلج الثنايا، على فرسه كبدر التمام إذا تجلى عند الظلام يسير بعصابة خير عصابة آوت وتقربت ودانت لله بدين، تلك الأبطال من العرب الذي يلحقون حرب الكريهة، والدبرة يومئذ للأعداء، إن للعدو يوم ذاك الصيلم والاستئصال»[1].

فإن أوصاف الشيعة التي تتحدث عنهم هذه الرواية من أنهم عصابة خير عصابة آوت وتقربت ودانت لله بدين وفي نفس الوقت هم من العرب المستعدين لخوض المعارك الصعبة التي تكون بين نهاوند الواقعة قريباً من همدان، والدينور التي هي مدينة من مدن كردستان إيران، وهكذا قائد من همدان التي يحتمل قوياً أن يراد بها همدان إيران التي تقع الحرب على مقربة منها.

كما يحتمل إرادة قبيلة همدان التي منها مالك الأشتر لوصف المحاربين بأنهم عرب، وإن كان المحتمل إرادة مشاركة العرب في تلك الحرب، والعرب هم عصابة من ذلك الجيش المختلط، كل ذلك مما لم يسمع بتحققه.

فمن هذا القائد الجميل الذي على فرسه كبدر التمام واسمه محمد، وما جاء بالعرب إليه ليقودهم ويقدمهم في حرب شيعة ولد العباس.

وهل المراد أمر وقع في السابق قبل زوال دولة بني العباس من الثائرين الشيعة في إيران، أو أن المراد تلك التي ستكون بعد تجدد ملك بني العباس المستفاد من الروايات؛ فإن الرواية لا تخلو من الغموض، بعد الضعف في السند.

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ١٤٧ ح ٥، والراوي هو عمرو بن سعد الأشهلي.

القائم بخراسان وجيلان :

لعبت خراسان دورها الأول في حياة الأمة الإسلامية حينما أطاحت بالدولة الأموية لتحل محلها الدولة العباسية في دورة الحكم التاريخية.

ثم لعبت دورها الثاني عند حصول الاختلاف بين الشقيقين الأمين والمأمون، لتأخذ جانب المأمون الذي كانت أمه فارسية خراسانية، فانتهت تلك الغائلة بقتل الأمين وتربع المأمون على كرسي الحكم.

ثم جاء التأكيد هذه المرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام على دور ثالث يلعبه هذا الصقع بالخصوص بحيث أن الراوي معروف بن خربوذ يقول: ما دخلنا على أبي جعفر الباقر عليه السلام قط إلا قال: «خراسان خراسان، سجستان سجستان» كأنه يبشرنا بذلك[1].

فابشري وبشّري وانتظري يا خراسان، فإنك منظورة منتظرة لمحو الظلم والظالمين، ومندوبة لتأسيس حكومة الطيبين من أهل بيت النبيين عليهم السلام، ونصرة خاتم الوصيين عليه السلام.

وروى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام حدّث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم.

فقال الحسين: يا أمير المؤمنين متى يطهر الله الأرض من الظالمين؟ فقال: «إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كوفان وملتان، وجاز جزيرة بني كاوان، وقام قائم منا بجيلان وأجابته الآبر والديلمان، وظهرت رايات الترك متفرقات في الأقطار والجنبات، وكانوا بين هنات وهنات...»[2].

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٣ ح ٥١، أحمد بن محمد بن سعيد، عن علي بن الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن ابن أذينة، عن معروف بن خربوذ، وزياد ضعيف.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٤ ح ٥٥.

ولعل ذلك القائم بخراسان هو شعيب الذي تقدم الكلام عنه، وبينه وبين ظهور القائم عليه السلام اثنان وسبعون شهراً، يقاتل السفياني ويأتيه المدد من سجستان.

وملتان هي محافظة في الباكستان مركزها مدينة ملتان التاريخية الشهيرة.

ولم يقل منا لأن القائم ليس من العلويين، بينما القائم في جيلان من العلويين، غير أنه لا دلالة على قربه من ظهور القائم عليه السلام ولعله الناصر الذي قام في جيلان وطبرستان، أو هو الحسني الذي تقدم الكلام عنه يقاتل السفياني، ويأتيه المدد من سجستان يقوم من نحو الديلم.

الزنديق بقزوين:

روى الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية، قال، قلت له: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قال: فحرك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان؟ أنى يكون ذلك ولم يجفو الإخوان؟ أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان؟ أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين، فيهتك ستورها، ويكفر صدورها، ويغيّر سورها، ويذهب ببهجتها؟ من فرّ منه أدركه، ومن حاربه قتله، ومن اعتزله افتقر، ومن تابعه كفر، حتى يقوم باكيان: باكٍ على دينه، وباكٍ على دنياه[1].

فإن أكثر هذه الأوصاف تنطبق على رضا خان شاه إيران الذي فرض السفور ومنع الحجاب، وأبى عن تسليم الرواتب الشهرية إلا بيد الزوجات المتبرجات، ولهذا يفتقر من يعتزله ويكفر من يتابعه، فأراد أن يمسح ملامح الحضارة الإسلامية ويزيل بهجتها ويبدلها بحضارة غربية.

ويمكن أن يكون المراد غيره ممن سيأتي، وليس ببعد حيث أثبتت التجربة

---

(١) الغيبة: ٤٤١ ح ٤٣٣، البحار ٥٢: ٢١٢ ح ٦١.

التاريخية أنـه كلما حكمت إيران حكومة مذهبية متشددة أعقبتها علمانية متوحشة، ولكن نأمل أن لا يكون ذلك.

وهل أن هذا الحدث قريب من ظهور القائم (عليه السلام) لأن الرواية تذكره كآخر حدث قبل ظهوره، أو هو حدث قبل ظهوره كان قد أخذ بنظر محمد بن الحنفية ومسامعه من بين الأحداث التي سمع عنها من أبيه وأخويه سلام **الله عليهم؟**

وهناك حديث آخر يتحدث عن خارج بقزوين يختلف عن هذا الزنديق يرويه الشيخ بسنده الطوسي عن النبي (صلى الله عليه وآله) **قال: «يخرج بقزوين رجل اسمه اسم نبي، فيسرع الناس إلى طاعته المشرك والمؤمن، يملأ الجبال خوفاً»**[1].

إذ لعل إسراع الناس إلى طاعته خوفاً من سطوته بقرينة قوله يملأ الجبل خوفاً، كما يمكن أن يستشعر إسراعهم بالاختيار ويكون الخوف المذكور آخر الرواية لأعدائه ومناوئيه.

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٤ ح ٤٣٨، الخرائج والجرائح ٣: ١١٤٨ ح ٥٧.

انتقال مركز العلم إلى القم :

أصبحت مدينة قم مأمن الشيعة وملاذ الأخيار من كل البلدان، يجتمعون فيها ويظهر فيها العلم فينتشر إلى جميع العالم حتى لا يبقى مستضعف في الدين ولا يبقى أحد لا يبلغه العلم وتتم حجة الله سبحانه وتعالى على الناس فيسير القائم عليه السلام سبباً لنقمة الله سبحانه.

فقد روى الحسن بن محمد القمي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا عمت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها؛ فإن البلاء مدفوع عنها»[1]، وإن خصصته رواية أخرى بالمنطقة الجبلية من تلك البلاد يرويها القمي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا عمّت البلايا فالأمن في كوفة ونواحيها من السود وقم من الجبل، ونعم الموضع قم للخائف الطائف»[2].

وقال الشيخ الحسن بن محمد القمي المذكور: وروي بأسانيد عن الصادق عليه السلام أنه ذكر كوفة وقال: «ستخلو كوفة من المؤمنين ويأرز عنها العلم كما تأرز الحية في حجرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال، وذلك عند ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها، ولم يبق في الأرض حجة، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب، فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ثم يظهر القائم عليه السلام ويسير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد؛ لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم حجة»[3].

---

(١) انظر البحار ٥٧: ٢١٤ ح ٢٦.

(٢) انظر البحار ٥٧: ٢١٤ ح ٢٧.

(٣) انظر البحار ٥٧: ٢١٣ ح ٢٣.

والمهم أن الرواية ذكرت أن انتقال مركز العلم إلى قم من الكوفة والنجف وصيرورة قم معدناً للعلم والفضل عند ظهور القائم عليه السلام، أي في زمان متلاخم لظهوره عليه السلام مما يجعل هذا الانتقال من العلائم القريبة على الظهور.

وفي الحقيقة أن الانتقال يحدث بانتقال العلماء بعد أن يشمل البلاد الفتن وينعدم الأمن في العراق وخصوص الكوفة والنجف، فينتقلون إلى قم.

وكل ذلك قد شهدناه ورأينا انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى قم وازدهار الحوزة العلمية فيها بقوة إعلامية قوية لم يشهد الشيعة لها مثيلاً، انتشرت المؤسسات منها إلى أكثر نقاط العالم.

رجل من أهل قم :

روى الحسن بن محمد القمي، عن علي بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعافية للمتقين»[1].

مما يبدو أن هذه الدعوة دعوة سياسية، وليست اعتقادية صرفة، وليس المراد بالحق هو الدين الحق والمذهب الحق، وإلا فالدعوة للدين لا يختص بها رجل واحد، بل تشمل جميع الدعاة من العلماء، ولا حاجة إلى اجتماع قوم كزبر الحديد، ولا إلى الحرب والقتال.

فلابد أن تكون هذه الدعوة المشار إليها في الخبر دعوة سياسية للمطالبة بحقوق سياسية يجتمع لها جماعة تعتقد بها اعتقاداً راسخاً لا تزلهم الرياح العواصف، ثم تنشب حرب طويلة الأمد أو حروب متكررة نستفيد ذلك من

---

(١) انظر البحار ٥٧: ٢١٦ ح ٣٧.

قوله: لا يملون الحرب ولايجبنون، حيث يعرف منه طول مدة الحرب وضراوتها، وكذا صبرهم واستقامتهم، وعدم جبنهم في يوم من الأيام، يتوكلون على الله، وتكون العاقبة لهم.

ولكن الرواية المذكورة ضعيفة السند؛ لأن أيوب بن يحيى الجندل الراوي عن أبي الحسن عليه السلام مهمل ليس له عين ولا أثر في كتب الرجل، وليس لها قرائن وشواهد تسعفها وتجبرها، فلا يترتب عليها أي أثر فقهي.

ومن ناحية أخرى فهي مجملة لم تعين ذلك القائم ولم تذكر صفاته حتى يكون تحققها هو سندها، فعند قيام كل رجل من قم يحتمل أن لا يكون هو المراد ويبقى احتمال إرادة رجل يخرج بعده، وإن كان انطباقها على ما حدث أخيراً في إيران قوياً جداً.

قم مأمن الإيرانيين:

فقد قال أبو عبد الله الفقيه الهمداني في كتاب البلدان: إن أبا موسى الأشعري روى أنه سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقال: «أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل، فإذا اضطربت خراسان، ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان، وخربت سجستان، فأسلم المواضع يومئذ قصبة قم، تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً...»[1].

ولا يتعين حدود ذلك الزمان وهل أن المراد هو كل زمان تحدث فيه فتنة فقد اضطربت خراسان عدة مرات، فلا يعلم أي اضطراب هو، إلا أن يكون المراد تزامن تلك الأحداث المذكورة في الخبر، أعني اضطراب خراسان، ووقوع الحرب بين أهل جرجان وطبرستان، وخراب سجستان، فإن ذلك لم يتحقق،

---

(١) انظر البحار ٥٧: ٢١٧ ح ٤٧.

ولا يتكرر تحقق كل تلك الأمور سوية، فتحققه لا يكون إلا مرة واحدة معينة، وهو لم يحدث بعد لما ورد أن سجستان تخرب بالرمل، على أن تلك الرواية ضعيفة السند.

دخول الحسني مدينة قم :

فقد جاء في خطبة الملاحم لأمير المؤمنين عليه السلام التي خطبها بعد وقعة الجمل بالبصرة: «يخرج الحسني صاحب طبرستان مع جم كثير من خيله ورجله حتى يأتي نيسابور فيفتحها ويقسم أبوابها، ثم يأتي إصبهان، ثم إلى قم، فيقع بينه وبين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير، فينهزم أهل قم، فينهب الحسني أموالهم، ويسبي ذراريهم ونسائهم، ويخرب دورهم، فيفزع أهل قم إلى جبل يقال لها ورار دهار، فيقيم الحسني ببلدهم أربعين يوماً، ويقتل منهم عشرين رجلاً، ويصلب منهم رجلين، ثم يرحل عنهم»[1].

وهل أن هذا الحسني هو الحسني المار الذي يقاتل السفياني، أو هو حسني آخر؟! وهل تحقق هذا الحدث في السابق ووقع فيما مضى قبل أن تتشيع إيران، أو هو حدث يحدث بعد هذا الزمان قريباً من ظهور القائم عليه السلام، لم يبين لنا هذا الخبر شيئاً من ذلك، ولم يعرفه لنا، وإن كان الأغلب عدم تحققه فيما مضى، وعدم تحققه فيما بقى، لأن الرواية ضعيفة السند، والأخبار تتحدث عن نصرة الحسني الخارج من نحو الديلم للقائم عليه السلام وتسليمه الجيش بعد رؤية المعاجز والدلائل.

كما تتحدث عن قيام أهل قم مقام الحجة ونصرتهم له، إلا أن يكون السبب اختلاف الآراء والسلائق بشهادة قلة عدد القتلى والمصلوبين المذكورين في هذا الخبر، فلا تعدو أن تكون فتنة موقتة إذا صدقت، وإن كان احتمال الصراع

---

(١) البحار ٥٧: ٢١٥ ح ٣٦.

السياسي على الملك قائماً في كل طائفة ومذهب ودين، على أن اختلاف الشيعة فيما بينهم معدود من العلائم على الظهور.

هلاك الشباب :

روى الحسن بن محمد القمي بسنده عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: «قم عش آل محمد، ومأوى شيعتهم، ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية آبائهم، والاستخفاف بكبرائهم ومشايخهم، ومع ذلك يدفع الله عنهم شر الأعادي وكل سوء»[١].

إذا كان المراد هلاكهم في نفس قم، فلا يبعد أن يكون المراد هو الهلاك في فتنة الحسني السالفة الذكر، وإذا كانت خارج مدينة قم، فلا يبعد أن يكون ذلك الهلاك بسبب مشاركتهم في الحروب، سواء كانت هي حروب الخارج من قم المار الذكر أو غيره، ويحتمل أن يكون لا هذا ولا ذاك، وإنما هي فتنة تحدث في قم بين الشباب، وهو متوقع.

ظهور الماء :

سئل علي بن محمد العسكري (عليه السلام) عن أهل قم: متى ينتظرون الفرج؟ قال: «إذا ظهر الماء على وجه الأرض»[٢].

يحتمل إرادة السنة التي تسبق ظهور القائم (عليه السلام) فإنها سنة غيداقة يكثر فيها الأمطار وفي رواية يمطر الناس (٢٤) مطرة كما تقدم في أحداث السماء. وإذا كثر المطر ظهر الماء على وجه الأرض، وامتلأ نهر قم بالماء بحيث لم يسبق له مثيل.

---

(١) انظر البحار ٥٧ : ٢١٤ ح ٣١.

(٢) الاختصاص: ١٠٢، البحار ٥٧ : ٢٠٧ ح ٧.

ولكـن يستشـعر مـن ظهور الماء على وجه الأرض هو ظهور ما كان مخفياً تحـت الأرض وذلـك بسـحبه بـالمعدات الحديثة وسقي الزرع وملء السواقي والأنهار، ومجاري المياه. وقيل: هو جريان الماء في نهر قم بعدما لم يكن في حين صدور الخبر سوى القنوات داخل الأرض.

الدجال

يحظى اسم الدجال بكثرة النقل والتداول في الأوساط الشعبية والرواية الإسـلامية على اختلاف المذاهب سنية وشيعية وغيرهما بفارق واحد بين نقل المذهبين المذكورين هو الفرق بين الحقيقة والخيال وبين الحدث والأسطورة.

فمـا زالـت روايـة المذهب السني تعكس عن الدجال شخصية خيالية كانت موجودة من زمان النبي (صلى الله عليه وآله) وهو باق إلى حين نزول عيسى بن مريم (عليه السلام)، يخرج قـبل ذلـك الحـين ومعـه جبل من خبز ولحم ونهر من ماء ومعه جنة ونار، وهو على حمار بين أذنيه ميل، وأنه يحيي ويميت[1] وغير ذلك.

وبعـد بيان امتلاكه لأكبر قدرة قاهرة بحيث تفوق حد التصور في كل عصـر وزمـان تذكر تلك الأخبار سرعة انكساره وتراجعه أمام أقل العدد وأبسـط العـدد، وحـتى أضـعف الجيوش، مما يتولد معه إحساس نوع من التناقض أو التضاد.

بيـنما روايـات المذهـب الشـيعي تتمحور على التحذير من الانخداع به ومـن متابعـته وتؤكـد عـلى كفره وضلاله وتبين من لكون له الأهلية لمتابعته،

---

(١) أنظر صحيح البخاري ٢: ٢٢٣ وج ٤ ١٠٥ و١٤٢ وج ٧: ١١٤، مسند أحمد ٣: ٣٦، صـحيح مسـلم ٦: ١٧٧ وج ٨: ١٩٦ و١٩٩ و٢٠١، فـيض القديـر شرح الجامع الصغير ٣: ٧١٨.

وتميزه عمن يمتلك المقومات الحائلة دون المماشاة معه، وتذكر بعض صفاته التي يمكن تعقّلها وتصورها.

أما التحذير فقد رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله من أنه قال: «**إنه ليس من نبي إلا وقد حذّر منه فاحذروه، فإنه أعور وربكم ليس بأعور**»[١].

فلعل هذا التحذير هو الذي أوجد المخاوف عند الناس حتى صاروا يتخيلون له كل تلك الأوصاف اللامعقولة، بينما الاتصاف بصفة الدجال لا يحتاج إلى أكثر من الدجل والحيلة والمكر والتستر بالمظاهر الخلابة التي تعمي عين الناظر عن رؤية الحقيقة فيتبعه.

وليس أتباعه هم اليهود والكفار فقط، بل أتباعه المسلمون السذّج الذين ينخدعون بأقل ذريعة مثل أولئك الذين اتبعوا عائشة حينما خرجت لحرب أمير المؤمنين عليه السلام بذريعة المطالبة بدم عثمان بن عفان، أو الذين تابعوا معاوية بن أبي سفيان بنفس الذريعة ونفس الحجة، أو الخوارج المفتونون، فهذا هو الدجل والخدعة التي ينخدع بها المنخدعون وتتكرر نظائره في كل زمان ومكان.

ولذا روى ابن سليمان الحلي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من أراد أن يقاتل شيعة الدجال فليقاتل الباكي على دم عثمان والباكي على أهل النهروان»[٢].

كما ورد التأكيد على أن الدجالين هم الذين صرفوا الناس عن أهل البيت عليهم السلام وصاروا يقاتلونهم بعدما قاتلوا الرسول صلى الله عليه وآله كالمروي عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**من قاتلني في الأولى**

---

(١) الأصول الستة عشر: ١٥٢، صحيح البخاري ٤: ١٤، مسند أحمد ٣: ٢٣٣.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٢٠.

وقاتل أهل بيتي في الثانية فهو في الثالثة مع الدجال»[١].

وبهذا يمكننا استنباط فكرة كلية عن الدجال الذي تتحدث عنه الأخبار وتبالغ في شأنه وتحذر منه، بعد ملاحظة أن الدجل والتعمية على العوام يتعقد بمرور الزمان وتصير له ظواهر خدّاعة أكثر فأكثر حتى يبلغ الذروة.

فالدجال ذاك الذي يبلغ الذروة في الدجل والحيلة والمكر على مر التاريخ وإلى نهاية الخلق، وهو الذي يأتي التعبير عنه بالدجال الأكبر.

وأكثر من تمهّر في الدجل والتمويه على الناس إلى يومنا هذا هو الاستعمار والقوى العظمى التي أمسكت بزمام السيطرة على مقدرات دول العالم بأكبر مهارة وبواسطة أكبر الإمكانيات والدرسات والتحقيقات المعقدة، المسنودة بالتقدم التكنولوجي ووسائل الإعلام العملاقة، وقد يأتي عبر الأيام القادمة والسنين الآتية من هو أكبر رجلاً وحيلة من هؤلاء المستعمرين المالكين لتلك القدرات ليكون هو الدجال الذي تشير إليه الروايات، ويكون له قدرات أكبر وتكنولوجية أعقد في مجال التمويه والتعميه على ضعفاء العقول.

على أن لا ننسى دور اليهود في هذا الميدان المناسب لنفوسهم الخبيثة التي تميل إلى الشر وتعتمد المكر والخدعة، فهم أتباعه على ما يبدو، بل لا يكون من أتباع الدجال أحد حتى يتصف بأوصافهم الخبيثة وأعمالهم الشنيعة.

ولذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً** قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: **«إن أدرك الدجال آمن به..»**[٢].

---

(١) المحاسن ١: ٩٠.

(٢) المحاسن ١: ٩٠ ح٣٩، أمالي الصدوق: ٦٨١ ح٢.

فهي تدل على أن من يتبع الدجال هو يهودي ويبعث يهودياً ويحمل صفات اليهود وإن كان بحسب الظاهر مسلماً.

وهذا لا ينافي أن يكون لمجموعة الدجالين رأس يفوقهم في الدجل ويرجعون إليه في التدبير والمكر، كما هو مستفاد من الرواية التي يرويها الصفار عن معاوية بن حكيم عن شعيب بن غزوان عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل عليه رجل من أهل بلخ فقال له: «يا خراساني تعرف وادي كذا وكذا؟» قال: نعم، قال له: «تعرف صدعاً في الوادي من صفته كذا وكذا؟» قال: نعم: قال: «من ذلك يخرج الدجال»[1].

يكون بذلك قد عين رجلاً يخرج من موضع معين ومكان مشخص يسميه الدجال، غير أن الرواية ضعيفة بالإرسال وعدم معرفة الراوي لها، فلا يمكن إثبات موضع خروج الدجال ولا حتى تشخيصه بها.

والمهم عندنا هو أصل ثبوت الدجال أو حتميته، فقد دلت على حتميته الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق بسنده عن حذيفة بن أسيد قال: اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله من غرفة له ونحن نتذاكر الساعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: الدجال، والدخان...»[2].

ولكن عدّ الدجال من الآيات لا يخلو من إشكال بيد أنّ الرواية ضعيفة السند ولا يمكن الاعتماد عليها في مجال إثبات حتميته ولا كونه آية حتى بمعنى علامة.

نعم هناك رواية معتبرة واحدة تذكر الدجال يرويها الشيخ الطوسي عن الحسين بن سعيد، عن صفوان وابن فضال، عن ابن بكير، عن أبي

---

(١) بصائر الدرجات: ١٦١ ح ٧ باب ما يبين فيه كيفية وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

(٢) الخصال: ٤٣١ ح ١٣، باب العشرة، عنه في البحار ٦: ٣٠٣ ح ١.

عبد الله عليه السلام قال: ذكر الدجال فقال: «فلم يبق منه سهل إلا وطئه إلا مكة والمدينة؛ فإن على كل نقب من أنقابها ملك يحفظها من الطاعون والدجل»[١].

فهي تدل على قدرات الدجال وسرعة انتقاله في أرجاء الأرض حتى لا يبقى سهل إلا وطئه ويكون تحت سيطرته إلا مكة والمدينة فإنه محرم عليه دخولهما كما جاء في بعض الأخبار، ولولا هذه الرواية لما أمكن إثبات أصل وجوده وخروجه.

ويبقى الكلام في سائر صفاته وأعماله ودينه ومذهبه، وهل يظهر قبل ظهور القائم عليه السلام أو بعده.

فالمستشعر من مجموع الأخبار ظهوره قبل ظهور القائم عليه السلام منها الرواية التي يرويها ابن شهر آشوب عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها: «وصرخ الصارخ بالعراق: هتك الحجاب، وافتضت العذراء، وظهر علم اللعين الدجال، ثم ذكر خروج القائم»[٢]، إذ لعل ذكر خروج القائم عليه السلام بعد ظهور الدجال يشهد بتأخره عنه، وتقدم ظهور الدجال عليه، ولكن لا يكون دليلاً لأننا اعتدنا عدم رعاية الترتيب الزمني وعدم تطابقه مع الترتيب الذكري. نعم هناك روايات تدل على أن القائم عليه السلام هو الذي يقتل الدجال ويعينه عليه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام يذكر فيها المعصومين الأربعة عشر فيقول: «آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويطهر الأرض من كل جور وظلم»[٣].

مما يدل على تقدم خروج الدجال على ظهوره عليه السلام أو لا أقل من التقارن

---

(١) التهذيب ٦: ١٢.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٠٨، البحار ٤١: ٣١٩.

(٣) كمال الدين: ٣٥٥ ح ٧.

والمزامنة.

وفي رواية يرويها علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن الحسن بن علي عليهما السلام فيما ناظر به ملك الروم أن قال: «كان عمر عيسى عليه السلام في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثم رفعه الله إلى السماء ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال»[1].

وفي رواية ثالثة يرويها فرات الكوفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا خثيمة سيأتي على الناس زمان لا يعرفون الله ما هو التوحيد حتى يكون خروج الدجل، وحتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ويقتل الله الدجال على يديه، ويلي بهم رجل منا أهل البيت»[2].

فلعل قتله يكون بطلب من الإمام المهدي عليه السلام وتنفيذ من عيسى عليه السلام، حتى تصح نسبة القتل إليهما، أو هو تعاون كما روي عن الإنجيل: يا عيسى، جد في أمري... ثم أهبطك في أخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب، ولتعينهم على اللعين الدجال، أهبطك في وقت صلاة لتصلي معهم إنهم أمة مرحومة[3]، على ما جاء في خبر يرويه الصدوق عن عبد الله بن سليمان.

وأما صفاته فقد تضمنت خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي خطبها بعد فتح البصرة وذكر الغرق الذي يصيبها فسأله المنذر عما يصيبها قبل الغرق فذكر له عليه السلام أموراً إلى أن قال: «منها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقة، ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٧٠.

(٢) تفسير فرات: ١٣٩.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٤٥ ح ٤١٨.

عدة من قتل بالأبلة من الشهداء، أناجيلهم في صدورهم، يقتل من يقتل، ويهرب، ثم رجف، ثم قذف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق»[١]، رواها كمال الدين بن ميثم البحراني مرسلاً، فهي ضعيفة السند، ولكن لم تذكر ما هو خارج عن المعقول تصف الدجال بأنه أعور ممسوح العين اليمنى، والعين اليسرى حمراء بكيفية مخصوصة يمكن تحققها بهذه الهيئة وإن كان نادراً، كما يمكن إرادة المجاز والكناية عن نظرة متشائمة لأن الشؤم في اليسار واليمن في اليمين وهو ينظر بمنظار واحد وبعين واحدة أي لا ينظر سوى مصالحه، وحمراء كناية عن النظرة القاسية المتعطشة لإراقة الدماء، فلا ينعكس فيها سوى حمار الدم.

ويستفاد من هذه الرواية والروايات الأخرى أن الدجال مسيحي الديانة بحسب الظاهر.

فالرواية الأخرى يرويها السيد بن طاووس تحكي ما جرى بين نصارى نجران وما دار من الكلام حتى قال أحدهم وهو الحارثة بن أثال ناصحاً لهم: واحذّركم يا قوم أن يكون من قبلكم من اليهود أسوة لكم، إنهم انذروا بمسيحين: مسيح رحمة وهدى، ومسيح ضلالة الدجال، وجعل لهم على كل منهما آية وأمارة، فجحدوا مسيح الهدى وكذبوا به، وآمنوا بمسيح الضلالة الدجال وأقبلوا على انتظاره[٢].

ومع هاتين الروايتين يصعب قبول احتمال التصحيف الذي ذكره السيد المرتضى فقال: المسيخ وليس المسيح، أي المشوّه الوجه، فهو وإن كان له وجه ولكن التعبير بمسيحين يبعده عن الذهن، وكذا حديث الأناجيل في الرواية المارة، ولكن لا يمكن الاعتماد على شيء من ذلك في إثبات مسيحيته

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩ ـ ٢٩٠ الخطبة ١٣.

(٢) إقبال الأعمال ٢: ٣١٩، البحار ٢١: ٢٩٤.

لضعف أسنادها. هذا غاية ما جاء في رواياتنا عن الدجال وليس وراء ذلك شـيء يذكر، نعم ينقل بعض محدثي المذهب الشيعي بعض الروايات التي يرويها بعض العامة كالضحاك عن النزال بن سبرة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروايـة ابـن عمـر وغـيره مما هو مشتمل على المخاريق والخلط بين نفس الدجال وبين ما يمتلكه من الآلات والمعدات.

العلائم الأخلاقية

عـند إلقـاء نظرة كلية على أخبار العلائم الأخلاقية نجد أن المقصود فيها والهـدف يتفاوت ويتراوح بين الإنشاء والإخبار بين بيان حال العامة والخاصة، وبين الملوك والرعية وبين التحذير والتمييز.

وبصورة كلية فقد جاء في الأخبار الواردة عن النبي ﷺ التأكيد على الأئمة والحكام المنحرفين في مجال تحذير المسلمين من الاكتفاء في متابعتهم بكونهم حكاماً مسلمين وخلفاء للنبي ﷺ، فليس هذا هو الميزان والمعيار، وإنما هو العمل والاعتقاد والدين.

وباقي الأخبار تذكر أخلاق الناس وتريد بهم العامة الذين ليس لهم مرشـد يرشـدهم ولا إمـام حـق يـرعاهم ويزجرهم، فكأنهم عليه السلام يريدون القـول بـأن تـرك الأئمة عليهم السلام من أهل البيت، وعدم الاعتقاد بوجود إمام عليه السلام يجر الناس إلى فعل كل قبيح، بل تحليل كل محرم، وصيرورة كبائر المحرمات أمـور طبيعـية، لأجل تداول الخلفاء والحكام الظالمين لها فلا يعقل معها أن يسـتقبحها الرعـية المعتقدون بإمامة أولئك الفجرة من بني أمية والعباس وغيرها.

ويـبقى المؤمـنون فهل يشملهم ذلك البلاء أو الأمر بالعكس، كلما ازداد انحراف الناس ازداد إيمانهم وتعاظم ثواب أعمالهم، فهذا ما يحتاج إلى نـوع مـن التفصـيل فـإن الخطـاب في الغالـب يكون موجهاً لهم بأن يقول الإمام لبعض أصحابه أو للسائل: رأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً و...

إنما يتوجه الخطاب إليهم يعني أنكم المؤمنون ترون ذلك ولا تفعلونه، أو هو تحذير من فعله، بمعنى أن الإمام يريد القول أنت المؤمن ترى ذلك ولا ينبغي لك أن تفعله مهما صار معتاداً وأمراً طبيعياً بين الناس وإن كان الكلام في بعض الأحيان يصار بهدف تبعيد ظهور القائم عليه السلام حينما يكون السائل مستعجلاً ويسأل عن وقت الظهور فيأتيه الجواب، أنه يظهر إذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فليس المقصود بهذا الكلام سوى بيان بُعد الأمر وعدم تحققه بهذه العجالة، ففي هذا الحال يكون الجواب بكل فعل مستغرب ومستبعد الحصول في ذلك الزمان والزمان الذي يليه، روى ذلك الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية قال، قلت له: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قال: فحرك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان، أنى يكون ذلك ولم يجفوا الإخوان، أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان[1]، فإنه وإن ذكر بعض أفعال أهل زمان الظهور القبيحة ليس هدفه سوى الإخبار عن بُعد زمان الواقعة وطول المدة لمن هو مستعجل أشد الاستعجال، المفهوم من اعتراضه وتسخطه المستفاد من قوله: قد طال هذا الأمر... مما يعني أنه لا يرضى بالتأخر أبداً.

ولما كانت الروايات متداخلة جداً فيما بينها ومتطابقة في ذكر الأفعال القبيحة التي يرتكبها أهل زمان الغيبة وقرب زمان القائم عليه السلام ارتأينا أن نذكر رواية واحدة معتبرة تجمع جميع تلك الأوصاف بغالب الظن يرويها الشيخ الكليني بسند معتبر عن حمران يسأل فيها أبا عبد الله عليه السلام ويقول: إلى متى هؤلاء يملكون أو متى الراحة منهم؟ فقال: «أليس تعلم أنّ لكلّ شيء مدة؟» قال: بلى، فقال عليه السلام: «هل ينفعك علمك أن هذا الأمر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين؟ إنّك لو تعلم حالهم عند الله عز وجل

---

(١) كتاب الغيبة: ٤٤١ ح ٢٣٣.

وكيف هي كنت لهم أشد بغضاً، ولو جهدت أو جهد أهل الأرض أن يدخلوهم في أشد مما هم فيه من الإثم لم يقدروا، فلا يستفزّنّك الشيطان فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، ألا تعلم أنّ من انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الأذى والخوف هو غدا في زمرتنا؟ فإذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله، ورأيت الجور قد شمل البلاد، ورأيت القرآن قد خلق وأحدث فيه ما ليس فيه ووجه على الأهواء، ورأيت الدين قد انكفأ كما ينكفىء الماء، ورأيت أهل الباطل قد استعملوا على أهل الحق، ورأيت الشر ظاهراً لا ينتهى عنه ويعذر أصحابه، ورأيت الفسق قد ظهر واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ورأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله، ورأيت الفاسق يكذب ولا يردّ عليه كذبه وفريته، ورأيت الصغير يستحقر بالكبير، ورأيت الأرحام قد تقطّعت، ورأيت من يمتدح بالفسق يضحك منه ولا يردّ عليه قوله، ورأيت الغلام يعطي ما تعطي المرأة، ورأيت النساء يتزوجن النساء، ورأيت الثناء قد كثر، ورأيت الرجل ينفق المال في غير طاعة الله فلا ينهى ولا يؤخذ على يديه، ورأيت الناظر يتعوذ بالله ممّا يرى المؤمن فيه من الاجتهاد، ورأيت الجار يؤذي جاره، وليس له مانع، ورأيت الكافر فرحا لما يرى في المؤمن، مرحا لما يرى في الأرض من الفساد، ورأيت الخمور تشرب علانية ويجتمع عليها من لا يخاف الله عز وجل، ورأيت الآمر بالمعروف ذليلاً، ورأيت الفاسق فيما لا يحب الله قوياً محموداً، ورأيت أصحاب الأيات يحتقرون ويحتقر من يحبهم، ورأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً، ورأيت بيت الله قد عطل ويؤمر بتركه، ورأيت الرجل يقول ما لا يفعله، ورأيت الرجال يتسمّنون للرجال والنساء للنساء، ورأيت الرجل معيشته من دبره ومعيشة المرأة من فرجها، ورأيت النساء يتّخذن المجالس كما يتخذها الرجال، ورأيت التأنيث في ولد العباس قد ظهر وأظهروا الخضاب وامتشطوا كما تمتشط المرأة لزوجها وأعطوا الرجال الأموال على فروجهم وتنوفس في

الرجل وتغاير عليه الرجال، وكان صاحب المال أعزّ من المؤمن، وكان الربا ظاهراً لا يغيّر، وكان الزّنا تمتدح به النساء، ورأيت المرأة تصانع زوجها على نكاح الرجال، ورأيت أكثر الناس وخير بيت من يساعد النساء على فسقهن، ورأيت المؤمن محزوناً محتقراً ذليلاً، ورأيت البدع والزنا قد ظهر، ورأيت الناس يعتدّون بشاهد الزور، ورأيت الحرام يحلّل ورأت الحلال يحرم، ورأيت الدين بالراي وعطّل الكتاب واحكامه، ورأيت الليل لا يستخفى به من الجرأة على الله، ورأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلا بقلبه، ورأيت العظيم من المال ينفق في سخط الله عز وجل، ورأيت الولاة يقرّبون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاة يقربون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاة يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لمن زاد، ورأيت ذوات الأرحام ينكحن ويكتفى بهن، ورأيت الرجل يقتل على التهمة وعلى الظنة، ويتغاير على الرجل الذكر فيبذل له نفسه وماله، ورأيت الرجل يعير على إتيان النساء، ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور يعلم ذلك ويقيم عليه، ورأيت المرأة تقهر زوجها وتعمل ما لا يشتهي وتنفق على زوجها، ورأيت الرجل يكري امرأته وجاريته ويرضى بالدّني من الطعام والشراب، ورأيت الأيمان بالله عز وجل كثيره على الزّور، ورأيت القمار قد ظهر، ورأيت الشراب يباع ظاهراً ليس له مانع، ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر، ورأيت الملاهي قد ظهرت يمرّ بها لا يمنعها أحد أحداً ولا يجترئ أحد على منعها، ورأيت الشريف يستذله الذي يخاف سلطانه، ورأيت أقرب الناس من الولاة من يمتدح بشتمنا أهل البيت، ورأيت من يحبنا يزور ولا تقبل شهادته، ورأيت الزور من القول يتنافس فيه، ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه وخفّ على الناس استماع الباطل، ورأيت الجار يكرم الجار خوفاً من لسانه، ورأيت الحدود قد عطلت وعمل فيها بالأهواء، ورأيت المساجد قد زخرفت، ورأيت أصدق الناس عند الناس المفتري الكذب،

ورأيت الشرّ قد ظهر والسعي بالنميمة، ورأيت البغي قد فشا، ورأيت الغيبة تستملح ويبشر بها الناس بعضهم بعضاً، ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله، ورأيت السلطان يذل للكافر المؤمن، ورأيت الخراب قد أديل من العمران، ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان، ورأيت سفك الدماء يستخف بها، ورأيت الرجل يطلب الرئاسة لعرض الدنيا ويشهر نفسه بخبث اللسان ليتقى وتسند إليه الأمور، ورأيت الصلاة قد استخف بها، ورأيت الرجل عنده المال الكثير ثم لم يزكه منذ ملكه، ورأيت الميت ينبش من قبره ويؤذى وتباع أكفانه، ورأيت الهرج قد كثر، ورأيت الرجل يمسي نشوان ويصبح سكران لا يهتم بما الناس فيه، ورأيت البهائم تنكح، ورأيت البهائم يفرس بعضها بعضاً، ورأيت الرجل يخرج إلى مصلاه ويرجع وليس عليه شيء من ثيابه، ورأيت قلوب الناس قد قست وجمدت أعينهم وثقل الذكر عليهم، ورأيت السحت قد ظهر يتنافس فيه، ورأيت المصلي إنما يصلّي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقه لغير الدين، يطلب الدنيا والرئاسة، ورأيت الناس مع من غلب، ورأيت طالب الحلال يذمّ ويعير وطالب الحرام يمدح ويعظم، ورأيت الحرمين يعمل فيهما بما لا يحب الله لا يمنعهم مانع ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح أحد، ورأيت المعازف ظاهرة في الحرمين، ورأيت الرجل يتكلّم بشيء من الحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقوم إليه من ينصحه في نفسه فيقول هذا عنك موضوع، ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور، ورأيت مسلك الخير وطريقه خالياً لا يسلكه أحد، ورأيت الميت يهزأ به فلا يفزع له أحد، ورأيت كل عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر مما كان، ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلا الأغنياء، ورأيت المحتاج يعطى على الضحك به ويرحم لغير وجه الله، ورأيت الآيات في السماء لا يفزع لها أحد، ورأيت الناس يتسافدون كما يتسافد البهائم لا ينكر أحد منكراً تخوفاً من الناس، ورأيت الرجل ينفق

الكثير في غير طاعة الله ويمنع اليسير في طاعة الله، ورأيت العقوق قد ظهر واستخف بالوالدين وكانا من أسوء الناس حالا عند الولد ويفرح بأن يفتري عليهما، ورأيت النساء وقد غلبن على الملك وغلبن على كل أمر لا يؤتي إلا ما لهن فيه هوى، ورأيت ابن الرجل يفتري على أبيه ويدعو على والديه ويفرح بموتهما، ورأيت الرجل إذا مر به يوم ولم يكسب فيه الذنب العظيم من فجور أو بخس مكيال أو ميزان أو غشيان حرام أو شرب مسكر كئيباً حزيناً يحسب أن ذلك اليوم عليه وضيعة من عمر، ورأيت السلطان يحتكر الطعام، ورأيت أموال ذوي القربى تقسم في الزّور ويتقامر بها وتشرب بها الخمور، ورأيت الخمر يتداوى بها وتوصف للمريض ويستشفى بها، ورأيت الناس قد استووا في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك التدين به، ورأيت رياح المنافقين وأهل النفاق قائمة ورياح أهل الحق لا تحرك، ورأيت الأذان بالأجر والصلاة بالأجر، ورأيت المساجد محتشية ممن لا يخاف الله، مجتمعون فيها للغيبة وأكل لحوم أهل الحق ويتواصفون فيها شراب المسكر، ورأيت السكران يصلي بالناس وهو لا يعقل ولا يشان بالسكر وإذا سكر اكرم واتقي وخيف وترك لا يعاقب ويعذر بسكره، ورأيت من أكل أموال اليتامى يحمد بصلاحه، ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله، ورأيت الولاة يأتمنون الخونة للطمع، ورأيت الميراث قد وضعته الولاة لأهل الفسوق والجرأة على الله يأخذون منهم ويخلونهم وما يشتهون، ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى ولا يعمل القائل بما يأمر، ورأيت الصلاة قد استخف بأوقاتها، ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه الله وتعطى لطلب الناس، ورأيت الناس همّهم بطونهم وفروجهم، لا يبالون بما أكلوا وما نكحوا، ورأيت الدنيا مقبلة عليهم، ورأيت أعلام الحق قد درست، فكن على حذر واطلب إلى الله عزوجل النجاة واعلم أنّ الناس في سخط الله عزوجل وإنما يمهلهم لأمر يراد بهم، فكن مترقباً واجتهد ليراك الله عز وجل في خلاف

ما هم عليه فإن نزل بهم العذاب وكنت فيهم عجّلت إلى رحمة الله، وإن أخرت ابتلوا وكنت قد خرجت ممّا هم فيه من الجرأة على الله عز وجل، واعلم أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين وأنّ رحمة الله قريب من المحسنين»[١].

أما الروايات الواصفة لأعمال الحكام والولاة فهي كثيرة.

منها ما رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: **«أعاذك الله يا كعب بن عجرة من إمارة السفهاء»** قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: **«أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي، ولا يستنّون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فاولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون عليّ حوضي»**[٢].

فليس هذا سوى تحذير من متابعة حكام الجور والخلفاء الظلمة التاركين لهدي الرسول ﷺ وسنته حتى لو كان الخليفة المباشر لرسول الله ﷺ.

ومنها ما رواه الهيثمي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، وقراء فسقة، سمتهم سمت الرهبان، وليس لهم رعية، فليلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة، يتهوكون فيها تهوك اليهود في الظلم»**[٣].

والسمت هو الهيئة الظاهرة، والتهوك هو التخبط والتهور.

ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن أبي سلالة السلمي أن النبي ﷺ قال: **«ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، يحدّثوكم فيكذبونكم، ويعملون ويسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم، وتصدقوا كذبهم،**

---

(١) الكافي ٨: ٣٦ ـ ٤٢ ح٧.

(٢) المصنف ١١: ٣٤٥ ح ٢٠٧١٩، مسند أحمد ٣: ٣٢١.

(٣) كشف الهيثمي ٢: ٢٣٧، وفي أمالي الشجري ٢: ٢٥٧ بتفاوت.

فاعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد»[(١)].

ومنها ما رواه ابن أبي شيبة عن النبي ﷺ: **«ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون، ويعملون ما تنكرون، فليس لأولئك عليكم طاعة»**[(٢)].

ولعمري فإن الهدف من هذه الأوصاف واضح هو النهي عن متابعة الخلفا والحكام الذين يرتكبون الذنوب ويأمرون الناس بالطاعة والصلاح.

وأما الأخبار الواردة في أفعال عامة الناس عن أهل آخر الزمان وزمان ظهور القائم عليه السلام فهي كثيرة يذكر كل واحد منها طائفة من الأفعال والأخلاق الرديئة التي يتحلى بها أهل آخر الزمان، وتعدها في عداد العلائم على الظهور، وقد يستظهر منها إرادة العامة وأهل الباطل.

ومنها خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب؟ ومن أين تؤتون، وأنى تؤفكون؟ فلكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب، فاستمعوا من ربانيكم وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة، فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية، وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق. فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيظاً، وتفيض اللئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً، وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه

---

(١) المعجم الكبير ٢٢: ٣٦٢ ح ٩١٠.

(٢) المصنف ١٥: ٢٣٣ ح ١٩٥٦٧.

أمواتاً، وغار الصدق، وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً»[1].

وهناك أخبار تجعل الأخلاق الرديئة والأفعال القبيحة من جملة العلائم القريبة على ظهور القائم عليه السلام كالخبر الذي يرويه ابن شاذان عن الصادق عليه السلام عندما قيل له:

يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركبت ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادة الزور، وردت شهادة العدل، واستخف الناس بالدماء، وارتكاب الزنا، وأكل الربا والرشا، واستيلاء الأشرار على الأبرار، وخروج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن ولقبه النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق مع علي وشيعته، فعند ذلك خروج قائمنا»[2].

فالملاحظ أن الإمام عدّ تلك الأفعال اللاأخلاقية من جملة العلائم التي هي السفياني واليماني وغيرهما، فهي علائم متاخمة.

ولكن هذه الروايات تحتاج إلى نوع من الدقة والتأمل، وإلا فسفك الدماء والزنا والربا والرشا كانت حتى في زمان الأئمة عليهم السلام وفي زمان صدور الخبر وحتى أن بعضها كان في زمانهم أكثر من غيره من الأزمنة.

ولكن الدقة توصلنا إلى الفارق والمائز، فإنه عليه السلام قال واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا و...، يعني واستخف الناس بارتكاب

---

(١) نهج البلاغة: ١٥٧ خطبة ١٠٨، وفي طبعة محمد عبده ١: ٢٠٨ خطبة ١٠٤.

(٢) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦ ح ١٨.

الزنا، أي صار أمراً عادياً، إذا قيل لأحدهم: بعض الناس يزني، فسرعان ما يقول هو كثير أو ما أكثره، من دون التعوّذ والتعجب والتأثر، فهذا هو الاستخفاف بالزنا.

كما يمكن إرادة ظهور ذلك وشيوعه وإعلان الرسمية وإن كان في بلاد الكفار، مثل اكتفاء الرجال بالرجال، فإنه أعطي الرسمية والوجهة القانونية، وصار يسمع به في بلدان المسلمين ويشاهد.

وأشنع ما ورد من تلك الأفعال مما لا يحتمله أحد في ذلك الزمان هو اختلاف الشيعة فيما بينهم، حتى ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فو الذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين، وحتى لا يبقى منكم ـ أو قال من شيعتي ـ كالكحل في العين والملح في الطعام...»[1].

وأودُّ أن أذكر على أنني لم أقصد سوى الكتابة عن علائم الظهور من دون التعرض إلى أصل قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا التعرض لما أورد من الإثارات حول هذه القضية المصيرية ولما وجدت أن البعض صار ينكر ولادة الإمام المهدي عليه السلام ويناقش في الأدلة والروايات الكثيرة المعروضة أحببت أن أجيبهم هنا عاجلاً خلال سطر واحد وأقول لهم ما الدليل على أنك مولود لأبيك في الواقع.

فإذا حاولت الإجابة على ذلك فإنك ستجد كل ما ناقشت به أصل ولادة الإمام المهدي عليه السلام ينطبق عليك بطريق أولى ولا يمكنك إثبات ذلك أبداً لكي تعلم أن الأمر في الولادة لا يحتاج إلى أكثر من بعض الأدلة البسيطة فكيف بكل تلك الروايات والأخبار، وللكلام مجال آخر كما قلنا.

وأخيراً يلزمني التقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ باسم محمد

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٠٩ ح ١٧.

الأسـدي عـلى ما بذله من الجهود الكبيرة في جمع المطالب وتحقيق الأسناد راجياً من الله أن يوفقه لكل خير إنه سميع مجيب.

والحمد لله أولاً وآخراً

٢٨ ذو القعدة ١٤٢٤هـ مشهد المقدسة

فهرس المصادر

القرآن الكريم

١ ـ إثبات الوصية
للمسعودي
دار الأضواء / بيروت ـ لبنان.

٢ ـ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات
لمحمد بن الحسن الحرّ العاملي
المطبعة العلمية / قم ـ إيران / سنة ١٤٠٤ هـ.

٣ ـ الاحتجاج
لأحمد بن علي الطبرسي
مطبعة النعمان / النجف الأشرف ـ العراق/ سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.

٤ ـ أحسن التقاسيم
للمقدسي المعروف بالبشاري
طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٥ ـ الأختصاص
لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ

المفيد.
جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم المقدسة ـ إيران.

٦ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد
لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد.
دار المفيد / قم ـ إيران / بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٧ ـ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب
للشيخ علي اليزدي الحائري
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ـ لبنان / ط: ٤، سنة ١٣٩٧ هـ.

٨ ـ الأصول الستة عشر
لنخبة من الرواة
دار الشبستري للمطبوعات / قم ـ إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٥.

٩ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى
لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث / قم ـ إيران/ ط٢، سنة ١٤١٧ هـ.

١٠ ـ إقبال الأعمال
للسيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس
مكتب الإعلام الإسلامي / قم ـ إيران / ط: ١ سنة ١٤١٤ هـ.

١١ ـ أمالي الشجري
ليحيى بن الحسين الشجري
عالم الكتب بيروت ومكتبة المتنبي / القاهرة ـ مصر.

١٢ ـ أمالي الصدوق
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمّي
مؤسسة البعثة / قم ـ إيران / ط: ١ سنة ١٤١٧ هـ.

١٣ ـ أمالي الشيخ
لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
دار الثقافة / قم ـ إيران.

١٤ ـ أمالي المفيد
لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد.
جامعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم ـ إيران.

١٥ ـ الأمامة والتبصرة من الحيرة
لأبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمّي والد الشيخ الصدوق
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم ـ إيران.

١٦ ـ الأنوار البهية
للمحدث الشيخ عباس القمي
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١٧.

١٧ ـ بحار الأنوار
للعلامة محمد باقر المجلسي
مؤسسة الوفاء / بيروت ـ لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٣ هـ.

١٨ ـ البدء والتاريخ
المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي
مكتبة الأسدي / طهران ـ إيران.

١٩ ـ بيان الأئمة للوقائع الغريبة والأسرار العجيبة
للشيخ محمد مهدي حفيد الشيخ زين العابدين النجفي

٢٠ ـ بيان الشافعي = البيان في أخبار صاحب الزمان
للمحدث المفيد أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي
مطبوع مع كفاية الطالب للمؤلف، دار إحياء تراث أهل البيت / طهران ـ إيران.

٢١ ـ تاج العروس
لمحمد مرتضى الزبيدي
مكتبة الحياة / بيروت ـ لبنان.

٢٢ ـ تاج المواليد
للعلامة الطبرسي
مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم ـ إيران / سنة ١٤٠٦ هـ.

٢٣ ـ تاريخ البخاري = التاريخ الكبير
لمحمد بن إسماعيل البخاري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان.

٢٤ ـ تاريخ بغداد
لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان.

٢٥ ـ تاريخ الطبري
لأبي جعفر بن جرير الطبري
مؤسسة الأعلمي / بيروت ـ لبنان.

٢٦ ـ تاريخ مدينة دمشق
لابن عساكر
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٥ هـ.

٢٧ ـ تأويل الآيات الظاهرة في فضل العترة الطاهرة
للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٨ ـ تحف العقول عن آل الرسول
لابن شعبة البحراني
مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم ـ إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٤ هـ.

٢٩ ـ تذكرة القرطبي= التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة
للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي
طبعة مدكور وأولاده/ القاهرة ـ مصر.

٣٠ ـ تفسير أبي حمزة الثمالي
لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي
دفتر نشر الهادي / قم ـ إيران / أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ط: ١، سنة ١٤٢٠ هـ.

٣١ ـ تفسير الطبري
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٦ هـ.

٣٢ ـ تفسير العياشي
للنضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي المكتبة العلمية الإسلامية / طهران ـ إيران.

٣٣ ـ تفسير القرطبي
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٣٤ ـ تفسير القمي
لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي
مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر / قم ـ إيران / سنة ١٤٠٤ هـ.

٣٥ ـ تلخيص المتشابه في الرسم
لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي
مؤسسة طلاس / دمشق ـ سوريا.

٣٦ ـ تهذيب الأحكام
للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
دار الكتب الإسلامية / طهران ـ إيران / ط: ٤، سنة ١٣٦٥ ش.

٣٧ ـ تهذيب ابن عساكر
لعبد القادر بدران
دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان.

٣٨ ـ جامع البيان للطبري
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة: ١٤١٥ هـ.

٣٩ ـ الخرائج والجرائح
لقطب الدين الراوندي
مؤسسة الإمام المهدي عليه‌السلام / قم ـ إيران.

٤٠ ـ الخصال
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابوية القمي
جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم ـ إيران.

٤١ ـ الحكم والمواعظ = عيون الحكم والمواعظ
للشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي.
دار الحديث / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٣٧٦ ش.

٤٢ ـ حلية الأولياء
لأبي نعيم الأصفهاني
دار الفكر / بيروت ـ لبنان.

٤٣ ـ الداني = السنن الواردة في الفتن
لأبي عمرو عثمان بن سعيد المقري الداني
مصور عن مخطوطة المكتبة الظاهرية / دمشق ـ سوريا.

٤٤ ـ الدعوات
للمولى أبي الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي
مدرسة الإمام المهدي عليه‌السلام / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ.

٤٥ ـ دلائل الإمامة
للمحدث الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري
مؤسسة البعثة / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

٤٦ ـ روضة الواعظين
للشيخ العلامة محمد بن القتال النيسابوري.
منشورات الرضي / قم ـ إيران.

٤٧ ـ سنن ابن ماجة
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني
المكتبة العلمية / بيروت ـ لبنان.

٤٨ ـ سنن أبي داود
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٠ هـ.

٤٩ ـ سنن الترمذي
لمحمد بن عيسى الترمذي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٣ هـ.

٥٠ ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار
للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ إيران.

٥١ ـ شرح نهج البلاغة
لابن ميثم البحراني
طبع مؤسسة النصر / طهران ـ إيران.

٥٢ ـ **شرح نهج البلاغة**
لابن أبي الحديد
دار إحياء الكتب العربية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٣٧٨ هـ.

٥٣ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**
لإسماعيل بن حماد الجوهري
دار العلم للملايين / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ

٥٤ ـ **الصراط المستقيم**
لزين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطر البياضي.
المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٥٥ ـ **صحيح البخاري**
لمحمد بن إسماعيل البخاري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠١ هـ.

٥٦ ـ **العدد القوية**
للفقيه الجليل رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلي
مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٥٧ ـ **عرف السيوطي = العرف الوردي في أخبار المهدي**
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

٥٨ ـ **عقد الدرر في أخبار المنتظر (عج)**
ليوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي السلمي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٣ هـ.

وطبعة أخرى من مكتبة عالم الفكر / القاهرة ـ مصر.

٥٩ ـ علل الشرائع
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية القمي
منشورات المكتبة الحيدرية / النجف الأشرف ـ العراق / سنة ١٣٨٦ هـ.

٦٠ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية القمي
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٤ هـ.

٦١ ـ غاية المرام
للسيد هاشم البحراني
مؤسسة الأعلمي / بيروت ـ لبنان.

٦٢ ـ الفائق في غريب الحديث
للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٧ هـ.

٦٣ ـ فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر
لمرعي بن يوسف الكرمي

٦٤ ـ الفردوس بمأثور الخطاب
لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني الملقب إلكيا
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٦.

٦٥ ـ فيض القدير
لمحمد عبد الرؤوف المناوي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، ستة ١٤١٥ هـ.

٦٦ ـ القاموس المحيط
للفيروز آبادي جمعه الشيخ نصر الهوريني.

٦٧ ـ قرب الإسناد
للشيخ الجليل أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ

٦٨ ـ القول المختصر في علامات المهدي المنتظر
للفقيه أحمد بن حجر الهيثمي المكي
دار الزهراء للإعلام العربي/ القاهرة ـ مصر/ ط:١، سنة ١٣١٥هـ.
وطبعة أخرى عن نسخة مصورة من مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة / النجف ـ العراق.

٦٩ ـ الكافي
لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني
دار الكتب الإسلامية / طهران ـ إيران / ط: ٣، سنة ١٣٨٨ هـ.

٧٠ ـ كتاب الدعاء
لسليمان بن أحمد الطبراني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

٧١ ـ كتاب سليم بن قيس
لأبي صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي

تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني / إيران.

٧٢ ـ كتاب العين
لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي
مؤسسة دار الهجرة / قم ـ إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٩ هـ.

٧٣ ـ كتاب الغيبة
للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
مكتبة نينوى الحديثة / طهران ـ إيران.
وطبعة أخرى في مؤسسة المعارف الإسلامية / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١١ هـ.

٧٤ ـ كتاب الغيبة
للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني
مكتبة الصدوق / طهران ـ إيران .

٧٥ ـ كتاب الفتن
لأبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٤ هـ
وطبعة أخرى عن نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني في (٢٠١) صفحة

٧٦ ـ الكشاف
لمحمود بن عمر الزمخشري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

٧٧ ـ **كشف الحق (أربعين الخاتون آبادي)**
للمولى محمد شريف بن محمد صادق الخواتون آبادي

٧٨ ـ **كشف الغمة**
لعلي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي
دار الأضواء / بيروت ـ لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٥ هـ.

٧٩ ـ **كشف النوري = كشف الأستار**
للنوري الطبري
مؤسسة النور / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٨٠ ـ **كفاية الأثر**
لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي
انتشارات بيدار / قم ـ إيران / سنة ١٤٠١ هـ.

٨١ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي.
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ إيران / سنة ١٤٠٥هـ.

٨٢ ـ **كنز العمال**
للمتقي الهندي
مؤسسة الرسالة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٩ هـ.

٨٣ ـ **لسان العرب**
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.

دار صادر / بيروت ـ لبنان.

٨٤ ـ مجمع البحرين
فخر الدين الطريحي
مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

٨٥ ـ مجمع الزوائد
لنور الدين الهيثمي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٨ هـ.

٨٦ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن
لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٥ هـ.

٨٧ ـ المحاسن
لأحمد بن محمد بن خالد البرقي
دار الكتب الإسلامية / طهران ـ إيران

٨٨ ـ مختصر إثبات الرجعة
للسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي النجفي

٨٩ ـ مختصر بصائر الدرجات
للحسن بن سليمان الحلي
المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف ـ العراق / ط: ١، سنة ١٣٧٠ هـ.

٩٠ ـ مدينة المعاجز
للسيد هاشم البحراني

مؤسسة المعارف الإسلامية / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ

٩١ ـ مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٣٧٤ هـ

٩٢ ـ المستجاد من الإرشاد
للعلامة جمال الحق والدين حسن بن المطهر الحلي
مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي / قم ـ إيران /سنة ١٤٠٦ هـ.

٩٣ ـ مستدرك الحاكم
للحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٦ هـ.

٩٤ ـ مستدرك سفينة البحار
للشيخ علي النمازي الشاهرودي
مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم ـ إيران / سنة ١٤١٩ هـ.

٩٥ ـ مستدرك الوسائل
للمحقق النوري الطبرسي
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٩٦ ـ مسند أبي داود الطيالسي
لأبي داود الطيالسي
دار الحديث /بيروت ـ لبنان.

٩٧ ـ مسند أحمد

لأحمد بن حنبل

دار صادر / بيروت ـ لبنان.

٩٨ ـ مشارق أنوار اليقين = مشارق البرسي

للحافظ رجب البرسي

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٩ هـ.

وطبعة أخرى من مكتبة ثقافة أهل البيت عليهم السلام / طهران ـ إيران.

٩٩ ـ المصنف

لابن أبي شيبة الكوفي

دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٩ هـ.

١٠٠ ـ المصنف

لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني

المجلس العلمي / سنة ١٣٩٢هـ.

١٠١ ـ معجم أحاديث المهدي عليه السلام

لمؤسسة المعارف الإسلامية ـ تحت إشراف الشيخ علي الكوراني

مؤسسة المعارف الإسلامية / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١١ هـ.

١٠٢ ـ معجم البلدان

لياقوت الحموي

دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان / سنة ١٣٩٩ هـ.

١٠٣ ـ معجم رجال الحديث

للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي

منشورات مدينة العلم / قم ـ إيران.

١٠٤ ـ المعجم الأوسط
لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني دار الحرمين / السعودية / سنة ١٤١٥ هـ.

١٠٥ ـ المعجم الصغير
لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

١٠٦ ـ المعجم الكبير
لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني
مكتبة ابن تيمية / القاهرة ـ مصر / ط: ٢، سنة ١٤٠٤ هـ..

١٠٧ ـ الملاحم والفتن
لعلي بن موسى جعفر بن محمد بن طاووس الحسن الحسيني
منشورات الشريف الرضي / قم ـ إيران / ط: ٥، سنة ١٣٩٨ هـ.

١٠٨ ـ الملاحم والفتن
لابن المنادي، أبو الحسن أحمد بن جعفر بن عبد الله البغدادي
صورة عن مخطوطة مكتبة المسجد الأعظم / قم ـ إيران.

١٠٩ ـ مناقب آل أبي طالب = مناقب ابن شهر آشوب
لمشير الدين أبي عبد الله محر بن علي بن شهر آشوب
المطبعة الحيدرية / النجف ـ العراق / سنة ١٣٧٦ هـ.

١١٠ ـ منتخب الأنوار المضيئة
للسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي

النجفي
مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤٢٠ هـ.

١١١ ـ منتهى المقال في أحوال الرجال
للشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٩ هـ.

١١٢ ـ نقد الرجال
للسيد مصطفى التفرشي
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١٨ هـ.

١١٣ ـ نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين
للسيد نعمة الله الموسوي الجزائري
مؤسسة النشر الإسلامي / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١٧ هـ.

١١٤ ـ نهج البلاغة
بتحقيق الشيخ محمد عبدة
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان

١١٥ ـ وسائل الشيعة
للمحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / قم ـ إيران / ط:٢، سنة ١٤١٤ هـ.

١١٦ ـ الهداية الكبرى
لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي
مؤسسة البلاغ / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١١ هـ.

١١٧ ـ اليقين في امرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
لعلي بن موسى بن طاووس الحسني
مؤسسة دار الكتاب / قم ـ إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

١١٨ ـ ينابيع المودة لذوي القربى
للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي
دار الأسوة / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٦ هـ.

فهرس المواضيع

العلامة الأولى: الخراساني

العلامة الثانية: شعيب بن صالح

العلامة الثالثة: اليماني

العلامة الرابعة: المرواني

العلامة الخامسة: السفياني

العلامة السادسة: الخسف

العلامة السابعة: الصيحة

العلامة الثامنة: كف تطلع في السماء

العلامة التاسعة: قتل النفس الزكية

العلامة العاشرة: كسوف الشمس

الأحداث التي تسبق ظهور القائم (عليه السلام)